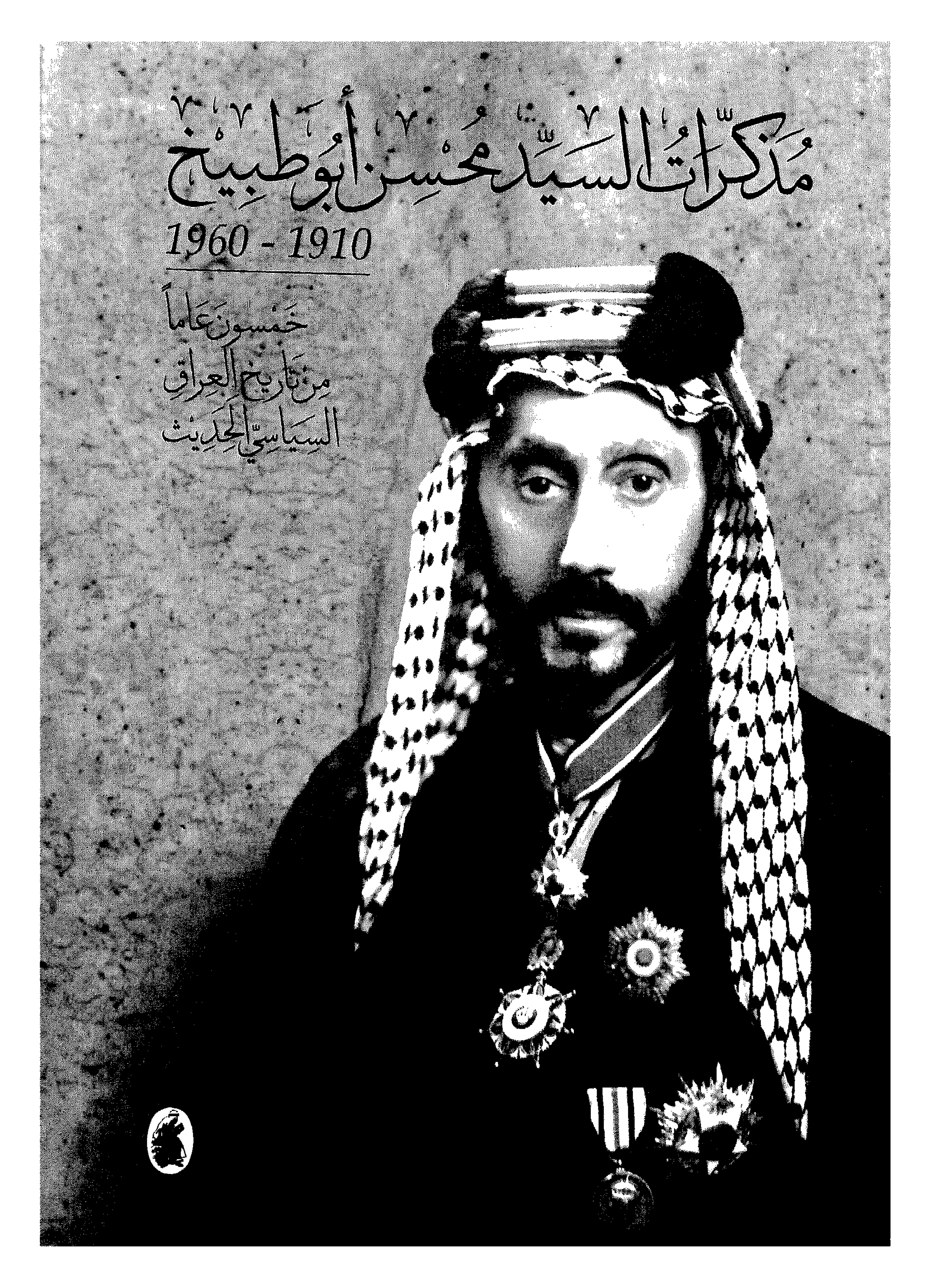

مذكرات السيد محسن أبو طبيخ
1910 - 1960
خمسون عاماً
من تاريخ العراق
السياسي الحديث

السيّد محسن أبو طبيخ

أحد زعماء ثورة العشرين (١٩٢٠) ، ومن المخطّطين لها . عيّن أوّل متصرّف لمحافظة كربلاء بعد تحريرها من الإنجليز . لجأ إلى الحجاز بعد انهيار الثورة وبقي في ضيافة الشريف حسين مدّة تسعة أشهر .. عاد إلى العراق بعد تتويج الملك فيصل الأوّل ، الذي ما لبث أن اختلف معه حول انتخابات المجلس التأسيسيّ ، فتمّ إبعاده إلى سوريّة ، وبقي منفيًا حوالي خمسة أشهر عاد بعدها إلى العراق في ١٦/١٠/١٩٢٣ ، ولم تمض سنتان حتّى اختلف مرّة ثانية مع الملك فيصل ، وتمّ إبعاده إلى إيران ، حيث بقي فيها قرابة ستّة أشهر . وفي عهد حكومة (حكمة سليمان / بكر صدقي) الانقلابيّة ، عام ١٩٣٧ ، ألغيت حصانته البرلمانيّة ، وعزل من مجلس الأعيان ، وحكم عليه بالسجن لمدّة ثلاث سنوات .

انتخب نائبًا في أوّل دورة لمجلس النوّاب ، عام ١٩٢٥ ، وانتخب نائبًا أوّل لرئيس المجلس ، كما انتخب في الدورة النيابيّة لعام ١٩٣٩ ، واختير عضوًا في مجلس الأعيان من (١٩٣٣ ـ ١٩٤٧) ، ونائبًا أوّل لرئيس مجلس الأعيان من (١٩٥١ ـ ١٩٥٨) .

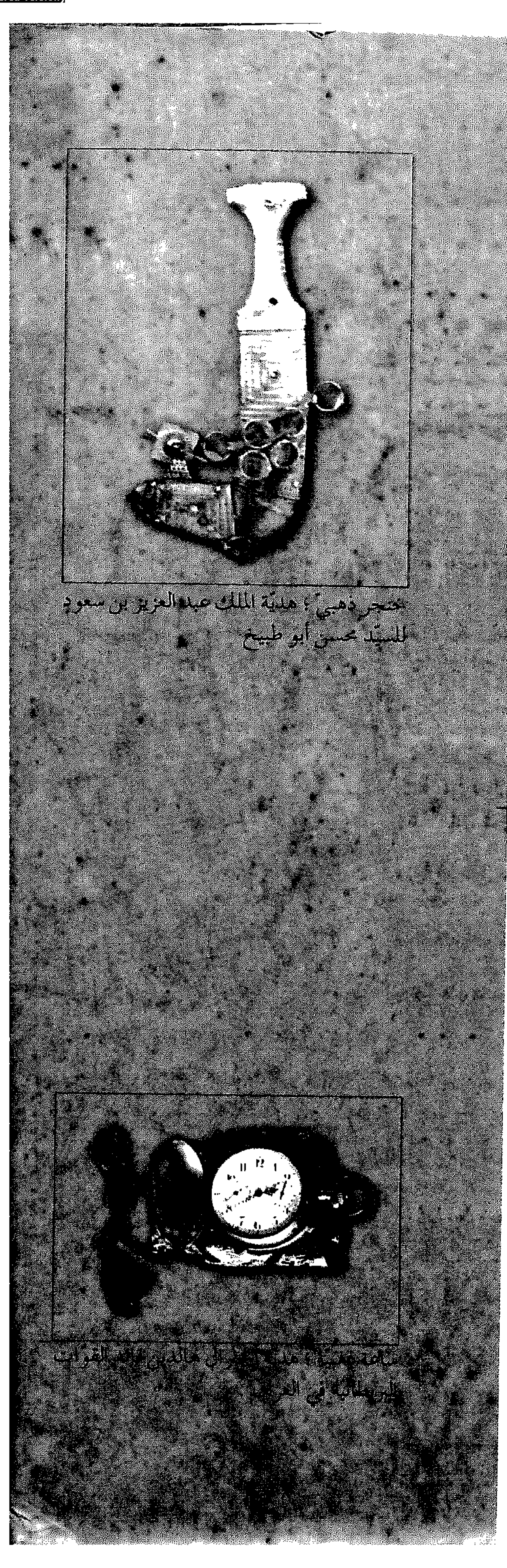
حامل وسام الرافدين من الدرجة الثانية ، والوسام الهاشميّ الأردنيّ من الدرجة الثانية ، ووسام الملك جورج الخامس .

مؤلّفاته :

الرحلة الحسنيّة ، لبنان ، ١٩٢٥

المبادئ والرجال ، دمشق ، ١٩٣٨

توفّي ، في بغداد ، في ٥/٥/١٩٦١



خنجر ذهبي ؛ هدية الملك عبد العزيز بن سعود
للسيد محسن أبو طبيخ

ساعة ذهبية ؛ هدية [illegible] الدين [illegible] القوات
البريطانية في العر[illegible]







مذكرات
السيد محسن أبو طبيخ

1960 - 1910

مذكرات السيّد محسن أبو طبيخ (١٩١٠ ـ ١٩٦٠)؛ خمسون عاماً من تاريخ العراق السياسيّ الحديث / مذكرات
جمع وتحقيق: جميل محسن أبو طبيخ/ العراق
الطبعة العربية الاولى، ٢٠٠١



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون،
ص. ب: ٥٤٦٠ ـ ١١، العنوان البرقي: موكيّالي،
هاتفاكس: ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان، ص. ب: ٩١٥٧، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢، هاتفاكس: ٥٦٨٥٥٠١
E-mail:mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفني
سعيد سيف®
الإخراج الداخلي
بان جميل أبو طبيخ/ العراق
مراقبة الصف الضوئي
سهير جميل أبو طبيخ/ العراق
التنفيذ الطباعيّ:
مطبعة سيكو، بيروت ـ لبنان

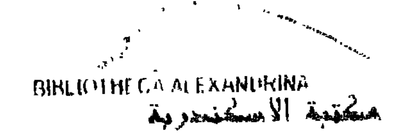
مذكرات السيد محسن أبو طبيخ

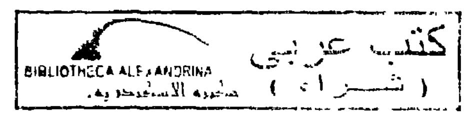
1910 - 1960

خمسون عاماً
من تاريخ العراق السياسي الحديث

جمع وتحقيق

جميل أبو طبيخ











الإهـــداء

إلى معلمي الأول إلى أبي

أقدم كتاب مذكراته هذا..

آملاً أنني قد حققت أمنيته...

جميل





السيد محسن أبو طبيخ



تـوطئــة

هـذا الكتـاب

هذه الوثيقة التاريخية ليست بحد ذاتها، مذكرات شخص معين لعب دوراً مهماً في مراحل تكوين الحكم الوطني للعراق، بل هي عرض ملخص من تاريخ العراق السياسي الحديث لما يقارب الخمسين عاماً سواء الأحداث التي شارك هو شخصياً فيها أو الأحداث التي واكبها وكتب عنها.

إن هذا الكتاب لا يعدو ان يكون صورة لحياة رجل جاهد من أجل وطنه متأثراً بكل المثل العليا التي رسمها المؤرخون والأدباء، ثم جاء المنقبون في التاريخ والاساتذة في أبحاثهم الجامعية وأطروحاتهم الممحصة فأعطوها صدق موقعها ووجدانها، وخير دليل على ذلك ما جادت به الأقلام العربية والأجنبية في عشرات الكتب التي تطرقت إلى دور السيد محسن أبو طبيخ الفعّال في سنوات التأسيس وما بعدها. وبهذا الحال، يمكن القول ان الكتاب ليس عن حياة وأعمال أحد الرجال الوطنيين الأوائل فحسب، فبذلك تأخذ الرتابة والأنانية الفردية جوهر الموضوع، وانما هو تقييم للأزمات السياسية التي مر بها العراق يكشف المؤلف فيه لأول مرة في كتابات التاريخ السياسي الحديث للعراق فترة تكوينه المضطرب مبيناً حقائق ووقائع لم تتناولها أقلام الكتاب والباحثين فبقيت طي سطور مذكراته هذه لترى النور على صفحات هذا الكتاب ولتكشف دوره المخلص في صياغتها.

لقد دون السيد محسن أبو طبيخ مذكراته على مراحل وأصدر كتابين عن تجاربه من أحداث ووقائع النضال الوطني في بداية معتركه السياسي.

الأول عنوانه «الرحلة المحسنية» وضعه إثر نفيه خارج العراق من قبل الملك فيصل الأول بسبب معارضته إجراء انتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٢٣.

والكتاب الثاني «المبادئ والرجال» الذي استعرض فيه حياته السياسية منذ العهد العثماني وصولاً إلى أحداث الثلاثينات التي لعب دوراً مهماً فيها. لقد استعرت بعضاً من مواضيع هذا الكتاب لأضيفها إلى مذكراته لأهمية الأحداث التي شارك فيها والتي لم يتطرق إليها في هذه المخطوطة وبذلك أعطيت للوقائع التاريخية تسلسلها ودوره الأساسي في صياغتها.

ومن المهم أن أشير من أني اخذت على عاتقي تدوين ما قام به والدي في كثير من المناسبات السياسية التي مرت بالحكم الوطني والتي أغفل هو الإشارة اليها في الوقت الذي تناولها فيه الكتّاب والمؤرخون وأعطوه مكانه الأساسي فيها... ولتباين الأسلوب في التدوين والصياغة الأدبية واستعمال المفردات نظراً للفترات الزمنية التي تفصل بين ما جاء في كتاباته الأولى والمخطوطة، فقد ابقيت على هذه الصيغ في استعاراتي من كتاباته السابقة لتسبغ على الجو العام حيوية القراءة والعمق الزمني لكل موضوع.

لقد جمعت المعلومات بكل دقة وموضوعية، ونقبت عن الحقائق في السجلات الرسمية العراقية والبريطانية والأجنبية الأخرى، وفي كتب المصادر والبحوث الجامعية، لأجلو منها صورة لتاريخ مر عليه زمن شارك والدي في صنعه، وقد خصصت ملحقاً للمراجع والوثائق لإغناء الموضوع، كما وثقت الأحداث بهوامش مدعومة ببعضها أو بوثائق رسمية ليقف الباحث والمطالع على أهميتها التاريخية وحرصاً مني لتجنب الضياع في متاهة الادعاءات التي سقط فيها الكثيرون من كُتاب المذكرات والسير.

أما مذكراته الخطية التي كتبها فقد كانت شاملة لسفر حياته السياسية بأكمله أتمها في مطلع الستينات وقد اعتلّت صحته وضعفت ذاكرته. لذا لم تكن مهمتي سهلة في تحرير تاريخ خمسين عاماً ومعظم ما كتبه يفتقر إما إلى تأريخ محدد للوقائع أو يعفّ عن ذكر دوره في أحداث مهمة، فاستندت على من صاحبوه وعاشوا تلك الأحداث معه من افراد العائلة.

وغالباً ما يعلو غبار القدم على مثل هذه الأخبار وكذلك المبالغات والإضافات والإطناب الذي يشوه الحقائق ويلبس الموضوع على القارئ وبذا تضيع فرصة الوصول إلى إعطاء صورة مبسطة لخبر معين... مما دفعني إلى

الاستناد والرجوع إلى (المظانّ) لكل رواية شفهية وإهمال الكثير منها عندما لا أجد ما يدعم وقائعها في المصادر التي بين يدي وهذا ما تطلب مني جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً.

هذا الكتاب، الذي يتحدث عن نصف قرن من تاريخ العراق السياسي الحديث، يقدم مذكرات أحد الرجال المؤمنين بوطنه ووطنيته، واجه الاستعمار العثماني ثم الاستعمار البريطاني بكل شجاعة وصدق وإيمان نادر، فتعرض للسجن والنفي والتشريد والحرمان، ولم يكتف بالمواجهة السياسية مع المستعمر، فدخل ساحات القتال نداً لهم ولو كلفه ذلك الموت، مضحياً بما يملك من أجل معتقده. فقد باشر الخوض بالعمل السياسي وهو في مقتبل العمر بالغ الثراء، ومات وهو لا يملك شيئاً بعد أن بذل كل ما بحوزته في سبيل عقيدته.. لقد كان مسلماً ملتزماً بإسلامه، وعربياً مؤمناً بعروبته، ووطنياً مجاهداً عن العراق وحقوقه وكيانه.

جميل السيد محسن أبو طبيخ
لندن في ٢٨ جمادي الأول ١٤٢٠
٨ أيلول ١٩٩٩



تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مضى على وفاة السيد محسن أبو طبيخ ٣٧ عاماً وعلى ثورة العشرين ٧٨ عاماً وقد كتب الكثيرون أثناء تلك السنين عن ثورة العشرين وعن دور السيد محسن أبو طبيخ فيها. وقد يتساءل الكثيرون ما السبب لم يصدر كتاب فيه مذكرات السيد محسن عن هذه الثورة التي كان هو فيها أحد المحاور المهمة حتى هذا التاريخ المتأخر. أما بعد ذلك فقد تعذر على إخواني السادة كامل وإدريس ومشكور والدكتور محمد طبع هذه المذكرات ونشرها. وكم كنا نطمح أن يتولى أخي الأكبر المرحوم السيد كامل الإشراف على طبع هذه المذكرات وتذييلها بالهوامش والملاحظات التي تعين القارئ على الإحاطة بها. فقد كان حدثاً خلال ثورة العشرين. ولا بد أنه يتذكر الكثير من ظروف الثورة ووقائعها. لكن المرء لا يدرك كل ما يتمناه. ثم بعد كل هذه السنين العجاف تصدر لهذا العمل أصغرنا سناً الأخ جميل فنهض بالعبء رغم ثقل المسؤولية وبعد شقة الزمن. وراح وكأنه يحفر بالصخر ليوثق ما ورد في المذكرات ويوضح كثيراً مما ذكر في المتن. وقد حرص على أن يضع كل ذلك في الهوامش دون أن يمس الأصل بالتغيير أو التعديل حرصاً منه على الأمانة العلمية. ولم يكن ذلك سهلاً يسيراً إذ كان عليه أن يتحرى المصادر من مظانها من خلال اختلافه إلى أسواق

الكتب والمكتبات العامة والخاصة ودوائرالوثائق العراقية والبريطانية والجامعات. وقد قام الأخ جميل بتحضير وإنتاج الكتاب على أحسن حال وأدى الأمانة بالمحافظة على ما كتبه الوالد بيده ودعم كل حدث مهم بالمراجع المفصلة.

والآن أود أن الفت نظر القارئ الكريم إلى بعض النقاط المذكورة في المذكرات حول السياسة الإنكليزية الاستعمارية التي استخدمت وسائل التفرقة العنصرية والطائفية لتفكيك الترابط الوطني في البلاد. وللأسف أن الشعب العراقي عانى الكثير من رواسب تلك السياسة إلى أمد طويل بعد انتهاء الاستعمار. بالإضافة إلى ذلك أن سياسة السلطة البريطانية الاستعمارية بعد الثورة استهدفت رؤساء الثورة وعشائر الفرات الأوسط لإفقارهم وتفتيت قدراتهم على استعمال القوة للمطالبة بحقوقهم الشرعية أو تنفيذ طموحاتهم الوطنية. ففرضوا على الشيوخ ورؤساء العشائر وحتى على بعض مدن الفرات كالنجف الغرامات المادية القاسية. فكانت غرامات السيد محسن ألف بندقية ومئة ألف طلقة واثني عشر ألف ليرة ذهب ومئات الأطنان من التمر والشلب والقمح. ولو أحصينا قيمة هذه الغرامات في مقاييس اليوم لبلغت بضعة ملايين الدولارات. ولا يفوتنا أن السيد محسن وزملاءه رؤساء العشائر سبق وأن انفقوا مئات آلاف الليرات الذهبية لمدة ثلاثة أشهر لتجنيد قواتهم للقتال في معركة الشعيبة قرب البصرة لصد الغزو البريطاني. ثم اعقبتها ثورة العشرين المباركة التي دامت زهاء ستة أشهر والتي استنزفت ثرواتهم. فالسيد محسن الذي كان من أثرياء عصره أمسى يعتمد على عوائد مزارعه من موسم لآخر لينفق على نفسه وعشيرته ومضائفه المتعددة وطلبات العشائر الموالية له. ومع الأسف الشديد نلاحظ أن حكامنا ورؤساء وزاراتنا أثناء الحكم الملكي تعلموا بإتقان من الحكم البريطاني الاستعماري سياسة التفرقة وسياسة التعجيز فأصبحت الاسلوب المفضل لمحاربة رجال المعارضة في البرلمان. ولا يخفى أن السيد محسن أثناء سني عضويته بمجلسي النواب والأعيان كان من أبرز رجال المعارضة للحكومات المتعاقبة على السلطة وخطبه الحادة الشديدة في محاسبة رجال الحكم مدونة في محاضر جلسات المجلس وتعتبر سجلاً هاماً لتاريخ تلك الفترة من أيام الحكم الملكي. ولهذا حاربه رؤساء الحكم بتلك الأساليب

الاستعمارية فوضعوا شتى العقبات في طريقه لإعاقة شؤونه الزراعية كسحب بعض أراضيه الأميرية وتفضيل جيرانه المزارعين في توزيع حصص مياه الري وقس على ذلك. ورغم كل تلك المشاكسات المقصودة بقي السيد محسن طيلة الحكم الملكي مخلصاً للعهد حريصاً على سلامة العائلة المالكة والصديق الوطني المخلص والأذن الصاغية لهم منذ أيام الحجاز بعد فشل ثورة العشرين وحتى سقوط الحكم الملكي سنة ١٩٥٨.

توفي السيد محسن في بغداد مساء الخميس المصادف ٤ أيار (مايس) ١٩٦١ وشيع جثمانه في يوم الجمعة. ولما انتشر خبر الوفاة خرج المشيعون لتوديعه فشاركت كافة شرائح المجتمع في ذلك وتنافست جموع العشائر في كل مدينة على مد الطريق إلى النجف لتحمل نعشه وتمشي خلفه. وتناقلت الإذاعات العالمية أخبار الوفاة. دفن السيد محسن عشية الجمعة في مقبرة عائلته بوادي السلام في النجف. جزاه الله خيراً على خدمته لوطنه. تغمده الله برحمته التي وسعت كل شيء إنه سميع مجيب.

الدكتور علي السيد محسن أبو طبيخ

حقوق الطبع محفوظة

مذكرات السيد محسن ابو طبيخ

نحن واياهم

كان الواجب علي ان ادون مذكراتي هذه من قبل هذا التاريخ وانما تأخرت عن تدوينها لاسباب سيأتي ذكرها في خلاصة المقدمة

لقد قلت كان الواجب ان ادون مذكراتي قبل هذا التاريخ واعتقد ان قد طلبوا مني تدوينها من اشخاص متعددين واولهم الملك فيصل الاول وعلى ما اتذكر في ١٩٢٩ جاءني تلفون من تحسين قدري قال ان سيدنا الملك يأمر في الساعة الرابعة بعد الظهر تجي للقصر الحارثية الصغير [illegible] معه ...

وانا جاي للقصر بالساعة المعينة ذهبت الى القصر المذكور رأيت تحسين قدري منتظراً في الحديقة امام باب القصر في انتظاري

الصفحة الأولى من مخطوطة مذكرات السيد محسن أبو طبيخ

مقدمة

المذكرات

كان بودي أن أدون مذكراتي هذه منذ أمد بعيد، ولكن عوامل حالت دون ذلك سوف اتطرق إليها لاحقاً. لقد فاتحني الكثيرون وطلبوا مني تدوين مذكراتي، وفي مقدمتهم صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل الأول، وعلى ما أتذكر كان ذلك في مطلع سنة ١٩٢٨ إذ استلمت مكالمة من تحسين قدري (المرافق العسكري الأقدم لجلالته، والذي أصبح فيما بعد رئيس التشريفات) قال لي فيها: «إن سيدنا الملك يأمر بحضوركم الساعة الرابعة من بعد الظهر» لذلك اليوم إلى قصر الحارثية لشرب الشاي معه. واستجابة لهذه الدعوة توجهت إلى القصر فوصلت في الوقت المحدد. وجدت تحسين في الحديقة الأمامية ينتظرني، فقادني إلى حيث كان جلالته جالساً لوحده، فبادرته بالتحية وأجلسني بالقرب منه وطلب لي الشاي ثم أمر بالقهوة العربية، وكان في ذلك الوقت قريب العهد من شرائه أراضي الحارثية وقد نصب عليها مضخات مائية بقوة أربعمائة حصان. بادرني جلالته بقوله «لقد طلبتك لأني عازم على الخروج إلى المزرعة وأحب أن تكون معي لعلي أستمع منك لآراء في كيفية زراعتها» وقبل أن نخرج دارت بيني وبينه أحاديث متنوعة ثم تطرقنا إلى الثورتين، الثورة الحجازية والثورة العراقية الكبرى، ثورة العشرين. وذكر لي جلالته خواطره عن الثورة الحجازية.

سألني جلالته عن الثورة العراقية، فذكرت مقدماتها السياسية التي دارت بيننا وبين الإنكليز كما ذكرت له بعض الوقائع الحربية بعد أن اندلعت نار الثورة. فسألني قائلاً «هل دونت مذكراتك عنها وعن غيرها

من الأحداث؟» فأجبته «أنا الآن مشغول في تدوينها». فكان تعقيبه «يجب أن تسرع في تدوينها وأنا أطلب منك ذلك، بل آمرك به، فلا شك أن مذكراتك ستكون ذات شأن في التاريخ وسوف تغدو بالتالي دليلاً للجيل المقبل بعدكم لكي يعرف أبناؤه إلى أي حد دفعكم حب الوطن وما ضحيتموه في سبيله من أنفس ومن نفائس». سألت جلالته بدوري إن كان قد دون مذكراته قائلاً «لا شك أن مذكراتكم هي الأهم فهل دونتموها؟» اجاب جلالته «نعم، وقريباً تطبع».

أما من أصدقائي، فأذكر المرحومين ياسين الهاشمي وجميل المدفعي وناجي السويدي وغيرهم كثيرين ممن طلبوا مني تدوين مذكراتي هذا إلى جانب العديد من المؤرخين والكتاب من عراقيين وعرب وحتى نوري السعيد الذي كان يحمل تجاهي الكثير من مشاعر العداء ولم يكن هناك أي سبب أو دافع لذلك غير أنه لما احس إن الإنكليز لديهم هذا الشعور نحوي اتبع سيرتهم تلك. وكان لديه نفس التحامل بالعداء والكراهية تجاه المرحوم الحاج عبد الواحد السكر وذلك لترابط العلاقة بيننا. ومادمت في ذكر نوري السعيد، فلا بد أن اذكر جانباً من طبعه واخلاقه. فهو متقلب الاطوار بطبيعته ولا أدري هل هي طبيعة فطرية أم هو تطبع سياسي؟ كان عندما يبغض شخصاً تراه أحياناً إذا لاقاه في طريق ضيق لم يسلم عليه وحتى لو بادره ذلك الشخص بالسلام فإنه لا يرد عليه. ومرة أخرى تراه يقصد بغيضه هذا ويسلم عليه ويجالسه ويكثر بالكلام معه وكأن شيئاً لم يكن بينهما.

في أحد ايام صيف عام ١٩٤١ وبدون أي دافع سياسي أو حدث معين في تلك الأيام دعاني والحاج عبد الواحد إلى عشاء في بيته وكان يسكن حين ذاك في أحد بيوت السكك الحديدية على ضفة النهر صوب الكرخ، قلت لنفسي إنه لا بد قد أولم وليمة وأن هناك أشخاصاً آخرين غيرنا. ذهبت والحاج عبد الواحد سوياً وعند وصولنا استقبلنا في حديقته المطلة على النهر استقبال صديق لأصدقاء عزيزين عليه. دار الحديث في مواضيع الساعة العامة ولم يتطرق هو لأي أمر سياسي. سألنا عن الثورة العراقية فذكرنا له بعض الأشياء عن الأمور السياسية التي دارت بيننا وبين

الإنكليز وعن بعض الوقائع الحربية... ثم سألني أنا شخصياً عن هجرتنا إلى الحجاز عقب انهيار الثورة، فذكرت له جانباً من أحداث تلك الأيام لأن الحاج عبد الواحد لم يكن معنا في هجرتنا هذه.

سألني بعد ذلك قائلاً: «هل دونت مذكراتك عن هذه الأحداث وما قبلها؟»، فأجبته: «أتحب أن أدون مذكراتي؟»، فقال «نعم لا شك انها ستكون مفيدة». فقلت له «إذا دونت مذكراتي فأول ما أحمل بها عليك». فقهقه عالياً حتى دلع رأسه إلى الوراء... ثم قال «أود أن تدونها وإذا تحاملت بها عليَّ فسأتلقى ذلك برحابة صدر وما اخاف من تحاملك عليَّ لأني أعتقد انك منصف وفي نقدك لا تخرج من دائرة الإنصاف». لقد قال هذا وبتمويه في قوله لأنني كنت قد علمت أن أحدهم أخبره أني دونت مذكراتي واني متحامل عليه بأكثر من الواقع وأكثر مما هو معروف به عند الخاصة والعامة وأني أرسلتها إلى مصر أو سوريا لأجل الطبع والنشر بتلك الاقطار، ولقد قال ما مرّ ذكره من باب الاستطلاع.

أما سبب عدم تدويني ونشر مذكراتي في ذلك العهد، سواء في زمن الملك فيصل الأول وبعده، فهو لأني على يقين أن ما كنت سأدونه هو الواقع والحقيقة، والواقع لا يرضيهم، وحتى الملك فيصل ما كان سيرضى بما سأقوله ولا يقبله. وبناءً على ذلك كنت على يقين تام من أن المصاعب والعقبات ستوضع أمامي لعرقلة تنفيذ مشروعي هذا وحتى لو استطعت طبعه خارج العراق فستوضع الحواجز لمنع وصوله إلى القارئ العراقي، وخصوصاً الجيل الجديد لإبعاده عن معرفة حقيقة من الذي خدم بلاده وشعبه وضحى في سبيله بكل غال ورخيص. كانت رغبتي في تدوين هذه المذكرات أشدّ من رغبة غيري من الذين ذكرتهم في تكليفهم إياي بتدوينها وغيرهم الكثيرون من الذين لم أذكر أسماءهم وذلك مع علمي إنها ستكلفني جهداً فكرياً لذكر ما يلزم أن أدونه على الوجه الصحيح وتعباً جسمانياً في التدوين لأنني لم اسجل محتويات هذه المذكرات بوقتها ولم أوثق كل حادثة بتاريخها ويومها وقد مر على حدوثها زمن طويل.. أقول إن رغبة التدوين اخذت تشتد عندي من وقت لآخر في العهد الملكي عندما ساعدت الظروف والأقدار والإنكليز نوري السعيد وجماعته بعد أن عادوا إلى البلاد

اثر تشكيل الحكومة العراقية، وبدعم الإنكليز أخذوا الحكم بأيديهم وأخذوا يبثون دعايتهم وادعاءهم في طول العراق وعرضه من أنهم هم أول من نطق باسم القومية العربية في العهد العثماني وأنهم هم الذين خلقوا الحكومة العراقية ويستندون بذلك على كونهم ممن اشترك وساهم في الثورة الحجازية... ومن المؤسف حقاً أننا نحن وغيرنا من الوطنيين كلما طالبنا بإحياء ذكرى الثورة العراقية يوم ٣٠ من حزيران ١٩٢٠ اتباعاً لتقاليد الشعوب التي تبتلى بالاستعمار وتثور عليه وتوفق في ثورتها فتحيي في كل سنة ذكرى هذه الثورة وتعتبر اليوم الأول منها عيداً قومياً رسمياً. للأسف أبوا أن يوافقوا على ذلك واعتبروا ثورة الحجاز هي الثورة العربية الوحيدة واخذوا يحيون ذكراها سنوياً وجعلوا التاسع من شعبان أول يوم لقيامها عطلة رسمية متناسين أن ثورة الحجاز التي قام بها الملك حسين بن علي[١] وانجاله على العثمانيين كانت بتحريك الحلفاء أي الإنكليز والفرنسيين وتحت اشراف وقيادة لورنس وعلى نفقتهم مالاً وسلاحاً وتموينا[٢]. كما انهم نسوا أو تناسوا من أنهم لم تكن لديهم معرفة تامة بها. وهذا ما شهد به نوري السعيد في محاضراته التي ألقاها في كلية اركان الجيش العراقي في أيار (مايس) ١٩٤٧ والتي سأعود إلى ذكرها في الفصول القادمة.

اما سبب التحاقهم في ثورة الحجاز بصفتهم ضباطاً عرباً فإن ذلك

---

(١) الشريف حسين بن علي: مؤسس الاسرة الهاشمية التي حكمت الحجاز والتي تحكم الاردن الآن كما حكمت العراق حتى عام ١٩٥٨، ولد في إسطنبول وتولى منصب أمير مكة عام ١٩٠٨ وتم له رئاسة العائلة بعد خلافات ونزاع كبير مع أفراد عائلته. وفي العام ١٩١٦ قام بالثورة ضد الحكم العثماني بمساعدة الإنكليز بعد أن وعدوه بالملوكية على البلدان العربية المحررة من الدولة العثمانية. وحينما انتهت الحرب العالمية الأولى نكل الحلفاء بوعودهم له فأعلن نفسه ملكاً على البلاد العربية عام ١٩٢٤ مما دفع بالإنكليز لنفيه إلى قبرص ليحل مكانه ابنه الأكبر الأمير علي. توفي في عمان عام ١٩٣١ ودفن في المسجد الأقصى بالقدس.

(٢) بيتر مانسفيلد، العرب، الناشرين: بنكوين المحدودة، لندن طبعة اولى ١٩٧٦ Peter Mansfield, The Arabs, Penguin Books Ltd London,1976 الصفحة ١٩٧ «الثورة العربية كانت استراتيجياً، مهمة لبريطانيا.. مع ذلك لم تكن العمليات العسكرية ممكنة بدون الذهب والمساعدات البريطانية، فالعرب لم يكن بمقدورهم القيام بأي عمل بذاتهم...» الترجمة بتصرف ـ راجع الطبعة الإنكليزية.

يعود إلى حقيقة واحدة هي أنهم أُسِروا من قبل الإنكليز أثناء الحرب العالمية الأولى عندما كانوا ضباطاً في الجيش العثماني، وعندما قامت ثورة الحجاز جمعهم الإنكليز من معتقلات الاسر وأرسلوهم إلى لورنس لكي يدربوا الثوار الحجازيين على القتال وقيادة وحداتهم[1].

في ذلك الوقت كانوا بمعية الملك فيصل يحاربون العثمانيين بقيادة لورنس وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى، وانسحاب الاتراك من سوريا، نصّب فيصل نفسه ملكاً في سوريا ومعه هؤلاء الضباط، وبقوا معه إلى أن أخرجهم الفرنسيون منها وتفرقوا في البلاد العربية، اما الملك فيصل ونوري السعيد وجعفر العسكري فانتهى بهم المطاف إلى لندن، وثورة العراق مستعر أوارها وهم لا يعلمون بها ولم تكن هناك مراسلة بيننا وبينهم في حينه.

لقد أرادوا أن يكون لهم دور في ثورة العشرين بشتى الادعاءات كما أنهم انتحلوا للملك فيصل الأول أنه هو المكوّن لكيان العراق وهو المؤسس لدولته.

فكيان العراق والمؤسس لدولته، هو الشعب العراقي نفسه، كونه وقام على جثث وهام شيبه وشبابه والمنّة لله وحده وليس لأي أحد من البشر.

السيد محسن أبو طبيخ
بغداد ٦ كانون الثاني ١٩٦٠

---

(١) أخذ الإنكليز على عاتقهم إرسال القوميين العرب إلى معتقلات الأسرى ليوضحوا للضباط العرب ما يعانيه سكان البلاد العربية على يد الأتراك وما اقترفوه بحقهم من مظالم وأن ثورة الشريف حسين إنما هي من أجل استقلال العرب وتحرير بلادهم من السيطرة العثمانية، أما من يرفض الانضمام لهذه الثورة والخدمة في صفوف جيشها فيبقى في المعتقل، ومن يبدي رغبته بالانضمام لها فيطلق سراحه ويرسل إلى جبهات القتال. راجع:

جورج انطونيوس، يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨ الصفحة ٣١١: «وفي الوقت نفسه جدّ البحث في معسكرات أسرى الحرب بمصر والهند عن الضباط العرب... وفوتحوا في أمر الانضواء في الحرب من أجل تحرير العرب... ومن بين هؤلاء نوري السعيد ومولود مخلص...»

أيضاً، إبراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، بيروت ١٩٦٩ الصفحة ١٨: «... إن عدد الضباط العرب الأسرى في معتقلات الهند كان ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ضابط.»



الفصل الأول

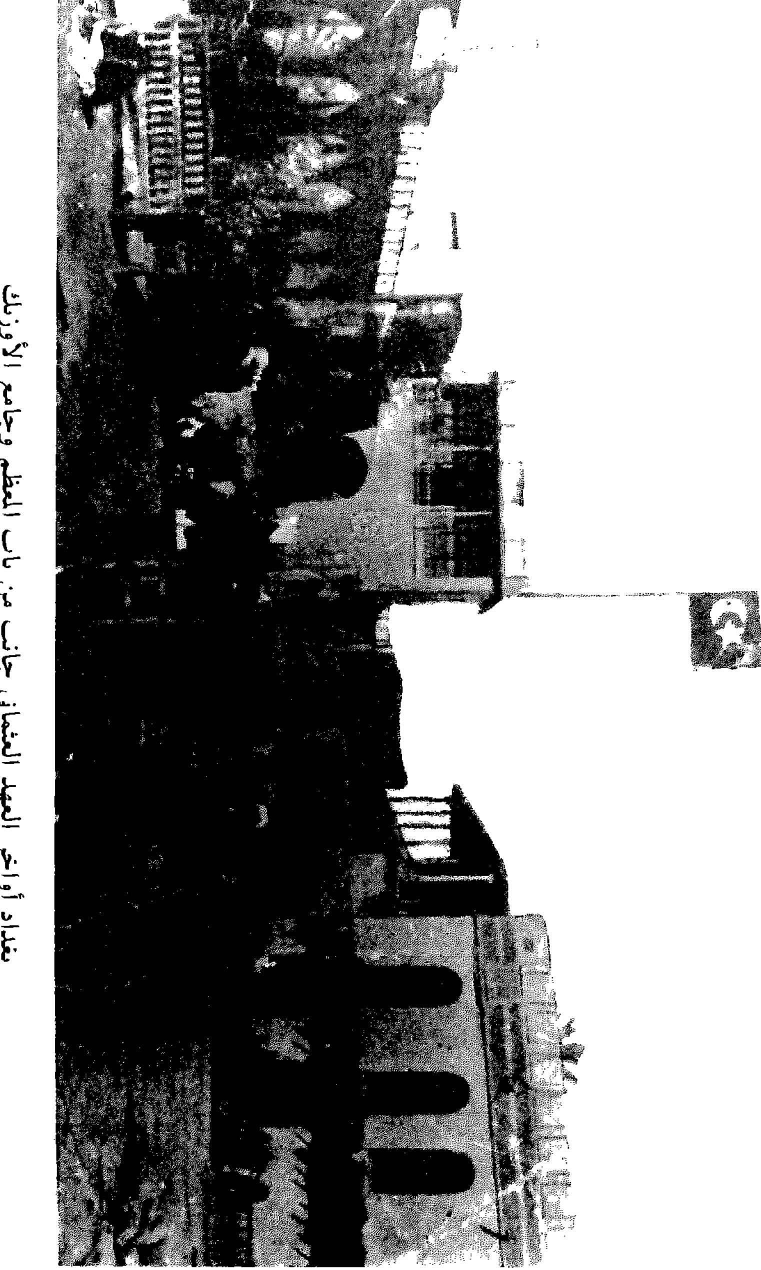
القومية العربية
أواخر الحكم العثماني في العراق
١٩١٠ ـ ١٩١٧



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

صدق الله العظيم
التوبة ـ ٤١ ـ



بغداد أواخر العهد العثماني جانب من باب المعظم وجامع الأوزبك

الفصـــل الأول

القومية العربية أواخر الحكم العثماني
الحركة القومية العربية وثورة الحجاز

إن استعراض وشرح أوضاع الحركة القومية العربية أواخر الحكم العثماني والتعرف على أولئك الذين يعتبرون أول من نطق بها، ثم التعرف على الذين اعتنقوها واشتغلوا فيها بإخلاص سيقودنا للتساؤل عمّن هم أولئك الرواد الحقيقيون ومن هم مدّعو الريادة ممن لا يمتون بالحركة وافكارها وتوجهاتها بأي صلة.

إن أول من نطق بفكرة القومية العربية هم الأحرار السوريون واللبنانيون الذين شنقهم جمال باشا السفاح في دمشق وبيروت وعاليه أثناء الحرب العالمية الأولى[1].

لقد هز هذا العمل القوميين العرب في كل مكان وأيقظ مشاعرهم ففي إستنبول، كان عزيز علي المصري[2]، وهو ضابط في الجيش العثماني اعتنق الفكرة القومية العربية بصورة سرية والتف حوله الضباط العرب

(١) اعدم جمال باشا السفاح أحد عشر وطنياً في يوم ٢١ آب ١٩١٥ في بيروت، ثم أعدم أربعة عشر وطنياً في دمشق وبيروت وعاليه في نيسان وأيار في عام ١٩١٦ وكان معظمهم ممن شارك في المؤتمر العربي الأول بباريس عام ١٩١٣ الذي طالب بقراراته باستقلال الدول العربية عن الامبراطورية العثمانية مع العديد من المطاليب التي اعتبرتها الحكومة العثمانية جريمة وخيانة منهم.

(٢) عزيز علي المصري، من الضباط العرب في الجيش العثماني، ولد سنة ١٨٧٩م بمصر. ترأس الحركة القومية العربية بين صفوف الضباط العرب وأسس جمعية العهد فحكم عليه بالإعدام من قبل الحكومة العثمانية ثم أبدل الحكم بالسجن ثم رضخت الحكومة العثمانية بعد ذلك لضغوط الدول الكبرى وأطلقت سراحه.

الذين كانوا في الجيش العثماني حينذاك من عراقيين ومصريين وسوريين وجزائريين ولبنانيين، وألفوا جمعية العهد برئاسته، وكان من بين الضباط العراقيين الذين اشتركوا في الجمعية المذكورة، نوري السعيد البغدادي حيث كان يعرف بهذا اللقب يوم ذاك.

وعندما شعرت الحكومة العثمانية بهذه الجمعية عن طريق جواسيسها، ألقت القبض على عزيز علي المصري وسجنته، أما رفاقه من الضباط، فقد أخرجتهم من إستنبول، وفرقتهم على وحدات الجيش الموزعة في أنحاء البلاد واكتفت من عقوبتهم بذلك. بقي عزيز علي في السجن بضعة أشهر، تدخل بعدها الإنكليز في أمره، حيث كانوا كما هي عادتهم وطبيعتهم يعطفون على أمثال هذه القضايا التي تحدث في الدول التي يطمعون فيها، إذ تم اطلاق سراحه قبل إعلان الحرب العظمى الأولى بشهرين؛ أي في نيسان (إبريل) سنة ١٩١٤ وعاد إلى بلاده مصر بعد أن أحيل على التقاعد.

هذا كل ما فعله أولئك الضباط في سبيل القضية العربية التي ادعوا أنهم هم الذين نطقوا بها قبل كل ناطق وأنهم هم الذين نهضوا بها قبل كل ناهض والدليل على عدم صحة ذلك ما شهد به نوري السعيد في محاضراته التي ألقاها في كلية الأركان للجيش العراقي ولنبدأ بالصفحة السادسة[1] منها بقوله: «فسافرت أنا والدكتور عبد الله الدملوجي» وكلمة سافرنا هي تلطيف بمعنى لما وقعت الحرب انهزمنا من إستنبول ثم يستمر بالقول: «ولما وصلنا البصرة أصابني مرض حال دون مواصلتي السفر... ولما احتل الإنكليز البصرة كنت لم أزل مريضاً في المستشفى».

والحقيقة المعروفة أنه اختبأ في بيت باش أعيان!! ثم يستطرد وعلى نفس الصفحة «فنقلوني إلى الهند حيث بقيت مدة من الزمن ثم نقلوني إلى مصر دون أن أعلم سبباً لذلك حتى الآن وكان ذلك في سنة ١٩١٥». والحقيقة هي غير ذلك، فإنه لما احتل الإنكليز البصرة سلم نفسه لهم ولكونه ضابطاً في الجيش العثماني أرسلوه مع الاسرى إلى الهند ثم منها إلى مصر.

---

(١) مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧، صفحة ٢١.

أما الثورة الحجازية التي كان السعيد يدعي أنه هو المخطط والمنفذ لها، فقد ثبت من الوقائع الوثائقية أنه لم يكن له أي رأي في الخطط العسكرية والقرارات المهمة، حيث كانت المذاكرات والمراسلات تجري مباشرة بين القائد البريطاني في مصر وبين الملك حسين بن علي وهذا ما شهد به هو في الصفحة السابعة[1] من محاضراته آنفة الذكر إذ كتب يقول في الصفحة السابعة ما يلي: «ولما كنا نتدأول مع عزيز علي المصري في شأن البلاد العربية كنا نجهل تمام الجهل المذاكرات التي كانت جارية بين جلالة المغفور له الملك حسين وبين ممثل الحكومة البريطانية.. الخ» ويستطرد ليقول «... وقد وصلتنا في ذلك الحين برقيتان من جلالة المغفور له الملك حسين إحداهما إلى عزيز علي المصري والثانية إليَّ وفيهما يطلب إلينا الحضور فوراً إلى مكة المكرمة مع من يرافقنا من رجال العرب».

ومن هذا يتضح صحة ما قلت إنه لم يكن لنوري السعيد رأي ولا دراية في مجريات الثورة الحجازية. نعود إلى محاضراته وإلى الصفحة الحادية عشرة[2] وتحت عنوان: الوضع العسكري في الحجاز قبل السفر كتب يقول: «ان الوضع العسكري في الحجاز قبل سفرنا إليه كان يتلخص في أن جدة كانت قد سقطت بيد متطوعي العشائر والأهلين.. الخ» ويستطرد إلى أن يقول: «.. كما أن مكة المكرمة كانت قد سقطت بيد المتطوعين من أهلها.. الخ». إلى أن يكتب «أما الطائف فقد كانت محاصرة من قبل قوات جلالة الملك عبد الله ـ سمو الأمير عبد الله آنذاك ـ» ثم يقول «آما المدينة المنورة فقد كانت فيها فرقة تركية واحدة كانت قد جلبت على جناح السرعة من الشمال على السكة الحديدية بقيادة فخري باشا وكانت هذه الحامية مهددة من الجنوب والغرب وأحياناً من الشمال وذلك من قبل العشائر الحجازية التي انضمت إلى المرحوم جلالة الملك علي ـ سمو الأمير علي آنذاك ـ» وأترك الأمر للقارئ الكريم أن يحكم على ما جاء في كتابات نوري السعيد وعلى ما يدعيه لنفسه، فإذا كانت الثورة قائمة ومستعر أوارها

---

(١) نفس المصدر صفحة ٢٢.

(٢) نفس المصدر السابق صفحة ٢٧ ـ ٢٨

وكانت هذه المدن الرئيسية في الحجاز ما بين ساقطة بأيدي الثوار بما فيها العاصمة وما بين محاصرة وهو لازال في مصر لا يدري بما يجري في الحجاز ـ كما اعترف آنفاً ـ ألا يكفي هذا البيان أن يرد أي تقول من قبل نوري السعيد من انه هو أحد «المفكرين» المدبرين لثورة الحجاز..

نعود مرة أخرى إلى محاضراته لنضيف دليلاً جديداً على أنه لم يكن هو وحده كان لا يعلم بقليل أو كثير عن الثورة بل هو وصحبه.. لقد كتب في الصفحة الثانية عشرة[1] تحت عنوان «السفر إلى الحجاز: ولما غادرنا السويس، انا ومن معي، علمنا ونحن في الباخرة بأن القيادة البريطانية كانت قد شحنت معنا سلاحاً باسم الشريف حسين... الخ» فهنا أود أن اسأل كيف لا يدري ولا يعلم بمثل هذا الأمر البسيط إن كان هو المفكر الأول للثورة وهو الذي وضع الحجر الأساسي في تكوين صرحها..

ان الضباط والجنود الذين أسماهم متطوعين لم يكونوا أحراراً في بلدانهم وبين أهليهم ليتطوعوا للحرب، لقد كانوا اسرى بيد الإنكليز جمعوهم من المعتقلات وأرسلوهم إلى الجبهات حيث كان خيارهم إما البقاء في الأسر يلاقون ألوان الهوان أو الالتحاق بالجبهات وبرتبهم العسكرية وبراتب أكثر مما كانوا يستلمون في الجيش العثماني. فلماذا لا يرضون ويكونوا متطوعين؟

أنهي ما كتبت عن هذا الموضوع لأترك الحكم للقارئ الفاضل وحبذا لو تيسر له مطالعة محاضرات نوري السعيد لكي يعرف الحقيقة عن ادعاءات ومغالطات وتحريف لوقائع تاريخية وردت في محاضراته هذه والتي قصد منها أن يثبت أهميته ويعطي لنفسه دور الصدارة في ثورة الحجاز.

الدعوة العربية في العراق[2]

لما ظهرت الدعوة العربية في سوريا ومصر والآستانة، وانتشرت بين الضباط العرب، الذين كانوا في الجيش العثماني، كعزيز علي المصري،

---

(١) نفس المصدرالسابق صفحة ٢٨.

(٢) السيد محسن أبو طبيخ ـ المبادئ والرجال، الصفحات ١٣ ـ ١٧ (النص طبق الأصل).

ونوري السعيد، وياسين الهاشمي، وغيرهم، وعندما أخذت الأخبار تصل إلينا عن هذه الدعوة وعن قوتها، وتوسعها في الأقطار العربية المار ذكرها وفي غيرها، نشطنا إلى العمل لواجب العرب عامة والعراق خاصة.

ولما طالب السوريون باللامركزية، زاد نشاطنا في العمل، وتملكت هذه الفكرة مشاعرنا وعقولنا، بحيث لم تجد أية فكرة أخرى مجالاً لها، وقدح أمام أبصارنا بريق الأمل. وبقينا نستطلع أمرها، ونستنشق اريجها بشوق زائد، لنقف على حقيقة سيرها، كي نتحرك على منهاجها، ونتبع أثرها بالعمل، ولكن ذلك لم يكن ممكن الحصول في ذلك الوقت العصيب، لعدم وجود الوسائط السريعة الميسورة اليوم.

ولعدم وجود صحافة في البلاد ينشر بها الأحرار أفكارهم ويتكلمون بلسان شعبهم، إذ لم تكن في البلاد يومئذٍ غير جريدة (الزوراء) وهي جريدة رسمية تمثل الحكومة لا غير، وعلى اثرها صدرت جريدتا (الرقيب) و(الرصافة) ومن المؤسف أنهما لم تعيشا إلا أشهراً معدودة فكانت الأخبار ترد إلينا بطيئة، وحتى أخبار بغداد نفسها كانت غامضة علينا.

وفي سنة ١٩١١ عُين ناجي السويدي قائمقاماً لقضاء النجف الأشرف، فاغتنمنا قربه إلينا، وقصدنا النجف للاجتماع بالسويدي للتباحث معه في ما حدثنا فيه أنفسنا من العمل لواجب العرب والبلاد، ولما فاتحناه في الأمر وجدنا أن ما انغرس في نفوسنا هو نفسه قد انغرس في نفسه، وقد زودنا بما عنده من المعلومات القيمة وأشار علينا بالاتصال مع اهل بغداد والتريث بالعمل والكتمان حتى تصل إلينا حقيقة الدعوة وإلى أين انتهت. ولقد أبان لنا عن سبب التكتم ريثما نقف على الحقيقة، وهو أن الحكومة قد تنبهت للأمر، وأخذت تطارد هذه الدعوة وتعمل على اماتتها وهي في المهد قبل أن يستفحل أمرها، ويعظم خطرها على الدولة فلا تقوى بعدئذٍ على كفاحها.

هذا ما أشار به علينا ناجي السويدي، ولكن سرعان ماأحست الحكومة باتصالنا به فنقلته من النجف إلى قضاء الهندية، ومنه إلى التفتيش العدلي في الأناضول، فكان لهذا الحادث أكبر الاثر في نفوسنا، كيف

لا؟.. وقد اعتبرناه أهم المراجع للاستطلاع عن أخبار الدعوة العربية وأهم عضو عامل وخير مراجع ومشاور، ولما نقل السويدي على النحو المتقدم وسافر إلى الهندية، ذهبت أنا إلى بغداد، واجتمعت برجالاتها البارزين وكانوا إذ ذاك يشتغلون ضمن حزب العهد، فكاشفتهم بالأمر فوجدتهم يحبون أن يتظاهروا بالقضية العربية ولكنهم يخشون من فشلها ويخافون بطش الحكومة وأشاروا علينا بما أشار به السويدي من عدم التسرع ووجوب الكتمان.

رجعت من بغداد، وأنا مبلبل القلب يائس من أهلها لما رأيت من الخوف المستولي على جميع مشاعرهم في حين أن القضية العربية كانت في حاجة إلى تضحية عظيمة، تضحية المال والولد، وفي حاجة إلى بذل جهود جبارة.

وفي الوقت نفسه كانت ترد علينا أخبار سارة من البصرة، وأنباء ملؤها آمال غضة وأمان جميلة يفيد مضمونها أن السيد طالب النقيب يشتغل بالقضية العربية وأنه رجل قوي القلب حديدي الإرادة غير هياب ولا وجل، فقلنا إن القضية العربية في حاجة إلى امثال السيد النقيب، ولما اجتمعنا قررنا مراجعته، وفي الوقت نفسه، بلغه عنا ما بلغنا عنه، فسبقنا بالمراجعة ليقف على الحقيقة التي انطوت عليها ضمائرنا ويعرف رأينا. وبعد أن توثقنا من رسوله، أنبأناه بمبدئنا الذي وطّنا النفس على التضحية دونه والظفر بمجد ألنصر، وأوقفناه على كل شيء. ثم اتصلت المخابرة بيننا وبين السيد طالب بعد ذلك على أساس توسيع الدعوة وتوحيد كلمة العشائر والسعي لإزالة النزاع والتشاجر بينها.

بقينا دائبين على هذا العمل. ولكن قبل أن نوفق تماماً لنشر الدعوة في عامة أرجاء البلاد وتوحيد صفوفنا، وقبل أن نقرر القيام بالحركة الفعلية ونعلن طلب اللامركزية، بلغنا ما قامت به الحكومة (العثمانية) من البطش والتنكيل بالأحرار السوريين، فتريثنا في القيام بالحركة وبقينا ننتظر ما عسى أن يكون بعد ذلك.

ولما ثبت لدى الحكومة أن لنا صلة مع السيد طالب ومراجعات

متصلة قررت التنكيل بنا وأخذت السلطات تطاردنا مطاردات أولية ونحن نراوغها إلى سنة ١٩١٣. حيث أرسل جاويد باشا، والي بغداد كل من عزة بك متصرفاً إلى الديوانية، ثم اختار قائمقاماً إلى قضاء الشامية وأبو صخير هو حامد أفندي البكباشي السامرائي، وكان أهم باعث إلى تعيينه قائمقاماً ما عُرف به من بين ضباط الجيش العثماني من شدة وصرامة ضد بني جلدته من العرب.

الحركة القومية العربية في الفرات الأوسط

أنا لا أريد أن أذكر ما قمنا به من أعمال وما تحملناه من أذى وأضرار في سبيل القضية العربية وان ادعي كما ادعى من أسلفت ذكرهم من أنهم هم المكونون وهم المؤسسون لكيان الأمة العربية، بل كل ما اقصد من تدوينه في هذه المذكرات أولاً للعبرة والتاريخ، وثانياً لكي يطلع الجيل الجديد الذي لا يعلم شيئاً عن تلك الحوادث، ولكي يكون القارئ على علم ومعرفة بمن خدموا بلادهم وضحوا في سبيلها ما استطاعوا من تضحيات وبذلك يكون الحكم على من يدّعي لنفسه أو لغيره غير ذلك...

حينما وصلت إلينا أنباء الدعوة للقضية العربية وقادتها من المفكرين الاحرار في سوريا ولبنان، أجريت، كما أسلفت، عدة اجتماعات بين رجال الفرات الأوسط ومشايخه أذكر منهم السيد علوان الياسوي والحاج عبد الواحد السكر وعمومته الشيخ مبدر الفرعون والشيخ مزهر الفرعون وعبد الكاظم السكر شقيق الحاج عبد الواحد وقد تداولنا في الأمر وتفحصناه من كل نواحيه وما يمكن أن يكون دورنا نحن فيه...

وأخيراً قررنا القيام بحركة مماثلة للحركة السورية واللبنانية ونظراً لانعدام وسائط الاتصال السريعة في ذلك الزمن استحال الاتصال المباشر مع أولئك الأحرار في حينها... وفيما تقدم بينت كيف بلغنا خبر موثوق من أن السيد طالب النقيب في البصرة له اتصال مع السوريين واللبنانيين كما أنه على اتصال مع عزيز علي المصري. فقررنا الاتصال بالسيد النقيب للاتفاق معه على وضع خطة عمل موحدة... وبالفعل جرى الاتصال معه

وذلك بأن اخترنا أحد طلاب العلم والأصول الدينية في النجف الأشرف واسمه سيف الله ليكون رسولنا إليه. . . ولوثوقنا من صحة إخلاص السيد طالب وحسن نواياه تجاه القضية العربية اتفقنا معه على القيام بعمل مشترك والمباشرة بالاتصال مع رؤساء العشائر كل في منطقته، أي هو يتصل برؤساء عشائر لواء (محافظة) البصرة والمنتفك والعمارة، ونحن اتصالنا يكون مع رؤساء عشائر الفرات الأوسط والتهيؤ للقيام بثورة على الحكومة العثمانية في آن واحد(١).

وبالفعل قمت بالاتصال برؤساء عشائر قضائي الشامية وأبو صخير وتم الاتفاق معهم على أن نرفع صوتنا بحجة ثقل الضرائب. ولما علمت الحكومة من خلال جواسيسها المبثوثين في كل قضاء وكل ناحية وكشفت نوايانا وان المقصود بها إثارة مطالبينا الوطنية أرادت أن تجعل أمر ثقل الضرائب حقيقة واقعة لكي تشغل به افكار الرؤساء ودافعي الضريبة. . فأمرت لجان التخمين والذرعة أن يسجلوا الذرعة الواحدة بثلاثة أضعاف أو أكثر، وبذلك اثقلت فعلاً كاهل دافعي الضريبة من العشائر وقررت تحصيلها بالقوة(٢).

كانت إجراءات الحكومة العثمانية هذه في بادئ الأمر خير عون لنا إذ أنها سببت النفور والكراهية بينها وبين العشائر وقاربت ما بينها من حيث ساعدت في نسيان الخلافات العشائرية وحفزتنا على كثرة الاتصالات

(١) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، لندن ١٩٩٠، الصفحة ٢٩.

«. . . ولم يقتصر الرجل (يقصد السيد طالب النقيب) على توطيد نفوذه ببغداد التي أشرنا إلى تعلق شبانها به، بل انه بادر إلى بث دعاته في كثير من انحاء القطر مزودين بالمناشير السرية والتعليمات اللازمة وبصورة فخامة العميد. . ولقيت دعوة اولئك المبشرين في شواطئ الفرات الأوسط نجاحها الأكبر حيث لبى كبير زعماء ذلك الصقع المرحوم مبدر الفرعون وجماعة من رفقائه الشيوخ في مقدمتهم السيد علوان الياسري دعوة النهضة. . .»

(٢) نفس المصدر اعلاه الصفحة ٣٠.

«. . . فصاروا ينددون بالموظفين المحليين ويتأففون ويتضجرون من كثرة الرسوم والضرائب ويقولون انها ثقيلة وباهظة ثم إنهم طيروا البرقيات العديدة إلى الآستانة يعربون فيها عن استيائهم الشديد من معاملة مأموري الحكومة لهم بما يحط من كرامتهم ومن كثرة الرسوم والضرائب وطرق استيفائها منهم. . .»

والاجتماعات لرؤساء المنطقة عموماً وبين رؤساء عشائر قضائي الشامية وأبو صخير خصوصاً.

وفي مطلع عام ١٩١٣ تم الاتفاق بإجماع العشائر على الامتناع عن دفع الضرائب وتحريض الآخرين من العشائر المجاورة على التمرد والعصيان، وعندما تناهى إلى علم الحكومة ما سيحدث قررت تنفيذ خططها باستعمال سياسة العنف والشدة تجاهنا[١].

في ٢١ صفر ١٣٣٣هـ المصادف ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤ عُين جاويد باشا لمنصب ولاية بغداد مع احتفاظه برتبته العسكرية كقائد للجيش السادس، ومن أوائل إجراءاته قيامه بمعالجة الوضع في الفرات الأوسط وذلك بتعيينه البكباشي حامد أفندي السامرائي قائمقاماً لقضاء أبو صخير تصحبه ثلاثة أفواج عسكرية. وعند وصوله إلى مقرّه وزع هذا القوة العسكرية كما يلي: فوج إلى ناحية غماس التي اقطنها والتي فيها مزارعي وأملاكي، وفوج أرسله إلى أم البعرور (الشامية) والفوج الثالث في مركز قضاء أبو صخير، وعندما أتم توزيع هذه القوة، طلب من العشائر أداء الضريبة حسب تخمين هيئات الذرعة والمخمنين. اتصلت بدوري بعشائر المنطقة وطلبت منهم التوقف عن الذهاب إلى القضاء ورفض أداء دفع الضرائب المطلوبة منهم والاستعداد لمقابلة القوة بالقوة.

أحرج موقف القائمقام إذ كان يعتقد أن العشائر بمجرد أن تسمع بوصول القوة العسكرية إلى مناطقها سيصيبها الهلع وتخضع لطلبه وتدفع مجبرة الضرائب التي يطالب بها وسبب إحراجه أنه كان بحوزته معلومات موثوقاً بها عن قوة العشائر التي تفوق قوته بأضعاف مضاعفة. فامتنع عن

---

(١) السيد محسن أبو طبيخ، المبادئ والرجال، دمشق ١٩٣٨.
في الصفحة ١٤ يشير إلى أول اتصال رجال الفرات الأوسط بالقوميين من العراقيين كان مع ناجي السويدي، ثم بعد ذلك يشير في الصفحة ١٥ إلى اتصاله برجال حزب العهد في بغداد وخيبة امله فيهم بسبب خوفهم من الأتراك. إلا انه يزداد أملاً بسماع أخبار السيد طالب النقيب فيقوم بالاتصال به، وبعد اتضاح أمر مراسلاتهم مع السيد طالب (الصفحة ١٦) تبدأ السلطات العثمانية بمطاردتهم والتنكيل بهم حتى عام ١٩١٣. التفاصيل حتى الصفحة٢٠.

الدخول معها بحرب، فما كان من أمره إلا أن اتصل بالوالي مباشرة في بغداد وأطلعه بخطورة الموقف، وبعد أن أستمع جاويد باشا إلى مستشاريه، توجه بنفسه مع قوة عسكرية كبيرة من بغداد عن طريق كربلاء ثم النجف وعند وصوله لهذه المدينة المشرفة. نزل ضيفاً على سادن الروضة الحيدرية السيد جواد الرفيعي الذي كان شخصية محترمة عند الحكومة العثمانية وعند العشائر معاً.

كلف جاويد باشا السيد جواد الرفيعي أن يجمع له الرؤساء في النجف الأشرف، فقام هذا بدوره وكتب إلى رؤساء عشائر الشامية وأبو صخير بعد أن اخذ الأمان من الوالي أن الرؤساء لا يمسّون بسوء حتى لو لم يرضَ عنهم، وبناء على الدعوة هذه، أجاب الرؤساء بالحضور إلى النجف وكنت معهم.

قابلنا الوالي في دار السيد الرفيعي ودار معه نقاش ورد وبدل واستفهام عن سبب نفورنا من الحكومة وعدم أداء الضرائب. أعلمناه أن السبب هو ثقل الضرائب وتقديراتها التي هي أكثر من عائداتنا الزراعية وامكانياتنا المالية.

فرد علينا بما يرضينا وأمر أن نذهب معه إلى أبو صخير فامتثلنا لطلبه وتوجهنا بمعيته إلى هناك حيث اجتمعنا بالقائمقام البكباشي حامد افندي، وبعد قليل قلب هذا فكر الوالي وأخبره أن هذه الحركة يقوم بها السيد علوان الياسري والسيد محسن أبو طبيخ والحاج عبد الواحد السكر وعمومته وأخوه عبد الكاظم ضده، وأنه يجب أن يكون التخفيض فقط لأهالي الشامية شرط أن يتخلوا عن الاشخاص المار ذكرهم، وإذا ما تخلوا عنهم، هان الأمر على السلطة.. ووافق الوالي على اقتراح القائمقام وعلى طلبه بإلقاء القبض علينا في تلك الليلة، وبالفعل اجتمع بأهالي الشامية وابلغهم بأمر الوالي على التخفيض لهم ولأفرادهم شرط تخليهم عنا. فوافقوه بالإجماع، فأمرهم بالانصراف إلى محلاتهم ودفع الرسم المخفض. وبعد أن انهى عمله هذا، ألقى القبض على السيد علوان الياسري والشيخ مبدر الفرعون والشيخ مزهر وعبد الكاظم، وقبل أن تصل القوة المكلفة بأمر إلقاء القبض عليَّ وعلى الحاج عبد الواحد السكر، خرجنا ليلاً من أبو

صخير، أما الموقوفون المار ذكرهم فقد اصطحبهم جاويد باشا معه إلى بغداد.

وفي تلك الليلة كان في أبو صخير جماعة من عشيرة الحاج عبد الواحد من آل فتلة منشقين عليه ولهم اتصال مع القائمقام الذي أوعز لهم باحتلال قلعته ومحله وعند وصول عبد الواحد لدياره منعه هؤلاء منها فالتجأ إلى شيخ ورئيس عشائر آل شبل عليوي الرخيص.

أما أنا فقد ذهبت إلى داري في غماس[1]، وعندما أصبح النهار حضر إلى المدينة القائمقام حامد أفندي وأمر مدير الناحية أن يحضر رؤساء العشائر للاجتماع به في مركز الناحية، وحينما تم النصاب، ذكر لهم ما حدث في أبو صخير وامرهم باحتلال محلي وقلعتي وأن يتقاسموا أراضيّ فيما بينهم، فكان جوابهم بالإجماع انهم لن يحتلوا محلي ولن يتقاسموا أراضيّ ولن يناصروني على الحكومة، بل إنهم يقفون على الحياد مما حدا به أن يصدر أوامره إلى قائد الفوج المرابط في غماس أن يسوق قوته لاحتلال محلي وقلعتي. حينما بلغني خبر اجتماع الرؤساء بالقائمقام وأمره إلى الجيش

(١) غماس، وتعني الأرض المغمورة أو المغموسة بالماء قليلاً، وتسمى أيضاً عند البعض «بالخرم» وكانت كشبه جزيرة في هور أبو نجم الممتد بين الشامية شمالاً إلى التقاء فرعي الفرات الحلة والهندية قرب السماوة جنوباً. أسسها السيد حسن بن السيد علي بن السيد إدريس أبو طبيخ والد السيد محسن أبو طبيخ. إذ كان السيد حسن يزرع هذه الأراضي المستأجرة من الحكومة العثمانية بالشلب ـ الرز ـ وفي أيام اشتغال عاكف بك الآلوسي قائمقام ام البعرور (الشامية) قررت الحكومة العثمانية بيعها وغيرها من الأراضي، فاشتراها السيد حسن وعمر فيها دياره فنمت القرية إلى مدينة التي تعد من كبريات التقسيمات الإدارية لمحافظة القادسية (الديوانية) سابقاً. تقع في الوقت الحاضر مدينة غماس على جانبي الفرات فرع الهندية، وتسكن ضفته اليمنى عشائر آل زياد والجبور وضفته اليسرى تسكنها عشائر آل زياد وكعب، كما يقطن أطرافها قسم من عشائر آل شبل والخزاعل ومن السادات البومكوطر والبوقطيوه والعذاريين. تبعد عن بغداد مسافة ٢٤٥ كيلومتراً وعن الديوانية مسافة ٥٦ كيلو وعن النجف مسافة ٥٠ كيلومتراً.
راجع دليل الجمهورية العراقية، محافظة الديوانية لعام ١٩٨٠.

قال فيها الشاعر:

مدينة حروفها ثلاثة * أسسها أهل الكرم
فلو حذفتَ منها نقطة صارت لمن يأوي إليها حَرم

* المقصود اسم: الخرم كما ورد اعلاه

باحتلال محلي وقلعتي كنت في ذلك الوقت أقوى وأقدر منه إذ أن قوة عسكره فوج واحد في الوقت الذي كانت القوة التي تحت إمرتي أضعاف ذلك وكنت قادراً على صدّه ولكن عدم اطمئناني من العشائر وخوفي أن يناصروا الحكومة ضدي راضين أو مكرهين، فضلت الانسحاب إلى بساتيني والتي لا تبعد عن دياري أكثر من ثلاثة كيلومترات، فتحصنت فيها، وعندما علم أمر الجيش بخبر انسحابي قام باحتلال قلعتي وداري واستولى على مخزن حاصلاتي وما فيه من طعام والتي لا تقل عن ألفي طن من الحبوب ونقلها إلى مركز القضاء حيث تم بيعها هناك على التجار بأثمان بخسة[1]. أما السيد علوان الياسري فقد تظاهر إخوته وأبناء عمه بأنهم ضده وليسوا براضين منه وعن تصرفاته، فأعطيت أراضيه لهم وبقيت تلك الحالة زهاء سبعة أشهر حتى إعلان الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية فيها في ١٤ تموز ١٩١٤.

وفي شهر آب من تلك السنة ورد أمر من قيادة الجيش السادس إلى القائمقام البكباشي حامد أفندي أن يلتحق هو والقوة التي معه بمقره في بغداد. فأنسحبت القوة العسكرية المرابطة في غماس من قلعتي وداري فعدت إليها اثر انسحابهم هذا. أما الحاج عبد الواحد فقد وجد أن أراضيه قد استولى عليها أفراد من عشيرته آل فتلة ورفضوا التخلي عنها مما اجبره على جمع قوة من العشائر الموالية له من آل فتلة وغيرهم وحاصرهم فتم له إخراجهم بقوة السلاح[2].

أعود إلى البكباشي حامد أفندي السامرائي فقد كان أول متصرف عربي يعين ويوافق عليه الإنكليز في العهد الملكي فعينوه متصرفاً للواء الموصل، وكان قد قتل بُعيد استلامه لوظيفته فيها، اغتاله أهل الموصل

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول، مطبعة العرفان صيدا ١٩٣٥، الصفحة ٥٣: «وفي الوقت نفسه فإن الوالي الحصيف سير طابوراً من جنده على مضيف السيد محسن أبو طبيخ بقضاء الشامية فاحتله ولبث هناك مدة شهرين وصاحب المضيف شريد الفيافي والقفار».

(٢) فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢١ ونتائجها، بغداد ١٣٧١هـ ١٩٥٢م. الصفحات ٣٤ ـ ٣٥.

لمعرفتهم بكثرة قسوته واستعماله العنف والشدة مع الأهلين في أيام الإدارة العثمانية والحكم الوطني إلى جانب أن أعماله وممارساته الإدارية في الاماكن التي خدم فيها قد سبقته إلى هذه المدينة فقرر اهلها إنهاء وجوده معهم[1] بهذه الطريقة.

بعد هذه الأحداث عُين قائمقاماً جديداً ضابط من سلك الشرطة ـ الجندرمة ـ يدعى إبراهيم أدهم أفندي وكان قبل تعيينه مديراً للشرطة برتبة رئيس أول عسكري في الجيش العثماني، وفي عهد ولاية جمال باشا السفاح لبغداد، نُقلت خدماته إلى مسلك الجندرمة ـ الشرطة ـ وعند تعرفي به أيام خدمته في الجيش كان يتصف بالمكر والحيلة، وبمرور الأيام توثقت العلاقة بيننا إلى يوم توليه منصبه كوكيل للقائمقام بعد انسحاب البكباشي حامد أفندي السامرائي، فتظاهر بالنقمة على سياسة البكباشي وأبدى عدم رضاه عن أعماله وتصرفاته وأخذ في سّبه وشتمه في المجالس العمومية والخصوصية حتى يعتقد كل من يسمعه أنه حقيقة ناقم عليه وعلى سياسته، ثم أخذ يتردد على الحاج عبد الواحد ويكثر زياراته له وهو دائم النقد والملامة على حامد أفندي وأعماله مما أدخل اليقين الذي لا يساوره شك أنه حقاً خصم لدود لحامد وليس صديقاً مخلصاً له، وبعد أن اعتقد وكيل القائمقام أن الحاج عبد الواحد صدق أقواله وأنه وقع في شباكه طلب منه أن يزوره في مقره بمركز القضاء، فذهب الحاج عبد الواحد إلى القضاء وعند دخوله إلى السراي (دار الحكومة) لزيارة ابراهيم ادهم كانت قوة من الجندرمة بأمر منه مهيئة في مدخل السراي فألقت القبض عليه وأرسل مخفوراً إلى بغداد وراء شقيقه وعمومته.

وبعد عدة أيام اتجه هذا نحوي محاولاً أن يمثل الرواية التي مثلها

---

(١) فريق المزهر الفرعون، نفس المصدر أعلاه، الصفحة ٣٤: «وقد عُين متصرفاً للواء الموصل في أول عهد الحكومة الوطنية عام ١٩٢١ فقتله أهل الموصل عند وصوله».
ـ قام بقتل حامد أفندي السامرائي عريف في سلك الشبانة يدعى (عرموط) وهو من أهالي الموصل.

بالحاج عبد الواحد معي إذ جاءني بزيارة في ديواني بدون سابقة وأخذ يعاتبني على عدم زيارتي له بناءً على الصداقة القديمة بيننا. فاعتذرت منه بأعذار مختلفة لكنه أخذ يلح ويطلب تحديد موعد لزيارتي له وحينما شعرت برفضه كل أعذاري صارحته باحترامي لصداقته ولكن لا يمكن أن أجعل من نفسي عبد الواحد ثاني.

إعلان الجهاد ومعركة الشعيبة

بعد أن احتل الإنكليز البصرة في ٢٢/٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤[١] طلبت الحكومة العثمانية من العلماء لجميع المذاهب إصدار فتوى في وجوب الجهاد الديني الإسلامي للذود عن ثغور المسلمين[٢]. فأجاب علماء النجف بالموافقة على أن يطلق سراح جميع رؤساء العشائر الموقوفين والمسجونين في مختلف الالوية وإصدار عفو عام عنهم. فاستجابت الحكومة لطلب العلماء وأصدرت العفو العام وأطلق سراح جميع الرؤساء الموقوفين والمحكومين

---

(١) حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني، بغداد ١٩٧٩، الصفحات ١٨٢ ـ ١٨٤ «انسحب القائد العثماني والموظفين الإداريين ليلة ١٩/٢٠ تشرين الثاني ١٩١٤ مما أدى إلى حوادث سطو وسرقة لدور الحكومة وخوفاً من تطور الفوضى تحرك من البصرة أربعة رجال، هم صالح بك آل عبد الواحد رئيس البلدية.. وآغا محمد جعفر، أحد كبار التجار البصريين، والسيد توملسن وكيل محل جوك الأميركي، والسيد ويلسن وكيل محل بريتش إنديا البريطاني، على متن سفينة أميركية صغيرة لمواجهة الفريق باريت وتسليم المدينة اليه».

(٢) في مقابلة شخصية مع السيد جواد هبة الدين الحسيني، نجل سماحة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني في ٢٦ نيسان ١٩٩٦ قال «إن جاويد باشا والي بغداد اتصل بوالده السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني بواسطة الشيخ حميد الكليدار لإقناع العلماء في الكاظمية وكربلاء والنجف بإعلان الجهاد وذلك نظراً لرفض هؤلاء فكرة التعاون مع الأتراك، اذ لا زالت يدهم ملطخة بدماء المسلمين في مدن الحلة وكربلاء والنجف سيما وانهم في جدل بين الرضوخ لنداء فريضة من فرائض الإسلام ـ الجهاد ـ مهما كان تصرف الحاكم أو عدم الاستجابة لهم ورفض الدفاع عن الدين ورعيته. وقد اتفق علماء النجف على التفاوض مع جاويد باشا شرط اطلاق سراح المسجونين من رؤساء الفرات وشيوخها، فألف هذا وفداً برئاسة فاضل باشا الداغستاني للتوجه إلى النجف ومقابلة علمائها الروحانيين». وانتهى الاجتماع بالعلماء بموافقة الوفد التركي على مطاليب العلماء بإطلاق سراح المسجونين.

(٣) السيد عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين النجف ١٩٦٦ راجع الصفحة ٦٩.

وشمل ذلك العفو آل فرعون والحاج عبد الواحد وشقيقه وعمومته والسيد علوان الياسري[٣]، وبعد وصول هؤلاء إلى أهاليهم أصدر العلماء الفتوى بوجوب الجهاد المقدس وامتثالاً لتلك الفتوى اجتمعنا أنا والسيد نور الياسري والسيد علوان وآل فرعون والشيخ شعلان الجبر رئيس عشيرة آل إبراهيم والشيخ جري المريع من رؤساء آل زياد وغيرهم من رؤساء العشائر قضاء أبو صخير وقضاء الشامية فقررنا الاستجابة لنداء الجهاد، إلا أن الكثيرين من المجتمعين اعتذروا. هذا وقد سبقنا بالرحيل السيد محمد سعيد الحبوبي[١] ومعه السيد هادي مكوطر، وانضم معنا من العلماء سماحة السيد هبة الدين الحسيني[٢] الشهرستاني والشيخ عبد الرضا آل شيخ راضي. وبعد ذلك قمنا بجمع المجاهدين من أتباعنا كل في منطقته وعلى نفقتنا الخاصة.

وفي صبيحة يوم ١٣ صفر ١٣٣٣، المصادف ٢١ كانون الأول ١٩١٤، اقلعت السفن الشراعية التي تقلنا باتجاه السماوة في طريقنا إلى الناصرية للالتحاق بالسيد محمد سعيد الحبوبي. كان قائمقام السماوة عبد العزيز القصاب في ذلك الوقت، وكانت تربطني به معرفة وصداقتنا معه قديمة، وقد كان يعاني من مشكلة كبيرة للأعداد الهائلة من المجاهدين

---

(١) السيد محمد سعيد الحبوبي، فقيه ذو مرتبة عالية في العلوم الدينية والأدب، شاعر مبدع خصب في عطائه وموضوعاته المثيرة، ولد في النجف عام ١٢٦٦هـ ـ ١٨٤٨م. توفي عام ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م في مدينة الناصرية إثر تشتت المجاهدين بعد معركة الشعيبة واندحار الجيش التركي في تلك المعركة، له ديوان شعر طبع في بيروت عام ١٩٢٣.

(٢) السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، هو السيد محمد علي بن السيد حسين الشهير بالشهرستاني ولد في سامراء في ٢٠ أيار/مايس ١٨٨٤ وفي عام ١٩١٦ شارك في معركة الشعيبة. وفي عام ١٩٢٠ كان من قادة الثورة العراقية نائباً ومعتمداً عن الزعيم الروحي الشيخ محمد تقي الحائري الشهير بالشيرازي. وبعد الثورة سجن في الحلة ثم أطلق سراحه في ٣١/ ٥/ ١٩٢١ بعد صدور العفو العام. اختير أول وزير من بين كبار العلماء لمنصب وزارة المعارف في عهد الملك فيصل الأول.

وفي ٢/ ٩/ ١٩٢٢استقال من منصبه. تسلم بعد ذلك منصب رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفري، كما انتخب نائباً عن بغداد في ٢٥/ ١٢/ ١٩٣٤ أسس مكتبة الجوادين العامة في الكاظمية، وله العديد من المؤلفات المطبوعة في شتى العلوم. منح وسام الرافدين من الدرجة الرابعة عام ١٩٣١ من قبل الملك فيصل الأول. توفي رحمه الله في بغداد بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٦٧ودفن في مكتبته في الروضة الكاظمية.

المجتمعين في السماوة من عشائر بني حجيم وغيرهم ممن لديهم عجز ونقص في الأرزاق فطلب منا القائمقام إعانتهم، فلبينا طلبه وقدمنا لهذه العشائر بما نتمكن عليه من إعطائهم من نقود وأطعمة[1]. مكثنا في السماوة ما ينوف على اسبوع من الزمن لقضاء بعض المستلزمات الضرورية.

بعدها غادرنا السماوة في مرحلتنا الأخيرة إلى مركز لواء المنتفك الذي كان مكان تجمع المجاهدين من العشائر. وهناك التقينا بالسيد محمد سعيد الحبوبي وبقينا معه في مدينة الناصرية زهاء أربعين يوماً تقريباً. كان متصرف اللواء ذلك الوقت عربياً يدعى حمزة بك وهو الذي كان وراء تأخيرنا كل هذه المدة الطويلة في الناصرية. إذ أنه ورد له أمر من قيادة الجيش السادس في بغداد بإمداده بقوة عسكرية متوجهة اليه فأبدى هذا لنا رغبته في أن ننتظر وصول تلك القوة لكي نذهب سوية إلى الشعيبة. بعد وصول القوة المذكورة ولا يزيد عدد أفرادها المحاربين عن ألفي جندي مسلح وكلهم من الأتراك من فرقة الإطفائية (الصاعقة) مسلحين بالأسلحة الألمانية الحديثة وتحت قيادة البكباشي علي بك كجل بقيت هذه الوحدات في الناصرية حوالي أسبوعين تقريباً، تزودت بما تحتاجه من الأرزاق ثم توجهنا سوياً وجموع المجاهدين بسفننا عن طريق هور الحمّار ميممين وجهنا نحو الشعيبة التي وصلناها يوم ١٣ ربيع الأول ١٣٣٣، المصادف ٢٣ كانون الثاني ١٩١٥، نزلنا في مكان تجمع المجاهدين في موقع يقال له (النخيلة) على جرف الهور بين الغبيشية والشعيبة[2]. ومن هناك التحقنا بعجمي باشا السعدون والمجاهدين الذين معه من لواء البصرة وغيرها من الألوية

---

(١) عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، منشورات عويدات، بيروت، الصفحة ١١١ «.. أخذت قوافل المجاهدين من عشائر الشامية وأبو صخير والنجف واهاليها وعشائر الاكراد والهماوند والجاف وغيرهم تصل للسماوة بكثرة فائقة وكانت بعض قوافل المجاهدين الذين لم يأتوا مع رؤسائهم المعروفين يطالبوننا بالأرزاق والمؤن والسكاير واللوازم الأخرى. وكنت أساعدهم على ذلك من التبرعات التي كان أهل السماوة يتبرعون بها حيث ان الحكومة لم تخصص شيئاً لمثل هذه الأمور بالرغم من طلباتي المتكررة...»

(٢) عند وصول السيد محسن أبو طبيخ إلى النخيلة ومعه جموع المجاهدين من آل زيّاد والخزاعل وآل شبل، «هوّس» السيد محسن منادياً ومخاطباً مدينة البصرة: «من هزّ زمامج كلي لي».

الأخرى، أما القوة العسكرية المرابطة هناك فقد كان عددها يقارب ثلاثين الف رجل تحت قيادة وداد بك وهو برتبة زعيم، وهذه القوة كانت مؤلفة من عناصر مختلفة ما بين عرب وأكراد وترك. بعد وصولنا بقليل التحق بنا الشيخ عمران الحاج سعدون رئيس عشائر بني حسن من لواء الحلة على رأس جمع من المجاهدين، والشيخ محمود كاكا أحمد على رأس قوة من المجاهدين الأكراد[1].

مكثنا في هذا الموقع شهرين تقريباً أو يزيد منتظرين القائد العام سليمان عسكري بك الذي جُرح في معركة المزيرعة قرب القرنة وأرسل إلى بغداد لمعالجة جراحه، ولكنه فضّل الالتحاق بوحداته وعاد إلى الجبهة وجراحه لم تندمل بعد فأقام معنا في المعسكر أياماً معدودات فنظم خطته على أن يكون الجناحان من العشائر والقلب من القوة العسكرية النظامية[2].

كان الجناح الايمن مؤلفاً من عشائر لواء البصرة وقسم من عشائر لواء المنتفك وعلى رأسهم قائدهم اعجمي باشا السعدون. أما الجناح الايسر فهو مؤلف من بقية عشائر لواء المنتفك وعشائر الفرات الأوسط والمجاهدين من المدن الأخرى تحت قيادة عبد الله بك السعدون. أمر سليمان عسكري بالمباشرة بالهجوم فجر يوم ١٢ نيسان ١٩١٥، المصادف ٢٧ جمادي الأول ١٣٣٣، دامت المعركة إلى ضحوة النهار، وجه بعدها الإنكليز نيران مدافعهم على الجناح الأيمن وقاموا بهجوم معاكس فأوقعوا فيهم خسائر فادحة بحيث أرجعوهم إلى المواقع التي بدأ منها الهجوم.

ثم أعادوا الهجوم على الجناح الأيسر فسقطت جريحاً، مصاباً بشظية

---

(١) العميد الركن شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨، الطبعة التاسعة، بغداد ١٩٦٨، الصفحة٣٠: «كان مركز الثقل في خطة سليمان عسكري كما سبق شرحه هو الجناح الأيمن الزاحف نحو الشعيبة ومنها إلى البصرة ولذا تحشد القسم الأكبر من المجاهدين في منطقة الناصرية فبلغ عددهم في أواخر كانون الثاني زهاء ١٢٠٠٠ مجاهد عربي و٢٠٠٠ مجاهد كردي وتركماني. . .».

(٢) نفس المصدر، الصفحة ٣٠ ـ ٣١ «إثر الركود الذي ساد الحركات في فترة معالجة سليمان عسكري التي تجاوزت الشهرين على المجاهدين فأخذوا بالتذمر وشرع بعضهم بالعودة إلى ديارهم فقد سئموا الانتظار الطويل وزاد سوء التدابير الإدارية التركية وخشونة الرسميين الأتراك في الطين بلّه. .»

في جبهة رأسي. وذلك في أول ساعات الهجوم، وخرجت من المعركة بعد أن أجبرنا على الانسحاب تاركين وراءنا القتلى والجرحى الذين لم يكن ممكناً نقلهم وكان أحد أبناء عمومتي، السيد راضي أبو طبيخ ممن قاتل معي من جملة هؤلاء الذين اصيبوا وبقي في ساحة القتال تحت رحمة القدر، فنقله الإنكليز ومن معه إلى مستشفيات البصرة وعالجوهم فيها إلى أن تماثلوا للشفاء والتأمت جراحهم، فأرسلوا إلى معسكرات الأسرى في الهند ومكثوا فيها حتى توقيع الهدنة بين الاطراف المتحاربة، وبعد توقيع اتفاقيات الصلح ومضي أربع سنوات على تلك المعركة عاد الأسرى إلى أهاليهم في العراق. جراء انسحاب المجاهدين وتشتت الجناح الايسر وانتهاء دوره في المعركة بقي الإنكليز وجهاً لوجه مع الجيش العثماني الذي كان يشاغله بالمدافع الثقيلة وبعض القوات الحاملة للأسلحة الخفيفة، فاندفع الجيش الإنكليزي نحو الجيش العثماني بهجوم معاكس بجميع قواته مما اجبر الجيش العثماني على الانسحاب بعد أن أنزلت به خسائر فادحة من قتلى وجرحى.

وعند وصول خبر تقهقر الجيش العثماني واندحاره إلى القائد العام سليمان عسكري بك الذي كان مقره في غابة البرجسية مع قيادته العليا، فضّل الانتحار على الحياة. وكان قد قُتل في تلك المعركة قائد الجيش وداد بك مما ترك للزعيم التركي علي بك كجل مهمة القيام بجمع شتات القوات المندحرة وانسحب إلى الناصرية مركز لواء المنتفك. اما المجاهدون من العشائر فقد تراجعوا إلى اهاليهم بدون انتظام[1]

---

(1) العميد الركن شكري محمود نديم ـ نفس المصدر السابق ـ الصفحة ٢٨ ـ ٢٩:

«تقدمت القطعات التركية للهجوم ليلة ١١ ـ ١٢ نيسان ١٩١٥ بعد استطلاع ناقص وشرعت في هجومها يوم ١٢ وشُن الهجوم من ثلاث اتجاهات نحو الجناحين والمركز إلا أن المدفعية البريطانية المتفوقة أسكتت مدفعية الأتراك بعد ١٥ دقيقة من بدء الهجوم فلم يتمكن المهاجمون من التقرب إلى أكثر من ١٠٠٠ يرد عن المعسكر. ثم تجدد الهجوم ليلة ١٢ ـ ١٣ بدون نتيجة وعزز البريطانيون قطعاتهم بفوجين من اللواء ٣٠ وبطرية جبلية وشرع البريطانيون بهجوم مقابل صباح يوم ١٣ باللواء ١٦ لتطهير بعض المرتفعات القريبة من المعسكر وانسحب اللواء... وفي صباح يوم ١٤ قام البريطانيون بهجوم عام... وبعد معركة عنيفة تضعضعت المقاومة التركية.. وانسحب الأتراك نحو أدغال البرجسية بدون انتظام وقد بلغت خسائر البريطانيين خلال المعركة ١٢٠٠ قتيل وجريح أما الأتراك والمجاهدون فقدرت خسائرهم بـ ٦٠٠٠ شهيد وجريح وقد انتحر سليمان عسكري بك عند =

إن ما قمنا به كان بدافع الواجب الديني للذود عن الوطن وترابه ولم نأخذ بنظر الاعتبار في حينه سياسة الحكومة العثمانية العنصرية في ذلك الوقت تجاه العرب وما ارتكبوه من سياسات طائفية خاطئة تجاه أبناء العراق وخاصة في الجنوب وبالذات تجاه أبناء الفرات الأوسط وعشائره. لقد ضحينا بكل غال من نفوس ونفيس ما استطعنا من تضحية في سبيل تحقيق مبادئنا وما استجابتنا لدعوة الجهاد إلا عنصر من عناصر عقيدتنا القومية والدينية.

فهل لي أن أعرف ما قام به ممن ادعوا سواها أمثال نوري السعيد وجماعته وما الذي ضحوا به في سبيل الوطن سوى الخدمة العسكرية التي أدى فيها واجبه كعسكري ومن خلال قيامه بالتنفيذ لها بحكم عمله وذلك أثناء ثورة الحجاز، أما ما فعله بعد رجوعه إلى العراق وحتى نهاية الحكم الملكي فهو معروف للجميع.

اطلاعه على النكسة التي حلت بقواته».

- رسل برادون، الحصار، الناشرين جونثان كاب، لندن ١٩٦٩.

للتعرف على سوء الإدارة في الحملة البريطانية وما نتج عنه من إرباك في الخدمات الصحية جراء معركة الشعيبة راجع الصفحات ٢٥ ـ ٢٧ ولتفاصيل أكثر عن الحملة البريطانية في العراق راجع:

Russell Braddon , The Siege, Jonathan Cape, London 1969.



الفصــل الثانــي

الاحتلال البريطاني للعراق

١٩١٤ ـــ ١٩١٧



بغداد تحت الاحتلال البريطاني ١٩١٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

صدق الله العظيم

الأنفال - ٦٠ -

الفصل الثامن عشر

هـ - متى لبلادي الشخصية

مما لا يخفى على القارئ الكريم ان الحكومة العثمانية جعلت أكبر عامل من
اعمالها لتركيز استعمارها في العراق هي شيئين . خلق الطائفية
و التفريق بين الشيعة والسنة . و خلق القومية بين العناصر المختلفة
في القوميات في العراق واهمها التفريق بين العرب والاكراد
و لما جاءت الحرب العظمى الاولى واحتلوا الانكليز العراق و ما تلو
وعودهم (مع العرب) على الاستقلال ونسوا منشور القائد مود
لما دخل بغداد بعد انسحاب الجيش العثماني منها بقوله يا اهل العراق
هنا لكم منقذين لا فاتحين حسب تبينوا لكل و بغض انهم
فاتحين لا منقذين كما زعموا وارادوا و راحوا يتبعون ذلك المنهج الذي
سلكه به العثمانيين قبلهم وهو التفريق بين الطوائف والقوميات
داخله وبواسطه علمائهم من الشيعة شكل ومن السنه شكل
غير ويمنون على الشيعة ما يرغبون به وعلى اليهود
تدبير يدعونه
ولما كثرت او كادت ان تروج هذه الدعاية عندما كثرت الاجتماعات
بين الرجال المفكرين من اهل بغداد والكاظمية وكثرت اتصالاتهم
بالروحانيين و بعدان تحقق عندهم ان علة العلل هو التفرق والسكوت
في امور الطائفية والقومية جعلوها تحت اقدامهم ووحدوا كلمتهم شيعة
وسنة وصلوا صلاة واحدة في جامع الشيعة والسنة معاً
وكذلك الاكراد والطوائف الاخرى نبذوا الامور القومية وراءهم
وقالوا للانكليز واحد عراقي وطلبوا منهم الايفاء بوعدهم
صفاً واحداً بمطلوب واحد و طالبوهم الايفاء بوعودهم
وهو الاستقلال

الفصل الثامن عشر من مخطوطة مذكرات السيد محسن أبو طبيخ

الاحتلال البريطاني لبغداد
مقابلة مع برسي كوكس

بعد انسحاب الجيش العثماني عن بغداد ودخول القوات الإنكليزية لها يوم ١١ أيار (مايس) ١٩١٧ بقيادة الجنرال مود[١] الذي أعلن بمنشوره الذائع الصيت بقوله «يا أهل العراق جئناكم منقذين لا فاتحين...»[٢]، وبعد عقد الهدنة بين المتحاربين واستتباب الأمر للإنكليز بالهيمنة التامة على العراق، أخذ المحتلون في بادئ الامر بسياسة اللين والتودد مع الناس وخصوصاً مع رؤساء العشائر. وجه الحاكم العام السير برسي كوكس[٣] دعوة إلى رؤساء العشائر لكل قضاء بعد قضاء ولواء بعد لواء وكذلك للشخصيات البارزة والوجهاء في المدن، فأخذوا يتوافدون على مقره

---

(١) الجنرال مود، عُين قائداً عاماً لفيلق دجلة في آب ١٩١٦ليأخذ على عاتقه احتلال بغداد التي دخلها في ١١مايس ١٩١٧. توفي بسبب مرض الهيضة وكان الاعتقاد سائداً في حينه أنه مات مسموماً على يد يهود بغداد مما دفع السلطات البريطانية القيام بإجراء تحقيق واسع في ظروف وفاته. دفن في المقبرة العسكرية البريطانية ببغداد. ويقال إن أمر قتله جاء من لندن لإصراره المستمر على مطالبتها بتنفيذ منح العراق نوعاً من الاستقلال كما وعد هو به أهل العراق ببيانه المشهور عند احتلاله بغداد.

(٢) ارنلد تي. ولسن، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، بغداد ١٩٩٢:

ترجمة فؤاد جميل، الجزء الثاني الصفحة ٣٠ «إلاأن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء بل بمنزلة محررين...»

هذا هوالنص الصحيح المترجم عن بيان الجنرال مود عند دخوله بغداد. راجع النص الإنكليزي على صفحة ٥٧.

(٣) برسي زكريا كوكس، من كبار الضباط السياسيين في حكومة الهند، تقلب في مناصب عديدة في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الأولى. جاء صحبة الحملة العسكرية البريطانية على العراق عام ١٩١٤ بصفته ضابطاً سياسياً للحملة، وعند احتلال بغداد عُين حاكماً ملكياً عاماً لعموم العراق.

ويقابلونه هو والمس بيل خاتون وأجزوا لهؤلاء الهدايا والعطاء النقدي من الروبيات[1].

بقيت أنا رافضاً المجيء إلى بغداد بالرغم من طلباتهم المتعددة بواسطة بعض الرؤساء والاشخاص ممن حضروا إلى بغداد وهؤلاء هم من ناحية غماس وقضاء الشامية. ثم جاءني مكتوب مع شخص ممن زارهم وهو المرحوم السيد هادي ازوين، من سكنة قضاء أبو صخير، يحمل رسالة لي من الحاكم العام السير برسي كوكس يدعوني فيها لمقابلته وهي مؤرخة في ٨ رجب ١٣٣٥ المصادف ٢٩ نيسان ١٩١٧. أخذ السيد المار الذكر يلح عليَّ بتلبية الدعوة وتحبيذ الرواح اليهم. وبعد أن فكرت ملياً بالأمر، كتبت رسالة جوابية إلى الحاكم العام وذلك في ١٨ رجب ١٣٣٥ المصادف ٨ أيار ١٩١٧، أعطيتها إلى السيد هادي ازوين الذي يكثر التردد على بغداد الا أنه أبلغني أنه جاء لمرافقتي بالسفر معه، فرددت عليه أني بعد التفكير بالأمر وجدت نفسي لست مستعداً لتلبية الدعوة في الحال الحاضر وأنني سوف أنتهز الفرصة المناسبة التي أتمكن بها من السفر ومقابلة الحاكم العام في المستقبل.

---

(١) ارنلد تي. ولسن، المصدر السابق، الجزء الثاني الصفحة ٣٢٥:

«وفي اليوم السابع عشر من أيلول دُعي رؤساء القبائل المقدّمون من كل رجا من ارجاء (الأراضي المحتلة) لمقابلة (القائد العام)، فصافح كل وأحد منهم، بدوره وتبادل التحايا والاستفسارات الودية مع الرؤساء المتقدمين في كل منطقة بواسطة (الحكام السياسيين) الذين صحبوهم. كما تم طبع كراسة وزعت على وجه متسع ضمنت صوراً شخصية لكل شخص حضر الحفلة».

الكراس المشار اليه طُبع بالإنكليزية وقليل منه باللغة العربية وعنوانه: «العراق أيام الحرب Iraq in war Time1917» ونشرت فيه صورة جماعية للسيد محسن أبو طبيخ مع عدد من مشايخ الشامية يتوسطهم الكابتن (Wingate) ونكت، الحاكم السياسي في ذلك الوقت لمنطقة عموم الشامية التي كانت تسمى أم البعرور. وقد حضر الحفل المشار إليه أعلاه عن هذه المنطقة كل من، السيد محسن أبو طبيخ، السيد نور الياسري، السيد هادي ازوين، سماوي الجلوب، محمد العبطان، علوان الحاج سعدون، مبدر الفرعون وعبادي الحسين والحاج عبد الواحد السكر.



رسالة السير برسي كوكس إلى السيد محسن أبو طبيخ

وبعد ما يقرب الشهر من ارتحال السيد هادي ازوين برسالتي تلك[1] سافرت إلى بغداد وفي اليوم الثاني من وصولي راجعت مقر الحاكم العام وكان في هذه الدائرة حين ذاك النواب محمد حسين خان رئيس تشريفات المكتب الخاص للحاكم وكان لي معرفة به من قبل الحرب حيث أنه من سكان كربلاء.

وعند دخولي عليه رحب بي كثيراً وعاتبني على تأخري عن المجيء، ثم دخل على الحاكم العام وأخبره بوجودي في دائرته، فطلب حضوري فوراً، وعند دخولي عليه استقبلني بترحاب حار وجاملني بأحسن مجاملة وأمر لي بالقهوة، بعدها أخذ يسألني عن الحالة في الفرات بصورة عمومية وعن العشائر بصورة خاصة. اجبته باختصار عن الوضع هناك، ثم وجه سؤاله الأخير لي قائلاً: «هل أن العشائر تحب الأتراك أم تحبنا بصفتنا منقذين لهم من ظلم الأتراك؟» فقلت له: «أن العشائر لا يحبون الأتراك ولا ينسون ظلمهم لهم إن بررتم بوعدكم ومنحتم البلاد استقلالها الذي ناضلت من

(١) ورد في مذكرات السيد كامل أبو طبيخ المخطوطة النجل الأكبر للسيد محسن أبو طبيخ عن مقابلة والده للسير برسي كوكس ما يلي: «وكان السراي الحكومي في دار الحاج عبد القادر باشا الخضيري... وكان السراي مقراً للحاكم العام، ورئيس التشريفات محمد حسين النواب قزلباشي، فجاء السيد محسن إلى بغداد وأنا برفقته وذهبنا للسراي وبعد تسجيل الاسماء جاء محمد حسين لإخباره وذهبت معه فأستقبله كوكس بالبشر والاحترام وانتهت الزيارة بعد نصف ساعة من الجلوس معه. وكان البرنامج الذي رتبه الحاكم السياسي للإكرامية والعطاء للرؤساء كل على نسبة تقديره في نظره من الألف روبيه إلى ١٠ آلاف روبيه، وعلى هذه القاعدة جاء محمد حسين وأخبر السيد محسن ان الحاكم العام أمر لكم بإكرامية ١٠آلاف روبيه فرفضها السيد محسن مع الشكر وقد أكبرها الحاكم حيث لم يسبق لأحد ان أعتذر عن قبولها...»

وجاء في كتاب المس كرترود بيل المعنون ـ تاريخ العراق القريب ـ ترجمة جعفر خياط الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧١ في الصفحة ١٠٧:

«وكون شيوخ القبائل الفراتية جماعة الزائرين التالية مع السادة الملاكين الذين يميز وجودهم المناطق الفراتية عن غيرها، فكان بعضهم رجالاً مشهورين من قبائل بني حسن والفتلة والخزاعل... وقد استقبلوا في دار ضيافة الحكومة، وبعد أن منحوا منحاً مالية صغيرة وخلعاً شرفية أرجعوا إلى أهلهم بتوصية المحافظة على السلم والانصراف إلى الفلاحة». هذا الوصف لما فيه كثير من الدلالات يشير إلى وفود المهنئين للسير بيرسي كوكس على تسنمه منصبه كحاكم سياسي عام للعراق المحتل والذي تخلى عن الحضور فيه السيد محسن أبو طبيخ مما دفع السير برسي بالكتابة له يدعوه لمقابلته.

أجله منذ زمن طويل، ونفذتم ما جاء بمنشور قائدكم الجنرال مود الذي وعدنا بالحرية فسوف تكسبون صداقة الشعب كله على أساس المنافع المتبادلة والعلاقة الرصينة.»

رسالة السيد محسن أبو طبيخ إلى السير برسي كوكس

فقال: «أخذت مكتوبكم المرسل مع السيد هادي ازوين والذي أشرتم به لذلك وانا اعتبرها نصيحة صدق وسوف أحتفظ بها.» وحينما كان يتكلم تفرست في اسارير وجهه فرأيت في طياتها شيئاً من عدم الرضا وعدم القبول!!. وبعد برهة من السكوت دق الجرس فحضر محمد حسين خان النواب فطلب منه الحاكم بقوله: «خذ السيد محسن لزيارة الخاتون مس بيل»[1]. فنهض وتوادعنا وخرجت صحبة السكرتير وذهب بي إلى غرفة المومىٔ إليها.

مقابلة مع الخاتون المس بيل

عندما دخلت مكتب المس بيل استقبلتني استقبالاً لا بأس به، وأمرت لي بالقهوة ثم استرسلت معي بالحديث وأخذت تسألني بأسئلة مشابهة لأسئلة السير بيرسي كوكس تقريباً، فأجبتها بما أجبته فظهر الامتعاض على وجهها جلياً لأنها كانت ضيقة الصدر وتكلمت بعبارات لا يصح لسياسي أن يتفوه بها حتى لو كانت امرأة، لقد وجدت فيها شيئاً من الخشونة والاستخفاف بالشعب العراقي[2]. وقبيل مغادرتي قلت لها يا حضرة

(١) المس (الآنسة) كرترود لوشيان بيل ١٨٦٨ ـ ١٩٢٦، كانت تتجول في بلاد العرب وأول زيارة لها للعراق في سنة ١٩٠٩ ثم عادت عام ١٩١٠ وعام ١٩١١ و١٩١٤ وضعت كتاباً عن عشائر العراق وأصولهم ومشجرات أنسابهم.

وفي عام ١٩١٦ التحقت بالحملة البريطانية العسكرية في العراق. واشتغلت في مكتب السير برسي كوكس بصفة سكرتيرة المكتب الشرقي للمندوب السامي. توفيت في بغداد يوم ١٢تموز ١٩٢٦.

(٢) كرترود لوشيان بيل: العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر خياط صفحة ١٤٢، ١٤ حزيران ١٩٢٠ (ب)

تسرد في رسالتها هذه مقابلتها لولسن نائب الحاكم العسكري العام بمكتبه في بغداد فتقول: «من الصدف أنه كان متهيجاً في ذلك الصباح.. فقد قال لي: إن طيشي وحماقاتي أصبحت شيئاً لا يطاق.. لكنني اعتذرت عن الحماقة التي اقترفتها بالذات».

وفي الصفحة ٧٧ برسالتها المؤرخة ٢٤ نيسان ١٩١٨ (ب) تقول:

«ولا أظن أني ذكرت لكم من قبل أي شيء عن الكابتن ولسون، المخلوق غير الاعتيادي إلى حد كبير، فقد أخذ يعتبرني دساسّة بالفطره وأنا انظر اليه طبعاً بشيء من الشك والريبة أيضاً».

وفي الصفحة ١٨٢ برسالتها المؤرخة ١٩ أيلول ١٩٢٠ (ب):

«... فكيف تكون حينما تدعى أنت إلى التوفيق بين أفكار وآراء سكان عشائريين لم يتبدلوا قيد انمله في التفكير خلال الخمسة آلاف سنة الأخيرة». هذه نماذج من أفكار المس بيل التي اراد السيد محسن أبو طبيخ الإفصاح عنها، وهناك المزيد عن شخصية هذه المرأة في كتابها الذي استقينا منه هذه المقاطع.

PROCLAMATION.



To the people of the Wilayat of Baghdad.

IN the name of my King and in the name of the peoples over whom he rules I address you as follows:-

OUR Military operations have as their object the defeat of the enemy and the driving of him from these territories. In order to complete this task I am charged with absolute and supreme control of all regions in which British troops operate; but our armies do not come into your cities and lands as conquerors or enemies, but as liberators.

SINCE the days of Hulagu your citizens have been subject to the tyranny of strangers, your palaces have fallen into ruins, your gardens have sunken in desolation and your forefathers and yourselves have groaned in bondage. Your sons have been carried off to wars not of your seeking, your wealth has been stripped from you by unjust men and squandered in distant places.

SINCE the days of Midhat, the Turks have talked of reforms, yet do not the ruins and wastes of to-day testify to the vanity of those promises?

IT is the wish not only of my King and his peoples, but it is also the wish of the great Nations with whom he is in alliance, that you should prosper even as in the past when your lands were fertile, when your ancestors gave to the world Literature and Science and Art, and when Baghdad City was one of the wonders of the world.

BETWEEN your people and the dominions of my King there has been a close bond of interest. For 200 years have the merchants of Baghdad and Great Britain traded together in mutual profit and friendship. On the other hand, the Germans and Turks who have despoiled you and yours, have, for 20 years, made Baghdad a centre of power from which to assail the power of the British and the Allies of the British in Persia and Arabia, therefore the British Government cannot remain indifferent as to what takes place in your country, now or in the future, for in duty to the interests of the British people and their Allies, the British Government cannot risk that being done in Baghdad again which has been done by Turks and Germans during the war.

BUT you, people of Baghdad, whose commercial prosperity and whose safety from oppression and invasion must ever be a matter of the closest concern to the British Government, are not to understand, that it is the wish of the British Government to impose upon you alien institutions. It is the hope of the British Government that the aspirations of your philosophers and writers shall be realised once again, that the people of Baghdad shall flourish, and shall enjoy their wealth and substance under institutions which are in consonance with their sacred laws and with their racial ideals.

IN the Hijaz the Arabs have expelled the Turks and Germans who oppressed them [illegible] proclaimed Sharif Hussain as their King, and his Lordship rules in independence and freedom [illegible] are fighting against the power of Turkey and Germany; so indeed are the noble [illegible] Koweyt [illegible] and 'Asir.

MANY noble Arabs have perished in the cause of freedom at the hands of those alien rulers the Turks who oppressed them. It is the determination of the Government of Great Britain and the Great Powers allied to Great Britain that these noble Arabs shall not have suffered in vain. It is the hope and desire of the British people and of the Nations in alliance with them that the Arab race may rise once more to greatness and renown amongst the peoples of the Earth and that it shall bind itself to this end in unity and concord.

O people of Baghdad, remember that for 26 generations you have suffered under strange tyrants who have ever endeavoured to set one Arab house against another in order that they might profit by your dissensions. This policy is abhorrent to Great Britain and her Allies for there can be neither peace nor prosperity where there is enmity and misgovernment. Therefore I am commanded to invite you, through your Nobles and Elders and Representatives, to participate in the management of your civil affairs in collaboration with the Political Representatives of Great Britain, who accompany the British Army, so that you may unite with your kinsmen in the North, East, South and West, in realizing the aspirations of your Race.

(Sd.) F. S. MAUDE, Lieutenant-General,
Commanding the British Forces in 'Iraq.

P.B.—1996—1241—6,000—8.3.18

بيان الجنرال مود إلى أهالي ولاية بغداد

الخاتون هذه نصيحتي لكم فإن قبلتموها فلكم وإذا لم تقبلوها فعليكم، وأود أن أضيف لكلمتي السابقة كلمة وجيزة وهي إذا كنتم تعتبرونني صديقاً لكم كما ورد في كتاب فخامة الحاكم العام أقول لن تنفعكم صداقة الافراد. بل يجب أن تكونوا اصدقاء للشعب العراقي كله. ثم نهضت مودعاً لها وخرجت من مكتبها إلى دائرة محمد حسين خان لأودعه فطلب مني أن أجلس معه بعض الوقت، وبينما نحن نتحادث طلبه السير كوكس وعاد بعدها ليعرض عليَّ مقداراً من المال النقدي كعادتهم مع زوارهم من الرؤساء. فرفضت استلام المبلغ معتذراً بأني لست محتاجاً.

بداية العمل من أجل الاستقلال

وبعد عودتي إلى الفرات عينت القيادة العامة بعض الضباط كحكام سياسيين في الألوية والأقضية في الفرات الأوسط ومن بين هؤلاء الكابتن بلفور الذي عُين حاكماً سياسياً للنجف والشامية وكان مقره في مدينة النجف وهو بدوره عين ضابطاً كحاكم لكل من الشامية وأبو صخير وكذلك في مدينة كربلاء والسماوة والرميثة والديوانية وكان هذا الضابط رجلاً استعمارياً من الطراز الأول فهو إلى جانب عجرفته وتعاليه فإنه كان فظاً قاسياً عامل الناس وكأنه في الهند، وكان ضباطه المعاونون على شاكلته، ولعلّ ما بدر من هؤلاء الحكام السياسيين منذ تعيينهم في مناطقهم تجاه السكان من ظلم وتعسف كان السبب الأعمق في تحريك المشاعر ضدهم لدى كل الطبقات ابتداء من الفلاح إلى الملاك إلى المثقف فقد أصاب الجميع شرهم وصلافتهم.

وبعد ثورة النجف المجيدة تتابع تغيير الحكام السياسيين[١] فنقل الكابتن بلفور وجاء مكانه الميجر نوربري حاكماً للواء النجف والشامية وهذا عين معاوناً له الكابتن لاين في أبو صخير والكابتن فيش في الكوفة

(١) الحكام السياسيون في الفرات الأوسط قبيل الثورة هم: الميجر ديلي في الديوانية والكابتن مان في الشامية، الكابتن لأين في أبو صخير، الكابتن اشتن في السماوة والكابتن سوتر في الرميثة إضافة إلى الميجر نوربري في النجف والكابتن فيش في الكوفة والكابتن ويب في عفك.

ولكن هذه التغيرات والتنقلات بين الحكام لم تغير شيئاً. فكلهم إنكليز جاءوا من الهند وعاملونا معاملة الهنود[١].

اغتنمنا فرصة ترددنا على النجف لمواجهة الحاكم السياسي في امور الزراعة والري وغيرها من المشاكل ووجدنا هذا التردد فرصة ثمينة للاتصال بالعلماء ورؤساء العشائر من أطراف الفرات الأخرى لتبادل الرأي وتدارس المباشرة بالمطالبة العلنية لتأسيس الحكم الوطني وكيفية توزيع العمل وتنظيمه وتوكيل من يقوم بالاتصال بالحاكم العام لإبلاغه بالبر بوعودهم بمنح الاستقلال للبلاد وتشكيل حكومة وطنية[٢]، وقد اثمرت اجتماعاتنا في النجف عن تشكيل جمعية شورىٰ بين أفرادها كل من المرحومين الشيخ جواد الجواهري والسيد محمد علي بحر العلوم والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والشيخ عبد الكريم الجزائري ومن رؤساء العشائر المرحومين السيد نور الياسري والسيد علوان الياسري[٣] والحاج عبد الواحد الحاج

---

(١) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٥، ص٦٤: «فلما قبض فتيان انكلترا على منصات الحكم في العراق ولا سيما في الديوانية والرميثة والسماوة والشامية وأبو صخير وغيرها من مدن الفرات الأوسط، أساءوا إلى هؤلاء الرؤساء (رؤساء العشائر) وبالغوا في توجيه ضروب الإهانة والتحقير اليهم مما كان له أسوأ تأثير في النفوس على نحو ما ذكره الجنرال هولدن في كتابه عن ثورة ١٩٢٠».

(٢) حسن الأسدي، ثورة النجف، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٥ الصفحة ١١٠:
«... كان الزعماء الثقاة والبارزون في تلك العشائر يروحون ويغدون إلى النجف للمداولات والمشاورات السرية، مع زعماء النجف الدينيين وغير الدينيين، لتوحيد الجهود في مواجهة خطر الفاتح الجديد ومعرفة نواياه وللتخلص من سلوكه الشائن المستخف المستهتر، مع الناس والنظر إليهم كما لو كانوا من الوحوش الغافلين، خاصة وإن الحملة الفاتحة جاءت من الهند...»

(٣) السيد علوان ابن السيد عباس الياسري، من عائلة السادة آل ياسر العلوية ينتسبون إلى زيد ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (ع) موطنهم في مدينة المشخاب، استوزر لمرة واحدة كما انه أختير رئيساً لمجلس الامة الذي دعت إليه حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني لتنصيب بديل عن عبد الإله وصياً على عرش العراق. كما انه عين عضواً في مجلس الأعيان لعدة دورات وانتخب عضواً في مجلس النواب لعدة دورات. توفي رحمه الله في المشخاب عام ١٣٧٠هـ المصادف ١٢ نيسان ١٩٥١م عن ٧٥ سنة، وقد لعب دوراً قيادياً هاماً في ثورة ١٩٢٠ المجيدة، إذ يعد من المفكرين الأوائل في الإعداد لها مع صحبه الكرام. هاجر إلى الحجاز بعد انتهاء الثورة مع عدد من قادتها. =

سكر والحاج محسن شلاش وكاتب هذه المذكرات. واتصلنا كل حسب واجبه برؤساء عشائر قضاء الشامية وأبو صخير والسماوة. كانت حركتنا تحت رعاية المغفور له أكبر العلماء والمرجع الأعلى للأمور الدينية المرزا محمد تقي الشيرازي[1].

ثورة النجف[2]

لم تكن ثورة النجف وليدة ساعتها إذ أنها كانت نتيجة حتمية ومتوقعة بسبب غرور الإنكليز وسوء تصرفهم مع اهالي هذه المدينة الأباة، وخطأ استعماري فادح بمعاملة سكان العراق بنفس الطريقة التي يتعاملون فيها مع شعوب المستعمرات الإنكليزية في إفريقيا والهند، وقد استهجن اهالي مدينة النجف واستاءوا مما كان يقوم به الحكام السياسيون في المنطقة ومن معهم من الإنكليز مما دفعهم إلى تكوين جمعية سرية للأخذ على عاتقها الوقوف

= الحاج عبد الواحد بن الحاج سكر، ابن فرعون ابن ياقوت من عشيرة آل فتلة وهي من أكبر عشائر الفرات الأوسط انتشاراً ويرجع نسب هذه العشيرة إلى أنس بن مالك وهم من قبيلة زيد القحطانية. ولد عام ١٨٨٠وتوفي في بغداد عام ١٩٥٩. شارك هو وعشيرته في معظم المعارك الدامية في الكفل وطويريج وحصار الكوفة والحلة والوند والحسينية ومعركة الرارنجية الشهيرة وكان له دور قيادي مهم في الإعداد للثورة. انتخب نائباً عن الديوانية لعدة دورات انتخابية ثم عضواً في مجلس الاعيان عام ١٩٥٤.

وقد ارخ الشيخ علي البازي الكوفي وفاة المرحوم الحاج عبد الواحد بهذه الابيات:

مضيت عن دار الفناء للبقا ... وقد سبرت من أذاها غوره
مجد العراق من فقدناك اسى ... ارخ (توفي يا زعيم الثورة)

وتأريخ آخر أيضاً

قضى زعيم الشعب واحد الحجى ... وقائد الثورة ذي المحامد
بجنة الفردوس في تاريخه ... (يهنا وفي الرضوان عبد الواحد)

(١) المرزا محمد تقي الشيرازي: تولى المرجعية كونه أكبر مجتهد ترجع إليه الشيعة وذلك بعد وفاة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي. فأصبح المرجع الأعلى للشيعة ليس في العراق وحده بل في إيران والهند. ولد في مدينة شيراز بإيران وتلقى العلم في مدن كربلاء والنجف وسامراء وبقي في المدينة الأخيرة مدة حياته إلى أن انتقل في السنوات الأربع الأخيرة من عمره إلى كربلاء حيث توفي فيها في ٧ آب (اغسطس) ١٩٢٠.

(٢) راجع فهرس المصادر عن الكتب العديدة حول ثورة النجف، إلا أن المصدر الأوثق هو مذكرات المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي التي صدرت في مجلة «الثقافة الجديدة» والتي تمتاز بالدقة في سرد الأحداث والوثائق والوقائع التي لا يمكن الاستغناء عنها في تقصي هذا الموضوع المهم من تاريخ العراق الحديث.

بوجههم. قام أعضاء هذه الجمعية الذين هم خيرة العلماء منزلة ومكانة إلى جانب الشباب المتوقد والمتنور بالتاريخ العربي الإسلامي الساطع بالاتصال بنا وأرسلوا مندوبين عنهم إلى مختلف رؤساء الفرات الأوسط للقيام بعمل سريع ضد الإنكليز وطردهم من المدينة. أخبرناهم أننا بدورنا كنا على اتصال دائم مع بعضنا مثلما نحن على اتصال دائم مع العلماء الأعلام. وقد قدمنا مطالبينا شفهياً وتحريرياً لهم ولازلنا نأمل أن ننجز ما نسعى إليه وأننا في حالة عدم التوصل معهم إلى نتيجة مرضية فطريقنا سيكون الثورة لنيل حقوقنا الوطنية، ولكن نظراً لعدم استكمال مشاوراتنا واستعداداتنا، فان الوقت لم يحن بعد لمواجهتهم بالسلاح. وخوفاً من أن يبكر أهالي النجف بثورتهم فتنكشف جهودنا في الفرات، فالنجف هي قاعدة اتصالاتنا الروحية ومركز تموينا وجناحنا الغربي، اتصلت بدوري بالشيخ جواد الجزائري ممن تربطني به صلة وثيقة وله علاقة بشباب الجمعية وأبديت له ما أراه من ضرورة التريث إلى أن ينجلي الموقف ولنوحد جهودنا من أجل غاية مشتركة، وإن طلبنا في الوقت الحاضر هو استمرار التشاور معهم عن طريق الشيخ مرزوق العواد حفظاً على سرية العمل. وقد شعرت من أن البعض ممن اتصل بنا، وجلّهم من الشباب المتحمس وقسم منهم قد عاد لتوه من جبهة الشعيبة، كانوا مصرّين على القيام بعمل آني حتى لو تطلب القيام به بمعزل عنا أسوة بثورتهم المجيدة على الأتراك في الثامن من رجب عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) حينما طردوا الحامية التركية من المدينة بصورة مذلة[1]. فوقع هؤلاء الشباب في مصيدة الاستفزاز والاستدراج الإنكليزي الخبيث.

---

(١) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي، ثورة النجف الاشرف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٧ ـ ١٩١٨، مجلة الثقافة الجديدة، العدد الرابع، تموز ١٩٦٩.

الصفحات ٢٨٥ ـ ٢٨٦ «وفي الهزيع الأخير من ليلة السبت ٨ رجب سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م عاد (أهل النجف) فنفذوا إلى البلدة من السور... فنشب في الصباح الثاني بينهم وبين الحامية العثمانية قتال شديد دام إلى عصر الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٣٣هـ. وفيه أذعنت الحامية وجردت من السلاح... وتسلم النجفيون منذ ذلك اليوم أزمة الحكم في البلدة.. ومازال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين كاملتين، حتى حاولوا أخيراً ألا يفسحوا بينهم مجالاً للإنكليز، كما اتفق لهم مع الأتراك فقاموا بثورتهم الخطيرة على الإنكليز التي افتتحت بقتل (الكابتن مارشال) حاكم المدينة صباح الثلاثاء ٦ جمادي الثانية ١٣٣٦هـ ١٩١٨م».

إذ كان لهم في داخل المدينة وكل مدن الفرات الأوسط عيون وأرصاد يتجسسون على كل تحركات الاشخاص المعلومين ويرصدون كل صغيرة وكبيرة فيها.

أخذ الإنكليز المبادرة من أهل النجف حينما استغلوا حادثة عشيرة عنزة أواخر عام ١٩١٧ التي جاء أفرادها للاكتيال وشراء الطعام في أيام صادف فيها نقص بمواد المعيشة بسبب سوء الموسم الزراعي، فجرى شجار بين هؤلاء والبعض من أهل المدينة الذين احتجوا على وجودهم وابتياعهم ما هو دون سد حاجة السكان المحليين.

ونتيجة للعراك الذي تلا ذلك خسر أفراد عنزة بعض إبلهم وحاجياتهم فقام الإنكليز باستثمار هذه الحادثة واستلم التحري الضابط السيّئ الصيت لجمن الذي قام بالتحقيق مع رؤساء ووجهاء المدينة موجهاً لهم شتى أساليب الامتهان وعدم الاحترام لما عرف عنه من سوء الأخلاق وسلاطة اللسان. ولم يستطع أحد قبول هذه الإهانات ممن جري الاستجواب معهم وآزرهم العديد من أهالي محال النجف فتطور الوضع إلى تظاهرات وعنف أدى فيما بعد إلى قيام أفراد الجمعية بأخذ المبادرة واستغلال وصول الحاكم السياسي الجديد الكابتن مارشال المنقول من منصبه في الكاظمية، فقاموا بتنفيذ عمليتهم الجريئة باحتلال الصراي وقتل الكابتن مارشال وأعلنوا بهذا ثورتهم لتحرير مدينتهم..[1] في اليوم التالي لهذا

---

(١) الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها الجزء الأول، الطبعة الثانية النجف ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

الصفحة ٣٤٤ «كانت الحكومة المحتلة قد أرسلت إلى النجف قبل (الكابتن مارشال) المذكور حاكمين على التعاقب (الكابتن كرين هاوس) ثم (الكابتن ونكت) فكانا على جانب عظيم من سوء السيرة والصلف والمس بكرامة النجفيين وكانا اذا أرادا التجول في البلدة أرسلا في مقدمتهما ثلة من الشرطة الأكراد الشرسي الأخلاق فيسيرون وهم حاملي السياط فيزعجون الناس ويطلبون منهم الوقوف إجلالاً واعظاماً لحضرة الحاكم الذي يتهادى خلفهم بعبارات قارصة لاتتحملها ـ بالطبع ـ نفوس الأهالي الاشراف.»

ـ حسن الأسدي، ثورة النجف، بغداد ١٩٧٥، الصفحات ٢٣٥ ـ ٢٣٨

الجزء الأول النجف ١٩٧٣ راجع الصفحات ١١٥ ـ ١١٩ ناجي وداعة الشريس، لمحات من تاريخ النجف الأشرف، جـ ١ النجف ١٩٧٣ ـ الصفحات ١١٥ ـ ١١٩ =

الحادث وردتنا الأخبار من النجف عما يجري فيها، فعزمت على اتخاذ جانب الحذر والترقب، إلا أني بادرت بعد أيام إلى القيام بطرد المأمور في صراي غماس وهو من أهالي بغداد، إشارة مني للإنكليز بأن أبناء النجف ليسوا لوحدهم في صراعهم، الذي قاد فيما بعد وبناءً على تعالي قادتهم وإصرارهم إهانة المدينة وأهليها، إلى صراع دموي اعطانا درساً لما سوف نتوقعه عما سيجري لنا معهم في الأشهر التالية. وإمعاناً في الغطرسة الاستعمارية، وكإشارة تحذير لنا، حاصروا المدينة المقدسة وتجاهلوا مكانتها الروحية لدى غالبية سكان العراق، وقطعوا عنها المياه والطعام ورشقوا أحياءها بالمدفعية وكأنهم في معركة حربية أمام جيش ند لهم عدداً وتسليحاً ولكن حجتهم كانت أن الغاية تبرر الواسطة.

لقد سجل أهل النجف تاريخ تلك الأيام السوداء بدماء أبنائهم وسيحفظ لهم التاريخ ما قدموه في بطولاتهم المفردة والفريدة من دروس بالشرف والإباء لقنتنا ما يمكن أن يحدث لنا وعلمتنا أن الإنكليز يرومون بعملهم هذا إخضاع أهل الفرات الأوسط خاصة والشعب العراقي عامة لاحتلالهم البغيض.

وأثناء الحصار وردتنا رسائل متعددة من داخل النجف، من أعضاء الجمعية أتذكر منهم عباس الخليلي، أخا الكاتب المعروف جعفر الخليلي يطلبون العون العسكري، وفي وقتها تذاكرت مع الحاج عبد الواحد ومرزوق العواد الذي كان في الكوفة يستطلع الوضع فأخبرنا أن القوة الإنكليزية حول النجف وفي معسكر الكوفة لا يمكن مواجهتها من قبل العشائر في الوقت الحاضر نظراً لضخامة عددها وما لديها من سلاح متنوع بما فيه المدفعية الثقيلة التي يقصفون بها المدينة وأن أي محاولة من جانبنا سوف تصبح المسوغ الذي ينتظرونه لاحتلال مدن الفرات عسكرياً[1].

= ـ عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، صيدا ١٩٧٢ الصفحات ١١ ـ ٣١.

(١) اشترك في القتال من القوات البريطانية أثناء ثورة النجف أكثر من ٨٠٠ جندي بمختلف التشكيلات العسكرية بما فيهاوحدات مدفعية الميدان الثقيلة، ومدافع الهاون ووحدة رشاش ثقيل وقوات المشاة الهندية وقوات احتياط في معسكر الكوفة.

ولعلم الإنكليز بتحركاتنا ونوايانا كونهم قد تغلغلوا في كل مجلس ومجتمع، فإننا لم نكن في مأمن من متابعتهم لنا، وقد أخبرني السيد محمد علي بحر العلوم بعد أيام من اجتماعي به في مجلس للشيخ عبد الرضا الشيخ راضي قبيل الثورة النجفية بأيام، أن بلفور استدعاه طالباً منه توضيح ما دار بيننا من كلام في مجلس الشيخ راضي وقد استدعوا فيما بعد كل من كان في المجلس. وحينما جرت محاكمة قادة الثورة والتي كان يترأسها لجمن الذي كان يتكلم العربية بلهجة البادية، أصدر حكمه بإعدام كافة قادة الحركة، ولإذلالنا وإرهابنا فقد استدعوا كافة رؤساء أبو صخير والشامية وغماس لحضور تنفيذ حكم الإعدام بأحد عشر ثائراً في أحد خانات الكوفة التي كانوا هم قد أعدوها بمثابة مسرح لنشاهد بأعيننا ما قد يحل بنا وبأولادنا إن قمنا بأي عمل مشابه ضدهم... كل هذه التحرشات الإنكليزية لم تفت وتنطلي علينا، وحتى إزاء هذه الدعوة، كان تشاورنا جماعياً فيما إذا كان علينا أن نذهب إلى الكوفة أم نمتنع، وبالرغم من تمنّع البعض عن الحضور، قررنا جماعياً الذهاب إلى الكوفة وإفشال خطتهم التي انكشفت بدعوتهم لنا وعموم رؤساء عشائر الفرات الأوسط لحضور تنفيذ حكم الإعدام بشهداء الحركة ومن ثم دعوتنا إلى احتفالهم لتكريم الحاكم السياسي لعموم النجف والشامية الكابتن بلفور الذي قاد حملة الحصار ضد المدينة المشرفة[1].

---

(١) بأمر من نائب الحاكم العام ولسن إلى كافة الحكام السياسيين في المدن المحيطة بالنجف، ان يحضروا معهم رؤساء العشائر من مناطقهم ليشهدوا عملية إعدام ثوار النجف في مدينة الكوفة، وقد طلب بلفور من السيد محسن أبو طبيخ وجري المريع وسلمان الظاهر ومرزوق العواد والحاج عبد الواحد الحاج سكر الحضور بحجة حفل التكريم الذي جرى بعد عملية الإعدام.
- السيد عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف، الصفحة ٨٠ ـ ٨١ وصف حفل تكريم ولسن وبلفور «أن السيد محسن» ممن شارك في تقديم الهدية إلى بلفور، لقد استعان الحسني بمصدر واحد حول هذا الحدث وهو «جريدة العرب» التي تصدرها المقيمية البريطانية في بغداد والتي تشرف على تحريرها «رئيسة التحرير» المس بيل، إذ ذكرت في العدد ٦ من السنة ٣ ليوم ٨ حزيران ١٩١٨ من ان السيد محسن أبو طبيخ وعدداً من رؤساء العشائر ساهموا في تقديم هدية إلى الكابتن بلفور في الحفل الذي أقيم بعيد تنفيذ حكم الإعدام بثوار النجف وهذا خبر غايته الحط من سمعة الرؤساء الذين ذكرتهم في أوساط الفرات والمحافل الدينية، والثاني لإظهار هؤلاء الاشخاص بصفتهم موالين لسياستهم وبذلك إسكات الوطنيين في بغداد وبذر التفرقة بينهم وبين قادة الفرات وأهل النجف خاصة. وبالرجوع إلى اوثق ما =

كل هذه المبادرات من الإنكليز أرادوا بها إنذارنا وصدنا عن مطاليبنا التي صرحنا لهم بها ألا وهي الاستقلال والحكم الوطني للعراق بدون الإنكليز. وحينما مر ذلك اليوم وانتهى، لم أكن أنا وأصحابي من رؤساء عشائر الفرات إلا أكثر تصميماً من السابق للثأر لشهدائنا وتحذّرنا مما قد ينتظرنا لو لم نقم بشيء لإزاحة هذا الظلم الأجنبي عنا.

ومنذ ذلك اليوم، استُدعيت مرات عديدة للتحقيق معي بحجة ضلوعي بمؤامرة لقتل حاكم الشامية السياسي وانتمائي إلى جمعية سرية هي جمعية النهضة الإسلامية التي نفذ أعضاؤها عملية اغتيال الحاكم السياسي للنجف الكابتن مارشال، وبعد انتهاء التحقيق وثبوت عدم ضلوعي بأي من التهم التي وجهت لي اتضح أن ما أسند لي كان مبنياً على سببين، الأول هو احتلالي لصراي غماس إبان الأيام الأولى لأحداث النجف كما أسلفت وذلك تضامناً مني مع أبناء هذه المدينة المقدسة، والسبب الثاني الذي علمته فيما بعد هو أن الجيش الإنكليزي في معاركه مع الجيش التركي المنسحب شمالاً مطلع عام ١٩١٨ قرب الرمادي أسر ضابطاً ألمانياً ومعه رسائل من جمعية النهضة الإسلامية ورد فيها اسمي مع بعض الأشخاص الذين يعتبرون أهلاً لثقة الجمعية للتعاون معها في تنفيذ خطتها الواسعة النطاق لاغتيال كافة الحكام السياسيين في الفرات الأوسط[١].

= كتب عن ثورة النجف وهي مذكرات المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي لم يرد ذكر اسم أي شخص ممن ادعت وجودهم المس بيل في جريدتها ونقله عنها الحسني، وزيادة في التدقيق نرجع إلى من تم تكريمه في الحفل المذكور، السير آرنلد ولسن:

ـ السر آرنلد تي، ولسن، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، ترجمة فؤاد جميل، الجزء الثاني، بغداد ١٩٩٢، دار الشؤون الثقافية العامة، والإعلام، الصفحة ٣٠١ «وكانت العقبى مدهشة و (دارماتيكية) معاً. إذ بعد سويعات من تنفيذ الإعدام أقام (كليدار النجف) حفلة استقبال في بيته الكائن في سُرّة البُليدة. وحضرت الحفلة مصحوباً بكل من (بلفور) و(كرين هاوس).. عبّر (الكليدار) في حضور الوجهاء والأعيان الباقين وكثير من العلماء عن رضا أهل البليدة، الذي لا يحد... وانتهى خطابه (اي الكليدار) بتقديم (سيف تشريف) إلى (بلفور) «كي يدافع، في مقبل الأيام على ما فعل في ماضيها عن حريات المدينة وسكانها كما قدم لي، في الوقت نفسه خاتماً ضخماً من ذهب وعصا من فضة» وبهذا يؤكد ولسن أن من قدم (الهدية) هو شخص واحد لا غير، الكليدار.

(١) وثيقة وزارة المستعمرات البريطانية
C.O.6961, Administration Report of Shamiyah and Najaf, 1918 AppendixIII p.109: =

مقدمات الثورة

على اثر اندلاع ثورة النجف المبكرة وتكريس الإنكليز جهودهم لمراقبة رؤساء الفرات الأوسط ورصد تحركاتهم قررنا أن تكون المبادرة من قبلنا سلمية بحتة، وبناءً على ذلك ابتدأنا بمطالبتهم بتنفيذ وعودهم بإعطائنا الاستقلال وتشكيل حكومة وطنية. وحينما ضايقنا حاكم النجف السياسي الميجر نوربري باستمرار زياراتنا له وطرح مطالبينا عليه بتقديم المضابط وعقد الاجتماعات العامة والخاصة لهذا الغرض، ما كان منه الا أن رفع تقريراً يستنجد بوكيل الحاكم العام في بغداد الكولونيل ارنولد ولسن وينذره بالخطر إن استمر تجاهله للمطالب الوطنية. في ذلك الوقت كان الحاكم العام برسي كوكس قد سافر إلى إيران وترك خلفه ولسن يتخبط في سياسته المعادية لرغباتنا الوطنية.

= ـ التقرير الإداري لمنطقة الشامية والنجف، ١٩١٨، جاء فيه عن:

«السيد محسن أبو طبيخ ـ أكبر ملاك في شعبة غماس. شيعي، عمره حوالي ٣٦ سنة... هو ميال إلى الأتراك قلباً وقالباً، وقد كان مشتبهاً بانخراطه في مؤامرة اغتيال الحاكم السياسي في الشامية خلال شهر شباط١٩١٨، ولكن لم تثبت المستمسكات ضده..».

وجاء في الصفحة٧٠ من نفس التقرير أعلاه ما هو نصه:

«ومن مرافعات المحكمة العسكرية ظهر للعيان حقيقة هي أن أحداث النجف التي تسببت بموت الكابتن مارشال كانت جزءاً من مؤامرة واسعة لقتل كل الحكام السياسيين في المناطق المجاورة».

ـ المس كرترود بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، المصدر السابق الصفحة ١٣٢ ـ ١٣٤

«فقد نشطت الدسائس التركية أكثر من نشاطها السابق. فعندما استولت الفرقة الخامسة عشرة على هيت وغزت عانه وقع في أيدينا ضابط الارتباط الألماني ومعه جميع اوراقه. وقد دلت هذه المستندات على وجود لجنة للثورة الإسلامية في النجف، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزاً لخلق الاضطرابات بين العشائر. وكان مائة أو أكثر من رجال الدين متورطين فيها... وهناك ما يجعلنا نعتقد ان مؤامرة كانت قد حيكت لقتل الحكام السياسيين الذين كانو يشتغلون في الفرات الأوسط».

ـ الزعيم الركن شكري محمود نديم، حرب العراق، ١٩١٤ ـ ١٩١٨ المصدر السابق.

الصفحات ١٥٧ ـ ١٦٠ «معركة خان بغدادي، سقوط هيت والوصول إلى عانه»

ـ من المهم أن يعلم القارئ الكريم أن رئيس هيئة التحقيق في أحداث ثورة النجف ومن ثم رئيس المحكمة العسكرية التي أصدرت حكمها بإعدام أحد عشر شهيداً كان الميجر لجمن، الحاكم السياسي لعموم الصحراء الغربية الممتدة من شمال الفرات على الحدود السورية إلى جنوب العراق والحدود السعودية. وقد كان هذا الضابط بشهادة المس بيل وولسن متغطرساً وسيّئ الخلق وسليط اللسان. وقد قتله الشيخ ضاري المحمود وأولاده في خان النقطة في ١٢ آب (اغسطس)١٩٢٠ إثر حادث سطو اتهمهم بارتكابه على الطريق العام قرب الفلوجة.

طلب ولسن من الميجر نوربري أن يستدعي كافة رؤساء منطقته في الشامية وأبو صخير إضافة للنجف لعقد اجتماع يحضره هو ليناقش معهم مطاليبهم وقد حدد موعداً لذلك يصادف يوم الأربعاء ٧ ربيع الأول ١٣٣٧ الموافق ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩[١]. اتصل الميجر نوربري بنا طالباً حضورنا إلى النجف في الموعد المذكور وفي ذلك اليوم وصل إلى النجف من بغداد نائب الحاكم العام ولسن بطائرة عسكرية. كان أول لقاء معه لنا في دار السيد عباس الكليدار سادن الروضة الحيدرية حيث حل هناك ضيفاً، وفي ذلك المجلس دار نقاش حول مستقبل العراق وما تنويه الحكومة البريطانية لحل المشاكل السياسية التي أثارها الوطنيون في الفرات الأوسط وبغداد والمدن العراقية الأخرى.

في هذه الجلسة طلب ولسن من السيد عباس الكليدار تغيير مكانه والجلوس بجنبه وأخذ يتحادث معه ثم فارقه بعدها واتجه نحوي طالباً الانتحاء بي جانباً فعرض عليَّ مقداراً كبيراً من النقود كان ظاهرها الكرم وباطنها استمالتي، فرفضت كل ما عرضه عليَّ السيد الكليدار، فعاد وزاد عليها وعوداً خلابة، فرفضت وعوده وأشرت اليه بعدم مفاتحتي بشأن من هذا القبيل ورد من يكلفه به لكي لا تسوء علاقتي معه وهو ذلك الرجل الذي أكن له احتراماً كبيراً.

بعد ذلك الاجتماع، انتقلنا إلى سراي النجف (دار الحكومة) في خان الهندي حيث كان بقية رؤساء المنطقة في انتظار ولسن[٢]. وبعد أن استتب

---

(١) جاء في معظم الكتب عن ثورة العشرين أن الاجتماع جرى بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٣٧ الموافق ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ (نوفمبر)، في الحقيقة أن هذا التاريخ هو ليوم اجتماع ولسن بالحكام السياسيين في كافة أنحاء العراق والذي سلمهم بموجبه تعليماته التي تحمل نفس التاريخ بخصوص مقترحات وزارة الهند في لندن التي أشارت باستجلاء الرأي العام في العراق حول أسئلة محددة لتقرير مصير الحكم ونوعه. وأعقب ذلك قيام الحكام السياسيين بتنفيذ استطلاع الرأي العام العراقي كما هو وارد في كتب تاريخ الثورة العراقية المختلفة ومنها اجتماع النجف الذي جرى في ٧ ربيع الاول ١٣٣٧ المصادف ١١ كانون الأول (ديسمبر) لسنة ١٩١٨ كما ورد في مذكرات السيد محسن أبو طبيخ.

(٢) كان عدد الحاضرين في هذا الاجتماع ٢٤ شخصاً من شيوخ العشائر في الفرات الأوسط ووجهاء مدينة النجف وعلماء الدين وهم: الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد صاحب الجواهر والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي من علماء الدين والشيخ محمد رضا =

الأمر نهض الميجر نوربري وتكلم مخاطباً الحضور وشارحاً سبب دعوتنا ثم تطرق إلى موضوع أسئلة الاستفتاء بقوله ماذا تريدون، هل تريدون العودة إلى حكم الأتراك؟ أم تريدون حكمنا عليكم؟ أم تشكيل حكومة وطنية؟[١] فأجبناه بالاجماع في جواب قصير ومختصر وهو أننا لا نريد العودة لحكم الأتراك، ولا نريد حكمكم علينا وأننا نريد البر بوعودكم في إعطاء بلادنا حقها في الاستقلال بتشكيل حكومة وطنية عراقية يرأسها أحد انجال الشريف حسين ، ولما سمع منا ذلك الجواب بلهجة صريحة وقوية، انتفخت أوداجه، إذ أنه كان شاباً متغطرساً ومغروراً، فأخذ منه الغيظ مأخذه حتى فقد توازنه وخرج من المجتمع وهو غاضب. ورجع إلى بغداد في ذلك اليوم.

وبعد اجتماعنا بولسن جرت عدة اجتماعات في النجف والكوفة بين الرؤساء ومع علمائنا الأعلام والسيد اليزدي قدس الله سره استمرت ثلاثة

= الشبيبي والسيد هادي الرفيعي والحاج عبد المحسن شلاش من وجهاء مدينة النجف والسيد علوان الياسري والسيد نور السيد عزيز والسيد محسن أبو طبيخ والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والشيخ علوان الحاج سعدون والشيخ محمد العبطان وعبادي الحسين ولفته آل شمخي ومرزوق العواد ومجبل الفرعون وجري المريع والسيد هادي مكوطر وهنين الحنون من شيوخ العشائر وآخرون غيرهم.

(١) عبد الرزاق محمد أسود، «موسوعة العراق السياسية»، المجلد الثاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٦ الصفحة ١٧٣ :

«فاستدعى (السيارنولد ولسن) في ٢٥ صفر ١٣٣٧ الموافق السبت ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ الحكام السياسيين في الألوية والأقضية وأطلعهم على ما جاء في برقية وزارة الهند وسلمهم أسئلة ثلاثة وطلب منهم أخذ رأي العراقيين بشأن تقرير مصيرهم» أما الأسئلة فهي:

١ ـ هل تريدون تأليف حكومة عربية مستقلة تحت حماية بريطانيا العظمى تمتد من الحدود الشمالية لولاية (الموصل) إلى خليج (البصرة).

٢ ـ وفي هذه الحالة. . . هل تريدون أن يترأس الحكومة أمير عربي.

٣ ـ وإذا كان الامر كذلك. . . من تختارونه لرئاسة هذه الحكومة. وطلب (السير ولسن) من حكامه أن تكون الأجوبة على أسئلة الاستفتاء صدى لإرادة السلطة البريطانية كما طلب منهم الحصول على مضابط بالأجوبة المأمولة. ـ راجع نفس المصدر حول اجتماع النجف الصفحات (١٧٤ ـ ١٧٦)

ـ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الطبعة الثانية، لندن ـ ١٩٩٠ الصفحات ٤٨ ـ ٥١

أيام كان نتيجتها الاتفاق على كتابة مضبطة جاء بمضمونها رغبتنا التي اشرت إليها آنفاً وذلك أن يترأس حكومة العراق ملك من أنجال الشريف حسين ملك الحجاز وانتدبنا الشيخ محمد رضا الشبيبي[1] لإيصال هذه المضبطة إلى الشريف حسين وبسط رأي الشعب العراقي ورغبته هذه لدى جلالته.

وتحسباً للمشاكل المتوقعة، فقد قام ولسن، إثر عودته من النجف باعادة النظر في التقسيمات الإدارية في الفرات الأوسط وأجرى عليها تعديلات في غاية الاهمية إذ فصل الأقضية الثلاثة التابعة لحاكمية النجف وهي أقضية الشامية فعين فيها معاوناً للحاكم السياسي هو أحد المصريين ممن رافق الحملة الإنكليزية ويدعى جاد غاوي وهو على مذهب الأقباط من المسيحيين وأبو صخير والسماوه عن لواء النجف والشامية. كما عين الميجر (ديلي) حاكماً عاماً على لواء الديوانية ومعه أربعة ضباط كحكام سياسيين لكل من الأقضية المارة الذكر كما عززه بحامية قوامها فوج عسكر من الضباط والجنود الإنكليز والهنود. أما الميجر ديلي هذا فكان لا يتجاوز الخامسة والعشرين عاماً من العمر وهو طائش ومغرور جاءنا يحمل في أنفاسه كل الغطرسة الإنكليزية واستخفافه بعاداتنا وقيمنا وزيادة على كل هذا الغرور وليمعن بنا بطشاً فقد أعطي صلاحيات واسعة بالتزام الشدة والعنف مع الأهالي أياً من كان. وبهذا العمل فقد انكشف لنا حقيقة السياسة الإنكليزية ذات الوجهين، فتارة يعدنا ولسن بالحكم الذي نطالب به حتى ولو بشروط، وتارة يسلط علينا عساكره لإرغامنا على القبول بسياسة حكومته المصرّة على فرض وجودها في العراق.

---

(١) الشيخ محمد رضا الشبيبي من أبرز رجال الحركة الوطنية منذ دخول الإنكليز إلى العراق وحتى انهيار الحكم الملكي عام ١٩٥٨، ولد في النجف الأشرف عام ١٨٨٤ في بيت علم وفقه وادب، له ديوان شعر والعديد من المؤلفات الأدبية إضافة إلى مذكراته ذات القيمة التاريخية المهمة. انتخب عدة مرات نائباً في مجلس النواب ثم رئيساً له كما اختير لعضوية مجلس الأعيان وكذلك استوزر عدة مرات في مراحل مختلفة منذ تأسيس الحكم الوطني. لعب دوراً هاماً قبيل ثورة العشرين واختير من قبل ممثلي الفرات الأوسط لحمل مضبطتهم إلى الملك حسين شريف مكة.
توفي رحمه الله عام ١٩٦٥، ودفن في مقبرة العائلة في النجف الأشرف.

الإنكليز(١)

ما كاد الإنكليز يحتلون البلاد احتلالاً عسكرياً، حتى أغدقوا علينا النعم من كل الجهات، بل إنهم علاوة على ما بذلوه من إنعام وإكراميات نقدية، بذلوا أضعاف ذلك في سبيل المشاريع العمرانية والزراعية من شق جداول وإنشاء سدود ونحو ذلك، وكأنهم رأوا ذلك غير كاف لاستمالة القلوب وامتلاكها، فتسامحوا مع المزارعين تسامحاً كلياً. فلم يستوفوا منا ضرائب عن نتاج الأراضي الزراعية أكثر من خمسه بالمائة، وبعد أن تقاضوا ذلك أرجعوا خمسه إلى الرئيس كإكرامية له.

وما كادت الحرب تلقي أوزارها ويعلن الصلح في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ حتى جاء إلى النجف وكيل الحاكم العام (السر أي تي ولسن) وطلب حضور رؤساء العشائر، فلما اجتمعنا عنده حاول أن يقف على رأينا ورأي الجميع في شكل الحكومة التي نريد تأسيسها في البلاد استخدم معنا أسلوب التخيير بين الرجوع إلى الحكومة العثمانية أو البقاء تحت سلطة بريطانيا وتشكيل حكومة عربية.

وكان جل اعتقاده أن نجيبه بقبول حكمهم المطلق مباشرة ولكنه سمع منا عكس ما كان يعتقده وكان يظن أن يسبق بالجواب من أماتت بريطانيا قلوبهم وأعمت بصرهم وبصيرتهم بالمال الذي أدرّته عليهم في أوقات مختلفة، ولكن خابت ظنونه، فكأن الله قد ضرب على أفواههم وأفئدتهم فلم يفهموا ما أراد ولسن. وكنا نحن السابقين إلى الجواب، فوقفنا امامه في ذلك المجتمع الحاشد وقلنا له: نريد حكومة عربية عراقية يرأسها أحد أنجال الملك حسين وأيد قولنا هذا العلماء الذين حضروا ذلك المجتمع. فلما سمع منا ذلك لم ينبس ببنت شفة ولكن ظهرت على أسارير وجهه دلائل الغيظ ورجع قافلاً إلى بغداد وهو يتلظى غيظاً. حينئذ تأكد الإنكليز أن آمالهم قد خابت وانوارها قد خبت واذ ذاك حنقوا علينا وتوترت العلائق بيننا وبينهم حتى انفجر بركان الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ وكان أول انفجار بركانها

---

(١) النص أعلاه منقول عن كتاب المبادئ والرجال للسيد محسن أبو طبيخ، راجع الصفحة ٢٦ ـ ٢٧ تحت عنوان: خدمتنا الثالثة في سبيل الاستقلال.

يوم ٣٠ حزيران (يونيو) من السنة نفسها في الرميثة.

سياسة الخداع

لقد هال الإنكليز بعد اجتماع ولسن المذكور في النجف وحدة كلمة رؤساء العشائر ووقوفهم صفاً واحداً وراء المرجعية الدينية، خلافاً لما هو معروف لديهم واستناداً لتقارير جواسيسهم من تفرق الكلمة وانتشار الضغينة بين رؤساء العشائر، وهذا ما دفعهم إلى تغيير سياستهم واللجوء إلى اسلوبهم المعروف لدى كافة شعوب العالم المبتلاة بالاستعمار البريطاني وهي سياسة «فرق تسد» وقد توفقوا إلى حد ما وزرعوا هذه البذرة الخبيثة في العراق ولازال يعاني منها إلى أيامنا هذه.

وصلني كتاب حاكم النجف والشامية الميجر نوربري المؤرخ في ١٤ ربيع الأول ١٣٣٧هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩١٨) يطلب حضوري في الكوفة يوم ١٨ ربيع الأول ١٣٣٨هـ (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨) وقد علمت بعيد وصول هذه الدعوة أنها قد وجهت إلى كافة رؤساء عشائر المنطقة.. وعليه فقد تداولنا في اجتماعات ثنائية ومنفردة لكي لا نلفت الأنظار واتفقنا على أن تكون كلمتنا واحدة لا تتغير عما أجبنا به ولسن في اجتماع النجف وحذرنا بعضنا البعض من الوقوع في خطة الإنكليز للتفريق والإغراء بالمال لشراء الضمائر، وقد كنا على ثقة عظيمة والحمد لله، من أننا جميعاً لسنا بفريسة سهلة يمكن اقتسامها على حساب مغانم دنيوية بخسة أمام عظمة هدفنا وسمو أخلاقنا.

وفي ذلك اليوم حضر كافة الرؤساء في الكوفة وتم الاجتماع مع نوربري وقد أحضر معه الضباط والحكام السياسيين لمنطقة الشامية وتكلم بإسهاب عن مستقبل العراق تحت توجيه الحكومة البريطانية وأن المطلوب منا في الوقت الحاضر هو التريث لحين انجلاء العقبات التي يثيرها الأتراك على حد قوله في بغداد وكربلاء والحلة والموصل لكي تتبلور خطة الإدارة الإنكليزية وبعده تكلم الآخرون من معيته وكلهم لا يختلف كلامه عن الآخر... وملخص أفكارهم كانت وعوداً لا نصدقها ووعيداً إن لم نسكت.

وكان من أبلغ المتكلمين في هذا الاجتماع محمد العبطان[1] الذي أحرج نوربري بقوة حجته وبلاغة كلامه ورزانه تصرفه، مما أثار احترام الإنكليز له بصورة شعر بها كل من كان في المجلس.. طلب منا بعد أن خلص نوربري من مناقشة الحضور العودة إلى مزارعنا وقرانا والتفرغ إلى أعمالنا وليس إلى السياسة، وتفرق الحضور كل إلى جهته، منهم من غادر إلى أهله ومنهم من بقي لأداء فريضة الزيارة في النجف الأشرف. تركت الكوفة إلى النجف ومعي كل من محمد العبطان، وأخوه سلمان العبطان وجري المريع ومكث الجميع في داري ضيوفاً، وفي اليوم التالي غادرنا محمد وأخوه سلمان إلى كربلاء لأداء فريضة الزيارة وعدت أنا إلى محلي في غماس، وبعد يومين أو ثلاثة أيام من وصولي جاء من يخبرني أنه تم إلقاء القبض على محمد العبطان وأخيه سلمان بعد خروجهما من مدينة النجف، إذ أن داري كانت مراقبة ولم يرد الإنكليز دخولها لتوقيف المومى إليهما سواء في الدار أو داخل المدينة لكي لا يثير ذلك الأهالي وقد تحدث مشاكل هم في غنى عنها في الوقت الحاضر، وعند سماعي للخبر هذا عاد إلى ذهني موقف محمد العبطان مع الميجر نوربري في اجتماع الكوفة الأخير وكيف بحكم قوة منطقه وحجته افحم المومى اليه وأسكته. وبعد الاجتماع ساد الاعتقاد عند الجميع من أن نوربري سيوجه انتقامه إلى كافة الحضور وخاصة محمد العبطان وأخاه سلمان وأنه لا بد وأن يتذرع بذريعة ما لتبرير ما سيقوم به.

---

(١) الشيخ محمد العبطان، هو محمد بن عبطان بن طلال بن بلبول بن شلال، ويصل نسبه إلى عشيرة خزاعة القحطانية ذات التاريخ العريق في صدر الإسلام وبعده. وقد شارك في ثورة العشرين بدور مشرّف في الكثير من ملاحمها مع أفراد عشيرته، انتخب عضواً في مجلس النواب لعدة دورات. توفي رحمه الله سنة ١٣٥٧هـ المصادف ١٩٣٩م عن عمر قارب الخامسة والسبعين. وقد جاء عنه في التقرير الإداري لمنطقة الشامية والنجف:

C.O.696/"Administration Report of Shamiyah and Najaf, 1918" Appendix III, P. 110

«... عمره حوالي ٤٠ عاماً.. إنه بيضة فاسدة، وهو بالتأكيد: معاد للإنكليز، سجن في منطقة الشامية». كما جاء في نفس التقرير عن أخيه سلمان: «سلمان العبطان ـ أخو للمومئ إليه أعلاه... غير أهل للثقة بأي حال من الأحوال، سجن مع أخيه، كذاب كبير وشخصية ضعيفة» هذا التقييم هو من وجهة النظر الإنكليزية.

محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، الطبعة الثانية، لندن ـ ١٩٩٠ الصفحات ٤٨ ـ ٥١

قمت بدوري بعد أن عجزت من مماطلات الإنكليز في إطلاق سراحهما، فكتبت رسالة إلى السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي[1] رجوته فيها استعمال نفوذه لدى الإنكليز في إطلاق سراح الموما إليهما، تبعتها بزيارة له بعد بضعة أيام من إرسالي تلك التذكرة وذلك في منزله بالكوفة بينت له أن ما نسب إليهما ليس له صلة بحقيقة سجنهما؛ وأخبرته عن دور محمد في اجتماع المشايخ بنوربري في الكوفة.

لقد سرني تفهم السيد رحمه الله لما بينته له ووعدني خيراً، وفعلاً لم يمض وقت بعد زيارتي هذه إلا وعلمت بإطلاق سراح محمد العبطان وأخيه سلمان.

وبعد وصولهما إلى محالهما قمت بزيارتهما في ديارهما في أبو تبن حيث يسكنان، وقد أخبراني أن الإنكليز عرضا عليهما الكثير من المال والوعود باعادة أراضيهما أن تعاونا معهم، وبسبب رفضهما هذا استمر سجنهما ولم تتحقق مآرب الإنكليز والحمد لله.

وبعد أشهر قليلة جرت نفس المحاولة مع المرحوم مجبل الفرعون شيخ

---

(١) رسالة السيد محسن أبو طبيخ للسيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي هذه هي من مقتنيات متحف ثورة العشرين في الكوفة راجع مجلة آفاق عربية، السنة الثانية، العدد١١، تموز ١٩٧٧، «وثائق لم تنشر عن الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، بقلم كامل سلمان الجبوري الصفحة ٨٦ الوثيقة الخامسة وهذا نصها:

حضرة حجة الإسلام وملاذ الأنام السيد محمد كاظم حفظه الله. آمين

بعد تقبيل يديكم أطال الله بقاءكم

من خصوص خدامكم محمد العبطان وأخيه سلمان العبطان قد أمروا حضرة الحكومة بحبسهم وحيث أن هذه الحكومة المعظمة ذات رأفة ولطف على كل فرد من رعاياها، وبما أن حضرتكم ذو جاه عظيم عند أولياء أمورها؛ لنا الأمل الوطيد بشمول اللطف بإطلاق سراحهما فنسترحمكم بمسألتهم ولا ينبغي أن نعرض أزيد من هذا لخدمتكم ودمتم مؤيدين والسلام.

٢٠ ربيع الآخرة ١٣٣٧هـ
سيد محسن أبو طبيخ

آل فتلة فرفضها بكل إباء. كما طاش سهم الإنكليز في محاولتهم شراء الذمم مع الآخرين وخابت آمالهم بالإغراء في منح أراضي هذه العشيرة غير الميالة لوجهة نظرهم إلى تلك العشيرة التي رضيت بوعودهم وأسقط في يدهم.



مدينة النجف عام ١٩١٩

مجلس الشورىٰ لقضاء الشامية

لم تكن مساعينا وجهودنا ومطالبينا المستمرة باستقلال العراق وتشكيل حكومة عربية فيه بخافية عن حسابات الإنكليز وحكامهم السياسيين في الفرات، وكنا نشعر بها بتزايد رصدنا من قبل أعوانهم ومحاولة عرقلة أعمالنا في دوائرهم وفرض الإقامة الجبرية على من يشتبهون به وتسفير ونفي من يشكوّن بعدم ولائه لهم، فاتبعوا سياسة الإغراء والرشوة فلم تجدِ نفعاً، ولم تكن سياسة التقرب هذه بخافية علينا حينما وصلني موفد من الحاج عبد

المحسن شلاش وأنا في مضيفي في غماس وسلمني رسالة منه يخبرني فيها أن الميجر نوربري الحاكم السياسي للنجف والشامية قد استدعاه إلى مكتبه وسلمه كتاب تعييننا في ما أسماه بمجلس الشورى لقضاء الشامية مع عدد من مشايخ المنطقة، كما أرسل نسخة الكتاب المشار إليه الصادر من الميجر والموجه لي بهذا الخصوص[١].

وقد أثار استغرابي مقدار تحدي الإنكليز لمشاعرنا حينما «عينونا» أعضاء بهذا المجلس بدون استمزاج رغبتنا في العمل معهم. والشيء الثاني هو تعيينهم أشخاصاً لا علاقة لهم بمنطقتنا، وإنما عينهم نوربري ليمثلوه في المجلس ويكونوا عيوناً وآذاناً له في كل ما سنقوم به، ولم يكن ذلك بخافٍ على بقية أعضاء المجلس ممن التقيت بهم ولم أجد من يخالفني فيما اعتقدته في عمل الإنكليز هذا.

وقبل اجتماع الأعضاء في جلستنا المقررة، اجتمعت بكل من المرحوم الحاج عبد الواحد الحاج سكر والشيخ مرزوق العواد والمرحوم الشيخ عبادي الحسين في مضيف الأخير واتفقنا على رفض ليس فقط عملية تعييننا بهذا المجلس، وإنما عدم السماح أو إفساح المجال أمام وجود مجلس آخر وذلك لمعرفتنا أن الإنكليز ديدنهم سياسة فرق تسد وغايتهم تشتيت جهودنا من أجل المطاليب الوطنية وبث التفرقة بيننا. وقد تبلغ باجتماعنا هذا بقية الأعضاء وقررنا أن تكون الجلسة الأولى للمجلس هي الأخيرة له.

انعقد المجلس في الصراي (دار الحكومة) في النجف وحضره حاكم

---

(١) كامل سلمان الجبوري، وثائق لم تنشر عن الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مجلة آفاق عربية، السنة الرابعة، العدد ٨ نيسان (ابريل) ١٩٧٩ الصفحات ١٦ - ١٧ (كتاب الميجر نوربري إلى أعضاء المجلس وقانون جلسات وإدارة مجلس الشامية).
نص هذه الوثائق منقول حرفياً وبدون تصرف وقد يجد القارئ فيه الكثير من الأخطاء النحوية والإملائية والتي مصدرها هو الترجمة من الإنكليزية إلى العربية التي قامت بها الإدارة البريطانية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النجف والشامية السياسي الميجر نوربري ومعه الكابتن مان وعدد من موظفيه ووجهاء البلدة تكلمت عن موضوع اختيار أعضاء المجلس، فشكرت الميجر نوربري على ثقته بي وتعيينه لي بهذا المنصب إلا أني تساءلت لماذا يُعيّن أعضاء من غير أبناء المنطقة ولم يؤخذ رأي من تم انتخابهم لهذا المجلس إن كان بوده الانضمام لعضويته والعمل مع الإنكليز، وأوضحت أن أي مشروع مماثل سوف يفشل بدون مؤازرتنا، كما أني أكدت أحد مطاليبنا هو تشكيل مجلس وطني منتخب من قبل أبناء الشعب إلى جانب مطاليبنا الأخرى التي تم تجاهلها من قبلهم وبذا عبّرت عن عدم رغبتي في مجلس محلي معينين من قبل نوربري بدلاً عن المجلس الوطني الذي نطالب به، وتتابع بقية أعضاء المجلس الآخرين مؤكدين بكلماتهم أن المطاليب الوطنية لا يمكن التخلي عنها بزجنا في حل المشاكل المحلية لإبعادنا عن أهدافنا كما أشاروا إلى عدم رغبتهم الاشتغال للإنكليز كموظفين خلافاً لعقيدتهم.

بعد هذه الجلسة استقال كافة أعضاء المجلس مما اثار وامتعاض الكابتن مان فجاءني قائلاً: «إنكم بعملكم هذا سوف تثيرون غضب ولسن عليكم وبالتالي اعادة النظر في مطاليبكم». فأجبته «لقد عرفنا ولسن وهو غاضب دوماً، وأن غضبه هذا سوف يؤدي إلى سوء علاقتنا معكم»[1].

(١) كتاب استقالة أعضاء مجلس الشورى لمنطقة النجف والشامية:

«نحن الموقعين أدناه، الممثلين لأهالي الشامية والنجف ممن تم استدعاءهم من قبل السلطة الموقرة في النجف ليكونوا أعضاء في المجلس الذي تنوي الحكومة تشكيله باسم (مجلس الشورى). وبعد تقديم خالص الشكر لعطف الحكومة المعظمة تجاهنا، نود أن نعبّر وبكل وضوح عن قرارنا من أن مستقبل وطننا - العراق - لم يقرر بعد بالرغم من الوعود المسندة وثائقياً وقرارات مؤتمر السلام. وبما أن مستقبل وطننا العزيز لم يقرر، لذا فإننا لا يمكننا الحوار معكم والمشاركة في المجلس قبل أن نعرف مستقبل بلدنا. وتقبلوا فائق الاحترام.

التواقيع

أعضاء مجلس الشورى.

Political and Secret Dep., Mesopotamia, Shamiyh Divisional Council: P2023 No. 7002/81/15, 26.2.1920.

هذه الوثيقة تحتوي على تفاصيل تشكيل المجلس وتسمية أعضائه كما هو في الصفحة التالية ومحضر الاجتماع الأول الذي لم يتطرق إلى كل المناقشات في المجلس. ونص كتاب الاستقالة.

كتاب الحاكم السياسي لعموم الشامية والنجف (الميجر نوربري) إلى السيد محسن أبو طبيخ (ومثله إلى كل عضو) يخبره بتشكيل مجلس شورى:

إدارة حاكم سياسي عموم الشامية والنجف

عدد ١/ ٣٠

إلى حضرة السيد محسن أبو طبيخ

بعد التحية:

ليسرني جداً أن أخبركم بأنكم انتخبتم عضواً لمجلس الشورى داخل منطقة الشامية الذي جديداً ترتب تشكيله وبطيه تجدون جدولاً يحتوي أسماء الأعضوات الذين انتخبوا وعينوا معكم أعضائية للمجلس المذكور وذلك لجلب الالتفاف والاطلاع لحضرتكم، ثم أن حضرة الحاكم الملكي العام فوق العادة مهتماً بخصوص مجالس الشورى في الألوية ولهذا إن حضرة المشار إليه يطلب كمال المراقبة في كيفية مجلسنا الشورى مع كمال الأمل الوطيد في حضرة حاكم سياسي عموم الشامية والنجف في الساعة الخامسة عربية من يوم الأحد الموافق ليوم ٢٥ كانون الثاني وذلك لأجل تحديد الأشغال في الموقع ذاته فقط في إعطاء البيانات والتوضيحات التي سيلقيها الحاكم السياسي من جهة شغل هذا المجلس ووظيفته ودمتم ١٨ ربيع الثاني ١٣٣٨ الموافق ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٠

حاكم السياسي عموم الشامية والنجف
الميجر نوربري

أسماء أعضاء المجلس

حضرة السيد عباس كليدار الروضة الحيدرية. حضرة السيد محسن أبو طبيخ. حضرة السيد هادي نقيب الأشراف. حضرة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر. حضرة الحاج عبد المحسن جلبي شلاش. حضرة الشيخ علوان الحاج سعدون. حضرة الحاج عبد الرحيم البوشهري. (عن الجالية الإيرانية) حضرة الشيخ عبادي الحسين. حضرة زوين زاده سيد هادي. حضرة الشيخ لفته الشمخي. حضرة علوان. (المقصود هنا هو السيد علوان الياسري) حضرة الشيخ مرزوق العواد من العوابد.

TOWNSMEN.

10. Saiyid Hadi Naqib of Ashraf.
11. Saiyid Abbas Kilidar.
12. Haji Muhsin Shalash.

DATE GARDENERS JA'ARAH.

13. Saiyid Hadi Zawaini.

PERSIAN INTEREST.

14. Haji Abdur Rahim.

No. 502/1/11

Political Office, Shamiyah.
Najaf, the 9th February, 1920.

To

The CIVIL COMMISSIONER, BAGHDAD.

I forward herewith report upon the preliminary meeting of the Shamiyah Divisional Council in duplicate.

P. F. NORBURY, Major,
Political Officer, Shamiyah.

SHAMIYAH DIVISIONAL COUNCIL.

The Shamiyah Divisional Council assembled for the first time on the 28th day of January, 1920, when the following were present :—

PRESIDENT :

Major P. F. Norbury, Political Officer.

MEMBERS :

Name			
Saiyid Abbas Kilidar ...	...	...	Najaf.
Saiyid Hadi Naqib al Ashraf	...	...	Najaf.
Haji Muhsin Shalash ...	...	...	Najaf.
Haji Abdul Rahim Bushiri	...	...	Najaf.
Saiyid Hadi al Zuwain ...	...	...	Ja'arah.
Saiyid Muhsin Abu Tabikh	...	...	Umm-al-Ba'rur.
Shaikh Alwan al Haji Sadun	...	...	Bani Hasan.
Shaikh Abdul Wahid al Haji Sikar	...	...	Al Fatlah.
Shaikh Abadi al Husain ...	...	...	Al Fatlah.
Saiyid Nur al Saiyid Aziz ...	...	...	Shamiyah Saiyids.
Saiyid Alwan al Saiyid Abbas	...	...	Shamiyah Saiyids.
Shaikh Laftah al Shamki ...	...	...	Al Jarrah.
Shaikh Marzuk al Awad ...	...	...	Awabid.
Shaikh Salman al Dhahir	...	...	Al Khazail

The President opened the meeting with the following speech of which each member was also provided with a written copy :—

GENTLEMEN,

I congratulate you on your presence here to-day.

I look upon this, our first meeting of the Shamiyah Divisional Council, as a very distinct milestone along the road of progress.

In my invitation to you to assemble to-day I mentioned the great interest with which the Civil Commissioner will watch our deliberations and I desire that you should look upon the inauguration of this Council as a pledge from Government of its intention to govern your country not only in your interests of which fact I feel you are already well aware, but with your advice and co-operation, and indeed through you.

I look forward with the keenest pleasure to your partnership in the work of administering the Division.

You have a saying in your language :

« التأني من الرحمن ، والعجلة من الشيطان »

we similarly say " Go fast by going slowly".

I would ask you not to expect too much at the beginning. You should look upon this Divisional Council as having a two-fold object.

الوثيقة الإنكليزية بتعيين أعضاء مجلس الشورى لمنطقة الشامية

جناب الفاضل الأمجد حضرة السيد محسن أبو طبيخ المحترم

نحب اهداء وافر التحيات، طياً تجدون نسخة من (قانون مجلس إدارة الشامية) لتطلعوا على مواده حرفيا وتحيطوا به علماً: وسنخبركم بعد هذا باليوم الذي يتعين لتشكيل المجلس. هذا ودمتم موفقين. ٢١ جمادي الأول سنة ١٣٣٨، ١٢ شباط سنة ١٩٢٠.

التوقيع

حاكم سياسي عموم الشامية والنجف

طبق الأصل

(قانون جلسات مجلس إدارة الشامية)

١ ـ ينعقد المجلس في الوقت الذي يعينه الرئيس.

٢ ـ المجالس التي تكون فوق العادة إما أن الرئيس يعينها وإما بأكثرية ثلثي الأعضوات.

٣ ـ إذا لم يوجد طلب على انعقاد شغل المجلس فالحاكم السياسي له الحق في إلغاء الجلسة.

٤ ـ أن حضور الأعضوات في المجلس لم يكن جبرياً فقط إن الحاكم السياسي يتمكن أن يسأل من العضو اسباب عدم حضوره في المجلس فإذا لم توجد لديه معذرة شرعية كافية فالرئيس يتمكن أن يجبر ذلك العضو أن يستعفى.

٥ ـ أن العدد الكافي لانعقاد الجلسة يكون سبعة من الأعضوات وهؤلاء السبعة اما أن يكون انعقادهم تحت إدارة كاتب الأسرار أو الرئيس فإذا سبعة أو أزيد من الأعضائية حاضرين ولم يوجد الرئيس أو نائب الرئيس فالحاضرون الموما إليهم ينتخبوا منهم رئيسا يحل مقام رئيس المجلس بتلك الجلسة.

٦ ـ كل من الأعضاء إذا اراد بيان أي مسألة في المجلس ينبغي أن يعرضها قائماً على قدميه.

٧ ـ إذا تكلم أحد الأعضوات على مسألة فيجب على الباقين أن يقنطوا ريثما يتم كلامه.

٨ ـ قائمة الأشغال تحتوي أدناه:

ـ تقرأ وقائع الجلسة السابقة وتصادق ثم تختم بواسطة الرئيس وكاتب الأسرار.

ـ أي مادة تعرض بواسطة الرئيس على المجلس.

ـ كل الأعمال السابقة التي لم يتم تقريرها.

ـ تقريرات اللجنة المنتخبة.

ـ المواضيع الموجودة في دفتر المذاكرات على حسب الترتيب التي تظهر به.

٩ ـ قبلما يقرر المجلس مواضيع يبحث فيها في الجلسة التالية يجب أن تقدم إلى كاتب الأسرار في حالة إلغاء أي اجتماع كان مزمعاً عقده على مقتضى المادة الثامنة فحينئذ هذه المواضيع التي كان مقرراً أن يبحث فيها في الاجتماع التالي يجب إذاً تقديمها كتابة في خلال ثلاثة أيام من تاريخ الإلغاء إلى كاتب الأسرار.

١٠ ـ أي سؤال يعرض في المجلس وتؤخذ عليه الأصوات لا يمكن عرضه مرة أخرى لمدة ثلاثة أشهر بشرط أن هذه المادة لا يسري مفعولها على الإطلاق للمواد التي يعرضها حضرة الحاكم على الجلسة.

١١ ـ على المقترح أن يفتح مجالاً للبحث في موضوعه وكل عضو يسأله الرئيس بأن يبدي رأيه فله إذن أن يتكلم ولا يسوغ لأي عضو أن يتكلم في موضوع أكثر من مرة واحدة إلا للمقترح أو المستدعي إذا طلب التغيير.

١٢ ـ التصويت يكون برفع الايدي وصوت الرئيس له الأرجحية إذا تساوت الآراء (أي) إذا انقسم المجلس إلى نصفين متعادلين فإذا اعطى الرئيس صوتاً مع أي قسم منها فتكون الارجحية لذلك القسم.

١٣ ـ إذا اقترح أحد الأعضاء موضوعاً وحاز موافقة أكثرية الآراء في المجلس فيحول موضوعه إلى اللجنة المنتخبة لابداء رأيها وهذه اللجنة تعين بواسطة الرئيس ولا بد لها أن تكون مؤلفة عن عضوين من المجلس على الأقل وللرئيس الحق في تكليف أكثر من ثلاثة أعضوات فخريين أن يندمجوا في تلك اللجنة إذا اتضح له منفعتهم خصوصاً إذا صار البحث في مواد فنية أو خلافها.

١٤ ـ لا ينقص عدد أعضاء اللجنة المنتخبة عن ثلاثة أعضوات.

١٥ ـ إذا تحولت أي مسألة إلى اللجنة المنتخبة فتلك المسألة لا يبحث فيها مرة أخرى إلى حينما تعطي تلك اللجنة قرارها الأخير.

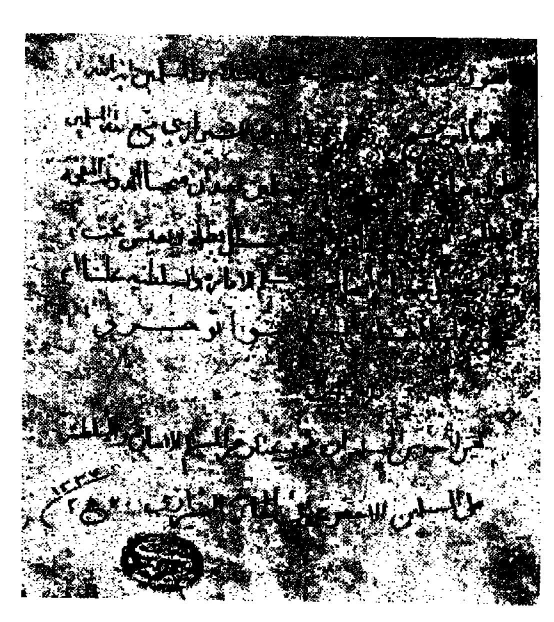
١٦ ـ لحضرة الحاكم أي (الرئيس) الحق في محو أي مسألة مقيدة في ليستة المواضيع.

النجف ٢٠ جمادي الأول سنة ١٣٣٨الموافق ١١ شباط سنة ١٩٢٠

الإمام الشيرازي

أصدر الإمام الشيرازي فتوىٰ كانت بمثابة القانون الذي بنىٰ عليه قادة ثورة العشرين أساس مطاليبهم مع الإنكليز والتي نصت علىٰ: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطة علىٰ المسلمين.»

٢٠ جمادى الثاني ١٣٣٧



فتوى آية الله الشيرازي

إلى جانب ذلك فقد أصدر حجته فيما بعد كتاباً مهماً بتأريخ ٢٠ جمادي الثاني ١٣٣٧ كان بمثابة (وصيته) لكافة قادة الثورة. (ملحق الوثائق ـ الوثيقة رقم ٢٩)

فــرق تســـد[1]

تاريخياً لم يكن الاستعمار العثماني ليختلف عن غيره من المستعمرين باللجوء إلى أساليب الهيمنة القومية والاقتصادية والتمييز الطائفي والعنصري، فان الحكومة العثمانية، وخاصة بعد الانقلاب وبروز حزب تركيا الفتاة، وضعت مبدأين أساسيين لتركيز استعمارها في العراق، ألا وهما، المبدأ الأول خلق الطائفية بالتفريق العلني وشبه الرسمي بين الشيعة والسنة، والمبدأ الثاني خلق النعرات القومية بين عناصر الشعب وأثارت التفرقة بين القوميات واهمها التفريق بين العرب والأكراد.

وبحلول الحرب العالمية الأولى واندحار الدولة العثمانية وخروجها مهزومة من قبل الإنكليز وحلفاءها، سلك هؤلاء ما قام به العثمانيين من قبلهم، بالتفريق بين الطوائف والقوميات عن طريق عملائهم وبصورة

---

(١) عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث.
الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ـ ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت الصفحة ١٩٩ ـ ٢٠١

«موقف الإنكليز من الشيعة: كانت السياسة الإنكليزية في العراق، منذ البدء، ولا سيما بعد ضرب الحصار على النجف سنة ١٩١٨ وقصفها بمدافع الهاون تقوم على إقصاء جميع الشيعة من المناصب الرفيعة المسؤولة... ولو أن الشيعة أعطيت قسطاً وافراً من المشاركة في حكومة فيصل لكان في الإمكان تجنب كثير من الاختيارات المرة، وكثير من الاضطرابات الدامية»... «وقد توقعت دائرة الاستخبارات البريطانية أن تؤدي هذه السياسة إلى الايقاع بين الطائفتين (الشيعة والسنة) وخلق حالة من سوء التفاهم».

ـ كرترود لوشيان بيل ـ راجع المصدر نفسه

الصفحة ١٢١ «... إن الشيء المهم هو كيفية حماية سكان الريف وأبناء القبائل من البغداديين الذين لا يعرفون شيئاً عنهم ولا يعبؤون بهم. لأن الموظفين العرب كما تلاحظونهم، يجب أن يكونوا كذلك دوماً من البغداديين السنة بسبب عدم وجود طبقة مثقفة أخرى في البلاد. والعشائر (ومعظمها من الشيعة على ما تذكرون) تكرههم».

شملت بقية المواطنين من مسيحيين ويهود.

وقد أحس الرجال المفكرون من أهل بغداد والكاظمية بخطورة هذه السياسة فكثرت الاجتماعات والاتصالات بين مختلف الطوائف ولم تنحصر بين المسلمين فقط.

وأخذ رجال الدين الروحانيين على عاتقهم تذليل الصعاب في سبيل التوصل إلى الوئام الوطني. وقد تحقق عندهم واستطاعوا نبذ الطائفية والقومية ووحدوا كلمتهم شيعة وسنة، فصّلوا جماعة واحدة في جوامع الشيعة والسنة معاً وشمل هذا الطوائف في المدن الشمالية إذ ترك الأكراد وراءهم النعرة القومية.

وقابل الجميع من ديانات مختلفة وقوميات الشعب العراقي المحاولات الإنكليزية بصف واحد متحد بقلوب مؤمنة، ثم أخذوا يطالبونهم بالبر بوعودهم بمنح الاستقلال للبلاد.

هذه الوحدة الوطنية العراقية المخلصة المنقطعة النظير تلتها ثورة العشرين التي ثبتت دعائم كيان العراق الحديث وأرست قواعده ومهدت الطريق لتكوين الحكم الوطني.

هذه الأحداث أثبتت للإنكليز خطورة قوة الشعب العراقي فيما إذا توحد بوجه جبروتهم وتسلطهم. وهذا ما كان مبدئي وعقيدتي الثابتة في تفكيري بوحدة الشعب العراقي وحرصي على تلك الوحدة وما تحملت شخصياً من أذىً وضرر في سبيل ما أؤمن به بهذا الصدد.



مدينة الديوانية من الجو كما صورتها القوة الجوية البريطانية بعد الثورة

ملحق

الفصل الثاني

رسائل كابتن ساموريز مان
حاكم الشامية



رسائل الكابتن مان[1]

استلم الكابتن مان، الحاكم السياسي لمنطقة الشامية التي تشمل، الشامية، الشافعية، غماّس، المشخاب، الشنافية، والمهناوية، مهمته بصورة رسمية في ١٩ آب (اغسطس) ١٩١٩، وكان مقره الرسمي في مدينة الشامية التي كانت تسمى في ذلك الوقت ـ أم البعرور ـ وقد كتب مذكراته اليومية على شكل رسائل كان يبعثها إلى والده ووالدته وأصدقائه في إنكلترا، يصف فيها حياته اليومية ومشاكله الإدارية إلى جانب آرائه السياسية في الوضع السائد في تلك الأيام في العراق قبيل ثورة العشرين..

وفي هذا الملحق، انتقيت تلك الرسائل التي تتعلق بعمله في مدينة غماس، وعلاقته بالسيد محسن أبو طبيخ. وقد قمت بترجمة هذه الرسائل بكل أمانة ودقة متوخياً الوصول للحقيقة التاريخية واضعاً في تقديري أهمية الرأي الشخصي ليس للكابتن مان ولكن للقارئ والباحث والمؤرخ الذي سيتناول هذا الكتاب ومحتوياته بكل تمحيص آملاً أن الأمانة العلمية التي أنشدها ستكون موضع تفهم لدى الجميع.

وإذا نظر القارئ إلى هذه الرسائل بصورة موضوعية فإنه سيصل لمعرفة دور السيد محسن أبو طبيخ في الأحداث التي جرت ابتداءً من وصول كابتن مان إلى الشامية حتى ساعة خروجه منها في أول أيام الثورة والتي انتهت بمقتله على يد قناص في حصار الثوار لمدينة الكوفة وذلك في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٢٠.

جميل السيد محسن أبو طبيخ

---

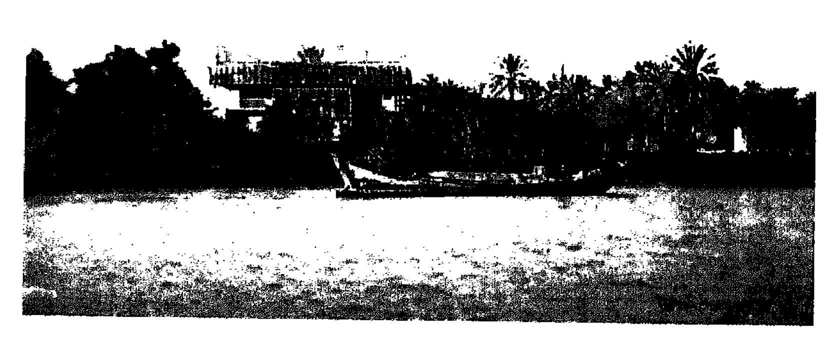
(١) جيمس ساموريز مان ـ كابتن ـ راجع النص الإنكليزي لكتابه المعنون An Administrator In The Making, London,1921



مدينة غماس عام ١٩١٧
ويشاهد في وسط الصورة مضيف السيد محسن أبو طبيخ وداره التي دمرهما الإنكليز بعد الثورة

إلى والدته
١٣ أيلول ١٩١٩

يوم الأحد، ذهبت مع مصطفى[١]، بواسطة زورق بخاري إلى الشعبة الثانية في المنطقة وتسمى ـ غماس ـ قضينا الليلة هناك مع ابن الملاك الرئيسي فيها الذي كان في الخارج لتأدية فريضة الحج. وقد استضافنا ولده[٢] بصورة ملكيّة. حللنا في فسطاط عظيم في غاية الروعة وكأنه مسرح فخم، وقد فرش بأفخم المفروشات والبسط وتناولنا وجبة طعام ممتازة... المأخذ على غماس هو أنها في منخفض، يكثر فيها الذباب وإن ساقي تم لسعها بضراوة.. وفي الصباح، تجولنا لمعاينة المزارع وسداد الفيضان ثم عدنا حوالي الساعة ٨ مساءً[٣].



القصر ـ دار السيد محسن أبو طبيخ في غماس

(١) مصطفى، سوري الجنسية، كان هو المسؤول عن منطقة الشامية قبيل وصول الكابتن مان إليها.

(٢) المقصود هنا، ابن السيد محسن الأكبر، المرحوم كامل وكان عمره خمسة عشر سنة عندما جاء كابتن مان في زيارته هذه إلى غماس وقام له بواجب الضيافة (الملوكية) التي أشار إليها (مان) في رسالته أعلاه. في الوقت الذي كان السيد محسن أبو طبيخ في مكة لتأدية فريضة الحج.

(٣) المصدر الإنكليزي الصفحة ١٥٢

إلى والدته
٢٥ أيلول ١٩١٩

في هذه الرسالة يكتب لوالدته واصفاً لها استقباله لمشايخ المنطقة الذين زاروه لتهنئته على تسنم منصبه والترحيب بمقدمه...

لربما سوف تبتهجين لو شاهدتني يوم الأحد الماضي عصراً، ساعة تناول الشاي في اجتماعي مع المشايخ... إذ كان الاجتماع عبارة عن حفلة تعارف لكبار شيوخ المنطقة، وأتصور أن عدد الحضور كان بحدود السبعين أو الثمانين شخصاً، كبيرهم وصغيرهم جاء للمكان... قدمت المرطبات والقهوة وبعد ذلك ألقيت كلمة بالعربية، ثم تكلم داود (مساعده) كجواب على كلمتي ناطقاً باسم الحضور، وبعد ذلك عند توديعهم تم التعرّف عليهم...

هؤلاء هم خليط عجيب من الثقافة والبدائية هؤلاء الرجال المسنّون... وبجلوسهم حولي، كوّنوا صورة جميلة لذاتهم المتمثلة بالإجرام والإبهام واللاأخلاقية والقسوة... جلس على يساري السيد محسن أبو طبيخ، أغنى رجل في المنطقة، لا يعلم أي شخص مقدار ثروته، إلا أنها ربما بحدود ١٠٠.٠٠٠ ليرة إنكليزية ذهب. على أقل تقدير... طلب قرضاً مقداره ١٠.٠٠٠ ربية من الحكومة في الربيع الماضي لشراء الحبوب، لأنه يعتقد أننا سنرحل قريباً عن العراق وسيتسنى له الاحتفاظ بالمبلغ.. جلس بجانبه سيد حسين البو مكوطر، رجل ذو شخصية جذابة، وقد احتجز مرة لرفضه دفع الضرائب، كما أنه رجل عظيم الثراء... وشخص آخر كبير السن له سبع عشرة زوجة ويقال إنه لا يعرف كل أولاده إذا شاهدهم إذ أن عددهم يتجاوز الثلاثة ارقام[١]... ثم مرزوق (شيخ العوابد) الذي منح ٦٠.٠٠٠ ربية لتشييد سد من قبل عمال (حشور) عشيرته، وعندما أتم البناء احتفظ بما لا يقل عن النصف أو أكثر من المبلغ لنفسه...

حسناً، هؤلاء هم ضيوفي في حفلة الشاي، - إنهم أناس مضحكون...[٢]

---

(١) المقصود هنا السيد نور الياسري

(٢) المصدر في الصفحة ١٥٤

إلى والدته
جولة في غماس
١٩ تشرين الأول ١٩١٩

... غادرت أم البعرور في ١٥ منه، لأقوم بذرعة حقول الرز في المنطقة... تناولت العشاء في الفسطاط الذي أخبرتك عنه في رسالتي المؤرخة ١٣ أيلول، وأمامي حوالي اثني عشر رجلاً وهم جلوس على الأرض يتناولون بقية العشاء الذي قُدم لي وهو في غاية الروعة وقد كان معي في هذه الوليمة بقية أعضاء هيئة الذرعة.. حقول الرز تبعد حوالي نصف ساعة مشياً، وحينما نقوم بعملنا فإن المشروب الوحيد الذي يطفئ ظمأنا هو محلول اللبن... نتوقف عن العمل حوالي الساعة ١١:٣٠ قبل الظهر أو بعده. وفي الحال تنصب الخيام ويقدم الطعام والخدم حولنا، ثم نعود إلى غماس ما بعد ٦ مساءً. وحوالي الساعة ٨ مساءً يقدم لنا العشاء، الذي أتناول منه بكثرة (وبالطبع مستعملاً أصابعي)، سوف يستمر عملي هنا حوالي أسبوع.. وسوف يحضر (الميجر)[١] غداً[٢].



الذرعة في حقول الرز في غماس ويظهر في الصورة من اليسار إلى اليمين: سيد منذور ثم خليل أفندي وسيد تقي عام ١٩١٩

(١) المقصود هنا هو الميجر نوربري، حاكم النجف والشامية

(٢) المصدر في الصفحة ١٦٢ ـ ١٦٤

إلى والده
النجف ١٢ كانون الأول ١٩١٩

الرسالة طويلة ومتعددة المواضيع، أدناه ما كتبه بخصوص مشروع غماس.

... يوم أمس ركبت لمعاينة عمل العشائر على ثلاثة سدود عظيمة تحمي من الفيضان والتي شغلتني لإنهائها هذا الشهر. كانت سفرة رائعة لمسافة العشر أميال ذهاباً وعشرة أميال إياباً. ذهبت مع (وكن)[1] واستقبلنا استقبالاً رائعاً... وعند وصولنا كان هناك حوالي أربعمائة أو خمسمائة رجل في موقع العمل... ومن ثم أخذوا برقصات الحرب ـ الهوسات ـ التقليدية... وبالطبع فإن هؤلاء لم تدفع لهم أي أجور عن عملهم هذا ـ حشور ـ وقد علمت أنه بتنظيم من الرؤساء وقد أدوا عملاً جيداً وإن المنطقة بأكملها مدينة لهم بهذا العمل، وهذا شيء فوق العادة، لأنه لا بد هناك بعض الشعور من العداء بين هذه العشائر.

وبعد أسبوع، سوف أكون مع داود ـ موظف في إدارة الشامية ـ في غماس، للمباشرة بمشروع أنوي تنفيذه شخصياً، هو إعادة بناء المدينة بصورة حديثة على طريقة تخطيط المدن العصرية وذلك ابتداءً برفع مستوى الأرض بمقدار حوالي القدمين على المستوى العام...[2].

ثم يصف عمله هذا لصديقته السيدة ماري موري برسالته في ٢٣ كانون الأول ١٩١٩.

أرض قصبة غماس منخفضة، وفي أيام الفيضان، فإنها تكون تحت مستوى النهر... وبناءً على ذلك، فإن بناء الدور يتم باستحداث مسطبة ترابية ليضع البنّاء عليها صريفته، فيأخذ تراب هذه المسطبة من حفر خندق يستعمل ترابه لرفع مستوى أرض الصريفة، ونتيجة لعمله هذا فإن الحفرة تمتلئ بالمياه الجوفية ـ النزيز ـ والذي يحصل هو تجمع من المياه الآسنة ذات الرائحة الكريهة، والذباب والملاريا ومنتهى القذارة... عليه فإني أسعى الآن لردم هذه الحُفر.. غماس هي موقع في غاية الأهمية فلها تعامل تجاري كبير مع عشائر الصحراء ولمساحات شاسعة، وبالإمكان جعلها مدينة كبيرة في وقت قصير[3].

---

(١) كابتن وكن ـ Wigan مساعد الحاكم السياسي لمنطقة النجف والتي فيها الميجر نوربري بصفته الحاكم السياسي الأول لعموم النجف التي تشمل منطقة أبو صخير ومنطقة أم البعرور ـ الشامية، والكفل والكوفة.

(٢) المصدر الإنكليزي الصفحة ١٨٠ ـ ١٨١

(٣) المصدر الإنكليزي الصفحة ١٨١ ـ ١٨٢

إلى والدته
أم البعرور
٢٢ كانون الأول ١٩١٩

ذهبت إلى غماس يوم الجمعة صباحاً راكباً حصاني لمسافة ثمانية عشر ميلاً... وفور وصولي باشرت بسماع أشهر نزاع على الأراضي في المنطقة، بشأن مزرعة مساحتها ما يعادل (٣٠٠٠ دونم أو مشارة)... إذ أنه قبل ثلاثين سنة مضت كانت هذه الأرض تعود إلى شيخ عشائري كبير من الخزاعل والذي لم يعر أهمية كبيرة للسلطة العثمانية في حينه ولم يدفع لهم الضرائب[1]... وفي عام ١٨٨٩ قرر الأتراك القيام بعمل ما إزاءه، وبناءً عليه باعوا هذه الأرض بمبالغ طائلة. إضافة إلى قطعة أخرى تبلغ مساحتها حوالي ٦٠,٠٠٠ مشارة بيعت بسعر بخس إلى رجل يدعى السيد حسن... الذي عامل الأتراك معاملة جيدة بوعده لهم بدفع ما يترتب عليه من ضرائب... وكل الصفقة جرت بارتشاء وتزوير وحتى السندات كانت شكلية وتستدعي إلغاءها.. إلا أن الأتراك جهزوا حملة عسكرية ضد العشائر لإخراجهم من الأرض وبذا تمكن السيد حسن من استملاكها وزراعة معظمها... أما المنطقة المتنازع عليها الآن فهي القطعة التي لم يتمكن من استملاكها أو زراعتها وبقي الخزاعل فيها.

سيد حسن توفي سنة ١٩٠٤، واستورثه ولده سيد محسن أبو طبيخ، الذي كان رجلاً يافعاً أشبه ما يكون بالجندي المحارب والشاب المقدام... ولم يسعه استيعاب أو قبول فكرة وجود حق لهذه العشائر في الأراضي التي استحصل والده ملكيتها وترك له سنداتها... وقد حصل لمرتين على معونة من القوات التركية التي جاءت لطردهم منها وقد نجح في احدى محاولاته هذه... وفي عام ١٩١٠ استطاع زراعتها، إلا أنه لم تمر فترة وجيزة حتى عادت العشائر إلى هذه الأرض وبقيت فيها حتى الوقت الحاضر... وفي عام ١٩١٨ قام السيد محسن بتقديم طلب إلى السلطات البريطانية بإعادتها إلى ملكيته وحيازته الشخصية، وقام مساعد الحاكم السياسي لذلك الوقت ـ لسوء الحظ ـ بالأخذ بمستنداته بصورتها الشكلية وأمر بإعادة حقوقه له.. غير أن الأمر لم ينفذ وبقي النزاع والمشاكل قائمة... وفي الأشهر المنصرمة، أثيرت الشبهات حول صحة هذه السندات (والتي هي بطبيعة الحال تركية) وعليه فقد أرسلت إلى بغداد لدراستها ثم أعلن عن بطلانها بأنها ليست ذات قيمة[2]. لقد كانت مهمتي التحري عن أحقية ملكيتها للثلاثين

(١) المقصود هنا هو الشيخ سلمان الظاهر رئيس آل مروزق من عشائر الخزاعل ولهم الرئاسة على هذه العشيرة العريقة في الأصالة.

(٢) كانت المعاملات (السنيّة) في العهد العثماني والتي تشمل بيع أموال الدولة تُرسل إلى العاصمة ـ الآستانة ـ للمصادقة عليها وتوقيعها من قبل الوزير المختص لذا كانت تسمى =

سنة التي مضت. وعليه تقرر إحالة الأمر إلى النجف للبت في القضية وأخبرت الحضور بذلك، بعد ذلك حدث تطور مهم، فقد طالب السيد محسن بحضور شاهدين كانا شخصين مهمين من شيوخ الخزاعل أنفسهم ممن كانوا من المحاربين للأتراك[١].

والآن، إحدى زوجات السيد محسن العديدات هي من الخزاعل... أما الطرف الآخر، فإن والده متوفى، وفي أيام عزّه قبل أربعين عاماً كان أكبر الشيوخ قاطبة في عشائر الخزاعل... والآن هذان الشيخان، اللذان طلبهما محسن، ذهبا بعد اجتماعي معهما إلى محسن وناشداه قبول وساطتهما وفي النهاية وافق على طلبهما... لقد اقترحا أن تقسّم الأرض إلى جزئين متساويين وإعطاء كل حصة منها إلى طرفي النزاع وبقائهما خارج حدود الأرض المتنازع عليها.. اعتقد سوف نقبل جميعاً بهذا العرض شاكرين وبذلك ننهي ثلاثين سنة من الحرب.

هذا عرض مختصر، وإني لعاجز عن إعطاء الصورة الحقيقية للأشخاص.. هؤلاء هم شيوخ الصحراء من الخزاعل ممن لهم سوابق الغزو والسلب، مقارنة بالمثالية الذاتية

= المعاملات السنية. وهذه العملية تأخذ أشهراً بين إرسالها وإعادتها إلى بغداد وفي كثير من الأحيان تُفقد ولا تعود نظراً للفوضى التي كانت سائدة في دوائر الدولة العثمانية، وفي عهد عبد الحميد الذي جاء بإصلاحات إدارية واسعة، منح الولاة بعض الصلاحيات، من جملتها بيع أراضي (الطابو) والأراضي العائدة للسلاطين وتفادياً لتأخير المعاملات بوجوب توقيعها من قبل الوزير المختص في الآستانة فقد جُهزت مقرات الولاة بسندات الدولة العثمانية موقعة ومختومة من قبل الوزير المختص. وما آن تتم عملية البيع حتى يدخل اسم المشتري في السند وتوقع من قبل الوالي (بالطبع) مع الرشوة المتعارف عليها في ذلك الوقت.

كانت السندات المشار إليها للأراضي التي اشتراها سيد حسن أبو طبيخ من هذا الصنف إلا أن الذي حدث، هو أنه عند ما اصدرت السندات للسيد حسن، كان الوزير الذي ختم عليها في ذلك التاريخ قد طرد من منصبه منذ أمد طويل ولم ينتظر الوالي في بغداد إصدار سندات أخرى تحمل ختم واسم الوزير الجديد، لأن ذلك أيضاً غير مهم نظراً لسرعة تبديل الوزراء والمهم في الأمر هو إصدار سند يحمل اسم المشتري... وهذا ما أثار اعتراض طابو بغداد على سندات السيد حسن أيام الاحتلال البريطاني والتي اشار إليها كابتن مان، إلا أنهم أعادوا النظر في قرارهم هذا، ليس من أجل السيد محسن الوريث لها، انما لوجود الاف السندات الأخرى في عموم العراق تحت هذه الصفة وبذلك قبلت الإدارة الإنكليزية بالأمر الواقع.

كانت هذه السندات العثمانية بحوزتي عند وفاة والدي إلا أن محكمة التركات طلبتها بناءً على دعوى من أحد الورثة ولم تُعَدْ لي منذ ذلك الحين.

(١) المقصود هنا الشيخان الأخوان محمد العبطان وسلمان العبطان، ولدا عبطان بن طلال بن بلبول بن شلال وهما من شيوخ الخزاعل.

لدى هذا الملاّك الغني وغير العشائري السيد محسن.

وفي اليوم التالي عقدت اجتماعاً لترتيب خطتي لمشروعي الكبير لتطوير موقع مدينة غماس... حضر حوالي ستين أو سبعين شخصاً، معظمهم شيوخ من مختلف العشائر، وأعيان المدينة وبالطبع السيد محسن الذي هو أكبر ملاّك وتقريباً يملك كل المنطقة. أخذنا اتفاقاً مكتوباً من خمس مجموعات من الحضور (أولاً) سيد محسن شخصياً، الذي تعهد أن يقوم بردم أماكن محددة ومساحات معينة وهي من الأراضي التي يرغب أن تبقى ملكيتها باسمه. وكلفة هذه الأعمال ستكون على نفقته (ثانياً) من ممثلي العشائر في مناطق زرع الرز لتقديم ١٥.٠٠٠ بالة من تبن الرز (ثالثاً) ومن حوالي اثني عشر مزارعاً في حقول البردي لتقديم حوالي ١٠٠.٠٠٠ ربطة بردي لتقوية ضفاف النهر وتعليتها. (رابعاً) ومن شيخين من شيوخ الصحراء لتقديم مائة حمار (خامساً) ومن أعيان المدينة للقيام بمصاريف الحمير وإعداد العمال للقيام بالعمل ورعاية الحمير ونقل البردي والتبن...

ان العمل هذا سيحول المدينة بعد إتمامه، من مكان نتن الرائحة إلى مركز يعج بالناس. إن (غماس) في غاية الأهمية كمركز عشائري ومحطة تسويقية للمئات من البشر من سكان الصحراء الذين يأتون إليها من مسافات شاسعة.. وسوف يبدأ العمل في مطلع السنة القادمة (١٩٢٠) على أن يتم إكماله بعد ثلاثة أسابيع وقد طلبت من الميجر (نوربري) إعارتي بعض المهندسين والإداريين للإشتغال في المشروع[1].

إلى والدته
أم البعرور
٢٨ كانون الأول ١٩١٩

... ذهبنا أنا والكابتن وكن بزورقي البخاري إلى نقطة تبعد حوالي خمسة عشر ميلاً عن تقاطع طريق الحلة والنهر لمقابلة المس بيل، لقد كانت مناسبة مفرحة لي. ولم يكن لدي فكرة عن مجيئها وكانت لدي رغبة كبيرة لرؤيتها مرة ثانية. وصلت في الساعة الثالثة والنصف بسيارة من الحلة، وعدنا معها وخدمها وأمتعتها بالزورق... كانت تتكلم معظم الوقت عن أسفارها.. وأسرارها المسلية.. ولديها معلومات مثيرة عن هذا البلد ويمكنها أن تتكلم عن شيوخ المنطقة وكأنها صديق قديم لهم وتعرفهم بأسمائهم.

وفي ٣٠ كانون الأول، زارت المس بيل يصحبها كابتن وكن الشامية وغماس

(١) المصدر الإنكليزي: الصفحة ١٨٥ ـ ١٨٨

ومقر الكابتن مان الذي كتب إتماماً للرسالة اعلاه:

لقد قضت ليلة هنا قبل سنتين وتعرفت على بعض أهالي البلدة وزارت العديد من الأماكن والجميع كان مسروراً بحذر من مجيئها[1].

الى والدته
٩ كانون الثاني ١٩٢٠

نجاح مشروعي في غماس يكاد أن يكون نجاحاً عظيماً بعد أن كاد أن يكون فشله مؤكداً... فعندما ذهبت إلى هناك في الخامس من الشهر وجدت أن حوالي ربع البرك الآسنة قد اختفت وأن المكان مليء بالعمل الجاد والتفاؤل، وبالطبع واجهتنا بعض الصعوبات... وعندما رجعت إلى مقري في السابع منه كان مقدار ما استلم من التبن يبلغ ١٢.٠٠٠ بالة و١٥.٠٠٠ ربطة من البردي والمائة حمار بمجموعها في العمل إلا أنها كانت صغيرة الحجم من النوع الذي يستعمله أهل الصحراء، وليست من الحمير الكبيرة التي تستطيع تحمل نقل الاثقال الضخمة في كل سفره.. لقد كان أهل غماس أحسن عملاً عن الآخرين ممن لم أكن أثق بهم (كونهم مستقلين عن نفوذ الشيوخ وعليه فسلوكهم العام هو الشعور بعدم المسؤولية ومن الصعب الابقاء على وعودهم)... اما العشائر فقد جاءت للعمل بكل رغبة وبشعور أن لهم مصلحة عامة في هذا المشروع... وبنفس الوقت في ١ كانون الثاني (يناير)، اجريت تبديلاً لمعظم موظفي البلدية ممن وجدتهم مرتشين ولاحظت أن العربي لا يوجه تهمة الفساد إلى الموظف الا بعد أن يتم فصله من عمله، حينذاك نسمع ونكتشف فيما إذا كان الإجراء بعزل الموظف صحيحاً... فمثلاً وجدت أن عامل العبّارة (الطبكة النهرية) كان يأخذ أكثر من التعريفة ففصلته وبذلك فرح الأهالي واستراحوا منه.

سوف اعود إلى غماس في حوالي ١٩ أو ٢٠ منه حيث اتوقع أن اجد أن المرحلة الأولى من المشروع قد تم انجازها الا وهي ردم كافة الحُفر والمنخفضات والسواقي المليئة بالمياه الآسنة النتنة. المرحلة القادمة هي المباشرة بإنشاء الشوارع وتعليتها بالأتربة، عليه سوف احتاج لتأجير مائة حمار وجلبها من الكوفة بسعر خمس ربيات لكل مائة تحميلة... كما أني سوف أشجع قيام الأهالي ببناء الدور من الطابوق أو اللِبن (الطابوق غير المفخور) بدلاً عن الصرائف، وبذلك أسيطر على هذه الفوضى الحضرية التي تعم المدينة والتي كأنها بوضعها الحالي أشبه بزريبة في بستان.. أتوقع أن يكلفني هذا العمل الجديد حوالي ٢٠٠٠ ربية سوف أحصل عليه من صندوق البلدية.

---

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ١٩٠ ـ ١٩٢

أما الكلفة العامة للمشروع الذي ستقوم بنفقاته العشائر وأهالي المدينة وكحد أدنى فهو كما يلي:

ربيات	
٧٥٠	١٥.٠٠٠ بالة تبن
٢٥٠	كلفة النقل النهري للتبن
٥.٠٠٠	١٠٠.٠٠٠ ربطة من البردي
٢.٥٠٠	كلفة النقل النهري للبردي بحد ربع ربية لكل ألف ربطة
٣٠٠	١٠٠ حمار لمدة ثلاثة أسابيع
٢.٥٠٠	٢٠٠ عامل لمدة ثلاثة أسابيع
١١.٣٠٠	ربية أو ما يعادل ١.٢٠٠ باوند إنكليزي (ذهب)

ويجب الاشارة هنا أنه لو قامت الحكومة بالمشروع أو على يد مقاول فإن الكلفة لن تقل عن ٢٠.٠٠٠ ربية أو أكثر بكثير وعليه فإن أداء الأهالي هذا يستحق الثناء...

وإلى جانب الارقام أعلاه، فان ملاّك غماس العظيم، سيد محسن أبو طبيخ، يقوم وعلى نفقته الخاصة بتنفيذ جانب من المشروع بما يعادل السدس إلى جانب تحمله لحصته من المبلغ أعلاه رغم أن ذلك سوف يكلفه ٢٠٠ باوند إنكليزي (ذهب) إضافية[١].

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ١٩٥ ـ ١٩٩



مشروع السدود حول مدينة غماس عام ١٩١٩

إلى والدته
أم البعرور
٢٥ كانون الثاني ١٩٢٠

كان الكابتن مان قد سافر إلى بغداد مع رئيسه الميجر نوربري، وهناك قابل المس بيل وهذا ما كتبه:

... تجربتي المثيرة جداً في بغداد كانت عندما ذهبت لزيارة المس بيل صباح أحد الأيام. وجدتها تتحدث إلى «عقيلي» وهو من عربان البادية جاء لتوه من الجزيرة.

ثم يصف مقابلته لولسن (كولونيل) فيقول:

... جرت لي مقابلة مع الكولونيل ولسن: قال لي إنه بحاجة أكيدة لي في بغداد إلا أنه أجل ذلك إلى الخريف القادم.. كما حذرني من أن يكون لي أي ارتباط عاطفي بمنطقتي.. فأخبرته أن ما توقعه هو الصحيح... وإني لا أرغب بأي حال بالانتقال ولا زال لدينا متسع من الوقت[١].

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٠٤ ـ ٢٠٥

الى والدته
غماس
١ شباط ١٩٢٠

أنا هنا في جولة مع الميجر لتفقد عملي العظيم في المنطقة.. البارحة تفقدنا الأعمال الجارية داخل المدينة.. والسوق وتقوية سدود النهر وتعليتها بحيث أصبحت أربع درجات (سلّم) نزولاً إلى الماء، وعبّارة أحسن من سابقتها، والطرق داخل المدينة والنظافة العامة وسدود الفيضان التي تبلغ حوالي ميل ونصف الميل طولاً والتي تطوّق المدينة بصورة دائرية مع بعض البساتين.. وبعد الغداء خارج المدينة عدنا إلى غماس فوصلنا وقت الغروب وتناولنا العشاء مع السيد محسن في مضيفه حيث كان السيد محسن في غاية الأبهة والهيبة القدسية. وفي الصباح أتممنا تجوالنا وفي الحقيقة سررت بالنجاح في كل ما شاهدناه. إذ أن أكثر من نصف المدينة الآن أصبحت خالية من المياه الآسنة والاوحال ولم يتبقَّ أي اثر للروائح الكريهة، هذا ولازال العمل مستمراً على اتمام النصف الآخر من المشروع... لقد تعبت الحمير من كثرة العمل مما دعاني إلى إعادتها إلى صاحبها لتستريح... يتضح أيضاً أن الأهالي قد راق لهم ما توصلت إليه خاصة ما تم عمله إضافة إلى التعيينات الجديدة في إدارة البلدية[١].

إلى كابتن أف. بيانس
أم البعرور
٢٧ شباط ١٩٢٠

... سألتني عن معنى (السيد)، وهي تعني كلمة (sir) السيد في إنكلترا؛ لكن عند الشيعة، وهم عموم سكان منطقتي، هذه الكلمة لها معنى خاص لديهم، إذ أنها تعني الانتساب إلى الإمام علي صهر النبي ﷺ. وهناك عدد كبير من السادة في النجف والأرياف حولها، إلا أن العديد منهم يُشك في انتسابهم، وفي الحقيقة أن العديد منهم لايمكن الوثوق التام من نسبهم. إلا أن البعض منهم يتصفون بقدسية عظيمة مثل السيد محسن أبو طبيخ صاحب غماس الذي يأتيه الناس للصلاة في داره ويلطخون جدرانه بالحناء متبركين وطالبين البخت والنذور، وإن شجرة عائلته موثقة...[٢].

---

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٠٧ ـ ٢٠٨

(٢) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٢٢ ـ ٢٢٦

إلى الآنسة أ. إم. رووث
غمـاس
١ نيسان (عيد المزاح)

... الريف هنا مغطى بحلة الربيع، وما عدا أزهار أشجار الفواكه (والتي تقريباً اختفت الآن) فأنه لا وجود للاوراد بصورة قاطعة. ولي وطيد الأمل بزراعتها قريباً، إذ إنه بالامكان زراعة أي شيء على وجه الأرض في هذه المنطقة فيما إذا اعتني بسقايتها ورَيّها[١].



حقول الرز في غماس عام ١٩١٩

إلـى والـده
أم البعـرور
١ نيسان (عيد المزاح)

أنا الآن استعد للذهاب إلى غماس، حيث سأقوم بزيارة أهل الصحراء ويسموّن آل شبل... سوف أصل غماس هذا المساء وغداً صباحاً اتوجه مع مأمور المدينة خليل

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٤١ ـ ٢٤٣

إلى مضاربهم وأقوم بمعاينة مزارعهم من الحنطة والشعير... وسوف أجتمع مع الحاكم السياسي للرميثة في إمام نبي عيسى للتحقيق في نزاع آل شبل والسادة البو مكوطر حول حقوق المياه والري.

لا أدري أين سوف أقضي الليل هناك، لأن آل شبل هم من سكان بيوت الشعر، عليه فاني سوف احمل خيمتي معي...[1].



سوق غماس عام ١٩١٩

إلى والده
أم البعرور
١٤ مايس ١٩٢٠

يوم أمس استلمت ما أعتبره رسالة شرفتني وحرّكت مشاعري قدّمها لي أهالي مدينة غماس يعربون عن شكرهم على ما قمت به من بناء سداد الفيضان حول المدينة وحمايتها من الغرق وقد ثبتت فاعليتها مما طور الكثير في حياتهم الصحية. إنها وثيقة مبهجة، إلا أنها بخط غير جيد ولم يتسنَّ لي قراءتها بإمعان، قدمها لي مدير البلدية

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٤١ ـ ٢٤٣

والذي صاغ كلماتها بصورة عامة كما اقترح أن أبعثها إلى الجهات العليا وإلا فإنهم سيكتبون مثيلتها ويقدمونها إلى الميجر نوربري[١].

صورة الرسالة في الصفحة التالية

وقع على الرسالة كل من:

السيد محسن أبو طبيخ، عبد الرضا الشيخ مهدي، خزعل، كاشي الحاج علوان، فطنان الجوهر، موجد الكريدي، مهدي السلمان، حسن العلي، رفيش، عاشور العطيوي، جابر زغير، عبد الفهد، عباس، ملا جدّوع، هلال عبد الحسن، عزوز الصالح، حسن الشيخ عبيد، خشيش ابن الملا ياسين، عبود البويهي، علي آل باهي، سيد حسين سيد محمد، محمد آل حسين، طاهر الملا جدوع، جاسم الحسين، حاج محمد، عبد الله الرشيد، حسن المحمد، حسين تلاّل[٢].

في ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٧

---

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٠٥

(٢) المصدر الإنكليزي الصفحة ١٥٩ (النص العربي) ٣٢٩ (النص الإنكليزي).

ام البعرور حضرة حاكم الشامية
الكبتن مان دام علاه

اننا سكان قصبة الحزم داخل شعبة الفرات نقدم مزيد تشكراتنا لجنة الحكومة المعظمة البريطانية لما نالنا
من الامتنان في تعيين حضرتكم حاكماً سياسياً في ام البعرور قضاء شعبتنا المذكوره حيث انه في سنين الماضيه
بكل سنة وقت طغيان المياه يستولي الماء على قصبتنا فنكون مسلوبين الاستراحه بمنع الماء عن مساكننا
ومنا لمزرعة على بيوتنا واموالنا من الغرق حتى اننا لم نزل نعجز عن المدافعه فيدخل الماء في القصبه فيوجب
تمام تضررنا ولما حضرتكم حليتم بركزام البعرور ووافيتم بلادنا وناظرتموها بعين رأفتكم امرتم على
السنا ير بانشاء روفه محيطه بالقصبه وبناءً على امر حضرتكم العالي اجتمعت السنا ير وعملوا روفه تبلغ
الفين متر طولاً وثلاثة امتار عرضاً ومترين ارتفاعاً وقد كملت باحسن عمل وبمدة خمسين يوم كسبنا
الاستراحة التامة مما كنا نقاسيه من الاخطار التي تصدر علينا من فيضان المياه ولا شك انه من
الآن وصاعداً بواسطة التفاتة حضرتكم في هذا الاثر الخيري تتسع بلادنا وتأخذ بالترقي
والعمران ونكون قد [illegible] وكل هذا بقدوم حضرتكم موفقيتكم فايضاً نقدم لحضرتكم تشكرات
والثناء متعددة من عموم نفوس الساكنة بالقصبة المذكوره رجالاً ونساءً واطفالاً لحضرتكم
هذه الخدمات وسؤلنا بنظركم العالي نسئل انه يطيل بقاكم في هذا المحل وموفقكم لصالح
رعيتكم هذا ودمتم سعداً بدايت موفقيتكم ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٧

الداعي عبد الرزاق
الداعي مزعل

كتاب أهالي مدينة غماس إلى الكابتن مان حاكم الشامية

إلى والده
أم البعرور
١٧ حزيران ١٩٢٠

نحن الآن في وسط موجة عارمة من الأحداث السياسية المثيرة بسبب التعصب الديني والوطنية المريضة...

ذهبت يوم السبت إلى النجف فوجدت ولسن هناك حيث جاء صباحاً بطائرته من بغداد... وقد وضعنا خططنا الوقائية في حالة الطوارئ المحتملة... (مقدمات الثورة)

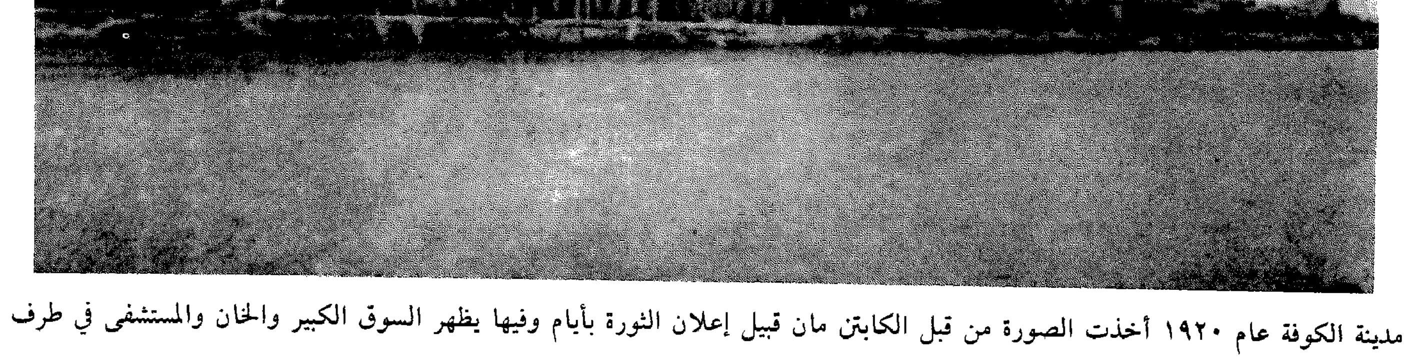
... وباستثناء جرثومة أو اثنتين في غماس، والتي بإمكاني القضاء عليها بدون أي مشاكل وعناء... فإن بقية المشايخ والذوات يتصرفون بصورة حسنة خلال هذه الأيام[١]...

❀ ❀ ❀

في ٢٢ حزيران ١٩٢٠ فيما كان كابتن مان بمعية ميجر نوربري محاصرين مع قوتهم في الكوفة من قبل الثوار أصيب بإطلاقة نارية من قناص اردته قتيلاً في الحال.

---

(١) المصدر الإنكليزي الصفحة ٢٨٤ ـ ٢٨٦



مدينة الكوفة عام ١٩٢٠ أخذت الصورة من قبل الكابتن مان قبيل إعلان الثورة بأيام وفيها يظهر السوق الكبير والخان والمستشفى في طرف اليسار من الصورة.



الفصل الثالث

ثورة العشرين

١٩٢٠ ـ ١٩٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

صدق الله العظيم

سورة التوبة ـ ١٤ ـ

في النوادر

وإنها دلائل المشتركين فيها

منهم من كتب عنها بما يسمعه بأذنه مثله مثل

أبا مخنف أما الكوفة [illegible] حيث أنه يشكل هذه وذاك

وهو أجنبي وليس عراقي له

وبهذا الخبط ضاعت حقيقة الثورة وطمست

معالمها الصحيحة

وإني في هذه النبذة التي أريد أذكرها عن

حقيقة أمر الثورة العراقية لا أريد أقصد الرد

على أولائك الكتاب على ما ذكروه من أمور منها فقط

في كتبهم من غلط وأكثر ذنب ومنها فقط [illegible]

~~في الكتاب الواحد من تلك الكتب~~ بل الذي يتوجب

[illegible] الله أولائك الكتاب وعفا عنهم

وإن كل ما أريد أذكره عنها كفرصة لذكر ما

تأسيس الدولة العراقية وتكون كيانها ~~للوضع~~

~~[illegible]~~

~~[illegible]~~

~~[illegible]~~

~~[illegible]~~ ذلك أثبت ما ذكرته آنفاً في [illegible]

ما صح من أن الشعب العراقي هو الذي كون كيانه

مخطوطة مذكرات السيد محسن أبو طبيخ التي دونها عن ثورة العشرين

ثورة العراق الكبرى
ثـــورة العشريـــن

لقد تخبطت أقلام الكتاب في تدوين أحداث ووقائع الثورة وتاريخها وصدرت كتب متعددة ومتناقضة عنها. وكل كاتب سلك طريقه الخاصة لغايته المقصودة. فذاك ادعى الثورة لقومه وعشيرته وآخر حولها إلى ثورة قامت بها عائلته، فهو وذووه وقومه كانوا «الكل في الكل» وأن جميع من اشترك في الثورة من العشائر والأفراد ما بين تابع لهم أو مسوّق من قبلهم. ومنهم من هو جاهل لأمرها لأنه ليس من الثوار ولا من المشتركين فيها ولم يقرأ المراجع التاريخية عنها أو يستند إلى اقوال الأحياء من المشاركين فيها فتكون عوناً صادقاً للمساهمة في إحقاق الحق وقطع دابر الادعاءات وتزييف تاريخ الأحداث لأغراض شخصية أو لأهداف سياسية لا تخرج عن نطاق التعصب لمبدأ ما أو لعقيدة عمياء.. وجراء ذلك وهذا التخبط، ضاعت حقيقة الثورة وانطمست معالم أحداثها الصحيحة. وإني في الوقت الذي أجد نفسي عاجزاً عن سرد تاريخ الثورة لضخامة سفرها فإني لا أريد أن أرد على أولئك الكتاب لتصحيح ما ذكروا من متناقضات وتحريف وادعاءات في كتبهم.. ألا سامح الله أولئك وعفا عنهم. فالتاريخ يحفظ الحقيقة مهما تطاول عليها الزمن.

وكل ما أريد ذكره عن هذه الثورة هو لأثبت ببراهين ناصعة من أن الشعب العراقي هو الذي كوّن كيانه، وهو الذي أسس دولته العراقية وكون كيانها نتيجة لما قدمه من تضحيات. إن الثورة العراقية الكبرى على الاحتلال الإنكليزي كانت واقعة لا محال من ذلك أبداً. وإن وقوعها في الثلاثين من حزيران من العام ١٩٢٠ كان سابقاً لأوانه، لقد عجل الإنكليز

بوقوعها لجهلهم بنفسية الفرد العراقي الأبية وكثرة أخطائهم السياسية التي ارتكبوها في عموم البلاد، لقد اعتقدوا أن الشعب العراقي يتحمل الظلم ويقبل الذل والهوان مثل بعض الشعوب التي استعمروها، ولولا ذلك التفكير الخاطئ والتزامهم سياسة العنف والشدة وخاصة في مدن الفرات الأوسط وأريافه لكان أسلوب المطالبة السلمية قد استمر معهم للحصول على الاستقلال والتدرج في تحقيق المطاليب الوطنية بدءاً بتشكيل الحكومة الوطنية ولاستمر معهم التفاوض لأكثر من سنة طالما نحن نشعر بأننا على حق وعلى الطريق الصحيح، سيما وأن مطالبينا أخذت تصل إلى العالم الخارجي وأخذت تحظى أن لم أقل بالعطف ولكن على الأقل بالنظر اليها والاطلاع على مصداقيتها حتى من قبل الساسة الإنكليز والصحافة الإنكليزية في لندن[1].

كان موقف السياسة البريطانية حيال مستقبل العراق السياسي المتمثلة بإدارتها في بغداد مشتتاً بين قرارات من الحكومة البريطانية وحكومة الهند ونائب الحاكم العام ولسن الذي كان على خلاف تام مع الجهتين المارتي الذكر ـ حكومته في لندن ومقره لدى حكومة الهند ـ وقد بلغ هذا الخلاف ذروته في أحداث الاستفتاء من عام ١٩١٨ واستمر بالتصاعد عام ١٩١٩. ونتيجة لسياسة المماطلة وكسب الوقت التي اتبعها الإنكليز شدد إخواننا الأحرار في بغداد والكاظميين بالتأكيد على مطاليبهم الوطنية، فكثرت الاجتماعات والمؤتمرات بين اقطاب الحركة واستغلت المناسبات الدينية لجمع شمل الطوائف المسلمة وغير المسلمة وكانت الجوامع مراكز لهذه الحركات إلى جانب الأماكن الأخرى ومنها تم رفع العرائض والمضابط وكلها تتضمن المطالب الوطنية وقد صاحب ذلك قيام المظاهرات في بغداد نودي فيها بسقوط الاستعمار والمطالبة بالاستقلال ولما استفحل الأمر وتعاظم الضغط، نزلت قوات عسكرية كبيرة يتقدمها قائد موقع بغداد بسيارة مصفحة في شارع الرشيد وانتشر الجيش بكامل عددهم وعدتهم وفرقوا المتظاهرين

---

(١) الدكتور وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية «الاستقلالية في العراق» مركز دراسات الوحدة العربية ـ الطبعة الثانية ١٩٨٥ راجع ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ وص ٤٠٥.

بالقوة، ثم ألقي القبض على عدد كبير من الأشخاص البارزين من أبناء بغداد وصدر أمر بنفيهم إلى جزيرة هنجام[1]. وبتنسيق مع رجال العمل الحر في بغداد امتد العمل السلمي هذا بتشكيل الوفود وإعداد المضابط وأحياء الموالد إلى كل من مدينتي الحله وكربلاء... فضاق حاكمها السياسي الميجر بولي بأعمال الوطنيين هذه وساق أحرار هاتين المدينتين نفياً إلى جزيرة هنجام[2] متجاهلاً بعمله هذا إنذار ونصح آية الله محمد تقي الشيرازي ومتحديه شخصياً بنفي نجله مع من تم نفيهم. (راجع الصفحة ١١٥). واستنتاجاً من تطور الحوادث في بغداد والكاظميين والحلة وكربلاء وإجراء الميجر بولي الاستفزازي بنفي نجل آية الله الشيرازي ومن اتصالاتنا المستمرة مع رجال بغداد وتبادل الرأي معهم من قبل وفودنا المرسلة إلى الكاظميين وإيفادهم وجهاء القول فيهم إلى النجف للاجتماع برجال الفكر ورؤساء العشائر في الفرات، أصبح جلياً لدينا أن إجراءات القمع والنفي والتسفير سوف تصل إلينا إن عاجلاً وليس آجلاً[3].

الإقامة الجبرية في غماس

لقد حدث ماتوقعناه، ففي المناطق الخاضعة لسلطة حاكم الديوانية الميجر ديلي التزم هذا الضابط سياسة الشدة[4] والتحقير والإهانة المتعمدة

(١ ـ ٢) الأشخاص الذين نفاهم الميجر بولي من مدينة كربلاء هم: الشيخ محمد رضا نجل آية الله محمد تقي الشيرازي والشيخ عبد الكريم العواد ومحمد شاه الهندي وأحمد القنبر والشيخ عمر الحاج آل كمونه والشيخ كاظم أبوذان والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ عمر الحاج علوان وإبراهيم أبو والده وعبد المهدي القنبر والسيد أحمد البير وعثمان العلوان.
والمنفيون من مدينة الحلة هم: رؤوف الأمين والسيد أحمد سالم وخيري الهنداوي وعبد السلام وجبار علي الحساني وعلي الحمادي الحسن.

(٣) بهذه المناسبة أصدر الإمام الشيرازي كتاباً ينصح بتوخي الحذر والتشديد على تجنب العنف، الوثيقة رقم ٢٩ ملحق الوثائق.

(٤) الدكتور وميض جمال عمر نظمي: المصدر السابق الصفحة ٢٤٧
«ورفض البوجريب ـ السماح بتخمين حاصلاتهم لجباية الواردات ـ وفي ٣١ أيار ١٩١٨، تم قصف بعض القرى في قضاء الرميثة من قبل القوة الجوية الملكية».
وفي أيار ١٩١٩تحدت عشائر الرميثة الإدارة مرة أخرى «وجرت غارات جوية لبضعة أيام ضد قرى هذه العشائر وكانت النتائج مرضية...»
ما جاء أعلاه مأخوذ عن الوثيقة البريطانية:
C.O. 696/2"Administration Report of Diwaniyah Division for1919".p. 10

مع الرؤساء بمناسبة أو بدون مناسبة، ولغرض الاستفزاز الواضح والإثارة المتعمدة، أمر أن توضع علائم بارزة تحيط بمدينة الديوانية من جهاتها الأربع وعلى بعد كيلومتر واحد عن المدينة ووضع الحراسات في تلك النقاط ثم باشر بإصدار اوامره إلى حكام المناطق والأقضية أن «أرسلوا لي الرئيس الفلاني» فيبلغ بما طُلب منه، ويُؤمر بالذهاب إلى الديوانية لمواجهة الميجر ديلي. ولعدم وجود السيارات في ذلك الوقت ووسائط النقل كانت اما العربات أو الخيل، والأخيرة هذه سائدة أكثر من غيرها، كان المطلوب يتوجه راكباً فرسه وبمعيته عدد من قومه. وحين وصولهم إلى نقاط الحراسة التي أشرت اليها آنفاً يقوم الحراس بأخذ خيولهم ويؤمر هو ومن معه باتمام سفرته إلى داخل المدينة ماشياً وليس لهم سوى إطاعة الأوامر وتنفيذ ما يُطلب منهم والاستمرار بسفرتهم مشياً إلى داخل المدينة. ولم ينته الأمر بهذا التصرف الغريب، فبعد وصول ذلك الشيخ إلى دار الحكومة ومراجعته سكرتير الحاكم الميجر ديلي، يبقى في دائرته ساعات ثم يبلغ بالخروج من الصراي (دار الحكومة) ويبقى في البلد حتى يُطلب منه الحضور لمقابلة الحاكم. ويستمر الانتظار لأيام وليالٍ متعددة، متوقعاً أن يطلبه الميجر، ولا يُسمح له في العودة إلى محله وأهله بالرغم من مراجعاته المستمرة إلى دار الحكومة لفهم سبب طلبه وتركه ينتظر بدون جدوى. هذا مثال على خُلق هذا الحاكم وأسلوب من أساليبه الخبيثة في امتهان المشايخ والاستخفاف بهم وفي معظم الاحيان، وبعد انتظار أيام يُطلب منهم العودة إلى ديارهم بدون مقابلته وهذا أكثر ما يمكن أن يتحمله أي انسان أبيّ[1].

---

(١) العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، قدم له عبد الحميد العلوجي، الصفحة ١٧٩ ـ ١٨٠ «١٢ايلول (ب): أن الهاجس الذي يستبد بالسر ايلمر في الوقت الحاضر هو أن ثورة العشائر تُعزى في الدرجة الأولى إلى كره شخصي للحكام السياسيين. ومن المؤسف أن يكون هناك شيء من الصحة في هذا الرأي بالنسبة للديوانية ـ ولا يعني ذلك أن الثورة سببها كره العشائر للميجر ديلي، لكن كونهم يكرهونه قد عجّل بالأمور. لقد بدأت الثورة في الديوانية ـ إذ انكسر الثلج في أخف مكان ـ » الصفحة ٢٠٤» ١٧ تشرين الأول (ب): . . . ومما جعل الكأس أكثر مرارة أن الشخص الذي «ساق» الوجهاء كان الميجر ديلي الذي يعتبره جميعهم مسؤولاً بالذات عن ثورة العشائر»

كتاب سادة الشامية وشيوخها وقد وقعه السيد محسن أبو طبيخ الموجه إلى مشايخ الرميثة من أجل التعاون معهم للاحتجاج على سياسة الإنكليز بنفي نجل الإمام الشيرازي

[كتاب من سادات وشيوخ الشامية إلى شيوخ الرميثة]

أدناه كتاب مهم بتوقيع زعماء الشامية (توقيع السيد محسن أبو طبيخ أقصى اليسار) إلى شعلان أبو الجون وغثيث الحرجان من أجل توحيد جهودهم.

[كتاب سادات وشيوخ الشامية إلى شعلان أبو الجون]

وإمعاناً في سياسة الإذلال والعجرفة أمر هذا الحاكم جمع الحشور (عمال العشائر) من كافة عشائر اللواء وامرهم بحفر نهر من هور ابن نجم إلى شط الديوانية والموجود حالياً ويعرف باسم الجدول[١] ويقع عليه في الوقت الحاضر مركز ناحية المليحة وعليه محطة القطار التي تسمى محطة الجدول وهي تبعد عن الديوانية بمسافة خمس كيلومترات تقريباً. كان أمره يقضي بحضور كل رئيس عشيرة بنفسه مع أفراده وحاشيته والعمال العائدة له ويقيم في منطقة العمل معهم. ومن ساعتها كان مفهوماً لدى الجميع أن قصده من ذلك أولاً إشغال أفكار الرؤساء وعشائرهم عن المطالبة بالحكم الوطني وتشكيل حكومة عراقية تدير شؤون البلاد. . . وثانياً إذلال الرؤساء وخاصة أولئك المشتغلين بالحركة الوطنية، إذ اوجب عليهم الحضور على رأس العمال العائدين لهم وهذا خلاف لما هو متعارف في المجتمع العشائري إذ أن كل رئيس إذا ما أرسل عماله يرسلهم بمعية وكيله الذي يشرف على أعمالهم واحتياجاتهم.

شاءت الأقدار أن تخيب ديلي وما كان يريده، إذ بعمله هذا الذي يفتقر إلى سوء التقدير وجهل تام بذكاء الفطرة الذي يمتلكه العربي جعل من ذلك التجمع خير مؤتمر يجتمع به الرؤساء كلهم مع عشائرهم في مكان واحد وتحت مؤثرات التعسف والظلم جرى تبادل الآراء فيما بينهم حول ما يمكن أن يقوم به كل منا لمحاربة هذا المحتل البغيض. بعد أن تحقق لنا نواياه السيئة وبعد فترة قصيرة من وجودنا في هذا المعسكر للعمل القسري تم الاتفاق على توحيد الكلمة خاصة فيما إذا جرى أي اعتداء على أحد الرؤساء أو العشائر فإن الجميع يهبون إلى نجدة ذلك الشخص أو العشيرة مهما كانت الأسباب. وقد انتخبنا بالإجماع الشيخ المرحوم الحاج مخيف

---

(١) كرترود لوشيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب بين سنتي ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ ترجمة جعفر خياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧١ص ٢٤٤ ـ ٢٤٩: «مشروع الاستثمار الزراعي» «وضع ضابط الواردات الأول في تموز خطة المشروع الملمح إليه قبل هذا. وقد أطلق عليه رسمياً «مشروع الاستثمار الزراعي» وكان الغرض منه توسيع منهج ري الفرات على فرعيه وجعله يشمل تطهير جميع الجداول. . . . وكانت تشمل هذه الوسائل على السيطرة السياسية، لتظل القبائل هادئة والفلاحون قادرون على الإنتاج».
«ويجب الاضطلاع بالصرف على المدى الضروري لإنتاج الحبوب والعلف المطلوب للأغراض العسكرية، علاوة على تجهيز الاقوات الاعتيادية للبلاد. . »

رئيس[١] عشائر عفك إذ أنه أكبرنا سناً زد على ذلك هيبته ووقاره وما يكن له الجميع من الاحترام. كُلف الحاج بالذهاب إلى الميجر ديلي ممثلاً عنا ليقدم له النصح بتوخي المعاملة الحسنة ويحذره من المضي في سياسته الهوجاء ضد العشائر وشيوخها. وما أن جرت المقابلة وشرع الحاج مخيف بكلامه حتى استشاط ديلي غضباً واعتبر نصيحته تهديداً شخصياً له، فأمر بإلقاء القبض عليه وادخل لمركز التوقيف حتى وصل قطار بغداد النازل إلى البصرة فأركبه مخفوراً وكأنه مجرم اقترف ذنباً عظيماً وبقي مسجوناً في البصرة ثم أرسل إلى جزيرة هنجام منفياً، ولاعتلال صحته، نقل إلى الهند وبقي في معتقلاتها إلى أن صدر العفو العام بعد الثورة.

وبعد ما يقارب الأسبوعين من تسفير الحاج مخيف، وردتني من الميجر ديلي رسالة (صورتها مرفقة مع هذه المذكرات)[٢]، يطلب مني فيها ترك العمل والحضور لمقره في الديوانية، وكان من البديهي والمؤكد أن مصيري سوف يكون مثل مصير الحاج مخيف، بعد أن تحقق عنده بواسطة جواسيسه المبثوثين في موقع العمل من أني وإخواني الرؤساء قررنا كل شيء ضد احتمالات سوء التصرف من جانب الإنكليز. اطلعت المقربين من الرؤساء المشاركين في الحفر على أمر استدعائي وأجمعت الاراء على وجوب امتناعي عن الذهاب إلى الديوانية كما نصحوني بمغادرة المكان فوراً. كان معي في ذلك الوقت العديد من أفراد عشائر الطابو من بني عارض وبني سلامة، كما كان معي من غماس أفراد من آل زياد ورئيسهم المرحوم جري المريع[٣]. غادرت موقع

---

(١) مخيف آل شخَير، هو بن محمد بن شخير بن غانم شيخ عشيرتي عفك والأقرع في زمانه ويلتقون بجد واحد مع عشائر الأقرع وهم جميعاً يعودون بنسبهم إلى عشيرة شمر في جبل حايل، توفي رحمه الله سنة ١٩٤٢.

(٢) فقد هذا الكتاب مع ما فقد من تراث العائلة من وثائق ومستندات وخرائط الاملاك وسنداتها والتي ورثتها عن والدي والتي كانت محفوظة في مكتبتي بداري في المنصور والتي دمرها صاروخ أمريكي في ٣ حزيران ١٩٩٣.

«جميل»

(٣) جري بن مريع بن جادر بن حرامي، وهو رئيس فرع المناذير من آل زياد من فخذ البوعذار، لازم السيد محسن أبو طبيخ في كافة حركاته في ثورة العشرين وهو حامل رايته التي ما تزال في مضيف حفيده الشيخ عليم بجانب جويجة من غماس توفي رحمه الله في سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

العمل يصحبني جري وعدد من الأزلام وأخذنا طريقنا إلى قريتي في العكشة. ومنها بعد استراحة قليلة وأصلنا سفرنا إلى غماس، لقد سلكت هذا الطريق الطويل لتفادي رصد الإنكليز لي فيما إذا مررت عبر الديوانية والشامية وهو الطريق المعتاد إلى غماس.

يتضح أن أمر مغادرتي موقع العمل في الجدول قد انكشف بعد ساعات مما دعى بالميجر ديلي أن يخبر الحكام السياسيين في الشامية وأبو صخير والرميثة بأمر هروبي وبعد يومين من وصولي إلى غماس، وصلني مكتوب من الكابتن مان، حاكم الشامية السياسي، مع مأمور غماس، خليل أفندي، يخبرني فيه بقرار فرض الإقامة الجبرية عليّ وعدم مغادرة غماس إلا بترخيص.

قررت مقابلة الكابتن مان في الشامية لأبين له سبب مغادرتي موقع العمل وما قد يترتب عليه من مشاكل لو أني استجبت لاستدعاء ديلي ورد فعل العشائر لو أنه قام بتسفيري مثلما عمل بالشيخ مخيف. وفعلاً ذهبت إلى الشامية، بعد أن اتخذت الاحتياطات اللازمة في حالة قيام الإنكليز باحتجازي. اصطحبت معي جري المريع وبعض الرجال، وعند وصولي إلى الشامية، دخلت على الكابتن مان الذي كان لا يملك من العجرفة التي يمتاز بها الضباط الإنكليز، فهو متواضع لين العريكة، معتدل في سياسته وغير راضٍ عن أعمال وتصرفات الميجر ديلي. استمع لي كابتن مان بكل جوارحه وقد بينت له أن الخطر على الإنكليز يكمن من سوء تصرفات الضباط امثال ديلي وليس هناك خطر عليهم من جانبنا طالما استمر الكلام بيننا حول شروطنا ونحن لا نحمل تجاههم سوء نية ونأمل استجابتهم أن آجلاً أو عاجلاً لمطالبينا العادلة.

أبلغني المومأ إليه، عن عدم رضاه عن أمر الميجر ديلي، وأنه سيرفع الأمر إلى نوربري بتوصية التدخل في وقف توسيع شقة الخلاف وإضافة المتاعب وأنه وفي مدة قصيرة سيبذل كل ما في وسعه لإقناع الميجر ديلي على تغيير قراره وعدم المساس بحريتي. كنت أستمع لكلامه هذا وانا اتساءل في دخيلتي، كيف التعرف على صحة وحقيقة ما يقوله، وهو أحد الذين يضيقون عليّ الخناق ويترصدون حركاتي ورأيت أن كلماته هذه ما كانت إلا

لتبرير موقف صاحبه ولكي تنتشر بين العشائر للتخفيف من سخطهم المتزايد عليهم جراء ما يقومون به كل يوم من أعمال مثيرة.

غادرت مقر الحاكم المذكور وأنا أفكر في كيفية تجنب هذا التسلط المفروض عليَّ وهل أخبر به أصحابي. وفي حالة رفضهم لهذا الإجراء وتحدي الإنكليز، ماذا سيجري وما هو موقفي، لاسيما وأنا في شغل شاغل بموسم الحصاد الذي يأخذ مني وقتي بتمامه ويتطلب وجودي في مزارعي في الطابو وليس في غماس، كما أن جهودنا في الاجتماعات المتواصلة وتحرير المضابط أخذ يتطلب السفر المستمر بين مدن الفرات الأوسط والمدن المقدسة، كل هذا دفعني إلى اتخاذ موقف تحدي قرار الإقامة الجبرية هذا بصورة لا تثير الإنكليز وذلك بابتعادي عن أرصادهم في ترحالي وإيفاد من ينوب عني مخولاً بتعليماتي إلى أي اجتماع علني ويوقع بختمي الذي ازوّده به على أي مضبطه تنادي بمطالبنا أو لها علاقة بقضيتنا الوطنية.

بعد فشل مشروع الميجر ديلي وإلغاء العمل به بسبب تفرق العشائر كل إلى مضاربه ومحله وذلك للتحضير لموسم الحصاد في مزارعهم وبينما كنت في الشامية اراجع الكابتن مان حول مشروع تقوية السداد حول مدينة غماس الذي ساهمت به من مالي الخاص وذلك لحماية المدينة من فيضانات نهر الفرات العاتية والتي عادة تبدأ في شهر نيسان (ابريل)، وإذا به يوجه لي نصائحه بعدم السير في ركاب العلماء والاستماع إلى ما يقولونه وإن السياسة الإنكليزية هي لمصلحة أبناء المنطقة وأن الاستقلال سيتم منحه على مراحل وختم كلامه بعرض المغريات التي اعتاد هو ورؤساؤه على شراء الضمائر بها وما أكثر ما اشتروه. اجبته بقولي «اعلم يا حضرة الحاكم من أني وكل رئيس من الرؤساء بل كل فرد من العراقيين، رحبنا بإنقاذكم لنا من نير الاستعمار العثماني، ولكن لا نريد إبدال الاستعمار هذا باستعماركم لنا ولبلادنا، إننا نريد البر بوعدكم لنا بمنحنا الحرية والاستقلال التي وعدنا بها قائدكم الجنرال مود». «فنحن نريد الاستقلال وتشكيل حكومة وطنية عراقية، ونريد من بريطانيا العظمى أن تكون صديقة لنا لا مستعمرة وليس عندنا غير ذلك نطلبه منكم، فبإمكانكم أن تحصلوا على صداقتنا مع الزمن بالاستجابة لمطالبينا». غادرته وانا أردد قول الإمام

مشايخ الديوانية عام ١٩١٧ الجلوس من اليمين: منذور العبد الله، الميجر ديلي حاكم الديوانية السياسي ثم سيد كاظم من الدغارة الوقوف من اليمين: جاسب الحميدي، الحاج صكبان آل بدير، شعلان العطية، والحاج فرمان شيخ البحاحثة.

علي كرّم الله وجهه «ثلاث لا ينظر الله إليهم، العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به». وبعد هذه المقابلة لم أكن أكثر مني قناعة قبل الآن من أن أي عمل سلمي نقوم به مع الإنكليز سوف يبوء بالفشل امام إصرارهم وطغيانهم[١]. ولم أكن أكثر تصميماً مع نفسي على وجوب التخلص من هذا الظلم الذي يحل بين ظهرانينا وفي ربوعنا.

حاكم الديوانية الميجر ديلي

أعود بالذكر إلى حاكم عموم الديوانية الميجر ديلي والحشور (عمّال السخرة) التي تقوم بالحفر في موقع الجدول، فبعد أن تم تسفير الحاج مخيف آل شخير إلى هنجام، وبعد إصداره أمر طردي واخراجي من ذلك المجتمع العشائري، توترت اعصاب الرؤساء وانتقل التوتر إلى الأفراد وتزايدت نقمتهم على ديلي وكثرت الهوسات المثيرة للحماس والأشعار الزجلية المشجعة والمحفزّة على القيام بالثورة وهذه الأهازيج غالباً ما تستعمل عند العشائر في مقدمات الحروب فيما بينها.

لقد بلغ كل هذا الميجر وتحققت عنده صحة ما وصلت اليه الحالة من استياء العشائر والغضب والتوتر السائد في الاجواء، زد على ذلك سوء

---

(١) الكابتن جيمس ساموريز مان، إداري في طور الإعداد:
An Administrator in the Making, by James Saumarez Mann, Longmans, Green, and Co. London, 1921
الصفحة ٢٧٨ في رسالة إلى والدته من أم البعرور (الشامية) مؤرخه في ٤ حزيران ١٩٢٠هذا نصها:
«. . . لديهم (يقصد العراقيين) بالطبع، وبالتأكيد مطلب حقيقي واحد والذي سواء نحن أو الحلفاء لم نحترم وعودنا لهم. إذ أن قراءة البيان الانكلو ـ فرنسي المؤرخ في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ والبيان الموجه لأهالي مدينة بغداد عند دخولنا منتصرين في شباط ١٩١٧، سوف تجد أن مطاليبهم حقة، وتعاملنا مع الصهيونية، أيضاً لم تكن خافية عن العيان، وبناءً على ذلك، الدعاية جداً ملتزمة وهم يطالبون من الجماهير برفع صوتها للمطالبة بما وعد به الحلفاء، إذ لم تبدر منهم أي اشارة إلى اللجوء للقوة أو الدخول في الإساءة إلى إدارة الحكومة الحالية، ولا ادري ماذا سنعمل بشأن هذه الوعود التي لم نحترمها. . لا من أحد غير الاغبياء أو الساسة يقدم مثل هذه الوعود، ولكن ما دمنا وعدنا بها فهي بحق ملزمة لنا. . .» انتهت الرسالة
راجع النص الإنكليزي في المصدر أعلاه.

الوضع الزراعي للموسم السابق وشحة المواد الغذائية وقرب حلول موسم الحصاد للموسم الشتوي، فما كان منه غير الإسراع بتسريح تلك الحشور والأمر بترك الحفريات والسماح برجوع الرؤساء وعشائرهم كل إلى أهله ومحله للإعداد لموسم الحصاد المقبل[1].

وفي الوقت نفسه قرر هذا الحاكم البطش بالرؤساء واحداً تلو الآخر ارهاباً لهم ولوضع حد لما يقومون به أو ينوون القيام به. لذلك فإنه بعد تسريح تلك الحشور وتركها لموقع الحفريات في المليحة وبعد أن استقر بهم المقام عند أهاليهم ومحالهم، ثم كثرت الاتصالات والمراسلات بين الرؤساء ثم تبعتها الاجتماعات، فيما بيننا من رؤساء قضاء الشامية ورؤساء قضاء أبو صخير من جهة ومع علماء النجف الأشرف من جهة ثانية وبالأخص مع المغفور له حجة الإسلام محمد تقي الشيرازي في كربلاء.

مؤتمر الرؤساء الأول في كربلاء

قبل الدخول في تفاصيل هذه الاجتماعات أود أن أبيّن أهمية مؤتمر الرؤساء في كربلاء الذي انعقد في ١٥ شعبان ١٣٣٨هـ، المصادف ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٢٠[2]. والاجتماعات التي تلته في الأيام التي بقينا فيها بكربلاء، إذ تم اجتماعنا الأول في دار الحجة الإمام الشيرازي استمعنا إلى

---

(١) مذكرات الحاج صلال الفاضل «الموح» تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٦

الصفحة٧٠ «أصدر الميجر ديلي أمراً بإيقاف العمل في حفر الجدول (المليحة) وهذا نصه: نظراً لقرب حصاد المزروعات الشتوية وحاجة الدولة إلى جمع الإنتاج والمحافظة عليه تقرر ترك الكري وصرف العشائر إلى أماكنها فوراً».

توقف العمل رسمياً بمشروع المليحة في نهاية شهر رجب ١٣٣٨هـ المصادف نيسان ١٩٢٠م.

(٢) كابتن جيمس ساموزر مان، إداري في طور الإعداد

An Administrator in the Making by James Saumarez Mann

نفس المصدر السابق

في الصفحة ٢٩١: هذا مقطع من رسالته المعنونة إلى والدته، المؤرخة في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ وكانت رسالته الأخيرة من سلسلة رسائله التي بعثها إلى أهله وأصدقائه حول عمله في العراق وهذه نصها:

«وفي اواسط شهر حزيران عندما كان الشيوخ في مناسبة الزيارات لكربلاء يتضح أنهم قد=

توجيهاته النيرة وارشاداته الثمينة، وفي اليوم التالي تم اجتماعنا في دار المرحوم السيد نور الياسري وقررنا فيها بما لا يقبل الرجوع عنه وتحت القسم أن نواجه الإنكليز بإرادة صلبة لا تقبل المساومة. فإما الاستجابة لمطالبنا الوطنية والكف عن سياسة الإرهاب في ربوعنا أو أن نستعمل القوة ونشرع في وضع اقوالنا موضع العمل.

وعند خروجنا من دار السيد نور عكفنا بمجموعنا على حضرة الروضة الحسينية ومنها ذهبنا إلى حضرة الامام العباس - ع - وهناك أدينا اليمين على القرآن الكريم بالاخلاص سوياً لقضيتنا ولبعضنا البعض.

وما كان حلول غرة شهر رمضان المبارك ١٣٣٨هـ شباط ١٩٢٠ الا بمثابة هدنة نستجمع فيها كل ما لدينا من قوة روحية وبدنية ومادية استعداداً لمنازلة المستعمر الجديد. ولكن شاء حاكم الديوانية الميجر ديلي تضييق الخناق عليّ بعد أن علم بخروجي من غماس إلى قريتي في العكشة للإشراف على عملية الحصاد فيها كما أنه لم يحتمل تنقلي المستمر في هذه المنطقة بين عشائرها. إذ فعلاً تسنى لي الاجتماع برئيس عشائر الظوالم الشيخ شعلان أبو الجون وشيخ الصفران الحاج عزارة المعجون ورئيس البوحسان الحاج سلمان الناصر وغيرهم من رؤساء السماوة والرميثة. وقد بينت لهم ما يجري من اتصالات بين مشايخ الشامية وأبو صخير والشناقية وغماس، وأوضحت لهم أن الإنكليز ليست لهم أي رغبة في الاستجابة لمطالبنا الوطنية وأن المواجهة معهم آتية لاريب فيها وأن توقعي هو أن تكون المبادأة من جانبهم طالما هم الأقوى. وما علينا إلا الاستعداد والترقب والحذر وأن نكون على اتصال مستمر مع بعضنا البعض.

= اتفقوا على وضع خطة مؤكدة للثورة والتي ساندها اعتقاد عام خاطئ أن الانتداب يعني الانسحاب التام للقوات البريطانية، وقد تم جمع التواقيع على وثيقة، تحت ضغط رجال الدين، تصرّح للعشائر بالعمل الموحد في هذا المضمار».



مشايخ الشامية الجلوس من اليمين: السيد محسن أبو طبيخ، كابتن ونكيت حاكم الشامية السياسي ثم السيد نور الياسري الوقوف من اليمين: الشيخ عبادي الحسين (آل فتلة المهناوية) وسماوي الجلوب مشايخ آل فتلة (الهندية)

وبمناسبة زيارة وفاة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) توجهت إلى النجف الأشرف يصحبني هنين الحنون شيخ آل زياد وهناك اجتمعنا في دار السيد نور الياسري مع لفيف من مشايخ الفرات من بينهم السيد علوان الياسري والسيد هادي مكوطر والحاج عبد الواحد السكر وآخرون واتفقنا على أن نجمع المال لمعونة بعض المشايخ ممن أصابهم القحط والعوز جراء رداءة المحصول الشتوي وأثر على وضعهم المالي مما جعلهم عرضة لإغراءات الإنكليز[1]. وبعد أيام من عودتنا إلى محالنا تم لنا جمع المال الذي اتفقنا عليه، وما أن علم حاكم النجف الميجر نوربري عن طريق الكابتن مان في الشامية بعملنا هذا، حتى صار يعرض على الرؤساء المزمع مساعدتهم من قبلنا مبالغ طائلة أكثر مما جمعنا لهذا الغرض. ولكن خيب الله سعيهم وطاش سهم الخداع.

هلَّ شهر شوال وفيه من الأحداث الجسام ما سيقرر مستقبل العراق سواء سلماً أو حرباً، وليس لي إلا التأكيد هنا من أننا قررنا الاستمرار في مساعينا السلمية مع الإنكليز، فتوجهنا إلى العالم الخارجي ليكون على علم

---

(١) كابتن سامورز مان، إداري في طور الإعداد ـ نفس المصدر السابق ـ الصفحة ٢٨٤، رسالته المؤرخة في ١٧ حزيران ١٩٢٠المعنونة إلى والدته «لو تركت جانباً جرثومة أو اثنين في غماس (يقصد بهذه الجرثومة السيد محسن أبو طبيخ)، وأعتقد من اني بإمكاني تحطيمهم بدون أي اشكال... علمت أن المتآمرين قد ارسلوا وكلاءهم... وأن برطيلاً مقداره ١٠٠٠ليرة قد عرضوه على أكبر شيخ عندي... وفي يوم الاحد الماضي اتفقت مع نوربري أن نعيد عرضاً سابقاً له بإعطائه ١٠٠٠روبية في الشهر هو وأخوه ولمدة سنة ...اتوقع أن يقبل مثل هذا العرض».
وحول نفس موضوع إعانة الرؤساء ومحاولة الإنكليز الحد منها بعرض أكبر جاء في الصفحة ٢٩٣ في رسالته المعنونة إلى والدته من أم البعرور (الشامية) والمؤرخة في ٣٠حزيران ١٩٢٠جاء فيها «... أحد أصدقائنا المؤثرين من بني حسن شيخ لفته الشمخي كان مريضاً... استطاع شيوخ آل فتلة أن يمنحوه برطيلاً كما منحوا برطيلاً لآخر هو الحاج علوان الحاج سعدون مبلغ ١٠٠٠ليرة، وهم يعرضون الآن مبالغ كبيرة عن طريق الخزاعل إلى شيوخ آل شبل... لقد قابلت الإدارة البريطانية هذه العروض بدفع ما يقارب ٢٠٠٠ ليرة لإعطائها إلى الخزاعل لإيصالها إلى آل شبل... وبذلك يكونون غير خاضعين للتأثيرات الخارجية... ولكن الشيوخ الآخرين المحتاجين قد استلموا مبالغ ضخمة من رجل ثري جداً وله مكانة دينية رفيعة... سيد نور». والمقصود هنا هو المرحوم سيد نور الياسري. وأن المعونة من المشايخ لإخوانهم غرضها لحمايتهم من الإغراءات الإنكليزية وانها ليست برشوة كما يصوّرها الإنكليز.

بعدالة مطالبينا وبروحنا السلميّة تجاه خصمنا، فبعثنا بمضبطة إلى عصبة الأمم وأخرى إلى ممثلي الدول الكبرى في البلاط الايراني، كما أوفدنا الشيخ محمد رضا الشبيبي إلى الحجاز يحمل رسالة إلى الشريف حسين بن علي (الملك لاحقاً). ولظروفه الخاصة مع الإنكليز في ذلك الوقت، لم يكن رده مقنعاً بالرغم من أننا أشرنا في رسالتنا توجهنا بتنصيب أحد أنجاله على عرش العراق، ليس هذا فقط، بل عندما اشتعلت نار الثورة، لم يردنا منه لا فلس واحد ولا رصاصة واحدة عوناً لنا وعربوناً منه لعرش نشيّده بدماء أبنائنا (رسالة الشريف حسين على الصفحة ١٨٩). استمرت تحضيراتنا واجتماعاتنا في مضايف ومحال مشايخ المنطقة، واستمر حاكم الشامية بمضايقتي منوهاً بسيطرته على توزيع المياه لشط غماس طالما هو يملك القدرة على المراشنة في الشامية أعلى مجرى النهر صعوداً حتى سدة الهندية لا سيما وأننا كنا على وشك المباشرة بالموسم الصيفي لزراعة الشلب (الرز).

وفي احدى هذه الاجتماعات التي جرت في المشخاب ولم أكن حاضرها، قرر المجتمعون أن يكون لقاءهم القادم في مضيفي بغماس وأرسلوا من يبلغني بالأمر، وتفادياً لما قد يرتكبه الإنكليز من تحدٍّ، وهم يتحينون الفرص علينا ليأخذوا المبادأة من بين أيدينا، ولوجود مضيفي في داخل البلدة ليس بعيداً الا بخطوات عن الصراي، وحرصاً على سلامة اصحابي وعدم انكشاف امرنا طلبت أن يكون الاجتماع في مكان آخر بعيداً عن عيون الإنكليز وأرصادهم. وفي ليلة ١٢ شوال تم الاجتماع الذي كان مزمعاً عقده في مضيفي بمكان أكثر امناً في المشخاب بمضيف عبد الكاظم السكر، وحضرته مع لفيف من عشائر منطقة الخرم (غماس) من الخزاعل محمد العبطان ومن آل زياد هنين[1] الحنون وجري المريع. وفي تلك الليلة حررنا عدداً من الرسائل إلى الرؤساء في السماوة والرميثة والدغارة والحلة وعفك ندعوهم فيها إلى تلبية نداء فتوى حجة الإسلام الشيرازي،

---

(١) هنين الحنون، شيخ آل زياد التي يرجع نسبها إلى قبيلة عنزة العدنانية، وهو من فرع آل عصيدة فخذ البوكنجي، تسلم رئاسة العشيرة في سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م. ولعب هو وعشيرته دوراً مهماً في ثورة العشرين تحت راية السيد محسن أبو طبيخ في معارك الحلة والوند والكوفة. توفي رحمه الله سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

وناشدناهم برفع عقيرتهم بالمطاليب الوطنية وفي حالة فشلنا، فلنا الحق باللجوء إلى القوة كما جاء في مضمون الفتوى. أرسلت أخي جعفر، يحمل هذه الرسائل إلى مشايخ بني عارض والأعاجيب وبني سلامة في أرض الطابو(طابو أبو طبيخ) في الديوانية، كما قام ابن خالي السيد عبد العزيز أبو طبيخ[1]، ومعه عدد من هذه الرسائل إلى رؤساء بني حجيم والظوالم والبوحسّان وآل زياد في السماوة والرميثة والايشان (راجع صفحة ١١٥).

الاجتماع الأخير

آخر اجتماع لنا كان في مضيف المرحوم الحاج مرزوق العواد[2] رئيس عشيرة العوابد، وكان مقرراً أن يحضر هذا الاجتماع حاكم عموم النجف والشامية الميجر نوربري. ولتطور الأحداث وتوتر الجو في الفرات عموماً وفي منطقة الشامية خصوصاً، فقد أناب عنه حاكم الشامية الكابتن مان، وأرسل هذا الأخير بدوره نيابة عنه، رئيس البلدية وكان كردياً من مدينة أربيل يتكلم العربية بلهجة ثقيلة، وطلب منا الحضور عنده مجتمعين ليبحث شكوانا. رفض الحضور طلب حاكم الشامية المذكور وأبلغنا موفده بوجوب حضوره هو أن كان يرغب فعلاً الاستماع لنا. وكما أسلفت عن الكابتن مان، فهو لم يكن مطبوع بطابع الخشونة والكبرياء الإنكليزي، وبدافع رغبته بأداء واجبه نيابة عن رئيسه في النجف، أوفد إلينا رسوله مرة ثانية يبلغنا رغبته بالحضور ويطلب منا أحد الرؤساء ليكون برفقته كتأمين على سلامته

---

(١) السيد عبد العزيز بن السيد علي أبو طبيخ، ابن خال السيد محسن أبو طبيخ وكان من المقربين له وممثلاً له لدى عشائر الطابو أثناء ثورة العشرين. هو والد كل من السادة المرحوم سوادي ومجيد وحميد. وافته المنية عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م ، فأرخ وفاته الشاعر الشيخ علي البازي بهذا البيت من الشعر
قبرٌ بهِ عبد العزيز قد قُبر   بالعفو والرضوان ارخ (قد غُمِر)

(٢) الحاج مرزوق العواد آل حربي شيخ العوابد من عشائر بني حسن، موطنه هو وعشائره في قضاء الشامية بلواء الديوانية، هو وعشيرته خاض معركة الرارنجية وخرج منها بطلاً. هذه المعركة التي وقعت في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٠ والتي سجل فيها الثوار أول نصر لهم على الإنكليز. كما قاد معارك ضارية أمام الجيش الإنكليزي المتفوق في الوند والحسينية. انتخب نائباً عن لواء الديوانية في معظم دورات مجلس النواب المتعاقبة توفي رحمه الله في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ في النجف.

حيث أن العشائر المجتمعة حول المضيف تقوم بالتظاهر وكل عشيرة تستعرض للأخرى - هوساتها - المتميزة بروح الحرب والتحدي للإنكليز.

كلّف المجتمعون صاحب المحل المرحوم الحاج مرزوق العواد على الذهاب اليه ومصاحبته حتى يصل إلينا. أجاب الحاج ما طُلب منه وذهب اليه ثم عاد به، فمقره لم يكن ببعيد عن مكان اجتماعنا.

وبعد استراحة قصيرة تناول فيها الشاي والقهوة سألنا عن سبب دعوته وعما نريده من الحكومة. كان جوابنا له أننا نريد البر بوعدكم بإعطاء البلاد استقلالاً تاماً ناجزاً وتشكيل حكومة وطنية يرأسها أحد أنجال الشريف حسين. أجابنا: اعطوني عهداً منكم على أن لا تقوموا بأي حركات عدوانية ضد السلطات والتشكيلات الإنكليزية حتى أعرض مطاليبكم على حكومة بغداد وسوف أخبركم بإجابتها فوعدناه بما أراد[1].



مدينة الشامية (ام البعرور) عام ١٩١٩

---

(١) كابتن ساموزر مان، إداري في طور الإعداد - المصدر السابق.
جاء في الصفحة ٢٠٢، «لكن رؤساء آل فتلة كانوا يشكون بنا، وقد حضروا إلى مضيف مرزوق (يقصد الشيخ مرزوق العواد) مع ٢٠٠ مسلح من اتباعهم، قرر ساموزر (كابتن مان) الاجتماع بهم هناك. وتناول عشاءه هناك في الساعة التاسعة مساءً من يوم ٥ تموز (يوليو) ١٩٢٠، بعد ذلك جرى الاجتماع مع الحاضرين دار فيه النقاش لمدة أربع ساعات ولكن بدون نتيجة».

وثيقة التوكيل من مشايخ وأهالي الفرات الأوسط لتمثيلهم أمام السلطات البريطانية

الطلقة الأولى من الرميثة

بعد أن فارقنا حاكم الشامية عائداً إلى منزله، جاءنا رسول، هو أخي جعفر[1] يحمل معه عدداً من الرسائل من رؤساء الرميثة يذكرون فيها أن الميجر ديلي أمر مساعده حاكم الرميثة كابتن هيات أن يلقي القبض على رؤساء عشائر الظوالم المرحومين غثيث الحرجان وشعلان أبو الجون وتسفيرهم إلى هنجام. وبدوره طلب حاكم الرميثة حضور الرئيسين المذكورين اللذين أوجسا خيفة منه فقررا أن يذهب أحدهما ويبقى الثاني فإن حدث وبلغه أن صاحبه قد أوقف فإنه يقوم بتخليصه بقوة السلاح مهما كلفه الامر، وكان ما اتفقا عليه أن الذي سيذهب لمقابلة حاكم الرميثة هو الشيخ شعلان أبو الجون ويبقى الشيخ غثيث منتظراً ما سيحدث.

ذهب الشيخ شعلان بصحبة خادمه وقد أوصاه أن يعود لإخبار الشيخ غثيث حالما يجري توقيفه من قبل الحاكم وما أن وصل إلى الرميثة ودخل على مساعد الحاكم هيات الذي استفسر عن عدم مجيء الشيخ غثيث، أجابه بأنه مريض ولم يتمكن من الحضور فقال له بعد توبيخه أن ينتظر وخرج من مكتبه، وبعد مدة من الزمن جاء خمسة أفراد مع عريف من قوات الليفي مسلحين وألقوا القبض عليه وأودع التوقيف. كان خادمه يراقب عن كثب فلما شاهد ما حدث لسيده قفل راجعاً بسرعة إلى الشيخ غثيث الذي كان في انتظاره، فأخبره بما جرى. أمر الشيخ غثيث أحد أفراد عشيرته ويدعى حبشان وهو من المعروفين بالقوة والشجاعة أن يأخذ معه أربعين من رجاله مسلحين وأن يذهب إلى الرميثة لتخليص الشيخ شعلان واخراجه من التوقيف مهما كلفه الامر.

وفي الحال جهز حبشان رجاله وتوجهوا إلى الرميثة مسرعين وعندما

---

(١) السيد جعفر بن السيد حسن أبو طبيخ، شقيق السيد محسن أبو طبيخ الأصغر. ولد في غماس عام ١٨٩٣، وترعرع في كنف أخيه السيد محسن. كان هو ونجل السيد محسن الأكبر المرحوم كامل يقومان برعاية شؤونه وتلبية متطلبات العشائر أثناء الثورة وخاصة التموينية والحربية، اختار الموقع المعاكس لمواقف أخيه السيد محسن في معظم الأدوار السياسية التي مرت بالحكم الوطني. . أولاده، موسى وجابر وجواد وخالد وغازي وغالب وعزيز وصباح. توفي رحمه الله في غماس بتاريخ ١٢ شباط ١٩٨٠م.

وصلوها يمموا صوب دار الحكومة، فاقتحموها مهاجمين الحرس المحيط بالسجن من جنود إنكليز ومجندي الليفي وقتلوا منهم خمسة أفراد وجرحوا سبعة وعندما تغلبوا عليهم، استطاعوا اخراج الشيخ شعلان من السجن وعادوا إلى ديارهم حيث كان الشيخ غثيث ينتظرهم. كان ذلك اليوم هو الثلاثين من حزيران ١٩٢٠، اليوم الذي انفجر به بركان الثورة والذي أطلقت به الرصاصة الأولى على الإنكليز(١).

كانت لدى كابتن هيات في الرميثة قوة مسلحة مؤلفة من مجندين إنكليز وهنود وقوات الليفي من الأثوريين. ففي اليوم الثاني من إخراج الشيخ شعلان من التوقيف بتلك الصورة التي مر ذكرها، استولى الرعب على هذا الحاكم وهو برتبة كابتن وكان معروفاً بخفة عقله لذا أطلق عليه عند العشائر لقب (أبو الططو).

قرر هيات أن يعطي درساً للعشائر المحيطة بالمدينة، فأخذ قوته العسكرية إلى قرية مجاورة من قرى عشيرة البوحسّان وضربها بدون سبب وبدون انذار، وما أن ابتدأ بإطلاق النار عليها حتى قابله أهلها بالمثل كما هبت إلى نجدة سكانها جميع أهالي القرى المجاورة لتلك العشيرة والتحمت مع القوات المهاجمة في معركة ضارية أرغمت فيها القوات الإنكليزية على الانسحاب تاركة وراءها أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى وكثيراً من العتاد الحربي. وعلى إثر ذلك الاعتداء من قبل القوات الإنكليزية، تجمعت العشائر المحيطة بناحية الرميثة من البوحسان والظوالم وغيرهم وهاجمت قصبة المدينة ودخلتها ثم ضربت طوق حصار قوي على المواقع التي تحصن فيها

---

(١) الشيخ شعلان بن أبو الجون بن محيسن رئيس عشيرة الظوالم، أصلهم من بني فزارة النجدية العدنانية. موطنهم ناحية الرميثة في أرض يقال لها العوجة قرب السماوة. انتخب نائباً عن الديوانية ولم يشارك في الحياة السياسية كثيراً. توفي رحمه الله في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠م ـ ١٣٥٠هـ وقد هزت أعمال الشيخ شعلان وعشيرته في إشعال فتيل ثورة العشرين قريحة الشاعر السوري شفيق جبري فقال:

سل الرميثة عن شعر تردده ... كأنهم في حماها النار قد وقدوا
على الرميثة أشلاء مبعثرة ... لله من درجوا فيها ومن رقدوا
تكاد تسمع أذني همس هامسهم ... وتأخذ العين موتاهم وإن همدوا
لم ينشأ الملك في بغداد عن عبث ... الصولجان حماه الثائر النّجد

الحاكم وقوته. هذا ما كان مذكوراً لنا في تلك الرسائل التي أشرت إليها سابقاً والتي وردت إلينا من رؤساء عشائر الرميثة بواسطة أخي جعفر حينما كنا مجتمعين في مضيف الشيخ الحاج مرزوق العواد.

بعد اطلاع الرؤساء على فحوى تلك الرسائل، استمعوا على تفاصيلها من أخي جعفر وخاصة اعتداء الإنكليز اللامبرر له على قرية البوحسان واتفق المجتمعون على الرجوع عن اتفاقنا تلك الليلة مع الكابتن مان.

في اليوم التالي أرسلنا اليه بمن يخبره بما وقع في الرميثة، وهو حتماً قد علم بها، وأبلغناه أننا في حل مما اتفقنا عليه معه من عدم التحرش بالقوات والمؤسسات الإنكليزية، بعد أن جاءت المبادرة منهم بضرب العشائر، وقبل انفضاض اجتماعنا في مضيف الحاج مرزوق قررنا الاستعداد للقيام بثورة عامة في الفرات الأوسط مناصرة لإخواننا عشائر الرميثة. وعاد كل إلى محله للإعداد لما يقتضي ويلزم استعداداً للنهوض بالثورة.

أبو صخير الحصار والاستسلام

زحفت عشائر قضاء أبو صخير على مركز المدينة وحاصرت الحامية الموجودة في الصراي[1] (دار الحكومة) والتي لا يزيد عددها على أكثر من فوج ثم التحمت معها في معركة بالخنادق المحيطة بالمدينة فلجأت الحامية للانسحاب والتحصن. استمر حصار هذه القوة حوالي الأسبوع، مما دعا حاكم عموم النجف والشامية الميجر نوربري للاتصال بالعلماء متوسلاً لهم أن يتوسطوا لدى رؤساء العشائر من أجل فك الحصار عن الحامية وفتح الطريق لها والسماح لأفرادها بالانسحاب إلى الكوفة. استجاب العلماء لطلب نوربري فأوفدوا منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري والمغفور له الشيخ جواد الجواهري للاجتماع بوفد من رؤساء العشائر[2] وعلى إثر اجتماعهم،

---

(١) كابتن ساموزر مان ـ المصدر السابق «.. وبعد حين، قام آل فتلة، بعد التفاوض مع الكابتن هوبكنز، مساعد الحاكم السياسي في أبو صخير بتاريخ ١٣ تموز بتطويق المدينة». جاء ذلك في الصفحة ٢٩٣ من المصدر المشار اليه أعلاه. «حصار أبو صخير» ابتدأ في ليلة ٢٥ شوال ١٣٣٨ هـ المصادف ١٣ تموز ١٩٢٠م.

(٢) السيد عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ «الإنكليز يطلبون الهدنة لإنقاذ حامية أبي صخير من قبضة =

وامتثالاً لأمر العلماء ومشورتهم، وافق رؤساء العشائر الثائرة على فك الحصار عن الحامية بشروط معينة، وخرجت من الصراي، تاركة وراءها كثيراً من القتلى والسلاح والعتاد وانسحبت هذه القوة إلى الكوفة في حراسة العلماء بالإضافة إلى قوة من العشائر إلى أن أوصلوها إلى الكوفة وبذا تم احتلال أبو صخير وسقوطها بيدنا وذلك ليلة غرة ذي القعدة ١٣٣٨هـ، ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٢٠.

تسليم الشامية

كان حاكم الشامية الكابتن مان بدون قوة عسكرية. فلديه أفراد من الليفي والشرطة المحلية. كانت العشائر محيطة بالمدينة فدخلها وفد من الرؤساء للتفاوض على إجلاء حاكمها عنها بدون اللجوء إلى القوة. فأوفد هذا من قبله رئيس البلدية طالباً حماية نفسه وايصاله سالماً إلى الكوفة.. استجاب الرؤساء لما طلب، وبعد أن سلمهم الصراي (دار الحكومة) أركبوه زورقه البخاري مصحوباً بعدد من الرؤساء لحمايته من أي اعتداء حتى أوصلوه إلى الكوفة وذلك في ٢٦ شوال ١٣٣٨ وبخروجه أصبح قلب الفرات الأوسط محرراً، فمدنه المهمة، الشامية وأبو صخير، والمشخاب وغماس والمهناوية كلها أصبحت بأيدي الثوار من أبناء العشائر.

حصار الكوفة

وما أن استتب الوضع للثوار في الشامية وأبو صخير والمدن المحيطة بهما حتى زحفت جموع عشائر القضاءين على الكوفة وذلك في يوم ٢٧ شوال ١٣٣٨ المصادف ١٩ تموز١٩٢٠ وبوقت قصير أحكمت طوقها على القوة الإنكليزية التي تجمعت هناك متحصنة ببعض الأبنية والخانات في البلدة على الضفة اليمنى من النهر كما كان لدى القوة منور (باخرة نهرية)

= الثوار... فخرج الوفد الديني وكان ذلك يوم ٢٩ شوال ١٣٣٨ هـ، يرافقه (رايح العطية) و(نوربري)، وكان الرؤساء ينتظرون الوفد في مكان مقابل الكوفة، ولما وصلوا عقد اجتماع في المحل المذكور، حضره أكثر الزعماء والرؤساء، ومن بينهم السيد نور الياسري، والسيد علوان الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ، ومزهر الفرعون، وعبد الواحد الحاج سكر، ورايح العطية، وعبادي الحسين، ومرزوق العواد، ورؤساء بني حسن، وغيرهم».

حربية تحرس الحامية من جهة النهر[١]. استمر تدفق العشائر على الكوفة حيث وصلت عشائر آل فتلة واستحكمت شرقي ضفة النهر مقابل الخانات المحاصرة عبر الضفة. كما كانت عشائر بني حسن على نفس الجانب تحتل الكتف الشرقي من النهر شمالاً حتى العباسيات وشرقاً حتى الكفل. أما في الضفة الغربية عند جسر الكوفة، فقد انتشرت في البساتين العشائر التي تحمل رايتي من آل زيّاد بقيادة كل من هنين الحنون وجري المريع، وعشائر كعب تحت قيادة رئيسها السيد عبد زيد واتخذت من هذه البساتين معسكراً لها. أما في الجنوب من المدينة وفي بساتين مقاطعة التاجية فانتشرت عشائر الحميدات تحت قيادة رئيسها الشيخ الحاج رايح العطية وعشائر العوابد تحت قيادة الشيخ مرزوق العواد، وإلى الغرب من المدينة أخذت عشائر آل ابراهيم والغزالات وآل شبل والخزاعل مواقع لها في البساتين. وقد أوكلت إلى عشائر آل زياد التي سيطرت على كتف النهر جنوب المدينة مراقبة المستشفى في الخان قرب السوق وحركة النهر لقطع الإمدادات التي قد ترده من أي مورد من الجنوب كما اوكلت المهمة نفسها إلى عشائر بني حسن للسيطرة على شمال مجرى النهر ومنع أي إمدادات قد ترد الحامية من الحلة[٢]، وعند إحكام سيطرتنا على النهر جنوباً وشمالاً أخذت القوارب المشكوك بهويتها تتعرض للنيران الحامية في حالة عدم استجابتها للاستسلام والتوقف. وعندما استتب أمر حصار الكوفة والحامية الإنكليزية فيها، قرر الرؤساء ترك أمر الحصار إلى عشائر بني حسن وآل شبل وآل زياد وكعب، وقام السيد نور الياسري، تغمده الله برحمته، بالإشراف على شؤون الحصار الإدارية، أما بقية العشائر فقد تكفلت بالتوجه شمالاً نحو مدينة الكفل في طريقها إلى الحلة وكان الحاج عبد الواحد السكر على رأس العشائر المحاربة هذه والمؤلفة من آل إبراهيم والعوابد وقسم من الحميدات.

---

(١) الفريق سير المر هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠، نفس المصدر السابق الصفحة ٢٣٣، الفصل السادس عشر «استرداد الكوفة» «. . . لذلك يصح القول إن الحصار فُرض اعتباراً من يوم الحادي والعشرين من شهر تموز (يوليو) ١٩٢٠».

(٢) نفس المصدر أعلاه، الصفحة ٢٣٦ «. . . وبعد يومين من ذلك، هوجمت القوارب التي تسير في النهر صبباً، وتحمل المؤن اللازمة لحماية المكان الأخير ـ حامية الكوفة ـ وغُلب حرّاسها على أمرهم. . .».

بقيت أنا في الكوفة لتهيئة مستلزمات إعداد العشائر للتوجه إلى الحلة، حال اطمئناننا بأن عشائر البو سلطان سوف تكون عوناً لنا وليس للإنكليز لاسيما وأن أحد شيوخها لم تكن علاقاته معنا تعطينا الاطمئنان بالاتكال عليه بالرغم من مشاوراتنا معه بواسطة أبناء عمه من مشايخ البو سلطان. وقد جاء توزيع هذه الواجبات بعد أن أحكمنا حلقات الحصار على الحامية.

في اجتماع للرؤساء وفيه قرروا أن أبقى في الكوفة ومعي المرحوم علوان الحاج سعدون رئيس عشائر بني حسن على رأس العشائر المحاصرة للحامية فيما تتوجه بقية العشائر بقيادة المرحومين الحاج عبد الواحد السكر والحاج مرزوق العواد والسيد علوان الياسري والحاج رايح العطية والمرحوم عمران السعدون رئيس عشائر بني حسن قضاء الهندية ومجموع عشائر آل فتلة التابعة للقضاء المذكور إلى الحلة لأجل محاصرة الجيش الإنكليزي هناك. فلهذه المدينة مكانة مهمة لنا وللإنكليز الذين جعلوا منها قاعدة تجمع لوحداتهم المنسحبة من مدن الفرات مثل الرميثة والديوانية والسماوة، إضافة إلى الوحدات التي وصلتها من بغداد. غادرت هذه العشائر الكوفة ودخلت الكفل بدون مقاومة، وبعد أن استتب لها الأمر في هذه المدينة جاء نذير إلى المشايخ ليخبرهم أن قطعات من الجيش الإنكليزي قد توجهت إلى الكوفة أرسلتها القيادة في الحلة وأن هذه القوة في طريقها لفك حصار الحامية.

معركة الرارنجية

عندما علم قادة العشائر المتوجهة إلى الحلة والتي لتوها دخلت الكفل[١] بأن الجيش الإنكليزي في طريقه إلى الكوفة لنجدة حاميتها تحركت جموع المقاتلين كل جماعة بقيادة رئيسها لملاقاة هذه القوة وقد أشرت إلى توزيع هذه العشائر سابقاً في وقائع الكوفة.

كان الرتل الإنكليزي مؤلفاً من فوجين وقوات مدفعية[٢]، وفي اليوم

---

(١) دخل الثوار مدينة الكفل في ٦ذي القعدة ١٣٣٨ المصادف ٢٢ تموز ١٩٢٠ بقيادة الحاج عبد الواحد الحاج سكر والسيد علوان الياسري والعشائر التي تحت لوائه من آل إبراهيم.

(٢) الفريق سر المر هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة دار الزمان، بغداد ١٩٦٥،الصفحة ١٢٥،الفصل العاشر «كارثة رتل مانجستر» أيضاً الصفحة ١٢٨حول تشكيلات الرتل وقوته.

الثاني من خروجها من الحلة، توقف الرتل في موقع يقال له الرارنجية (أو الرستمية التي هي تسمية للمقاطعة الزراعية) والتي تبعد عن الكفل ما يزيد عن العشرة كيلومترات. وعند الظهيرة اقتربت قوات العشائر من معسكر الرتل والتحمت معه بمعركة عنيفة استعمل فيها السلاح الأبيض[1].

دامت المعركة من الظهر حتى ساعة متأخرة من الليل، وأخذ أفراد الرتل بالاستسلام أو الهرب وكان النصر حليف العشائر التي شتّتت هذه القوة الكبيرة وإبادتها، فقتل فيها ما يزيد على المائتين بين ضابط وجندي وأسر مائة وستون فرداً وفر الباقون وهم عدد قليل جداً بسياراتهم راجعين إلى الحلة.

وكانت الغنائم كبيرة وكثيرة في هذه الموقعة، وبالذات مختلف أنواع السلاح والعتاد الذي امدنا بما نحتاجه منه لمواصلة الحرب فيما بعد. ومن جملة الاسلحة التي غنمها الثوار مدفع من العيار الثقيل (١٨ رطلاً) وقد أرسل إلينا في الكوفة وكان معه أربع دانات (قنابل). كما أرسل إلينا الأسرى، فقمنا بإطعامهم والاعتناء بهم وما أن أخذوا قسطاً من الراحة حتى أرسلناهم بعيداً من منطقة حركاتنا إلى مدينة الجعارة المسماة اليوم بالحيرة، فتم اعتقالهم هناك بعد أن اتخذت كافة الترتيبات لتوفير كل ما يلزم لراحتهم وكان المكلفان بذلك هما المرحومان الحاج عبد المحسن شلاش والسيد هادي ازوين وفيما بعد تم نقل الأسرى إلى مدينة النجف لتوفر المكان المناسب لهم لإطعامهم والعناية بهم[2]. لقد كان لهذا النصر المبين

---

(١) جرت المعركة مساء يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ واستمرت لأكثر من ثماني ساعات انظر تفاصيل المعركة نفس المصدر هامش ـ ٢ على الصفحة ١٣٥.

(٢) كرترود لوشيان بيل، العراق في رسائل المس بيل، نفس المصدر السابق، رسالتها المؤرخة ٢ آب ١٩٢٠ الصفحة ١٦١ ـ ١٦٢ «ان حالتنا محفوفة بالخطر ـ أراني غير قادرة على التكهن بما سيحدث. فإن موقعة اخرى شبيهة بالموقعة التي نكب فيها جنود مانشستر ستأتي بالقبائل إلى ما يقرب من بغداد رأساً. ولذلك فنحن نعيش في يومنا فقط من دون أن نفكر بالمستقبل ـ أنا على علم بذلك ـ فالحالة خطيرة، وقد تقترب من اليأس عند وقوع أي ميل بسيط في الميزان».

ـ السر أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الأولى ١٩٧١، الصفحة ١٣٨ «أسرى الإنكليز في النجف ـ وقد تجمع في النجف... ما يقرب عن مئة وسبعين اسير حرب كان منهم حوالي ثمانين ينتسبون إلى كتيبة مانشستر.. ومما يدل في النتيجة على انهم كانوا يعاملون معاملة حسنة ما لوحظ على الأسرى من مظهر صحي يدل =

الذي حققه الثوار صدىً عظيماً ليس في أوساط الفرات وعشائره ومدنه، بل امتد إلى سائر انحاء البلاد وعلى إثره وفد إلينا من بغداد عدد من الضباط الشباب ممن كانوا في الجيش العثماني عارضين خدمتهم وخبرتهم وقد كان لوصولهم أثر كبير على سير الأحداث فيما بعد. لقد وصل بعض من هؤلاء الضباط إلى الكوفة حيث التحقوا بنا وهم الحاج محمود رامز وحسين علوان وهو مدفعي ومعه أيضاً بعض الضباط من قسم المدفعية. وما أن وصلنا المدفع الذي غنمه إخواننا في معركة الرارنجية[1]، إلا وكرّس الضباط الذين ذكرتهم جهدهم على إصلاحه وجعله قابلاً للاستعمال، وقد تطلب ذلك جهداً كبيراً لأن مغلاق المدفع وإبرته كانا مفقودين، واستمر عملهم وقتاً طويلاً اشترك فيه الضباط من بغداد وغيرهم إلى أن أنجزوا عملهم بإصلاحه وتقرر في حينه، أن يكون المنور (الباخرة) الحربية التي تحرس حامية الكوفة من جهة النهر هدفهم الأول. فقد نصبوا المدفع تحت ستار النخيل الكثيفة الواقعة على الضفة اليسرى وأصابوا منها مقتلاً، فاشتعلت فيها النيران وغرقت بعد أن قُتل عدد كبير من نوتيتها[2].

= على التغذية الجيدة حينما أطلق سراحهم». لنتعرف الآن على أسلوب معاملة الإنكليز للأسرى من الثوار ولنقرأ ما كتبه:

ـ هاري سندرسن، مذكرات، ترجمة سليم طه التكريتي، مكتبة المثنى، بغداد الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م الصفحة ٥٢ ـ ٥٣ «. . . تم اقتحام الموضع الذي كانت النيران تطلق منه، حيث وجدنا الرجال الأربعة (من الثوار) الذين يحتلونه قد خرجوا إلى العراء وأيديهم فوق رؤوسهم. . . أما الثوار الأربعة فقد حكم عليهم بالإعدام. وكانت مهمتي البغيضة ان أحضر عملية تنفيذ الحكم على يد فئة من قوات المرتزقة أطلقت النيران على المحكومين بحنق ظاهر».

(١) الفريق السير المر هوليدين، ثورة العراق ١٩٢٠، نفس المصدر السابق الصفحة ١٣٩ «. . . وسقط مدفع من عيار ١٨باون في قناة بعيدة الغور، إبان الانسحاب الليلي، ولم نستطع، على الرغم من الجهد الباذل الشجاع، إلى إخراجه سبيلاً، لذلك اضطررنا إلى تركه فيها».

(٢) كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، مطبعة الآداب، النجف. راجع «قصة المدفع» الصفحات ١١٦ ـ ١٢١.

ـ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، نفس المصدر السابق، الصفحة ١٣١ «. . . لذلك رأى الضباط المنضمون إلى راية الثورة والمقيمون في تلك الانحاء أن يحاربوا هذه الحامية ليرغموها على التسليم (حامية الكوفة) بكل وسيلة ممكنة، فبادروا أولاً إلى استعمال المدفع الذي كان قد غنمه الثوار في واقعة الرستمية (الرارنجية) وقد استخدموه بمهارة فائقة مع أن بعض أدواته كان مفقوداً إلا أنهم رمموه حتى صار صالحاً للاستعمال. ولم يصوّبوا منه سوى بضع قنابل على الباخرة (فاير فلاي) حتى شبت بها النار فأكلتها. . .».

حضرة العالم الفاضل مولاي السيد محمد علي شهرستاني ايده الله

بعد عرض الخلوص لحضرتكم ادام الله بقاكم . من خصوص عشيرة آل زياد لما كنا في جسر الكوفة
وصار عزمنا التوجه لهذا الطرف ارادوا الرجوع لمحلهم لا رغبة بنفوسهم بل لعدم تمكنهم حيث معلوم
بعدم التمكن لتأمين اعاشتهم وحضرة آية الله الشيخ شيخ الشريعة لما استخبر ضعف حالهم دبر لهم
خرجية لتأمين اعاشتهم موقتاً واوعدهم ان حضرة آية الله جناب الميرزا ايده الله يعطي المجاهدين
الارزاق الكافية فالمرقومين بهذا الامل توجهوا معنا مع كثرة عشيرتهم وقد حررنا مكتوب
لحضرة المولى جناب الميرزا ايده الله وبعد حيث الحرق مزاجه لم يمكن وصول المكتوب اليه فسلم
المكتوب الى السيد ابو القاسم ورجع بلا نتيجة مع المرقوم السيد ابو القاسم . فالموجود من آل زياد عبارة
عن ثلاث عشاير فيقتضي لكل فرقة منهم خمسة وزنات تمن كذلك سلالة الضاعين بني الخزعل
ينبغي لهم ايضاً خمسة وزنات تمن فالجميع يبلغ عشرين وزنة تمن المرجو من همتكم مع الرسول تحصلون
حوالة من حضرة الميرزا ايده الله الى وكيله بالهندية يسلم هذا المبلغ لهم لان هؤلاء ابداً
ليس عندهم اعاشتهم يصيرون مجبورين غلب من جاهدهم ترجع لاهلها وجنابكم خبير ان الجيش
اذا رجع منه احد ولو في غير شرعي يفسد الاجتماع ويخل بالجيش من جهة غير
فنأمل من همتكم بما ذكرنا ولكم الفضل ودمتم موفقين [illegible]

الداعي
ابو طبيخ
محسن

رسالة السيد محسن أبو طبيخ من الكوفة إلى السيد محمد علي الشهرستاني

معارك الحلة

على اثر الانتصار الساحق الذي حققه الثوار في معركة الرارنجية، تقدمت قواتهم باتجاهين الأول نحو طويريج (الهندية)، غربي مدينة الحلة وهذه القوة كانت مكونة من عشائر آل فتلة بقيادة الحاج عبد الواحد السكر، ثم تبعتها عشائر آل زياد التي انتدبتها من الكوفة لمهمة مقاتلة الإنكليز في الحلة. اما الاتجاه الثاني، فقد تحركت جموع المقاتلين وهدفها الحلة نفسها فوصلت أطرافها الجنوبية ليلة منتصف ذي العقدة ١٣٣٨، مما لفت نظر القوات الإنكليزية التي كانت تترصد حركات العشائر خوفاً من مهاجمتهم للمدينة وهم لم يتخذوا إجراءات الحماية الكافية بعد ومازال رعب معركة الرارنجية يهد من معنويات أفرادها.

اجتمع رؤساء العشائر في قرية جنوب الحلة تدعى جناجة تقع في البساتين الكثيفة بالقرب من طويريج وذلك تهرباً من الغارات الجوية المستمرة التي تعرضت لها قوات العشائر. وقد حضر الاجتماع عمران الحاج سعدون رئيس بني حسن (الهندية) وهنين الحنون رئيس آل زياد ممثلاً عني وممثلان عن عشائر آل فتلة الهندية والعوابد وآل إبراهيم. تدارس الرؤساء الوضع خصوصاً فيما يتعلق بعشائر البو سلطان التي يترأس قسم منها الشيخ عدّاي الجريان[1] بعد أن اتضحت ميوله لأنه مقيم في الحلة مع الإنكليز وقد كرس عشائره لحراسة المدينة ضد العشائر الثائرة من جهتي الشمال الشرقي والشرق من ضفة النهر اليسرى، ولهذا السبب أصبح من

---

(١) كرترود لوشيان بيل، فصول من تاريخ العراق القريب بين سنتي ١٩١٤ - ١٩٢٠، نفس المصدر السابق.
الصفحة ٤١٥ «وكانت هذه الموقعة (الرارنجية) التي بالغت الشائعات بأخبارها كثيراً، بمثابة إشارة لجميع البلاد الواقعة غربي شط الحلة للقيام بثورة مسلحة، أما في الجانب الأيسر فقد بقيت القبائل مترددة - وقد بذل الشيخ عداي شيخ البوسلطان على الأخص جهوده في المحافظة على السلم -..»
- هاري سندرسن، الدكتور، مذكراته الشخصية، نفس المصدر السابق.
الصفحة ٤٣ «.. كان الشيخان عداي (الجريان) وعمران (الزنبور) يصرّان على أن استعمال القوة العسكرية (ضد الثوار) ليس أمراً ضرورياً فحسب بل يجب أن يكون سريعاً جداً».

الصعب ضرب حصار على المدينة من جهاتها الأربع. تذاكر المجتمعون طويلاً مع عمران الحاج سعدون وتم الاتفاق على مهاجمة المدينة من الضفة اليمنى ليلاً وذلك من جهتي الجنوب والغرب في آن واحد وفي ساعة تم تعيينها لكي يتم ضرب الجيش المرابط هناك، وإذا ما وفقوا في إرغام الإنكليز على الانسحاب من مواقعه وإجباره على عبور النهر ملتحقاً بمراكزه الرئيسية في الجهة اليسرى من النهر فإن احتلال المدينة الواقعة على الضفة اليمنى بأكملها يكون قد تم ويصبح من الهين عليهم مقاتلة أفراده من جبهة واحدة. الا أن سوء الطالع صادف المهاجمين من أبناء العشائر الزاحفة من الكوفة التي بدأت بهجومها من جنوب المدينة في الساعة المتفق عليها، حصل تأخير غير متوقع عند عشائر بني حسن ولم يتوحد الهجوم كما رُسم له[1]. وما أن التحمت العشائر مع الجيش الإنكليزي في الضفة اليسرى، حتى قام هذا بعبور النهر بزوارق حربية من شرقي البلدة، وعندما أحست القوات المهاجمة من أبناء العشائر بعبوره وحذراً من الوقوع في فخ التطويق

---

(١) د. عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، الطبعة الثانية، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٥، الصفحة ٣١٩ «وفي اليوم الاول من آب تمكن الثوار، حوالي الساعة الرابعة صباحاً، من دخول القسم الجنوبي من مدينة الحلة، وأخذ إطلاق النار ينبعث من جوانب المدينة، خاصة بعد أن انسحبت القوات الإنكليزية التي كانت عرضة للهجوم».

السيد عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان صيدا ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م ، الصفحة ١٤٢ ـ ١٤٣ «. . . ولو كان الهجوم الثلاثي (المدبّر) قد تم، لوقعت «الحلة» في قبضة الثوار فعلاً، ولتغير مجرى الثورة، على أن الثوار مازالوا يهاجمون «الحلة» من صوبها الصغير، والحامية تقاتلهم تارة وتدافعهم طوراً مدة الثورة إلا أن خسائر الطرفين كانت طفيفة».

ـ الفريق السير المر هولدين ـ ثورة العراق ١٩٢٠ نفس المصدر السابق الصفحة ١٦٩ ـ ١٧٠ «. . . ولم يحدث شيء ما حتى ليلة ٢٨/٢٧ من تموز، فلقد جرى فيها هجوم ضعيف حسب، وبعد أربع ليال من ذلك، وفي ليلة الـ ٣١ من تموز، على وجه التحديد جرت محاولة خطيرة من قبل الثوار فكانت قطعة من ليل الملمّات، ولحسن الحظ كان وقوعها إثر وصول قطار محمّل بالعتاد، . . . ولعل الهجوم الآنف الذكر دبّر بالاتفاق مع سكان المدن، وما أن صُد هجوم الثوار عند الجهة الشمالية من الخط الدفاعي. . . إلا أن عمدوا في الساعة الرابعة من بعد الظهر إلى المضي صوب جنوب المدينة. . إن الهجوم المذكور كان على درجة كبيرة من القوة، ولقد تأيد أخيراً أن وراء المهاجمين قوة احتياط مرابطة في بساتين النخل وعلى أهبة الاستعداد للاستفادة من أي نجاح يدركه إخوانهم».

ولحفظ مؤخرتها، انسحبت بانتظام، وما أن تم لها ذلك وانتهت هذه المعركة، دخلت عشائر بني حسن من الغرب بعد ذلك التأخير الذي أشرت إليه والذي لم يكن في الحسبان.. فما كان نصيبها الا مثل نصيب العشائر التي انسحبت لتوها أمام القوة الإنكليزية التي تفوقنا سلاحاً كماً ونوعاً. اما عشائر آل فتلة أهل الهندية فلم تشترك في هذه المعارك، بعد أن اتضح الموقف. استمرت المعارك فيما بعد، وغالباً من بعد المغرب، سجالاً مع الإنكليز، فدخل رجالي الذين لا يهابون الموت، من آل زياد، إلى المدينة مرات عديدة، وقد يعجز المرء عن وصف البطولات التي قاموا بها منفردين، أمام جيش مدرّب ومزود بأحدث معدات القتال، وحتى أن أحد الضباط الإنكليز الكبار التقاني بعد سنوات في بغداد في إحدى المناسبات فقال لي ما نصه «كان رجالكم يقاتلون أحسن من جنودنا في حرب الشوارع بمدينة الحلة، لقد أخذونا على حين غرة، وكنا نتصور أننا أمام جيش نظامي»[1].

---

(١) أوراق السير آرنولد ولسن

ADD.52455 A&B. P_g.119/91010/29.7.1920.

برقية: من الحاكم السياسي العام/ بغداد

إلى: وزير الخارجية لشؤون الهند/ لندن

«لقد وضعنا في حساباتنا أن نضطر على الانسحاب من الحلة والناصرية خلال الأسبوعين القادمين. وفي حالة انسحابنا فيعني ذلك تخلينا كلياً عن الفرات وبذل جهودنا القصوى على إبقاء خط دجلة مفتوحاً»

التوقيع/ ولسن



مشايخ الحلة

الوقوف من اليسار: راشد العزيزان شيخ اليسار، عمران الزنبور شيخ بني عجيل، فيصل المغير شيخ الجحيش راشد العلي شيخ الجنابيين، محمد الدليمي شيخ الغرير

الجلوس من اليسار: هزاع المحيميد شيخ المعامرة، عداي الجريان - البوسلطان، ميجر مكفارسن حاكم الحلة السياسي عمران الحاج سعدون - بني حسن ومراد الخليل شيخ الجبور

عقد الرؤساء فيما بعد عدة اجتماعات لتدارس الوضع العام في جبهة الحلة، فاستقر الرأي على استمرار العشائر المحاربة بالزحف شمالاً نحو سدة الهندية والمسيب لقطع طريق الإمدادات من بغداد، وترك قوة محاربة حول المدينة لمشاغلة القوات الإنكليزية وضرب حصار تدريجي عليها فيما لو تمكنا من إشراك جماعة عدّاي الجريان بهذة المهمة. أوكل أمر محاربة الإنكليز في الحلة إلى الشيخ شخيّر الهيمص وعشائره من البو سلطان، والمرحوم صلال الموح مع عشائره من الأقرع وعفك ومعهم الجبور... استمر القتال بين هذه العشائر والإنكليز في الحلة كرّاً وفرّاً قدموا فيها العزيز الغالي من رجالهم في هذه المدينة وأزقتها وبساتينها، كان الإنكليز يلقون يومياً بعد كل معركة بجثث قتلانا في الفرات بدلاً من دفنهم حسبما تفرضه عليهم الواجبات العسكرية كمحاربين أشراف.

حروب الرميثة والسماوة

أعود الآن إلى وقائع الحروب في قضاء السماوة وناحية الرميثة إذ كانت في السماوة قوة كبيرة من الجيش الإنكليزي وكان موقع معسكرها في مكان يسمى شاطي بربوتي غربي قصبة السماوة بحوالي خمسة كيلومترات، ويقدر عدد أفرادها بأكثرمن ألف جندي مع كامل عدتها، وكانت حامية غيرها تقدر بحوالي مائتي جندي في محطة القطار والتي لا تبعد بأكثر من كيلومتر واحد عن المدينة. وضعت حوادث الرميثة والقتال الذي كان يجري حولها وجنوبها وشمالها حالة توقع وتوتر عام، حتى استحكمت القوات المتواجدة في السماوة والمحطة واتخذت لها مواقع حصينة في المناطق المرابطة فيها.

أما تحركات العشائر فقد قررها اجتماع لجميع رؤساء عشائر قضاء السماوة واتفقوا على أن عشائر ناحية الخناق وناحية الخضر التابعتين للقضاء هذا تقوم بمهاجمة القوات الإنكليزية فيها. أما عشائر الرميثة فتستمر بحصارها للقوة التي مر ذكرها في صراي المدينة[1].

---

(١) كرترود لوشيان بيل، المصدر السابق، الصفحة ١٥٢ ـ ١٥٣ «١١ تموز (ب) (١٩٢٠). تعد حركة الرميثة حركة خطيرة. فهناك حوالي مئتين من رجالنا محصورين فيها. معظمهم من الهنود المستخدمين في السكك، وقد عجزنا حتى الآن من فك الحصار عنهم، اما الطعام فيرمى لهم الآن من الجو بواسطة الطائرات. إن ما أمكنني استنتاجه مما حصل=



مشايخ السماوة

من اليمين: بريد الجاهل شيخ آل زيّاد، ناصر الحسين شيخ البوحسّان، كابتن فلتجر حاكم السماوة السياسي الحاج عبد العباس شيخ بني زريج ثم الحاج عجّه الدللي شيخ آل جياش

وبعد أن تم توزيع العشائر كل لمهمتها قامت عشائر الخناق والخضر المتكونة من بني حجيم بقيادة الشيخ عزاره المعجون[١] وآل زياد بقيادة الشيخ هداد آل مجرم، والظوالم بقيادة شعلان أبو الجون والجوابر وآل توبة وغيرهم.

باشرت هذه العشائر قتالها مع الحامية في شاطئ بربوتي وضربت عليها طوقاً من الحصار، وكان لتلك القوة منوران (باخرتان) حربيتان يحميانها من جهة الشط، وقعتا في فخ الحصار أيضاً فليس لهما أي منفذ لا شمالاً ولا جنوباً إذ أن العشائر أخذت مواقع لها على ضفتي النهر ومنعتاها من الهروب واصلوهما بنار حامية منعتهما من الحركة.

قام الإنكليز بتجهيز حملة كبيرة لفك الحصار عن قواتهم هذه، فأرسلت القيادة في البصرة قوة محمولة مع كميات كبيرة جداً من العتاد والمؤونة والطعام، وسيرتها في القطار الصاعد إلى السماوة كما أرسلت منورين (باخرتين) حربيتين من الناصرية لفك الحصار النهري وطرد العشائر من ضفافه[٢].

= هناك أن القضية قد عولجت علاجاً سيئاً منذ البداية، ولا شك أن السبب يعود لدرجة ما إلى أن مقر القيادة العامة للجيش كان يصطاف في الجبال الإيرانية... فقد استولت العشائر على قطار أو أكثر من قطارات النجدة من رشاشات لويس المزودة بها، وأخذوا يتمرنون جيداً بواسطة تلك الرشاشات على إسقاط طائراتنا حينما كانت تطير لإلقاء الطعام على المحاصرين».

(١) الشيخ عزارة المعجون الحمادي رئيس فرقة آل غانم الصفران من عشائر بني حجيم، اشترك في معظم معارك السماوة والرميثة مع أبناء عمومته من بني حجيم في ثورة ١٩٢٠. انتخب نائباً في العهد الملكي عن لواء الديوانية في دورات المجلس النيابي للسنوات ١٩٣٠ ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٧ ـ ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨. توفي رحمه الله في مدينة السماوة في تشرين الثاني من عام ١٩٥٨ عن عمر ناهز الستين عاماً.

(٢) الفريق سر المر هولدين ثورة العراق ١٩٢٠نفس المصدر السابق، الصفحة ٢٥٦ الفصل السابع عشر، «وقائع في المنطقة النهرية» يتضح من الوصف الدقيق لمعركة السماوة كما يرويها هولدين أن خسائر الإنكليز كانت جسيمة في الرجال والمعدات وكما يلي: من المعدات، ثلاثة قطارات مدرعة، باخرتان، ٣ جنائب نهرية (دوبة) بكامل حمولتها من الذخائر والطعام، طائرة واحدة حربية، مدفعان ثقيلان عيار ١٣ رطلاً، أما القتلى فعددهم ٢٠٨ منهم طيار ومعاونه، ضابطان برتبة عقيد، ضابط طبيب، ٣ ملازمين. وقد أبيد كل رجال الوحدة (لانسرز/ ١٠) والوحدة (٢/ ١٢٥) مشاة، وفصيل جنود بحارة، وقبطان باخرة، و١٧جندي كوركه (الوحدة١/ ١٠) إن المتمعن في هذه الأرقام تثيره هول هذه =

وعند وصول القطار المدرع المشار اليه، استقبلته العشائر في منطقة الدراجي والتحمت مع القوة المحمولة فيه بقتال مرير حتى ارغمتهم على التراجع وفي تراجعه اخرج عن خطه متكبداً خسائر كبيرة في الأرواح، أما الباخرتان الحربيتان فقد التحمتا مع العشائر المرابطة على ضفتي النهر قرب مدينة الخضر مما تسبب لإحدى الباخرتين وهي تحاول الهرب أن تركب جزيرة رملية تحت سطح الماء واستوت عليها مما منع حركتها كلياً فأصبحت عرضة لهجوم مباشر من أفراد العشائر وتم الاستيلاء عليها بعد معركة مع بحارتها جرت بالسلاح الابيض انتهت بمقتل من فيها من ضباط وجنود وغنم الثوار حمولتها الغنية من السلاح والذخيرة والميرة فكانت هذه الاسلاب العسكرية عوناً ومدداً للمحاربين على الاستمرار في منازلة القوات الإنكليزية. أما المنور الثاني فقد أرغم على الفرار والرجوع إلى الناصرية(١).

أما القوة المحاصرة في محطة القطار فقد شعر الثوار بتحركات تجري لنقلها بالقطار إلى خارج المحطة بواسطة قطار مدرع، فقامت على الفور بمهاجمتها وبقتال شرس كبّد الطرفين خسائر كبيرة، وصلت جموع كبيرة من مقاتلي العشائر إلى القطار وهو مليء بالجنود والضباط الإنكليز والهنود فجرت معركة دامية بالسلاح الابيض أبيدت فيها القوة الإنكليزية واستولى المحاربون الاشاوس من أبناء العشائر على كميات ضخمة من السلاح والعتاد والطعام الذي كان محملاً في القطار(٢).

معارك العارضيات

كان الوضع سيّئاً جداً للقوة المحاصرة في صراي الحكومة في الرميثة وذلك بعد أن نفذ ما لديها من طعام، فأخذت بالإغارة على أسواق المدينة

= المعركة التي قادها رجال العشائر الأشاوس أمام جيش متمرس منتصر في حرب عالمية. ولم يسبق للجيش الإنكليزي أن خسر مثل هذا العدد من المعدات والرجال في معاركه مع الجيش التركي.

(١) الفريق السير المر هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠ نفس المصدر السابق، الصفحة ٢٥٦، الفصل السابع عشر «وقائع في المنطقة النهرية».

(٢) المصدر نفسه أعلاه ص ٢٧٠ ـ ٢٧٤، وصف دقيق لمعركة محطة القطار.

ليلاً لسرقة ما يتوفر من طعام في الخانات والمخازن.

أرسلت القيادة الإنكليزية قوة نجدة كبيرة في القطار النازل إلى البصرة من بغداد، وعسكرت في مدينة الحمزة التي تبعد عن الرميثة حوالي ثلاثين كيلومتراً[1].

وحالما شعرت العشائر بخبر وصول هذه النجدات إلى الحمزة، أعيد توزيع محاربيها الذين يحاصرون صراي الرميثة، فقد أنيط بعشائر البوحسان فقط أمر الاستمرار بحصار قوة الرميثة، وتوجهت بقية العشائر للالتحام بالوحدات الإنكليزية الزاحفة من الحمزة.

وكان هذا الجيش، يملك من المعدات العسكرية ما لم يسبق للإنكليز أن جهزوا مثيلاً لها[2].

تقدم الجيش هذا محمولاً بقطار مدرع إلى أن وصل إلى منطقة يقال لها بالعارضيات وهما نهران مندرسان بعمق محدود استحكم فيه أفراد العشائر، وما أن وصل قطار الجيش الإنكليزي، حتى التحم الطرفان في معركة ضارية استبسل فيها أفراد العشائر مما أثار استغراب القواد الإنكليز.

---

(١) أوراق السير ارنولد ولسن الوثيقة: ADD.52459C/Pg. 162/26.7.1920
تقرير: من ارنولد ولسن ـ المقر العام/ بغداد إلى هرتزل وزير الخارجية لشؤون الهند/ لندن
«يوم أمس هربت من أمام خطوط العدو إحدىٰ وحداتنا من سرية الخيالة في موقع بين الديوانية والرميثة (العارضيات) وذلك قبل أن يبدأ القتال بسبب فزع الجنود من الأعراب. وتكرر هذا الحادث بهروب سرية خيالة هندية. هذه الخسائر أصابتنا من الشيعة، فهم وبدون أدنىٰ شك من ذوي الميول البولشفية (الشيوعية).»

(٢) المصدر نفسه أعلاه ص ١١٦، استعمل الإنكليز إلى جانب مدفعية الميدان الثقيلة، القوة الجوية لضرب الثوار.



معركة العارضيات: القوات الإنكليزية تعبر نهر الفرات لإنقاذ حامية الرميثة

استمرت المعركة طيلة النهار وانتهت بعد قيام العشائر بهجوم معاكس إلى إرغام القوات الإنكليزية على الانسحاب إلى القطار تحت حماية المدفعية تاركة وراءها العديد من القتلى والجرحى، متراجعاً إلى الحمزة، وقد غنمت العشائر اكداساً من السلاح والعتاد. ولتفادي تعرضها إلى هجوم إنكليزي انسحبت إلى مواقع آمنة[1].

وصلت إلى الحمزة إمدادات كبيرة جداً بالقطار من الحلة وبغداد وفي يوم وصولها استؤنف الهجوم على العشائر، إذ ما أن وصل الجيش الإنكليزي الذي كان في هذه المرة محمولاً بالشاحنات والقطار سوياً، إلى العارضيات حتى اشتبكت هذه القوات الجرارة[2] مع العشائر المتحصنة كل في خندقها ودارت معركة مريرة طيلة ذلك اليوم حتى المساء، أصيب الطرفان فيها بخسائر فادحة، استعمل الإنكليز بقتالهم الضاري المدفعية الثقيلة والطائرات، التي أخذت تقصف قرى العشائر القريبة من ساحة المعركة لكي تخيف أفرادها وترهبهم وتثبط من عزائمهم، ففي تلك القرى عوائلهم وأطفالهم.

وبحلول الظلام وصل قطار آخر أنزل القوة التي يحملها التي اتجهت نحو النهر بحركة التفاف على العشائر من الضفة اليمنى، وعندما شعرت جموع المحاربين بالأمر صارت مضطرة على الانسحاب لحماية نفسها من

---

(١) الزعيم الركن شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥، معركة خان بغدادي ص ١٥٧ : «وقد بلغت خسائر البريطانيين في هذه الحركات ١٥٩ منهم ٣٦ مقتولاً ..» هذه حصيلة معركة مهمة في أعالي الفرات جرت بين الجيش البريطاني والجيش التركي زج فيها الطرفان عشرات الآلاف من قواته ولكافة الصنوف، هذا في حين فاقت خسائر الإنكليز في اشتباك مسلح مع رجال العشائر دام ساعات والذي ذكر حصيلته هولدين في الصفحة ١٠٨ في كتابه أعلاه: ٤٨ قتيلاً و١٦٧ جريحاً أي ما مجموعة ٢١٥ ضحية بين قتيل وجريح وهو أعلى من خسائرهم في معركة خان بغدادي مع جحفل من الجيش التركي النظامي. (الجحفل مكون من ثلاث فرق مع وحدات الإسناد والمدفعية والخيالة والدروع إن وجدت).

(٢) الفريق السير المر هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠، نفس المصدر السابق، الصفحة ١١١، تفاصيل لرتل قائد الحملة لإنقاذ حامية الرميثة وهي بأمرة اللواء كوننكهام وتعدادها يفوق الفرقتين زائداً وحدات مدفعية وطيران مؤلف من تسع طائرات. كل هذه القوة كانت ضد أفراد العشائر التي سلاحها الوحيد هو البندقية إن لم تكن الفاله والخنجر والمكوار.

الإبادة وتم ذلك الانسحاب تحت جنح الظلام بعد أن أبدت العشائر من البسالة في القتال ما حير الضباط الإنكليز ليس في استماتتهم في الحرب ولكن في اتباعهم أساليب حربية وتحركات مدروسة وكأنهم محاربون محترفون[1] عسكرياً.

لقد أثر هذا الموقف في ساحة المعركة على العشائر المحاصرة لصراي الحكومة فما أن علمت أن معركة العارضيات قد حسمت لصالح الإنكليز وأن قواته الهندية قد عبرت الشط، انسحبت وتفرق جموعها، وبذلك فك الحصار عن الحامية المطوقة ودخل الجيش الإنكليزي إلى الرميثة وباشر فوراً بجمع أفراده وأعدادها للعودة بالقوة المحصورة إلى معسكره في الديوانية.

وبهذه المعركة انتهى فصل مجيد من فصول الثورة[2]. وفي صبيحة اليوم التالي انسحب الجيش الإنكليزي من الرميثة متوجهاً مع أفراد حامية المدينة بعد أن تم إنقاذهم إلى الديوانية، وبقيت العشائر تطاردهم وتقاتل

---

(١) الفريق السير المر هولدين المصدر السابق. كما جاء في الصفحة ٢٨٥ «فأعداؤنا شديدو المقدرة على المراوغة، وهم خفاف الحركة، واسعو الاطلاع على حال بلادهم وطبيعتها، ولهم الحول الكبير والطول في ميداني التجمع والتفرق».

وفي الصفحة ١٠٤ من الفصل التاسع «ثورة الرميثة» جاء: «وتراءت في اليوم الرابع بوادر فرض الحصار على القوة، ونمي إلينا أن العرب يحفرون الخنادق في الشمال الغربي من البليدة، وانهم ينقلون قواتهم بانتظام لإسعافها، ولعل في ذلك ما يدل على أن الضباط الأتراك السابقين كانوا يتولون السيطرة عليهم».

(٢) الزعيم الركن شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨، نفس المصدر السابق، الصفحة ١٥٤ «معركة الرمادي الثانية ـ «. . . وقد تكبد الأتراك ١٢٠ قتيلاً و١٩٠ جريحاً و ٣٦٥٠ اسيراً أما خسائر البريطانيين فكانت حوالي ١٠٠ قتيل وجريح». فإذا ما قارنا هذا العدد من خسائر الجيش البريطاني في معركة كبرى مع فيلق من الجيش التركي بمعركة العارضيات الثانية التي أشار هولدن إلى خسائرها في كتابه المشار اليه بالهامش (١) يقول «بلغت خسائر جنرال كوننكهام في عملية الاسترداد هذه كما يلي: ثلاثة ضباط بريطانيين و٣٢ من سائر المراتب الهنود قتلى (أي ٣٥ قتيلاً) والجرحى ضابطان بريطانيان و١٥٠من سائر مرتبات الهنود» (اي ١٥٢جرحى) أي مجموع خسائر معركة العارضيات الثانية من الأفراد مجموعة ١٨٧فرداً بين قتيل وجريح وهذا يفوق خسائرهم في معركة الرمادي الثانية بمقدار الضعف تقريباً. يضاف إلى هذه الخسائر ما خسره في الرميثة فقد قال هالدين في الصفحة ١١٩ «أما خسائر حامية الرميثة، خلال مدة الحصار، فبلغت قرابة ١٤٨ما بين قتيل وجريح ومفقود، ودام الحصار ستة عشر يوماً».

مؤخرتهم المنسحبة وهم يقومون بحرق القرى التي هي على جانبي مسيرتهم بالمدفعية وغارات الطائرات ومنها قريتي في العكشة ودمروا داري وممتلكاتي كما أحرقوا ودمروا قرية السيد عبد العزيز أبو طبيخ في الطابو، وقرية أخي جعفر قرب الحمزة ولم يسلم من الخراب كل ما هو آهل ومسكون حتى وصولهم إلى الديوانية[1].

وفي هذه المدينة التي تم إخلاؤها صحبت القوة الميجر ديلي والموظفين الذين معه إلى مدينة الحلة وقطع الرتل المنسحب تلك المسافة بين الحلة والديوانية بأحد عشر يوماً وهو في حالة حرب مع العشائر المتاخمة ديارها على طول طريق الجيش الإنكليزي، وهذه العشائر هي الأقرع والجبور وقد قاتلته حتى وصوله إلى الحلة في مناوشات فقد فيها العديد من رجاله ومعداته. إلا أنه بتراجعه هذا فتك بالقرى التي مر بها وأحرقها وسرقوا الطعام والمواشي ومن وقع أسيراً بيدهم قتلوه فوراً.

الهندية

طلب الرؤساء الموجودون في جبهة الحلة بعد أن أعادوا النظر في الحرب بتلك الانحاء كما أسلفت برسول منهم أن ألتحق بهم أنا ومن معي من العشائر في الهندية وحال استلامي لهذا الطلب تشاورت مع علوان الحاج سعدون شيخ بني حسن في الكوفة واتفقنا على أن يبقى هو محاصراً حامية الكوفة، فلديه قوة كافية لمواصلة الحصار، وتوجهت ليلاً ومعي من آل زيّاد المناذير ورئيسهم جري المريع حامل رايتي والهرادي ورئيسهم صدام آل فنيخ وجمع من عشائر كعب والخزاعل، وصلنا الكفل في هزيع الليل وبعد استراحة قصيرة واصلنا مسيرتنا في البساتين على كتف النهر إلى أن التقينا بالعشائر التي كانت في انتظارنا جنوب طويريج على كتف قناة الجرجية إلى أن وصلنا المدينة التي انسحب منها الإنكليز بدون قتال فعبرنا الجسر وسط ترحاب أهلها، وكان ذلك في عصر يوم ١١ ذي القعدة ١٣٣٨هـ (المصادف ٢٧ تموز ١٩٢٠).

(١) الفريق السير المر هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠، راجع المصدر السابق، الصفحة ١٧٢ «الانسحاب من الديوانية».

اجتمع الرؤساء كافة الموجودون في هذه المدينة والرؤساء لعشائر هذه المنطقة لتدارس الوضع العام والاتفاق على ما يجب القيام به، وقد استمر العمل بالتوجيهات السابقة بخصوص مدينة الحلة وتقرر الزحف للسيطرة على سدة الهندية بعد أن وردنا ما يفيد أن الإنكليز انسحبوا منها[1] وبناءً على ذلك اوكل أمر احتلال السدة اليّ والعشائر التي هي تحت رايتي وإلى الشيخ عبادي الحسين والشيخ عمران الحاج سعدون والحاج مرزوق العواد والمرحوم عبد الواحد الحاج السكر.

ودخلنا السدة ليلة ١٢ذي القعدة ١٣٣٨ وأوكل أمر حراسة السد والنواظم التابعة لها لعشائر بني حسن وآل فتلة (الهندية) نظراً لأهمية السيطرة على توزيع الماء من هذه الجداول على المدن والمزارع التي تستقي منها. وما أن استتب لنا الأمر حتى وردتنا الأخبار بأن الإنكليز على وشك إعداد جيش لاحتلال السدة ومدينة كربلاء المقدسة[2] بعد ذلك أخذ يستدرجنا في مناوشات في مواقع مختلفة في هذه المنطقة وفي طويريج وحول مدينة الحلة والمسيب، ونظراً لهذا الوضع غير المطمئن بقيت في طويريج (الهندية) لما بعد السابع من ذي الحجة ١٣٣٨ بعد انسحابنا من الحلة وبدأنا نعد انفسنا لحرب قاسية مع الإنكليز لاسيما بعد أن شحت ذخيرتنا وقل ما لدينا من الطعام وصرنا نعتمد على ما يردنا منه من النجف ومن محالنا. إلى جانب ذلك كله كان علينا أن نحارب الشائعات التي كان يبثها أعوان الإنكليز عن قرب هجومه علينا وأن أحكام الإعدام ستنفذ بنا

---

(١) صدر البلاغ العسكري رقم ٤٩ بتاريخ ٢٨ تموز ١٩٢٠ من القيادة الإنكليزية في بغداد جاء فيه: «احتلت القبائل الكفل، ولم يحدث تبدل في الكوفة، وقد سارت قوة صغيرة نحو الكفل فصادفت مقاومة (معركة الرارنجية) وعادت إلى الحلة. واضطر المهندسون الذين في سدة الهندية إلى مغادرتها بسبب عداء القبائل والحالة في كربلاء دقيقة أما المسيب فانها ساكنة ولم يحدث تبدل في الاماكن الاخرى».

(٢) الفريق سر المر هولدين ـ راجع المصدر السابق الصفحة ١٩١ «. . . فلو أريد استرداد الكوفة، وجب أن تمر القطعات اللازمة لذلك من طريق تحف به الأراضي المروية بقنوات متشعبة من شط الحلة. لذلك كان استرداد (السدة) مبكراً من الأمور الضرورية حقاً».
. . . «وفي اليوم العاشر من آب تحرك الرتل الخامس والخمسون صوب (خان المحاويل) الكائن على طريق المسيب بغية استرداد السدة. وسارت في اليوم التالي قوة صغيرة بإمرة العقيد سكوت بمحاذاة السكة الحديد لإصلاحها والقيام بالاجراءات التأديبية اللازمة».

وأنه سيفتك بالأهالي العزل وكلها أقوال لتثبيط العزائم والهمم.

معارك كربلاء

استمرت الحرب مع الجيش الإنكليزي كرّاً وفرّاً. ففي ليلة استيلائنا على السدة، حاول العودة إليها بقوة هندية من الكوركة والسيخ المعروفين بشدة المراس في القتال وقد حاولنا اخراجه من مواقعه التي اتخذها عند مفرق خط القطار حلة ـ كربلاء ولم نوفق من زحزحته وفي صبيحة اليوم التالي وصلنا خبر بتحركه من مواقعه هذه باتجاه كربلاء بمحاذاة الطريق الموازي لجدول الحسينية ومن حسن الحظ أن العشائر المجاهدة كانت مرابطة على ضفتي هذا الشط. فلما أخذت العشائر التي على الضفة اليمنى الخبر بتحرك الجيش الإنكليزي وتوجهه إلى كربلاء (وهذه العشائر هي من العوابد بقيادة المرحوم الحاج مرزوق العواد)، سارعت إلى اعتراضه والتحمت معه بمعركة عنيفة استمرت طيلة النهار قامت فيها بهجوم قوي أرغمته على التراجع إلى السدة من حيث اتى بعد أن كبدته خسائر فادحة وغنمت منه كميات كبيرة من العتاد والسلاح[1]، لقد هيأت هذه المعركة الفاصلة ابعاد الإنكليز عن كربلاء، إذ بعد تلك المعركة عبرت جيوشنا كلها ودخلنا المدينة المقدسة[2]. كان عند دخولنا في ذلك الوقت ممثل الحاكم

---

(١) عبد الرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية، المجلد الثاني الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٩٨٦، الصفحة ٢٨٧ ـ ٢٨٨ «في ١٦ ذي القعدة ١٣٣٨هـ والموافق ١ آب ١٩٢٠، علم الثوار بأن القوات البريطانية تنوي التقدم نحو الحسينية بقصد احتلال (كربلاء)».

«قرب خان العطيشي.. تمركزت عشائر (الشيخ مرزوق العواد) و(السيد علوان الياسري) و(السيد محسن أبو طبيخ) و(الشيخ عمران سعدون)».

«زحفت القوات البريطانية صباح يوم ١٧ ذي القعدة الموافق ٢ آب نحو نهر الحسينية لإزالة المقاومات التي تعترض التقدم نحو كربلاء».

«شرعت قوات الثوار التي مع (الشيخ مرزوق العواد) بالتعرض للجيش البريطاني»

«خسر البريطانيون في هذه المعركة (١٢٠) قتيلاً تركوهم في ميدان المعركة».

(٢) الدكتور وميض جمال عمر نظمي، راجع المصدر السابق: الصفحة ٣٨٢ «وفي السادس من آب/اغسطس أعلنت كربلاء الجهاد وجلا عنها البريطانيون، وتشكلت إدارة عربية على رأسها السيد محسن أبو طبيخ كمتصرف.. وعندما جلا البريطانيون عن كربلاء، تولى المندوبون شؤون الإدارة وتشكلت لجنة لهذا الغرض».

السياسي المعين من قبل الإنكليز هو حميد خان ابن أسد خان واخو مصطفى خان فتم اسره وأرسل مخفوراً إلى الهندية حيث احتجز هناك وبقي فيها إلى أن أطلق سراحه الإنكليز عندما اعادوا احتلال سدة الهندية وهذه المدينة في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٠.

خرجنا من كربلاء بعد أن تم توطيد الأمن فيها تحت إشراف المجلس البلدي وما فوقه العلماء الاعلام وعسكرنا على جدول الحسينية شرقي المدينة لحمايتها من أي هجوم مفاجئ[١]. ولقد أصابنا الإعياء لكثرة الحركة والقتال في جبهات متعددة في آن واحد لا سيما وأن الحر في هذا الموسم كان على اشده والطائرات الإنكليزية تطاردنا وتقتل محاربينا وتحرق قرانا ومزارعنا وقد مر زمن طويل على المجاهدين من ابنائنا لم يزوروا خلاله أهليهم ويسدوا حاجة عوائلهم والطعام شحيح في الأسواق والأسعار مرتفعة إلى درجة لا يمكن لأي فرد سد حاجته من أي مادة غذائية ناهيك عن مجاهدينا الذين تركوا مزارعهم وانقطع رزقهم وليس لهم ولعوائلهم إلا رحمة الله. لقد استهلكنا كل ما في مخازن طعامنا[٢] علماً إن ما كان لدينا هو اقل مما يتوفر اعتيادياً وذلك لرداءة الموسم الشتوي إضافة إلى رداءة الموسم الصيفي من الشلب للسنة السابقة وهذا ما زاد في الطين بلّة، لقد أخذ منا تدبير الزاد كل امكانياتنا المالية التي كان أجدر - لو توفر الطعام - أن نكرسها لشراء السلاح والعتاد، أني لأذكر بتمجيد وإكبار ما قدمه بسخاء السيد نور الياسري والسيد هادي مكوطر والسيد علوان الياسري والسيد هادي زوين والحاج محسن شلاش، وكرم الحاج عبد الواحد السكر

---

(١) عبد الرزاق محمد الأسود، موسوعة العراق السياسية، راجع نفس المصدر أعلاه، الصفحة ٢٨٩، «هاجم الثوار مواقع القوات البريطانية في صدر الحسينية وتقدموا رغم كثافة النيران... وهم بين نيران مصوبة إليهم من (موضع الصدر ومن سدة الهندية ومن المسيب) ... «وفي ١٢ ذي الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٥ آب ١٩٢٠ انتقل الثوار من صدر الحسينية إلى (الوند) وتقرر مهاجمة المسيب».

(٢) علي البزركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، الطبعة الثانية ١٩٩١ مطبعة الأديب، بغداد، الصفحة ١٧٣ : «لقد سكنت في كربلاء مدة طويلة من الزمن... ولا بد من أن اذكر أن السيد محسن أبو طبيخ كان يبذل كل ما عنده من اموال في سبيل إعاشة تلك العشائر ويوزع لهم اللحم والرز المسمى (طبيخ)».

الذي بدون مساعداتهم وسخائهم وبذلهم لما استطعنا الاستمرار في الجهاد ومواصلة القتال.

لقد وفقنا الله سبحانه وتعالى إلى إخلاء الفرات من الإنكليز، مدنه وقراه من السماوة إلى المسيب وفي وقت قصير إذا ما قيست قوته العسكرية إلى قوة مجاهدينا، فقد بدأنا الحرب معهم في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ وها نحن الآن في تشرين الأول (اكتوبر)، نعد العدة لتنظيم الإدارة المدنية في المدن التي هي في قبضتنا وتتأهب العشائر من المحاويل إلى المحمودية للتوجه إلى بغداد وضرب الحصار عليها[١]، أخذ الإنكليز بالإعداد لمثل هذا اليوم ووضعوا الخطط لمجابهة العشائر القادمة إليهم من الجنوب، فشددوا الإجراءات الامنية داخل المدينة وضيقوا الخناق على إخواننا البغداديين الذين كانوا لنا دعماً وسندا معنوياً لاسماع صوتنا والتأكيد على وحدة مطالبنا الوطنية ووصل الموقف بين الجانبين إلى درجة الغليان ونشوب القلاقل في أحياء بغداد فصارت القوات العسكرية تجوب الشوارع وتطارد الوجهاء، فأفلت من أيديهم المرحومين يوسف السويدي وجعفر أبو التمن والسيد محمد الصدر وعلي البزركان وفروا هاربين طلباً للنجاة بأنفسهم[٢].

---

(١) الفريق سر المرهولدين ـ راجع المصدر السابق، الصفحة ٢٠١
«ولم يكن الظرف حينئذٍ ليسمح بإضعاف حامية بغداد، فلقد وردت الأنباء التي أشرت إليها قبل قليل تفيد أن من المتوقع مهاجمة بغداد، لا من الغرب حسب، وانما من الشمال أيضاً». . . «واختار رجال الشرطة يوم الثاني عشر من آب (اغسطس) موعداً لإلقاء القبض على من يحرّض الناس على الثورة، وكان من المتوقع أن تندلع ثورة في ليلة ذلك اليوم بعينه، لذا أوعزت بوضع «خطة الدفاع الداخلي موضع التنفيذ».

(٢) كوتلوف. ل. ن، ثورة العشرين الوطنية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم مطبعة الديواني، بغداد ١٩٨٢، الصفحة ١٩٧ ـ ١٩٨: «. . . وقد أعلنت حالة الطوارئ في بغداد في الثالث عشر من أيلول (سبتمبر)، وأخذ الجنود والضباط الإنكليز يجوبون الشوارع بسياراتهم المصفحة ليل نهار، كما أعلن عن منع التجول منذ الساعة العاشرة مساءً، وهددت السلطات المحتلة بإطلاق النار على كل من يخالف هذا الأمر».
ـ كرترود لوشيان بيل ـ راجع المصدر السابق
الصفحة ١٦٥ ـ ١٦٦ «١٦ آب ولأقص لكم الآن شيئاً من الثورة. . . صدرت الأوامر إلى الشرطة بتوقيف الرؤساء الأربعة (جعفر أبو التمن، يوسف السويدي، علي البزركان، والشيخ أحمد الداود). . . وفر الآخرون إلى الكاظمية وهم الآن في النجف على ما علمت. وصدرت الأوامر بعد ذلك بمنع الاجتماعات في الجوامع، مع فرض منع التجول».

انسحاب الإنكليز من المسيب

اجتمع رؤساء العشائر كافة وسادات الفرات في معسكر الحسينية، حينما شعروا بأن الأمر قد استتب للمجاهدين وعليهم الآن توزيع العمل فيما بينهم، إدارياً وعسكرياً وهم على علم بأن الإنكليز يتحفزون للانقضاض على مدنهم وقراهم بالرغم من تدخل المغفور له حجة الإسلام الشيرازي لدى ولسن للاستجابة للمطاليب الوطنية ليتوقف القتال ونباشر بالتفاوض[1]، كان ذلك الاجتماع في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة وعلينا الآن الاستيلاء على المسيب ليستتب لنا الأمر في هذه المنطقة ونحمي خلفيتنا من الإنكليز. وجه الرؤساء قوة من آل زيّاد وآل فتلة وبني حسن والعوابد فاحتلت هذه الوند بدون مقاومة تذكر واستمرت في تقدمها نحو المسيب فدخلت البلدة التي على الجانب الأيمن من النهر بدون مقاومة وبعد حوالي عشرة أيام صب الإنكليز علينا نار المدفعية البعيدة وصرنا تحت نار مقاتليه من الجانب الآخر متحصنين في غربي المدينة وبأسلحة قوية. استمرت المناوشات معهم ليلاً ونهاراً إلى أن تم لهم استعادتها من قبضتنا في هجومهم العام على الفرات.

حكومة الثورة في كربلاء

جرى اجتماع آخر في معسكر الحسينية حضره الرؤساء كافة لمنطقة الهندية والحلة وسادة النجف وأبو صخير والمشخاب وعشائرها كما حضر خصيصاً لهذا الاجتماع من كربلاء، السيد السند المغفور له هبة الدين الحسيني الشهرستاني والشيخ محمد حسن أبو المحاسن وتدارسوا في اجتماعهم

(١) كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، الجزء الثاني، مطبعة الآداب، النجف ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م. الصفحة ١٦٠ «جريدة العراق» العدد ١٧/٦٦ آب ١٩٢٠ ـ ٣ ذي الحجة ١٣٣٨.

«... وسيذهب اللفتننت كولونيل هول ناظر المالية إلى هناك قريباً بصفة رأس الحكام السياسيين، نائباً عن الحاكم الملكي العام، وفي عهدته إجراء مفاوضات وغيرها مع الرؤساء وقد اعرب حضرة العلاّمة حجة الإسلام الميرزا محمد تقي الشيرازي عن رغبته في الكف عن الخصام!».

هذا التشكيلات الإدارية لمدن الفرات كافة ولما كانت مدينة كربلاء سبّاقة في هذا المضمار، إذ تم تشكيل إدارة مدنية فيها تتدبر شؤونها، فقرر المجتمعون تشكيل حكومة وطنية مؤقتة واختاروني من بينهم للقيام بهذه المهمة[1].

وبالرغم من رغبتي بالبقاء بين إخواني في ميادين القتال، إلا أنه نزولاً عند قرارهم قبلت بذلك التكليف المشرّف واستأذنت بالتوجه إلى كربلاء للمباشرة بمهام عملي، وتيمناً بعيد الغدير المصادف ١٨ ذي الحجة، فقد توجهت مع العديد من الرؤساء والمشايخ وأعيان مدينة كربلاء الذين حضروا لمصاحبتي، وفي ليلة ١٧ منه توجه الجمع إلى هناك وما أصبح النهار إلا وكانت المدينة المقدسة تعج بالوفود التي اتت من النجف ومدن الفرات إلى جانب أفراد العشائر من المجاهدين معنا في هذه المنطقة.

كما حضر من بغداد، بعد أن فروا من مضايقات الإنكليز لهم هناك، أعيان الحركة الوطنية، جعفر أبو التمن وعلي البزركان ويوسف السويدي وعدد من الضباط الذين كانوا معنا في الكوفة.

وقد جرى الاحتفال في دار البلدية وسط الحشود التي كانت بحدود عشرات الآلاف من النفوس، ورفعت أول علم عراقي على البناية الذي اتخذته صراي للحكومة وسط هتافات داوية وزغاريد النسوة والهوسات والأهازيج الشعبية.

كما القيت في الحفل العديد من الخطب وقصائد شعرية رائعة. لقد كان عملاً دؤوباً ليلاً ونهاراً، حاولت أن أقوم بخدمة الناس بادئ الأمر بالسيطرة على الطعام وتوفير اللازم منه ليس فقط لأهل المدينة، بل حتى

---

(١) كوتلوف ل. ن، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، نفس المصدر السابق، الصفحة ٢٢٧ «وفي كربلاء كانت الإدارة المحلية بإشراف (المجلس الأعلى) و(المجلس الملي). وكان المجلس الأعلى يشرف على نشاط المجلس الملي، الذي يعتبر الجهاز الإداري في المدينة، وقد تقلد تقي الشيرازي، رئاسة كلا المجلسين حتى وفاته. ولعب الزعيم القبلي الكبير محسن أبو طبيخ متصرف كربلاء، دوراً في إدارة المدينة».

العدد ٦ — حرية لا حياة بلا استقلال — السنة الاولى

الاستقلال

المكاتبات باسم جريدة الاستقلال
مدير سياسي الجريدة ورئيس تحريره
السيد محمد عبد الحسين
مدير شؤونها
السيد عبد الرزاق
اجرة الاعلانات السطر قرشان

قيمة الاشتراك وتدفع سلفاً
عن سنة خمس مجيديات في النجف
وست مجيديات في خارجها
وبدل كل شهر ١٠ غروش صحيحة
لا ترد الرسائل نشرت اولم تنشر
ثمن النسخة نصف غرش صحيح

النجف : الاثنين ٢٧ محرم سنة ١٣٣٩ جريدة سياسية ادبية اجتماعية تصدر في الاسبوع اربع مرات . الموافق ١٠ تشرين اول سنة ١٩٢٠

يوم تاريخي

بشرى للامة العراقية

تاقت الامة العراقية لرؤية يومها التاريخي اليوم الذي يرفرف علمها فوق الاكوان الاربعة على ربوع العراق ويجلس ابناؤها على منصة الحكم فتستنشق هواء الحرية المطلق وتطلق يدها لاصلاح فاسده وتمشي وراء مجرانه بالوسائل الناجحة . تاقت الى ذلك وسعت اليه بالطرق السلمية متمسكة بالوسائل الادبية ولكن الاحتلاليين ابوا ان يروها آملين على منالتنا المنشودة حتى تراق الدماء الغزيرة البريئة وتزهق النفوس البائسة فنالت الامة يوم الخميس الماضي ١٣ محرم تشاهد يومها التاريخي الذي قرر المؤتمر العراقي الحربي ان يرفع فيه العلم العربي في كربلاء ويتربع على منصة حكمها احد رجالها وبطل من ابطالها وهو السيد محسن ابو طبيخ .

احتشد اهالي كربلاء في الميدان لمشاهدة ذلك اليوم الكبير في الساعة ١٠ نهاراً وغصت دار البلدية بالاشراف والسادة المحيطين باول متصرف عربي نصبته الامة حسب رغبتها لادارة لواء كربلاء . وتدحي بالعلم بعد تبريكه بالمشاهد المقدسة يحمله جمع من السادة الاشراف وصعدوا به الى سطح البلدية ونشروه بين هتاف وتصفيق . وبعد رفع العلم اشرف حضرة المتصرف على الجموع المجتمعة وفاه بكلام اظهر فيه عظيم السرور مما احرزه المجاهدون من التقدم في الفرات وتطهيره من الخائنين وحث الامة على المحافظة على الامن واحترام القوانين الشمانية التي سهل جاموقتا فكان لكلامه رنة في النفوس . وبعد ذلك تقدم حضرة الوطني علي افندي البزركان والقى خطاباً حماسياً هنأ الحاضرين على مشاهدة ذلك اليوم التاريخي وتنصيب اول متصرف عربي على كرسي الحكم في كربلاء المقدسة وصفق له الحاضرون ثم تبعه حضرة جميل افندي فالقى خطاباً ذكر فيه ما كان يعمله الاحتلاليون من الظلم في البلاد المقدسة وما تقاسيه الان بغداد وسائر البلاد العراقية من الحيف والعسف وتلى قصيدة مطلعها .

بشراك يا كربلا فوري انظري العلما . على ربوع ربوعك خفاقاً مبتسما

وبعد ذلك اطلقت البنادق في سطح البلدية وفي ساحة الميدان مما كان له تأثير كبير في النفوس . وانفض المجتمعون وجميعهم يهللون فرحاً وسروراً فبشرى للامة العراقية بذلك اليوم الذي لم يحل دون مشاهدته الوسائل التي اتخذها الاحتلاليون وما اعدوه من عدة وعدد : والامل قريب ان تشاهد النجف وسائر البلاد العراقية امثال ذلك اليوم في الوقت القريب . فليحيى المؤتمر العراقي الحربي .

كربلا : مكاتبكم

جبهة الحلة

اليوسفية ٢٢ محرم — خرج عدد من الجند الاحتلالي من بغداد قاصداً الحلة فصادمته قوات العرب المرابطة في اليوسفية بقيادة علوان الشلال شيخ البو محيي وقتلت عدداً كبيراً والجنود العربية مرابطة من خان الناصرية الى المحاويل وتستعد لتخريب السكة الحديدية .

الحلة — ٢٢ محرم خرج عدد من الجند الاحتلالي من الحلة متجهاً نحو خفاجة والجبور فصادمته القبائل المرابطة وارجعته الى مواقعه .

الحلة ٢٣ محرم — ازداد العدو اليوم عدداً فقد توجه قسم من قواه نحو الجزيرة وقسم آخر نحو الكفل وقد ردت كتيبة السفك والبو سلطان هجماته وارغمته على الرجوع الى مواقعه واشتبكت معه خفاجة والجبور من جهة الكفل وقد وصلت اثناء القتال نجدة من آل فتلة ساعدت بني الجبور والخفاجة فالتقوا بالعدو خسائراً فادحة وامتلأت الارض بجثث القتلى وقد عبر ملال اللوح بحربية نحو الكفل فتضايق العدو وصعب عليه العود الى مواقعه الاصلية . الحرب مستمرة في شرق الحلة .

الحلة ٢٤ تتوارد النجدات من بني حسن والشامية وغيرهم والحرب مستمرة نارها في شمال الكفل ،

حول قتل ولسن

نشرنا نبأ قتل ولسن حاكم العراق المنفصل في عدد مضى من الاستقلال استناداً على كتاب الشيخ مازني وتحققنا اخيراً ان حاكم الكوت الذي نشرنا خبر قتله في ذلك العدد يدعى (ولسن) ايضاً وقد قتله عبدالله في الحي عن ذلك نشأ سوء التفاهم .

١١٤

خبر تنصيب السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً في كربلاء كما نشرته جريدة الاستقلال بعددها في ١٠ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٢٠

للمجاهدين من أفراد العشائر[1]، أما التنظيمات الإدارية الأخرى فقد تم تشكيل قوة من الشرطة للمدينة[2] وعدد من الجُبات لجمع الضرائب والسيطرة على ماء جدول الحسينية الذي كان شحيحاً فمنعنا هدره في البساتين وكان التعاون مع مجالس المدينة التي كونها الكربلائيون قبيل مجيئي تاماً وقد أخذ الإنكليز حينما استولوا على المدينة بكل التعليمات والتنظيمات الإدارية التي اوجدناها في فترة قصيرة في ظروف في غاية الصعوبة ولما كانت تعوزنا الدراهم لإنجاز ما نريد القيام به، فقد جاد علينا وجهاء المدينة وتبرعوا بسخاء عندما طُلب منهم.

---

(١) ما أن تم تشكيل الإدارة المحلية في كربلاء وتسلم السيد محسن أبو طبيخ منصب المتصرفية حتى قامت السلطات البريطانية بضرب حصار «اقتصادي» على المدينة راجع:
كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، راجع الصفحات ١٦٣ ـ ١٦٤ «بيان: المصدر السابق، المواصلات مع كربلاء ممنوعة، والبضائع المرسلة إليها معرضة للمصادرة بأمر اللفتننت كولونيل اي. تي. ولسن القائم بأعمال الحاكم الملكي العام في العراق» عن «جريدة العراق: العدد ٧٠/٢١ آب ١٩٢٠ = ٧ ذي الحجة ١٣٣٨».
جاء في العديد من كتب الثورة أن السيد نور الياسري كان قد اختير ليكون قائمقاماً للنجف وانه استقال بعد فترة وجيزة والسبب الذي اشار اليه المؤلفون هو اعتراضه على كونه قائمقاماً تابعاً لمتصرفية كربلاء وبذلك يصبح تابعاً لإدارة المتصرف السيد محسن أبو طبيخ. وهذا التحليل غير منطقي لا علمياً ولا أدبياً، فمدينة كربلاء في ذلك الوقت كانت تتبع متصرفية لواء الحلة إدارياً وكانت النجف تتبع لواء الشامية إدارياً وليس للاثنتين أية علاقة ببعضهما، وفي اثناء الثورة نشأت إدارات محلية مستقلة في المدن لا علاقة لها بالتقسيمات الإدارية لا التركية ولا الإنكليزية. أن اختيار المرحوم السيد نور الياسري ـ بغض النظر عن عنوان وظيفته ـ جرى لمتطلبات فرضت نفسها في حينه، منها علاقته الوثيقة بالعلماء الاعلام مما يستدعي تواجده التام معهم في النجف وكبر سنه مما قد يمنعه من سرعة الحركة وما قد يكون لها تأثير على صحته، وأن النجف كانت هي العقل المدبر للثورة وبقيت كذلك في قضايا تدبير المال والطعام والسلاح وخير دليل على ذلك الوثائق المنشورة في هذا الكتاب. لقد أراد البعض أن يضع هذا الأمر في صدارة الأخطاء التي اقترفها الثوار واني لا اعتقد أن استنتاجاتهم هذه كانت صائبة... إضافة إلى ما تقدم فإن موضوع اختيار السيد نور لهذا المنصب ينقصه السند الوثائقي وقد نفاه الكثيرون من قادة الثورة بمن فيهم السيد محسن أبو طبيخ نفسه (راجع الصفحة ١٧٣).

(٢) كان يوم تنصيب السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً في لواء كربلاء هو ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٢٠ المصادف ١٨ ذي الحجة ١٣٣٨هـ.
تحسين العسكري، مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، الجزء الثاني، مطبعة العهد، بغداد، ١٣٤٥هـ ١٩٣٦م الصفحة ١٨٩ «وفي خلال مكوثنا في كربلاء ألف الثوار حكومة موقتة هناك. وقد نُصب السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً وتعين بعض =

مولاي العالم الفاضل حضرة السيد محمد علي حفظه الله

بعد الدعاء من خصوص اشخاص الذين اعوظنا حالهم بخدمتهم صار ثلاث

دفعات نلح على حضرتكم حتى صرنا محجوبين بسبب التجاسر

بالالحاح ولكن حيث ان صاحب الدار ادرى . تجاسرنا

ولم نرا نتيجه وهؤلاء ان لم تحصل لهم جاره يسافرون

وسفرهم مضر بالوضعية فاذا اعانه لم تحصل فمن هل سوات

نعطي لهم ما يقتضي هل الذي ياكلوه اهل كربلا بلا فائده

وبلا ... بالجيش ولو اخذته انفع لهؤلاء منهم فاذا يجب

مال نومي وينقطع من اهل كربلا من المقدر لهم يكفي هؤلاء

الاشخاص الى ١٥/٢٠ يوم . منتظرين انجاز هذا الطلبه

قبل ان تحصل لهم الاداب ودمتم مؤيدين

ابو طبيخ
محسن

٢٩ محرم ١٦

رسالة السيد محسن أبو طبيخ من كربلاء إلى العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني

واستطعنا الحد من موجة السلب خارج المدينة وقد قام أفراد العشائر كل في منطقته بهذه المهمة خير قيام. كما توصلنا إلى حل النزاعات القائمة والشكاوىٰ المختلفة بالأسلوب العشائري الجماعي وذلك بتشكيل مجالس قضاء قامت بواجبها على وجه ارضى الأطراف المتخاصمة ومن تلك المشاكل امور كانت مستعصية وجدناها بين عوائل عريقة وتجار لهم سمعتهم في كربلاء وخارجها وسيطرنا على حركة التهريب عموماً بعد أن علمنا أن الإنكليز أخذوا يرسلون المهربين إلى مراكزنا لابتياع الاغنام والطعام والسمن بأسعار لا تصدق ولا يمكن لأحد منافستها لإشاعة القحط.

لقد بذل الإنكليز اموالاً طائلة لشراء الذمم بعد أن وجدوا أن محاربتنا قد كلفتهم غالياً، وركزوا كل جهودهم على تخريب ما نقوم به من عمل بواسطة عملائهم الذين تم شراء ضمائرهم، وكان هذا سبباً في اسقاط إدارتنا في كربلاء ثم انسحابنا منها ومن الحسينية إلى أبو صخير.

المعارك الأخيرة

كانت أحد عشائر بني حسن التابعة لمنطقة الهندية معسكرة في موقع يقال له القصبة والذي يقع في منتصف الطريق الموصل بين الحلة وطويريج (الهندية) مركز قضاء الهندية.

لقد حصلت من هذه العشيرة خيانة بعد أن اتفق رؤساؤها مع الإنكليز، حيث أنها انسحبت ليلاً من موقعها المهم وفتحت الطريق للجيش الإنكليزي فاندفع منه إلى مدينة طويريج التي كان يسيطر عليها آل فتلة برئاسة الحاج عبد الواحد السكر، فقاتلوا الانكليز وبذلوا أرواحهم بسخاء في سبيل إيقاف الرتل الزاحف، بقوات كانت مدعومة بالمدفعية والطائرات التي تغلبت على المجاهدين[1]. وعندما أخذ الرؤساء الخبر

= الأشخاص بمنزلة درك للمحافظة على الأمن يرأسهم أحد الشخصيات البارزة عن الكربلائيين ضابطاً عليهم».

(١) عبد الرزاق محمد الأسود، موسوعة العراق السياسية - راجع المصدر السابق الصفحة ٣٢٣ - ٣٢٩ «كانت قوات الثورة مستمرة بحصار (الحلة) وكانت الغارات الجوية البريطانية على العشائر مستمرة حتى يوم ٢٨ محرم ١٣٣٩ الموافق، ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠حين اتصل حاكم سياسي لواء الحلة والشامية ببعض الأذناب وضعاف النفوس واتفق معهم على أن =

ممن كان مرابطاً في الوند والحسينية وحذراً من قيام الإنكليز بقطع خط الرجعة على جيوشهم، انسحبوا بانتظام وقد أخذوا طريقهم إلى كربلاء حيث صحبتهم بعد أن اخرجت جموع المقاتلين من المدينة المقدسة مع معداتهم وسلمنا مهمتنا إلى المجلس البلدي وتوجهنا إلى الكفل والطائرات تطاردنا وتفتك بمن ينكشف لها خارج البساتين التي أخذنا منها ستراً لنا.

وحين وصولنا إلى الكوفة، علمنا بما يجري على نطاق واسع من خيانات واستسلام للإنكليز من بعض العشائر.

هذا ما اضطرنا لسحب الجيوش التي تحت لوائي والتي كان موكلاً لها حصار خان الحكومة (المستشفى) وهي عشائر من آل زياد وكعب وقبيل انسحابنا عن الكوفة وصلها الجيش الإنكليزي بعد أن اتم احتلال طويريج وكربلاء واستسلمت النجف، فوقعت مع الرتل المتقدم معركة مع جماعتي المذكورة في ضواحي المدينة.

حاولنا في هذه المعركة عبثا إيقاف تقدم الجيش الإنكليزي وصدّه ولكن تفوقه العسكري كان واضحاً وتبين لنا أن بقاءنا أمامه يعني الابادة الأكيدة لأبناء العشائر البررة[1]. فأصدرت أمري بالانسحاب تحت جنح

= يتركوا مجالاً للجيش لاجتياز (قصبة الحاج شكري)... تقدم اللواء (٣٥) بكامل تجهيزاته وبأسناده (٩) طائرات على طريق (الحلة ـ الهندية) العام واجتاز القصبة دون مقاومة... ودخلت القوات البريطانية مدينة (الهندية) عصر يوم الثلاثاء ٢٨ محرم ١٣٣٩الموافق ١٢تشرين الأول ١٩٢٠، والطائرات في اسنادها وهي تقصف جموع الثوار المنسحبين باتجاه (كربلاء)... وازاء هذا الموقف خرج الزعماء والرؤساء إلى النجف لتشكيل القاعدة الدفاعية في (ابي صخير)... وبدأ الاهلون بتنفيذ شروط الصلح فنفذوها. أما ما يتعلق بالشرط الأول، فقد سلم (٣) من المطلوبين ولم يسلم كل من (السيد محسن أبو طبيخ، الشيخ عمران الحاج سعدون، الشيخ مرزوق العواد وانما ذهبوا إلى (ابي صخير) ومن هناك انتقلوا إلى الحجاز».

(١) صدر البلاغ العسكري البريطاني المرقم ١٢٠ والمؤرخ في ٢١ تشرين الأول ١٩٢٠ جاء فيه «يقدر عدد الثائرين الذين كانوا مرابطين في المواقع أمام الكوفة بـ ٢٥٠٠ واستمر القتال في المدينة وقد بلغت جنود الطابور الـ ١٠٨ المشاة محل الحامية قبل غيرها واشترك في القتال جنود منجستر والسيك والمهراتا، واشتبك فرسان الطابور الـ ٣٥ السندي مع جمع كبير من الثوار في القتال، واشتركت الطائرات في المعركة وفتكت بالثائرين المنهزمين (كذا) وقد أحرق قسم من المدينة بقنابل المدفع الذي كان قد غنمه الثوار وأحرق أيضاً قسم من السوق لدى محاولتهم إضرام النار في معاقلنا». =

الظلام فجراً وقبل أن ينبلج النهار وتفرقت الجموع المقاتلة تخلصاً من رمي الطائرات، وتوجهت أنا مع قوة صغيرة إلى أبو صخير للالتحاق بمن بقي من الرؤساء المخلصين ملتزماً بذلك اليمين الذي أقسمناه عند سيدنا الحسين وسيدنا العباس عليهما السلام قبل الثورة بوجه الإنكليز.

نهاية الثورة

بعد المعركة آنفة الذكر حصلت خيانة خطيرة عند بعض العشائر في منطقتنا وانشقت علينا، حيث راجعَ رؤساء هذه العشائر الإنكليز واظهروا لهم الولاء لقاء اموال نقدية كبيرة، ثم جاءنا هؤلاء القوم وهددونا بأنهم سيتفقون مع الجيش الإنكليزي ويضربوننا إذا لم ننسحب من أبو صخير أو نستسلم.

كان كل هذا يجري والطائرات تصب حممها الرهيبة علينا وقد احرقوا المدينة وكل القرى التي حولنا وقد تحول الليل إلى نهار من شدة الحرائق المشتعلة في القرى والبساتين المحيطة بنا(١). وقد وردنا أنهم احرقوا قصبة غماس وهي المبنية بالبردي والقصب وضربوا بنيرانهم بيوتي ومحالي ومزارعي ومضيفي، وخربوا قريتي في الطابو وأحرقوها ودمروا مضيفي وسرقوا كل شيء حتى الماشية وتبن الخيل وجراء هذا الإرهاب فقد استسلم أخي جعفر إلى قائد الحملة في النجف.

= ـ عبد الرزاق محمد أسود ـ موسوعة العراق السياسية، راجع المصدر السابق الصفحة ٣٢٢ «وفي ٥ صفر ١٣٣٩ الموافق ١٨ تشرين الأول ١٩٢٠ استأنف الجيش البريطاني زحفه نحو (الكوفة) ودخل مع عشائر العوابد والحميدات في معارك وهزمهم... ثم التقى مع قوة من الثوار مؤلفة من (١٠٠٠) محارب بقيادة (السيد علوان الياسري) و(عبد الواحد الحاج سكر) و(عبد زيد) (وجري المريع ـ جماعة السيد محسن أبو طبيخ) و(عبد الكاظم الحاج سكر) ودارت معركة عنيفة تعتبر من وقائع الثورة المشهورة».

(١) كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، راجع المصدر نفسه الصفحة ١٩٩: «وافانا البلاغ الآتي من ديوان المندوب السامي، وهو مؤرخ في ٢٠ تشرين الأول: الفرات الأوسط، والقت الطيارات قنابلها على التجمعات في جوار أبو صخير وأم البعرور.
جريدة العراق العدد ١٢١/٢٢ تشرين الأول ١٩٢٠ ـ ٩ صفر ١٣٣٩ الصفحة ٢٠٤ «الفرات الأوسط هجمت الطيارات على أبو صخير وعلى حيرة في ٢٣ تشرين الأول، وقذفت عليهما طنين ونصف الطن من القنابل ففتكت بهما. جريدة العراق، العدد ١٢٤/ ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٠ ـ ١٣صفر ١٣٣٩.

ان بعض الرؤساء الذين أبلوا بلاءً حسناً في الثورة وبذلوا بكل ما يملكون لما شاهدوا ما يحدث حولهم، ضعفت قواهم وأخذهم الخور وانهيار العزيمة، علاوة على ذلك فقد وصلتهم، كما وصلتنا رسائل من قائد النجف العسكري وعمّاله يطلبون بها منا التسليم إلى الجيش الإنكليزي بدون قيد ولا شرط عدا أن حياتنا تكون مأمونة.

استغل البعض هذه الرسائل بعد أن تردد علينا أحد رؤساء النجف لإقناعنا بالتسليم والأمان على ارواحنا. وتحت جنح الظلام ومن حيث لا نعلم، ذهب البعض منا واستسلم إلى القائد المذكور وهذا أرسلهم إلى القائد العام في مقره بمدينة الكوفة حيث أمر بتوقيفهم ثم سجنهم.

أما نحن والسيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والسيد هادي مكوطر والحاج رايح العطية وعلوان الحاج سعدون وأخيه عمران الحاج سعدون ومرزوق العواد وشعلان الجبر فقد رفضنا الإجابة على رسائل القائد الإنكليزي وأبينا التسليم بدون تحقيق هدفنا الأسمى الذي ثرنا وحاربنا من أجله وهو استقلال البلاد.

اتفقنا على الهجرة من البلاد وقررنا وجهتنا صوب الحجاز وتفرقت جموعنا كل إلى ديرته للأعداد للسفر بأسرع ما يمكن. اتصل بنا فيما بعد وانضم إلينا في رحيلنا أخواننا الضباط من الذين اشتركوا معنا في الثورة

محاولة الإنكليز اغتيال قادة الثورة:
اقترحت القيادة العسكرية البريطانية على السير آرنولد ولسن قصف مدينة كربلاء يوم تنصيب السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً من قبل الثوار وذلك من اجل القضاء على زعماء الثورة وهذه البرقية من القيادة العامة إلى ولسن:
(سري للغاية)
بغداد ٢٣ آب ١٩٢٠ رقم ٠/٢/٣٣/٧٩٣
علمنا من «مخبرنا السياسي» أن عدداً كبيراً من المشايخ سيجتمعون في كربلاء يوم ٢٥ الجاري. نحن نؤكد بقوة وجوب قصف المدينة بعنف في ذلك اليوم ونود الاشارة إلى أن مخبرنا اشار بفائدة القصف العنيف على مدينة طويريج. ولنا أن نشير أن قصف كربلاء سوف يتجنب ضرب الجوامع. نحن نعتقد أن نفوذ المتطرفين سوف يضعف بقصف المدينة».
رفض ولسن طلب القيادة العسكرية أعلاه لوجود تعليمات من لندن والهند بعدم التعرض للأماكن المقدسة راجع اوراق السير آرنولد ولسن في المكتبة البريطانية بلندن
ADD 52459 A (ARNOLD WILSON PAPERS) 0/2/23/793

وهم الحاج محمود رامز ومعه أربعة ضباط ومن المدنيين من أهل بغداد الحاج محمد جعفر أبو التمن. أما السيد محمد الصدر ويوسف السويدي فقد غادرا أبو صخير مفضلين الذهاب مع عربان عنزة إلى سوريا ولبنان.

وبذلك انتهى فصل من تاريخ العراق خطه ابناؤه بدمهم في مواجهة أكبر قوة عسكرية في العالم في ذلك العصر، ولقد مرّغنا انف الأمبراطورية بالتراب وهزمنا جيوشها المدججة بالسلاح المتفوقة علينا بكل شيء. وقفنا أمامهم وكنا في معظم الأحيان، لا نملك سلاحاً لمقاتلتهم غير الإيمان بالله وعدالة قضيتنا.

وفي آخر المطاف انتصروا علينا لكنهم لم ولن يستطيعوا نزع الإيمان من قلوبنا ولم يتمكنوا من كرامتنا وعزة نفوسنا[1]. ولي في قول المتنبي بعض العزاء:

---

(١) مذكرات كامل السيد محسن أبو طبيخ المخطوطة: «ولما حصلت الثورة العراقية التي اشترك فيها السيد محسن كانت عقوبته من قبل السلطات البريطانية اشد من قبل الجميع.. حيث نسفوا داره ومضيفه في الطابو بالديناميت واحرقوا مضيفه في غماس واستولوا على أراضيه التي أخذوا نصفها والتي هي طابو باسمه واعطوها إلى الخزاعل... وفي كل مطلب كان يلمس موقفهم ضده بمعونة عملائهم من العراقيين انتقاماً لموقفه ضدهم في الثورة».

من شيوخ العشائر الذين ساهموا في الثورة وسجنهم الإنكليز في الحلة: الحاج عبد الواحد آل سكر (آل فتلة)، الحاج عبادي الحسين (آل فتلة)، سماوي الجلوب (آل فتلة في الهندية)، دوهان الحسن (جبور)، عمران الحاج سعدون (بني حسن)، سلمان البراك ودليمي البراك، شخير الهيمص (البو سلطان) سلمان الكعيد، سلمان الفاضل، علوان الشلال، خادم الغازي، عبود العنين، إبراهيم السماوي، خضّير العاصي، فرحان الدبي، محسن العباس، متعب الشاني، حمود الصليلي، علي المزعل.

كما تم سجن الأشخاص الذين كان لهم مساهمة كبرى في الثورة من أهالي مدن الفرات وهم: السيد هبة الدين الشهر ستاني، السيد حسين القزويني، عبد الرسول تويج، عبد الرحمن العواد، الشيخ محمد الكشميري، عبد الوهاب الوهاب، نجم العادي، أمين كرماشة، حسين الدده، طليفح الحسون، عبد الجليل العواد. أما الأشخاص الذين استسلموا إلى قائد موقع الكوفة الإنكليزي فهم: حمود البدن وجاسم الجياد (حميدات) وجاسم الصعب ومحمد الفليح وحبيب السيد وادي (عوابد) ومحسن الحاج عبود (بني حسن)، وكاظم السيد نور الياسري والسيد جعفر أبو طبيخ، (سادات الشامية) وجبار الصالح وحمزة العفريت (عوابد) وعباس العلوان (كرد) ومراد الخليل (جبور) وسلمان الظاهر ومحمد العبطان وسلمان العبطان (رؤساء الخزاعل)، ومجبل الفرعون وتكليف المبدر وكاظم الحاج سكر (آل فتلة) وعلي المزعل وكاظم الغازي.

إذا غـــامـــرتَ في شرَفٍ مَـــرومٍ فـلا تـقـنـعْ بـمـا دونَ الـنـجـومِ
فـطـعْـمُ المـوتِ في أمـرٍ حـقـيرٍ كَـطَـعـمِ المـوت في أمـرٍ عـظـيـمِ
يـرى الجُـبناءُ أنَّ الـعـجـزَ فَـخـرٌ وتِـلـكَ خَـديـعَـةُ الـطـبـعِ الـلـئـيم
وكُـلُّ شـجـاعـةٍ لِـلـمـرءِ تُـغـني ولا مِـثـلَ الـشـجـاعـةِ في الحـليمِ.

الحرب أم السلام

كنت معسكراً في صدر الحسينية ومعي الحاج مرزوق العواد ومحمد العبطان حينما وصلنا السيد هبة الدين الشهرستاني قادماً من النجف، وحال وصوله أخبرنا بأن الشيخ فتح الله الموسوي قد تبادل الرسل والرسائل مع ولسن حول عرض تقدم به الأخير لفتح باب التفاوض وإنهاء القتال ووقفه. وعرض علينا نسخة من كتاب ولسن وأيضاً نسخة من جواب السيد الموسوي كما أخبرنا أنه قد سلم هذه الرسائل إلى كل من الحاج عبد الواحد السكر والسيد علوان الياسري وأنهم في انتظارنا يوم غد في طويريج للبحث في هذا الموضوع.

وفي اليوم التالي توجهنا إلى طويريج فجراً، وعند وصولنا قبيل الظهر كان عند الحاج عبد الواحد السيد علوان الياسري وشعلان الجبر وعمران الحاج سعدون وخادم الغازي كما كان معي الحاج مرزوق العواد ومحمد العبطان وكان في المجلس من المشايخ من لا اتذكرهم في الوقت الحاضر. وكان هؤلاء الرؤساء ينوبون عن عشائرهم المنتشرة في الخطوط الأمامية من ساحات المعارك مع الإنكليز. لقد كانت قوات الثوار مسيطرة على كافة مواقعها في الفرات الأوسط وكان النصر حليفها في كافة منازلاتها مع الإنكليز، كما كانت الحلة محاصرة والقتال مستمراً حولها سجالاً وكان لنا وطيد الأمل بسقوطها، أما في جنوبي الفرات في مناطق السماوة والخضر والرميثة فكانت الخسائر التي أصيب بها الإنكليز عظيمة ومهينة لهم ولقواتهم، وكانت قواتهم المنسحبة من الرميثة والديوانية لا تزال تتقهقر ببطء والعشائر تناجزها القتال طيلة الليل والنهار ولا أمل لها بالوصول إلى الحلة بعدتها وعددها الذي خرجت فيه ساعة انسحابها من الديوانية. وفي مثل هذه الأيام، كانت العزائم والهمم عالية وكنا نأمل أن تكون بغداد

هدفنا التالي بعد سقوط الحلة. كل ما كنا نعاني منه هو نقص في العتاد الحربي، وهذا ما كان يصلنا من جبهات الديوانية على إثر الغنائم الكبيرة التي حصل عليها الثوار في معارك الخضر والسماوة وما استولى عليه أفراد العشائر من الجيش الإنكليزي المنسحب من الديوانية. كانت خطوط القتال والمواجهة مع الإنكليز في طرفنا تمتد من شمال المسيب إلى الوند وصدر جدول الحسينية ثم طويريج والحلة. وبعد سيطرتنا على هذه المواقع لم تجر حركات ومعارك تذكر سوى بعض المناوشات المستمرة وخاصة في المسيب والحلة.

في مثل هذه الظروف قام ولسن بلعبة خطرة أراد منها تفريق الكلمة وشق الصفوف في النجف وتثبيط العزائم وبث الشقاق بين الرؤساء والمرجعية من جهة، وبين الرؤساء أنفسهم من جهة أخرى، فاستغل وفاة الشيرازي واتصل بالسيد الموسوي يطلب التفاوض ووقف القتال في الوقت الذي كانت المبادأة بيدنا وهو في موقف المنسحب المتراجع.

واستعمل الخديعة معنا، فوجه رسالته إلى المرجعية في النجف، بدلاً من اتباع الأصول في الحرب، بعرض وقف القتال على قيادة المقاتلين، ففي الوقت الذي كنت واصحابي من الرؤساء في الجبهات موزعين كلاً في معسكره مع عشائره، لم يكن لدينا علم برسالة ولسن ولم يتصل بنا أحد من جانب السيد الموسوي ليعلمنا بوصول رسالة الإنكليز بطلب المفاوضات. والأكثر غرابة في الأمر تجاهله التام للسيد نور الياسري المقيم في النجف باعتباره الهيئة العليا التي تمثل الثوار لدى العلماء عموماً والمرجعية خصوصاً للبت في كل ما يتعلق بالثوار ومتطلباتهم بما فيها الأمور السياسية والعسكرية.

لقد بعث ولسن رسالته التحريرية بطلب التفاوض بعد أن مهد لها بتبادل الرسائل الشفهية مع السيد الموسوي عن طريق مبعوثي الطرفين وبعد أن طلب منه السيد أن يقوم بتحرير ما يريده، بعث برسالته التي دبّجها بالمديح لنفسه ولحكومته. وقد قام السيد الموسوي بعرض الرسالة هذه على مستشاريه من العلماء والمشايخ ممن لا علاقة لهم ولا معرفة بما يجري في ساحات القتال التي نقف فيها وجهاً لوجه مع الإنكليز، والذين لم يفكر

أحد منهم في يوم ما بزيارتنا للاطلاع على احوالنا ورفع معنويات المقاتلين الذين مضى على تركهم أهاليهم أشهر ولم يتوفر أحد منهم يوم واحد ليذوق طعم الراحة مع عائلته.

وبناء على مشورة مريدي مجلس السيد الموسوي، رد هو ولوحده، على طلب ولسن بالتفاوض، رافضاً ما عرضه عليه ومتجاهلاً رأينا في موضوع كنا نحن اعرف به، في شيء يمس الامة التي نحن ندافع عنها ونحن اعرف بحقيقة الوضع منه ومن أولئك الأشخاص القابعين في راحة بيوتهم في النجف. لقد كنا في مركز المتفوق، وكنا نعلم أن الإنكليز حتى لو انسحبوا من بغداد فسوف لا يتركوننا وشأننا نذلهم امام العالم. ولهذا كانت لنا فرصة ذهبية أن نتفاوض معهم ونحن الأعلون ونحصل على مطالبينا بقدر أكثر مما لم نحصل عليه إثر انهيار الثورة. لقد كان رفض التفاوض، قراراً انفرادياً فوّت علينا فرصة تاريخية، هدرت حقوق الثورة وكان قراراً تنقصه الحكمة وبعد النظر. في اجتماعنا الذي أشرت إليه عند الحاج عبد الواحد بينت وجهة نظري التي تقدمت بها وكذلك تقدم بها آخرون من المشايخ كانوا يرغبون بالكف عن القتال نظراً لما كانوا يعانونه من نقص في المعدات العسكرية عموماً والانهاك الذي أصاب مقاتليهم. واشتد الجدل لساعات النهار ولكن لم ندع مجالاً لاختلاف الآراء أن يفتت وحدتنا واحتراماً لكلام السيد الموسوي وتبجيلاً لمرجعيته وعدم منح الإنكليز فرصة استغلال اختلاف آرائنا للتفرقة وشق الصف سواء مع السيد نفسه أو بين الرؤساء ولهذا قررنا تأييد نص رسالته إلى ولسن برفض التفاوض ووقف القتال بالشروط التي حددها والوقوف إلى جانب المرجعية.

وبعد انتهاء الثورة وعودتي من الحجاز كان الجدل يدور في المجالس بين حين وآخر عن هذا الموضوع وقد اتهمنا البعض أننا اخترنا القتال بدلاً عن السلم لأن ولسن هدد في رسالته بمعاقبة المسؤولين عن الثورة وقادتها فقط. واننا قد أخافنا كلامه هذا ولذلك فضلنا الاستمرار بالقتال بدلاً من الوقوع بيد الإنكليز. أود أن أقول أن هذه تقولات لا أساس لها من الصحة وليس لي ما أضيفه سوى ما ورد آنفاً.

ملحق الفصل الثالث

ـ رسائل السيد محسن أبو طبيخ وقادة الثورة

ـ وقائع الثورة الرسمية من السجل الإنكليزي

ـ الأيام الأولى للثورة ـ بقلم ميجر نوربري

حاكم النجف والشامية السياسي



الكلمــات الأخيــرة

لقد بذلنا في سبيل الثورة كل غال ورخيص وضحينا ما ضحينا لإنقاذ العراق من مخالب بريطانيا. فخسرنا زهرة شبابنا وأفلاذ أكبادنا واعز إخواننا ولقد ظلت الحرب الطاحنة بيننا وبين البريطانيين دائرة رحاها ونارها المستعرة تلتهم النفوس منا ومنهم مدة ستة أشهر متوالية ملئت خلالها الأرض من قتلانا وقتلاهم ولما رأت السلطة البريطانية ما حل بها من الثوار الوطنيين في جميع ميادين القتال وأن جيوشها منقطعة تحت حصار الثوار كالجزر في وسط البحار بعضها في الكوفة والبعض الآخر في الرميثة ومثلها في الحلة والسماوة إلى غير ذلك من المواقع الحربية، قررت السلطة تخليص هذه المواقع المحصورة فجلبت امدادات كبيرة من جيوشها وكان الإنكليز قد اعدوها في ايران وهي اقرب نقطة إلى العراق وبأتم استعداد واكمل عدة، فرأوها غير كافية لإخماد الثورة العراقية وتخليص الوحدات المحصورة فعززوها بجلب العساكر المرابطة في الهند، فكان مجموع النجدات التي سيروها لحل هذه المشكلة المعقدة يقدر بمائة ألف مقاتل تقريباً. ولما انتهت هذه الجحافل إلى الفرات حملت على الثوار الوطنيين والتحمت معهم في معارك دامية. انسحبنا أمامها بعد أن ضعفت القوة المعنوية منا وإذ ذاك احتلت قواتهم محلاتنا واحرقت مزارعنا وقرانا وصادرت حاصلاتنا وطعامنا و مواشينا وهدمت قصورنا وخربت مضايفنا ومنازلنا.

لم يكن اندحارنا امام القوات البريطانية لخور في عزائمنا، كلا!! ولا لوهن في بصائرنا الحربية، ولا لتفكك عرى وحدتنا الاجتماعية، فإن العزائم هي هي والوحدة لم تزدد إلا تماسكاً وبصائرنا من حين إلى حين يتضاعف توقدها والقلوب هي تلك القلوب، وإنما السبب الذي اضطرنا إلى الاندحار أمامها وإخلاء المواقع الحربية هو نفاد ذخائرنا الحربية وبطبيعة

حال المحارب إذا تحطم سيفه قطعاً قطعاً، يضطر إلى التسليم أو الفرار، ولما انكسرنا، قررنا الهجرة إلى الحجاز.

الوطنيون من بغداد[١]

لما انفجر بركان الثورة العراقية عام ١٩٢٠ وأخذت رحى الحرب تدور على جماجم الثوار الوطنيين وجيوش بريطانيا، انتهت طلائع جيوشنا الظافرة إلى المسيب ولم تكن هذه الثورة الدموية في الفرات الأوسط شاغلة السلطة البريطانية عن تتبع هذه الحركة في انحاء البلاد لإماتتها، بل كانت ساهرة على ذلك ولقد بثت الجواسيس ونشرت العيون لينقلوا لها الأخبار ويعرفوها بمن يشتغل في هذه القضية[٢].

تبينت السلطة البريطانية أن المرحوم السيد يوسف السويدي أحد عمال القضية العراقية فحاولت أن تلقي القبض عليه ففر هارباً بدمه من مخالبها من بغداد والتحق بنا، وكان مركز قيادة الثوار الوطنيين يومئذٍ في مقاطعة الوند ونهر الحسينية، وكان من جملة الذين فرّوا من بغداد مع السيد يوسف السيد (الحاج) جعفر أبو التمن، وكان قد بلغنا أنه أحد الذين يشتغلون في سبيل القضية العراقية مع السيد يوسف. فلما حلّ معه ضيفاً بحمانا آويناهم وأكرمنا وفادتهم وبعثنا بهم إلى كربلاء ليقيموا بها كي يأخذوا راحتهم ولما انسحبنا من المسيب والوند والحسينية إلى أبو صخير، كان جعفر معنا، وعندما اندحرنا أمام القوات البريطانية لنفاد قوانا المعنوية وخرجنا من البلاد مهاجرين إلى نجد والحجاز، حملناه معنا، كما حملنا بعض الضباط الذين التحقوا بنا واشتركوا معنا في الثورة إلى مكة المكرمة،

---

(١) النص أعلاه من كتاب «المبادي والرجال»، للسيد محسن أبو طبيخ، راجع الصفحة ٤٠ ـ ٤١ للاطلاع على مزيد من التفاصيل وتحت عنوان: سبب انقطاع الصداقة بيننا.

(٢) د. خالد التميمي، محمد جعفر أبوالتمن، دمشق ١٩٩٦، نفس المصدر السابق، الصفحة ١٠٥ «... كان السيد عباس زوين (ابن سيد هادي) يكتب للمندوب السامي البريطاني رسائل يطلعه فيه عن النشاطات وما كان يجري في الاجتماعات القائمة آنذاك». أيضاً راجع الوثائق البريطانية في الدار الوطنية الهندية لحفظ الوثائق، أربع رسائل من سيد عباس زوين إلى المندوب السامي في بغداد محفوظة في الإضبارة

File No.27/778,in.N.A.I.,New Delhi

وذلك بعد أن بقينا ما بين البادية وجبل حائل عاصمة ابن رشيد خمسة اشهر، ثم أقمنا مثلها في مكة المشرفة.

❀ ❀ ❀

من رسائل السيد محسن أبو طبيخ أثناء الثورة وبعدها، كتبها استجابة لمتطلبات الساعة أو لإيضاح تساؤل المؤرخين حول مراحل الصراع السياسي والحربي مع الإنكليز.

الرسالة الأولى

أثناء تسنمه متصرفية كربلاء وجه السيد محسن أبو طبيخ كتاب إنذار إلى صاحب جريدة الاستقلال محمد عبد الحسين الكاظمي لنشرها مقالاً بتاريخ ٥ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٢٠ العدد الثالث، اعتبره غير مناسب وهذا نص الكتاب[١]:

«إن مقالكم المنشور في جريدتكم تحت عنوان «الشتاء على الأبواب» مما يثبط عزم المجاهدين ويقلل من معنويتهم كما يعطي للعدو إحساساً بضعف الثوار وعليه ننذركم بهذا بلزوم عدم نشر كل ما يوحي بالضعف أو يدل على ذلك.

متصرف لواء كربلاء
السيد محسن أبو طبيخ (التوقيع)

الرسالة الثانية

رسالته إلى السيد عبد الشهيد الياسري حول موضوع قائمقامية قضاء النجف والتي كانت حديث المؤرخين وتساؤلات المحدثين[٢].

بغداد ١٩٥٦

حضرة الماجد السيد عبد الشهيد السيد نور الياسري المحترم

بعد التحية والاحترام

لقد أخذت مكتوبكم المؤرخ ـ والذي تسألون به عما ورد في كتاب

---

(١) فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ الصفحة ٢١٢ ـ ٢١٣

(٢) السيد عبد الشهيد آل سيد نور الياسري، البطولة في ثورة العشرين الصفحة ٢٦١

الحقائق الناصعة من أن المجلس الحربي للثورة اجتمع في كربلاء وعينني متصرفاً في كربلاء وعين والدكم المرحوم قائمقاماً في النجف. وحسبما أعتقد وما اتذكره جيداً أن الثوار لم يكن لهم مجلس حربي كما زعم المؤلف بل كانوا مجموعة عشائر وليس لهم قيادة عامة بل كانوا على القواعد العشائرية كل عشيرة يقودها رئيسها وقد اتفق أولاً كل الرؤساء على القيام بالثورة، فقاموا بها، أما توجيه الحركات فهي على القواعد العشائرية أيضاً فإن الرؤساء البارزين يجتمعون فيما بينهم ويوجهون الحركات، أما تعييني متصرفاً في كربلاء، لما كنا في الحسينية بعد أن احتل الثوار النجف وكربلاء وطويريج والمدن الأخرى فتذاكرنا فيما بيننا على تشكيل حكومة مؤقتة رمزاً للثورة فوقع اختيار الرؤساء على داعيكم على أن أرجع لكربلاء واشكل بها حكومة، ونزولاً على رغبتهم رجعت إلى كربلاء وشكلت حكومة فيها في احتفال عظيم حضره من البغداديين المرحومين يوسف السويدي وجعفر أبو التمن، والموجود حي علي بك بازركان وقد رفعت أول علم عراقي بيدي على بناية البلدية، أما تعيين والدكم قائمقاماً في النجف فلا أساس له من الصحة حيث أننا قد اتفقنا مع رؤساء المشاهدة أن يشكلوا مجلساً بلدياً برئاسة المرحوم السيد مهدي السيد سلمان، هذا ولكم الاحترام.

أبو طبيخ

الرسالة الثالثة

وجه صاحب امتياز جريدة الهاتف، المؤرخ جعفر الخليلي سؤالاً خطياً إلى السيد محسن أبو طبيخ حول كتاب الشيخ فريق المزهر الفرعون المعنون ـ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠.

وقد نشر جواب السيد محسن في كتاب «على هامش[1] الثورة العراقية» الذي لم يفصح فيه المؤلف عن اسمه، وهذه نص الرسالة الجوابية للسيد محسن عن استفساره المشار إليه:

---

(١) على هامش الثورة العراقية الكبرى، بقلم فراتي راجع الصفحات ٧ ـ ٩

حضرة الماجد الأستاذ جعفر الخليلي المحترم:

بعد التحية والاحترام لقد أخذت رسالتكم المؤرخة في ٢٢/٥/١٩٥٢م الجاري والتي تسألونني بها عن رأيي في كتاب الحقائق الناصعة الذي كتب عن الثورة العراقية وعن حقيقة ما حواه الكتاب ونزولاً عند رغبتكم وجواباً لسؤالكم ابعث اليكم بهذا الجواب الموجز وأرجو أن تكتفوا به مني، أني أقول وانا آسف على ما أقول: يظهر أن الثورة العراقية ليست موفقة لإظهار حقيقتها بتدوين كتاب تاريخ لها نزيه من العواطف، وبريء من الأغراض وبعيد عن الانانيات، يتضمن حوادثها السياسية ووقائعها الحربية كيف جرت وكيف وقعت كما هي. إن الثورة العراقية كما تعلمون حضرتكم ثورة مقدسة. ثورة كبرى قد أثرت تأثيراً بليغاً في عالم التاريخ وقد برز أثرها للعيان بأكبر برهان وهو ما تمخضت عنه وما أولدته وهو هدفها الأسمى وضالتها المنشودة ألا وهو تكوين الدولة العراقية التي تعتبر اليوم في الرعيل الأول من الدول العربية. ولكن مع كل الأسف فإن حوادثها السياسية ووقائعها الحربية ونتائجها وبأي شيء ختمت وبأي بلد انتهت تناولتها بعض الأقلام.. منها المغرضة ومنها المأجورة ومنها الجاهلة، بما سمتها من كتب تاريخ الثورة العراقية. فالمغرضة منها دست فيها ما دست بقصد وبعمد من الأمور التي لا تتناسب مع حقيقة الثورة ومع أهدافها. والمأجورة نسبتها لطائفة دون طائفة، ولجماعة دون جماعة ولأشخاص معدودين ما كانوا لا بالعير ولا بالنفير. والجاهلة خبطت بها خبط عشواء وكتبت ما يحلو لها وما تشتهي وما ترغب به. وبهذا كله تشوهت حقيقتها وذهبت قدسيتها وصار كل من يقرأ تلك الكتب المتناقضة والمتباينة بما احتوت عليه فصولها من خرافات وأكاذيب يمجها فلم تبق لها قيمة ادبية تاريخية في نظره. ولما سمعت أن آخر كتاب كتب عن الثورة العراقية وأن صاحبه قد اسماه (بالحقائق الناصعة) رجوت أن يكون ذلك اسماً على مسمى. وأن يكون هذا الكتاب ناسخاً لما قبله، ولكن لما وقعت نسخة منه في يدي وطالعت فصوله فصلاً فصلاً، وبعد أن أمعنت النظر فيها رأيت صاحبه قد دون أكثرها بما يحلو له وما يرغب فيه على أساس مقالات إنشائية كالمقالات التي تكتب وتنشر في الصحف والمجلات. ليست

حوادث ووقائع تاريخية فقد أدى صاحب الكتاب المذكور أن الثورة لم تقم إلا على أكتافه واكتاف قومه، وأن كل عراقي اشترك بها واشتغل في أمورها سواء كان في الأمور السياسية منها أو الوقائع الحربية ما هو إلا تابع لهم وعامل تحت إمرتهم ومقود بقيادتهم. أني لا اريد أن اناقش فصول هذا الكتاب وما احتوت عليه من حشو عنى به صاحب الكتاب من أنه هو وقومه كانوا الكل في الكل وكل غيرهم دونهم في أعمال الثورة العراقية، وفي الاخلاص والوطنية وما نسب إليهم ولغيرهم كان باطلاً وأكاذيب مفضوحة أن ذلك يستلزم نقل كل فصل من الكتاب ومقابلة الرد عليه وذلك مما يتألف كتابان ضخمان وهذا ما لا يساعدني عليه الوقت.

غير أني ألخص رأيي في كلمة واحدة في هذا الكتاب وأقول نظراً لما احتوت عليه فصوله من خلط لا تختلف عما سبقه من الكتب التي انتقدها صاحب الكتاب نفسه والتي سبقت كتابه إذا لم يكن أسوأ منها أقول باختصار: يجدر أن يسمى هذا الكتاب (بالحقائق الضائعة) وليس (بالحقائق الناصعة) كما أسماه صاحبه هذا ولكم الاحترام...

أبو طبيخ

الرسالة الرابعة

وجه المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني[1] إلى قادة الثورة وعدد ممن ساهموا فيها الأسئلة التالية:

١ ـ ما هي العوامل التي أدت إلى نشوب الثورة في عام ١٩٢٠م ـ ١٣٣٨هـ؟

٢ ـ هل جاءت مساعدات مالية وذخائر حربية للثوار من بغداد أو من خارج العراق؟

٣ ـ هل استفاد العراق من هذه الثورة؟

وقد أجاب السيد محسن أبو طبيخ على رسالة الحسني بما هو نصه:

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، بغداد ١٩١٢ الصفحات ٢٣٠ ـ ٢٤١.

حضرة الماجد الفاضل السيد عبد الرزاق الحسني المحترم

بعد الاحترام، لقد وقفت على ما دونتموه بخصوص ثورة الفرات الأوسط وكونها كانت مستقلة عن ثورة أهالي بغداد الفكرية وعن حركات العرب في سورية والحجاز، وإني اؤيد لكم ما ذهبتم إليه وتحققتموه هو الصحيح والأسباب التي دفعت العلماء والزعماء إلى ذلك ما هي إلا حب الوطن وتخليصه من يد الاستعمار.

هذا ولكم فائق الاحترام

محسن أبو طبيخ
بغداد ٨ تشرين الأول ١٩٣٤

الرسالة الخامسة

وجه فريق المزهر الفرعون مؤلف كتاب ـ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ـ الأسئلة التالية إلى السيد محسن أبو طبيخ وعدد من قادة الثورة والأسئلة هي:

١ ـ بأي سنة حسب التاريخ الميلادي أو الهجري قمتم وإخوانكم العراقيون مطالبين بالاستقلال؟

٢ ـ ماذا كنتم تقصدون من الثورة التي قمتم وإخوانكم فيها ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠؟

٣ ـ عندما قمتم بالثورة وباشرتم فيها من أولها حتى انتهائها، هل جاءتكم أموال من خارج العراق ومن داخله، كمساعدة للمواظبة على عملكم وإذا حصل هذا فمن أين جاءتكم تلك الأموال وما مقدارها وكيف صرفت؟

٤ ـ هل كانت ثورتكم تابعة لآراء جماعة من أهل بغداد وإرشادهم، أو غير هؤلاء، وهل كنتم قبل اندلاع نار الثورة على اتصال مع البغداديين، ومتى كان ذلك؟

٥ ـ هل كنتم تسمعون بحركات دير الزور وتلعفر، وهل علمتم أن فيها ثورة ضد الحكومة الإنكليزية المحتلة، ومتى كان ذلك؟

٦ ـ هل حصلت الغاية من الثورة كما كنتم تقصدون على الوجه المطلوب؟

٧ ـ هل لديكم شيء من المعلومات الأخرى التي ترون تدوينها، وإذا كان ذلك موجوداً لديكم نرجو التفضل بإرساله لنا.

٨ ـ هل لديكم وثائق خطية أو شفوية يمكنكم التفضل علينا بها لنشرها؟

١٢ ـ ٤ ـ ١٩٤٠
فريق المزهر آل فرعون

أجوبة السيد محسن أبو طبيخ

ج ١ ـ يمكنكم أن تتخذوا بدء حركتنا في المطالبة على استقلال العراق والأدوار التي اشتغلنا فيها من كتاب المبادئ والرجال.

ج ٢ ـ أظن أن المقصود هو غني عن البيان حيث هو عين سؤالكم وهو الاستقلال التام الناجز والتخلص من يد الأجنبي، ومعنى الاستقلال أن يكون الحكم مشتركاً بين طبقات الأمة بدون تميز وأن لا تكون طبقة حاكمة وطبقة محكومة.

ج ٣ ـ إن قيامنا بالثورة ليس لحساب أي أحد ولا على نفقة أحد، وإنما قمنا به خدمة لبلادنا على نفقتنا الخاصة ولم يسعفنا أي مسعف بدرهم أو دينار لا من الداخل ولا من الخارج فضلاً عن نفقاتنا على كثيرين من العشائر التي التحقت بنا، غير أننا سمعنا من جلالة المغفور له الملك فيصل الأول لما اجتمعنا معه في مكة المكرمة عندما هاجرنا إليها بعد أن خمدت نار الثورة بالشكل الذي تعرفونه، حيث وجه إلينا سؤال قائلاً: لقد خصصنا ونحن في الشام عشرين ألف ليرة ذهب إلى ثورتكم وأرسلناها بيد أناس معروفين من العراقيين الذين كانوا مقيمين معنا في سوريا فهل وصلت إليكم؟ فأجبناه بعدم وصولها! وبعد أن جاء وجئنا العراق معاً وتحقق عنها عرف أنها قسمت بين أشخاص معدودين فأحب أن لا يبحث وإسدال الستار عليها بالرغم على إلحاحنا عليه على البحث عنها وذلك التغاضي وعدم البحث عن تلك هي أول غلطة ارتكبت في تاريخ العراق.

ج ٤ ـ نعم في بدء الأمر تقدموا أهل بغداد إلى الحاكم العام الإنكليزي وطلبوا منه الاستقلال وقابل طلبهم بالعنف والشدة، ثم قمنا نحن بدورنا في المطالبة بدون أي تحريض من أي أحد من أهالي بغداد ولا من غيرها حيث كنا في غني عن إرشاد كل مرشد ورأي كل صاحب رأي، ولم تكن مراسلات ولا مواصلات مع أهالي بغداد أكثر مما رأيته مثبتاً في مؤلفك هذا ولا أكثر من سماعنا، فهم طالبوا في الاستقلال ولا أكثر من ذلك.

ج ٥ ـ إننا لم نسمع بدير الزور ثورة قبل ثورتنا ولا بعدها، بل بعد أن وصلت طلائع جيوشنا إلى المسيب وحيث كان مقر قيادة الثورة في الوند والحسينية جاءنا ذات يوم فهد البطيخ الشمري وأفادنا أن جميل المدفعي قد وصل إلى أعالي الفرات وشكل عصابة وهاجم تلعفر وضربوا الربية التي فيها وقتلوا الضابط الذي فيها مع أكثرية الأفراد الذين معهم وأن عبد الرزاق منير في أطراف هيت وحديثة يحث الأعراب الذين هناك على القيام بالثورة وذلك أول مرة سمعنا اسم جميل المدفعي وعبد الرزاق منير.

ج ٦ ـ اسأل نفسك وخذ الحقيقة من معلوماتك.

ج ٧ ـ لا يوجد أكثر مما ذكرناه.

ج ٨ ـ لا توجد وثائق حيث إنها فقدت بعد انسحابنا واستيلاء الإنكليز على منازلنا.

السيد محسن أبو طبيخ
بغداد ١٩٥٢



أوراق السيد محسن أبو طبيخ

كتب السيد محسن رحمه الله، بعض الخواطر والحوادث في وريقات متفرقة والبعض منها في دفتر مذكراته ـ مفكرة الجيب ـ وسوف ترد هذه الوريقات تباعاًحسب تسلسل الأحداث.

الورقة الأولى

الثورة العراقية حصلت من سوء تقديرنا للأمور وتبطرنا المفرط. فقد حظينا من السلطات المحتلة من التقدير والتكريم والاحترام الزائد ما لا يقارن بما كنا عليه في عهد الاحتلال التركي وما كنا نلاقيه من خشونة الحكام الأتراك. إن الولاة الإنكليز كانوا يبالغون في تكريمنا واحترامنا وخاصة أنا والسيد نور السيد عزيز الياسري والشيخ عبد الواحد الحاج سكر.. وكانوا يؤمّنون مصالحنا على أحسن وجه.

ولكننا اسأنا لهذا التقدير منهم وافتعلنا المبررات للثورة والخروج عليهم باسم الاستقلال لنمهد كراسي الحكم لحضرات الأفندية الذين تنعموا بالكراسي والمناصب العسكرية القيادية أيام الأتراك وفي ظل الحكم التركي.. فقدمنا أولادنا وأكبادنا قرابين لمحاربة الإنكليز، وجاهدنا بأنفسنا وضحينا بكل ما نملك وبكل بساطة نفس وقلة دراية، لإقامة حكومة وطنية عراقية يتربع على كراسيها اناس لم يبذلوا فلساً واحداً أو قطرة من دم أو أي جهد يتصور لهذا المقصد النبيل.. وكأننا كنا نسعى في هذا الجهاد لإيجاد حكومة لأولئك المتنعمين بالمناصب في ظل الحكم التركي والعائشين على الموائد التركية والذين باعوا العراق للأتراك بثمن بخس..

قمنا بالثورة العراقية الكبرى وحاربنا الإنكليز، وفقدنا خيار أبنائنا شهداء في هذا السبيل ليأتي عملاء الأتراك هؤلاء الذين أصبحوا عملاء

مخلصين للإنكليز ليتربعوا على كراسي الحكم الوثيرة وينعموا بالحياة المستقرة دون أن يبذلوا أي جهد من مال أو رجال في سبيل هذا الاستقلال، بل بالعكس، حالما تسلموا هذه الكراسي، سعوا لتعميق نفوذ الإنكليز في دقائق الامور وفي جميع شؤون البلاد وأصبحوا في نظر التاريخ الحديث هم رجال البلاد المخلصين وهم الذين طالما طلبوا من الإنكليز أن يجعلوا صك الانتداب ثابتاً في العراق... ولطالما كان كبار رجال الدولة هؤلاء من عملاء الأتراك سابقاً ووزراء العهد الجديد يسرعون إلى دار الاعتماد البريطاني وإلى المندوب السامي مباشرة لإعلامه بالموقف الفلاني بدلاً أن يذهبوا إلى الملك فيصل ويبسطوا له واقع الأمر(١).

كما بقيت روحيتهم التركية هي المسيطرة عليهم ولغتهم التركية هي لسانهم الغالب في كافة المجالس، أما العروبة فكانت العلك يعلكون به لتغيير مذاق الفم، أما نحن رجال الثورة الذين قمنا بإعداد مائدة الحكم الدسمة لهم ليتناوبوا عليها ويتصارعوا للنيل بأكبر قسط من مغانمها فيما كان مصيرنا ما بين النفي والاعتقال والتشريد والحرمان.

أما الإنكليز الذين قتلنا وجرحنا الآلاف من جنودهم وضباطهم وكنا منعّمين في ظلهم قبل الثورة، فقد كان سلوكهم معنا أحسن بكثير من جندرمة الأتراك الذين تسلموا مناصب الحكم في ظلال العرش الهاشمي الذي عقدنا عليه أسمى الآمال وتوسمنا فيه أجمل الأماني، ولكن بقايا الأتراك في العراق ومن أبناء العراق مع الأسف كان هذا شأنهم. فريق منهم كان يأمل في إعادة العراق للحظيرة التركية وفريق منهم كان قد تعاقد مع الإنكليز وأخذ يعمل في الخفاء معهم لتمكين الحكم البريطاني في العراق.

---

(١) د. خالد التميمي، محمد جعفر أبو التمن، دار الورّاق للدراسات والنشر، دمشق ١٩٩٦ الصفحة ١٣٣ «في ١ شباط/فبراير عام ١٩٢١ كانت حكومة عبد الرحمن النقيب قد أعادت إلى الوطن ٣٩٦ ضابطاً مع عوائلهم وتعهدت بدفع معاشات تقاعدية وقروض لهم ونتيجة لذلك فقد برزت تدريجياً فئة اجتماعية جديدة، عرف أصحابها بـ «الشريفيين» وكانت تجمعهم مصالح مشتركة وقد احتكرت فيما بعد أهم مناصب الدولة العراقية..».

نفس المصدر أعلاه راجع الوثائق الإنكليزية

F.O.371,6350,E4091,100/93. Proceedings of the Council of Ministers,14 Feb,1921,No7,para1

الورقـة الثانيـة

من اقوال السيد محسن أبو طبيخ عن الثورة:

ما صرح به عن جمع التبرعات للضباط في دير الزور حينما انتدب هؤلاء كل من سلمان الجنابي وفهد البطيخ إلى المجتهد محمد تقي الحائري الشيرازي في الوقت الذي كانت ثورة الفرات ـ العشرين ـ في أشد الحاجة لكل معونة مالية ومادية، جاء هؤلاء يطلبون المال من ثوار الفرات وهذا ما قاله عنهم السيد محسن:[1]

«انا خسرت في هذه الثورة اموالاً كثيرة غير متأسف عليها، وانا مستعد أن انفق آخر فلس مما ادخره واموالي واملاكي ثم اعود لأنفق اثاث بيتي، انفق كل هذا وانا فخور ومرتاح الضمير، غير أني لست واثقاً من إخلاص أهل دير الزور، إنهم من بقايا خدم العثمانيين وفضلاتهم التي تركوها عندنا وأن الأكثرية منهم إذا صح عملهم فإنهم ما قاموا بهذا العمل والاشتراك مع المجاهدين الثوار إلا طلباً للوظائف وأنا لا أشك بأن الإنكليز إذا طلبوهم للتوظيف لا يتخلفون، ناسين كل ما يمت إلى الوطنية بصلة وربما يحدث هذا عند وصول دراهمكم هذه إليهم فتذهب اموالكم التي تفيد الثوار المخلصين في الفرات هواء في شبك، وبعد هذا فإني غير واثق بنجاح دير الزور أو تلعفر حسبما يدعون للأسباب التي شرحتها لكم، ولأجل هذا لا يسعني أن اقدم شيئاً من مالي لأناس لا أعترف بصدق وطنيتهم في العمل ولا اؤمن بإخلاصهم؛ لأني لا أعرفهم ولم أزاملهم إني مستعد لو تأمروني أن اقدم أي مبلغ تريدون ولأي جهة تقصدون فأنا حاضر ومستعد أن ألبي الطلب بكل شرف وفخر أما هؤلاء المرتزقة فأنا غير مستعد أن اقدم لهم فلساً واحداً».

---

(١) الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس القسم الأول حول ثورة العشرين ١٩٧٧، الصفحات ٢٩٥ ـ ٢٩٨

ـ فريق المزهر الفرعون ـ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠، بغداد ١٩٥٢ راجع الصفحة ٢٨٥.

ـ علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، الطبعة الثانية ١٩٩١، الصفحة ١٦١.

من خطبة له في مجلس الأعيان في ٢٧ أيار/ مايس ١٩٥٣.

«في سنة ١٩٢٠ غلبت الأمور فقدمناها على المنافع والتعمير وثرنا على الإنكليز وحاربناهم وقاتلناهم حتى كان من أمر الثورة ما كان، وبسبب ذلك تغير الوضع وانعكست الآية وتبدلت السياسة وتحولت من تعمير الأراضي الخراب إلى تخريب الأراضي العامرة وهذا ما تقرر ورُسم في قانون سياسة الاستعمار. وبعد أن تشكلت الحكومة العراقية بالشكل الذي تشكلت به تحت ظل الانتداب تبنت تلك السياسة وأخذت في المماطلة والتسويف بإيحاء من الاستشارة الإنكليزية عن كل مشروع عراقي...».

الأيام الأولى للثورة

بقلم الميجر نوربري حاكم منطقة النجف والشامية
حامل وسام الخدمة الممتازة، فرقة الخيالة الـ ٣٤ الجيش الهندي

أقدم هنا وصفاً للوضع العام السائد في منطقة النجف والشامية في هذا الوقت (اواسط مايس). هناك تقريباً ثلاثة آراء (أ) في مدينة النجف المقدسة (ب) في غربي الشامية تحت تأثير عشائر آل فتلة الأقوياء والبالغي الثراء يدعمهم بقوة البعض من السادة ممن لهم تأثير قليل ويسكنون في مناطقهم. و (جـ) شرقي الشامية، منطقة كابتن مان.

في الوقت الحاضر التركيز لكل الفعاليات المضادة للحكومة على طول الفرات هو على مدينة كربلاء المقدسة والتي تبعد بحوالي خمسين ميلاً جنوب مدينة النجف. هنا يقوم رجال الدين بإثارة مشاكل كبيرة متعاطفين مع ما يجري في منطقة الشامية. أما مدينة النجف فلم يحدث فيها شيء ولم تتعاطف معهم إلى حد ما لأن الأهالي فيها تعلموا درساً قاسياً قبل سنين (يقصد ثورة النجف).اما أهالي شرقي الشامية فإنهم أيضاً لم يكونوا متعاطفين، إلا أن هؤلاء البعض في غربي الشامية أظهروا تعاطفاً كبيراً وصداقة ملحوظة مع المتشددين في كربلاء. وقدموا الأموال وبذلوا طاقات كثيرة لمساعدتهم، الوضع في لواء الشامية يمكن أن يوصف بمسابقة بين جانبيها الشرقي والغربي في مجال من سينجح في الضغط على النجف فهناك توجه في شرقي الشامية بكسب النجف بصورة عقلانية وفي توجه غربي الشامية كسبها باتجاه مساندة الثورة... لم تكن مباراة متوازنة إذ أن غربي الشامية محاذية وقريبة من النجف وهذا ما أعطى ميزة متقدمة.

أما في شرقي الشامية، فهي معرضة للتأثيرات السياسية المتأتية لهم من الخلف،جهة

لواء الديوانية حيث أن التعاطف كبير جداً بين غربي الشامية والديوانية مما جعل شرقي الشامية محاصرة بتأثيرهما في الوسط.

في اواسط حزيران بدأت الحركات العسكرية في لواء الديوانية والتي لها حدود مشتركة مع لواء الشامية حيث أم البعرور، وقد كان الضغط علينا كبيراً جداً من هذا اللواء (الشامية) إذ أن مبالغ طائلة بذلت كرشوة ضدنا، وما لم نحصل على دعم عسكري في الوقت المناسب فإننا في الوقت الحاضر نماطل لكسب الوقت نظراً لقرب الحركات منا في مناطق الديوانية. إلا أن السلطات العسكرية في بغداد لديها الكثير ما يشغلهم في هذه الظروف بالنظر لقيام الشغب بصورة عامة.. وبناء على حرماننا من القوة العسكرية والتي تمكننا من إعادة النظام فخيارنا الأخير هو الاعتماد على أصدقائنا من الشيوخ الموالين.

وفي ٧ تموز رُتب اجتماع لنا مع شيخ الخزاعل الذي أشرت اليه في تقريري لوضع صيغة للتعاون معه بهذا الشأن وفعلاً تم الاجتماع به في الساعة السادسة مساءً واستمر حتى الساعة الحادية عشر ليلاً. كنا جداً متفائلين بعد الاجتماع من نتيجة محادثاتنا وللأسف فإن مجريات الأمور وتيار الثورة جرف هؤلاء الرجال إلى ساحة المعركة ضدنا ومما لا شك فيه أن مساعدتهم الفاترة للثوار وقلة مساندتهم لهم قد ساعدتنا كثيراً نحن البريطانيين أيام محنتنا. وقد شعر قادة الثوار بجهود الكابتن مان في هذا المضمار، فضاعفوا جهودهم لاحباط محاولات شيوخ الخزاعل لمساعدتنا وقد بذلت الأموال الطائلة والدعاية في سبيل انجاح مجهودهم هذا... استمر رقاص السياسة يتحرك إلى اليمين تارة وإلى اليسار تارة أخرى حتى ١٢ تموز (يوليو) حيث أصبح الوضع خطيراً جداً في جبهتي شرقي الشامية وغربها.. وقد اضطررت للذهاب إلى بغداد جواً وكان هدفي من هذه الرحلة هو الحصول على امداد عسكري.. لقد توسلت بالسلطات العسكرية بعد أن القى الحاكم السياسي العام (ولسن) كل ثقله إلى جانبي إلا أننا لم نوّفق بإقناعهم بوجهة نظرنا.. **عليه فإن ما حصل لا يمكن القضاء عليه.** وبعد خمسة أسابيع من محاولاتنا المضنية للتوفيق في التوصل إلى حل سياسي مع الثوار، اضطررنا في ١٢ تموز إلى قبول كافة الاحتمالات بالهزيمة العسكرية... وعليه فقد أصبح من المؤكد أن الحركات العسكرية سوف تبدأ في ١٣ تموز وهذا ما حدث فعلاً.

لقد قام حوالي ٦٠٠٠ من مقاتلي آل فتلة الأشداء، ممن تحشدوا أثناء الليل، بمحاصرة أبو صخير (مقر غربي الشامية) وباشروا بقتالنا.. بقيت قلعة المقر والمعسكر ومعهم كافة موظفي الإدارة محاصرين إلى أن حل ١٦ تموز وقد استهلكوا تجهيزاتهم الغذائية... وقد اتضح فيما بعد، أنهم فقدوا الامل بوصول المساعدة لهم أو فك الحصار عنهم للخروج إلى الكوفة.

لقد توفقنا بجهود كابتن مان، بالحصول على وعد من الثوار، بعقد هدنة لمدة أربعة أيام بشرط (١) أن أرسل شروطهم لإحلال السلام إلى الحاكم السياسي العام في بغداد (٢) سحب حامية أبو صخير إلى الكوفة. كانت هذه الهدنة بمثابة معجزة لنا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما يجري لحامية الرميثة التي مضى على حصارها ثلاثة أسابيع والقتال يجري حولها للأيام الأربعة الماضية من قبل القوات البريطانية المنهكة... في الوقت الذي انفتحت أمامي فرصة فك الحصار هنا بالوسائط الدبلوماسية والإفراج عن حامية أبو صخير وموظفيها المدنيين ولو مرت ساعات قليلة على محاولاتنا بدون التوصل إلى حل لفقدت الأمل كلياً في نجاتنا. انها نتيجة ممتازة أكبر من أن تصدق.

في اليوم التالي، اجتمعت مع عدد من المشايخ وقد طغى عليَّ شعور بهيبة الموقف وهشاشة الوضع والهلع من خيانة القوم. ومما زاد في قلقي بعد ذلك عندما عبرت النهر مع الكابتن مان لمقابلة المشايخ (لم نتمكن من إغرائهم البتة للعبور صوب النهر الذي نحن فيه)[1]. وقد تبين فيما بعد من تفاوضي معهم أنهم قد تراجعوا عن اقتراح عقد هدنة وأنهم يطالبون الآن باستسلام حامية أبو صخير.

وفي موقف متعصب مثل هذا، لم يبق لي خيار غير أن أقف موقف الشدة وبناءً على ذلك أخبرتهم من أني ارفض بأي حال استسلام حامية أبو صخير، وإذا كان هذا هو مطلبهم فلا داعي لاستمرار النقاش معهم وبهذا انفض الاجتماع على أن نعود لنلتقي في الساعة الثالثة من بعد الظهر، ذلك فيما إذا كان لديهم شيء آخر لبحثه معي... وبفضل اصدقاء الكابتن مان بين هؤلاء المشايخ ممن استطاعوا حل الموقف بحيث ساد المنطق واندحر المتشددون وبهذا تم عقد الهدنة واستطعنا أجلاء حامية أبو صخير، وبنفس الوقت تم إجلاء حامية الرميثة. أخذت معي كابتن مان إلى الكوفة (المحاصرة) بعد انتهاء الاجتماع مع امتعاضه كونه لم يعد إلى أم البعرور، إذ كان ذلك أحد الشروط التي فرضها العرب عليّ من أجل فك الحصار عن حامية أبو صخير.

الأيام الأولى - من السجل البريطاني

أدناه خلاصة أحداث ثورة العشرين كما جاء في سجل اليومية لمنطقة الشامية:

في أواسط حزيران عندما كان الشيوخ في كربلاء لأداء الزيارة، يتضح أنهم اتفقوا على خطة تحدٍّ للقيام بثورة ساعد على اندلاعها الاعتقاد العام السائد أن الانتداب يعني انسحاب كافة القوات البريطانية من العراق. وقد وقع هؤلاء الشيوخ على مضبطة تنص

(١) كابتن جيمس ساموزر مان ـ نفس المصدر السابق

على العمل المشترك بينهم تحت ضغوط من علماء الدين.

هدف هذه الحركة كما جاء في المضبطة المطالبة بالاستقلال التام الفوري وبدون الانتداب. وفي ١٢ حزيران قدمت مضبطة بهذا المعنى إلى الميجر نوربري وقد تم تزوير بعض التواقيع وأحيلت هذه المضبطة إلى بغداد... لقد كان واجب الحكام السياسيين السيطرة على المشاغبين الدينيين في المدن المقدسة لتهدئة العصيان العشائري. ومن أجل هذا الهدف فقد تم توقيف الرؤوس المدبرة للشغب في ٢٢ حزيران (يونيو) في كل من الحلة وكربلاء منهم مرزا محمد رضا الذي كان على اتصال شخصي مع البولشفيك (الشيوعيين) والأتراك، وهو ابن مرزا محمد تقي (الشيرازي) أهم شخصية دينية عند الشيعة. ونتيجة تأثير الميجر نوربري عجل رؤساء ووجهاء النجف باتخاذ هذا الأمر بتوقيف المرزا.

إلا أن الأمر انعكس في ٢ تموز عندما تم توقيف شيخ محلي في الرميثة (شعلان) نتيجة لغطرسته تجاه مساعد الحاكم السياسي مما نتج عنه قيام أتباعه بمحاصرة المدينة وقطع خط السكة الحديدية وبذلك عُزلت الرميثة عن مدينة السماوة. في غربي الشامية جرى ترتيب اجتماع بين الميجر نوربري ومشايخ عشائر آل فتلة في مضيف رئيسهم الشيخ مجبل الفرعون على أن يعقد هذا الاجتماع في ١ تموز.

كان بصحبة نوربري كلاً من كابتن هوبكنز، مساعد الحاكم السياسي لغربي الشامية والميجر نكول وكابتن مان حاكم أم البعرور. إلا أنه لم يحضر من شيوخ آل فتلة إلا قلة منهم مما دعا إلى تأجيل الاجتماع على أن يعقد في أم البعرور، وعندما تم النصاب القى الشيخ عبد الواحد (احد قادة الثوار البارزين) خطاباً استفزازياً كان موجهاً للحضور من العرب ولم يخاطب الإنكليز منهم مما حدا بهم ترك مكان الاجتماع وعند خروجهم واجههم الجمهور بصرخات الاستهزاء ورموهم بالحجارة، وعلمنا فيما بعد أن هذه الإهانة كانت مدبرة مما حدا بنا إلى طلب عقد الاجتماع القادم في الكوفة بدلاً من أم البعرور وامرنا بتوقيف ثلاثة من رؤساء آل فتلة ـ الشيخ عبد الواحد، سيد علوان (الياسري/ ليس من آل فتلة) والسيد هادي زوين (ليس من آل فتلة). كان شيوخ آل فتلة يشكون في نوايانا مما دفعهم إلى الحضور صحبة ٢٠٠ رجل مسلح من أتباعهم ولكن إلى مضيف مرزوق العواد ليس غيره. حضر الكابتن مان الاجتماع واستمر بالتفاوض معهم لمدة أربع ساعات يوم ٥ تموز ١٩٢٠.. مشكلتنا الآن هي (أ) ابعاد عشائر بني حسن ومنعهم من التحالف مع عشائر آل فتلة أو التأثر بهم (ب) ضمان حياد عشائر الخزاعل وحلفائهم من آل شبل، وهذا ما توصلنا إليه في اجتماع في أم البعرور في يوم ٦ تموز بين الميجر نوربري وكابتن مان من جهة وثلاثة من شيوخ الخزاعل الذين تعهدوا بمساعدتنا مقابل إعطائهم وعداً بإعادة الأراضي التي أخذت

منهم من قبل الأتراك ومنحت إلى آل فتلة.

إلا أن بني حسن لم يكن من العسير كسبهم إلى جانبنا بالرغم من محاولات الكابتن مان العديدة، ولكن أسقط في يده مرض صديقه وصاحب النفوذ الكبير شيخ بني حسن لفته الشمخي. لقد قام آل فتلة برشوة شيخ آخر هو علوان الحاج سعدون حيث دفعوا له ١٠٠٠ باوند إنكليزي ذهب وعرضوا مبالغ طائلة لمشايخ آل شبل بدون علم الخزاعل مما دفعنا لإقناع الإدارة البريطانية بتقديم عرض لدفع ٢٠٠٠ باوند ذهب إلى آل شبل عن طريق الخزاعل... إلا أن الشيوخ المحتاجين مالياً حصلوا على دعم مالي من رجل بالغ الثراء عظيم القدسية وذي نفوذ بالغ، إنه السيد نور (الياسري).

وفي ذات الوقت وبعد فشل المفاوضات مع كابتن هوبكنز مساعد الحاكم السياسي لأبو صخير، قاموا في ١٣ تموز بتطويق المدينة. قبل ذلك بيومين كان الكابتن مان قد رتب اجتماعاً بين مشايخ بني حسن والميجر نوربري في أبو شورة والتي تبعد حوالي ثلاثة اميال شرقي الكوفة ليعقد يوم ١٣ تموز.

كانت القوة المتكونة من السرية ١٠٨ مشاة هنود معسكرة قرب الكوفة فصدرت لها الأوامر بالانسحاب إلى داخل المدينة واتخاذ كافة الإجراءات استعداداً لمواجهة الحصار. وفي اجتماع المشايخ يوم ١٧ تموز حول شروط الهدنة لإخلاء أبو صخير وفك الحصار عن حاميتها طلب هؤلاء جملة شروط منها إبعاد كابتن مان عن أم البعرور خوفاً منهم من نفوذه على عشائر الحميدات مما قد يؤثر على انضمامهم للثوار، وفي ٢٠ تموز ابتدأ حصار الكوفة.

وفي ٢٢ تموز وقعت معركة حامية مع دفاعاتنا المتقدمة في محاولة لإحراقنا كلياً...

انتهى التقرير بسبب حصار الكوفة الذي ابتدأ في ٢٠/٢١ تموز ١٩٢٠

الديوان الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى المجتهد الأفضل والحبر الأكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإنه في أحسن الساعات تلقينا موركم الكريم وطيه صورة
أفكاركم للجنة وعلمنا مآل الجميع وإن شاء الله تعالى سأبذل كل ما في الجهد لحصول رغائب
وكيف لا أقول ذلك والقصد أحد أساسات الأعمال التي ارتكبنا من جهتها المهالك
متوكلاً [illegible] بالله سبحانه وتعالى بأنا على ما تؤملون أما العوز برغائبكم بل رغائب
جميع التي هي من [illegible] أو ترك الدنيا وما فيها والله يوفقنا وإياكم بتوفيقه فإنه يخلق
ما يشاء ويختار وسلامي عليكم كافة ورحمة الله وبركاته [illegible] ذي الحجة الحرام [illegible]

رسالة الشريف حسين إلى الإمام الشيرازي رداً على رسالته التي بعثها مع رسول الثوار
الشيخ محمد رضا الشبيبي يطلب المساعدة المادية والمعنوية منه

التقرير البريطاني الرسمي
عن اسباب قيام ثورة العشرين

للتعرف على وجهة النظر البريطانية الرسمية لأسباب قيام ثورة العشرين نقدم هنا ما كتبه السير ارنولد ولسن الحاكم السياسي العام للعراق أيام ثورة ١٩٢٠ كما جاء في تقريره إلى وزير الهند بتاريخ ١٢ آب (اغسطس) ١٩٢٠.

١ ـ تدلنا تجاربنا في الشهور الثلاثة الماضية، على أننا اخطأنا في التسرع كثيراً، في بعض الشؤون الإدارية المتعلقة بالقبائل، وجريرة هذه تقع على الإدارة المدنية، وشيوخ القبائل، وبقية زعمائها على حد سواء، وجريرتنا هي في أننا سرنا على سياسة مؤازرة الشيوخ وتعزيز سلطانهم، وجريرتهم هي في محاولتهم إثقال كاهل رجالهم، وإكثار اتعابهم، بتنظيف الترع، وإنشاء السدود، متظاهرين بأن سبب ذلك، الرغبة في تحسين الزراعة، وجلب المحصول الجيد، في حين أن كثيراً من الفوائد المادية يرجع إلى جيوبهم الخاصة، ولم يفهم الشيوخ إلا في وقت متأخر جداً بأنهم ليس لديهم النفوذ الذي تصوروه على قبائلهم، وها هم يلقون جزاء ذلك.

٢ ـ والعامل الثاني، الذي يشارك فيه العراق بقية البلدان الأخرى، وأدى إلى إثارة سخط الناس، هو ظهور الأحوال التي نسميها أحوال بعد الحرب، ظهوراً تدريجياً، فكان هنالك صعود في الأسعار، وقلة بعض الضرورات، وغير هذه من امور إذا لم تحس بها طبقات الناس، بما جاءها من جيش الاحتلال من ثروة، فقد أثرت على أكثرية الناس وصارت علينا بصفتنا المنتصرين في الحرب العظمى في العراق وفي غيره، جريرة المجيء بهذه الحال.

٣ ـ وربما كان العامل، الذي يلي هذين العاملين في الأهمية، ادراك الناس ضعفنا العسكري وقد تعود الشرقيون طوال القرون، على أن يغتنموا فرصة تضعضع العدو للايقاع به.

٤ ـ عداء المجتهدين، الذين قاوموا كل الحكومات من بعد الخلفاء الراشدين.

٥ ـ نقاط الرئيس ويلسن الأربع عشرة، وما أنتجته من هياج وتأثير، زاده اثراً الشريف، والأتراك، والبلشفيك من متطوعين ومأجورين.

٦ ـ الخلاف العنصري بين العرب والإنكليز، وقد استعمل هذا ذريعة أكثر منه سبباً.

٧ ـ التأخر في تعيين وضعيتنا في العراق، وبقاء الحكم البريطاني المباشر مدة طويلة بعد الهدنة، وإذا لم تخني الذاكرة، فإني أتذكر أني مُنعت حتى في تشرين الأول (اكتوبر)

١٩١٩، من اتخاذ أي تدبير، أو الإدلاء بأي تصريح يفهم منه منحنا الانتداب على العراق، أو أننا قبلنا به.

٨ ـ ما احدثه تأثير الوضعية في سورية، التي ساعدت حكومتها الشريفية الاعانة البريطانية الوافية، التي كانت تتناولها على أن تدفع لموظفيها، ولاسيما من كان في الجيش منهم مرتبات تزيد كثيراً عما يمكن لهذه الإدارة، أو لأية إدارة أخرى، تسد مصاريفها بإيرادها الخاص دفعه.

٩ ـ إجبارنا الناس على العمل في السدود أيام الفيضان، فالعربي يفضل أن يعرض نفسه لخطر الفيضان، الذي هو من صنع الرحمن، على أن يشتغل كثيراً في السدود، التي هي من صنع الإنكليز، ولظروف الاحتلال العسكري أثر كبير في هذه الوضعية، فقد كانت السلطات العسكرية ـ ولاتزال تلحف علينا في المحافظة على السدود، وجعلها بدرجة من القوة، تمنع عن السكك الحديدية والمعسكرات من الخطر رائحته، ولم تعطنا الإدارة العسكرية دائرة الري إلا على هذا الشرط وحده.

١٠ ـ جمعنا ضرائب الأرض وغيرها.

١١ ـ خوف الناس من أن يطغى عليهم سيل الاستعمار التجاري الغربي.

١٢ ـ استعمالنا الطائرات مع القائمين علينا.

١٣ ـ عدم ارتياح الملاكين، الذين لا يرون أن على الملاك واجبات تقابل ما له من حقوق، ويرون أن كل محاولة تبذل لتخفيف اعبائهم على الفلاحين، غير مشروعة، في حين يرى الفلاحون أن كل محاولة تبذلها السلطات الحكومية لاستعمال قوات القانون والنظام لأخذ ما للملاكين عليهم بعين السخط، وقد طالما وقف الحكام السياسيون، بسبب العراقيل الموجودة في القانون التركي في هذا البيان في وضعيات عسيرة.

١٤ ـ يرى الكثيرون هنا، بين عراقيين وإنكليز، انني اخطأت في عدم استعمالي الشدة، والصرامة مع كبار المهيّجين، قبل أن تتوسع الحركة، ولكن هذا الرأي يستحق الجدل، فإن إدارة مدنية من هذا النوع طبيعي لها ـ في مثل هذا الموقف ـ أن تجد صعوبة كبرى في معرفة الحد الذي تستدعي به حركة دستورية تقوم في البلاد الشدّة والصرامة وتبررهما[١].

اسباب الثورة ـ وجهة النظر الإنكليزية

وهذا ملخص ما كتبته المس كرترود بيل في تقريرها ـ لاحقاً ـ كتابها المعنون ـ مراجعة للإدارة المدنية في العراق ـ ميسوبوتيميا ـ ١٩٢٠ تحت عنوان: الاضطرابات ١٩٢٠:

---

(١) Arnold Wilson A. Clash of Loyalties P.311-312

تبنى الاضطرابات بصورة عامة، العاطلون عن العمل من الأتراك والموظفين السابقين والوطنيين البغداديين، وقد تأثروا بأحداث سوريا. وفي كانون الثاني بدأت اشارات المتاعب وزادت بحلول الربيع فأصبحت ذات طابع خطير... في ٣ أيار/مايس أعلن أن بريطانيا العظمى وافقت على فرض الانتداب على العراق. وبذلك سيتم تشكيل مجلس الدولة ومجلس منتخب ومنهما سيتم الإعداد للدستور على أن تجري هذه التشكيلات وتتم في الخريف القادم. إلا أن هذه التدابير لم ترضِ الفوضويين، فإن هدفهم هو حكومة إسلامية مستقلة، وهذا يعني للمجتهدين الشيعة، دولة - ثيوقراطية - (دينية) أما بالنسبة للسّنة والبغداديين المثقفين تعني دولة مستقلة تحت حكم الأمير عبد الله، وبالنسبة للعشائر، فيعني لا حكومة البتة.. شيوخ عشائر دجلة، عند ما طُلب منهم الانضمام إلى الثورة، اشترطوا عدم دفعهم للضرائب الحكومية المترتبة عليهم... ذلك إضافة إلى مؤامرات البلاشفة (الشيوعيين) والأتراك والوطنيين العرب الذين استغلوا الشعور الديني، ذلك هو العامل الوحيد الذي يجمع كل هؤلاء العصاة لتقويض النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط...[١]

أسباب الثورة - وجهة النظر الإنكليزية
جون كلوب، (كلوب باشا - أبو حنيك)

خدم في العراق منذ ١٩٢٧ في مناصب عسكرية غير مهمة وأسندت إليه مهمة التجسس على العشائر العراقية في الفرات من شماله إلى جنوبه لقيادة القوة الجوية البريطانية في العراق، ثم استلم مهمة المفتش الإداري في لواء الديوانية وهذه التسمية شكلية إذ أن المنصب مقتصر على الإنكليز فقط وهو الذي يدير الأعمال الرئيسية في اللواء وأن مهمة المتصرف كانت شكلية في الغالب كتب كلوب عن عمله - كجاسوس - ودوّن مغامراته هذه في كتاب بعنوان «مغامرات عربية» وقد درس الأحوال السياسية في العراق التي قادت إلى ثورة ١٩٢٠ فلخصها كما يلي: أسباب العنف في عام ١٩٢٠ هي:

---

(١) للتعرف على ضعف الإدارة المدنية البريطانية، فأن اهم مؤشر هو خبرة الحكام السياسيين المسؤولين عن إدارة المناطق المختلفة في العراق إذ أن معظمهم من الضباط (الاحتياط) خريجي المدارس الإنكليزية ولم يكن لديهم أي سابق عمل لا في بريطانيا ولا في مستعمراتها وهذه هي اعمارهم: ارنولد تي ولسن، نائب الحاكم السياسي العام الذي أدى تشدده إلى قيام الثورة، فقد كان عمره أربعاً وثلاثين سنة في عام ١٩٢٠ وأن ثلثي الحكام السياسيين في ١ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ كان يقل عمرهم عن ثلاثين سنة وأن ربع عددهم كان عمره خمساً وعشرين سنة أو أقل. راجع النص الإنكليزي في:
George Kirk A Short History of the Middle East, London, 1961

١ ـ الوهم الذي ساد التفكير العشائري هو أن الإنكليز سيجعلون من العراق مصر الثانية (أي دولة عصرية) ويحولونها إلى ذلك بضربة عصا سحرية.

٢ ـ أن ثورة العشائر هي في حقيقتها ضد الحكم الاستبدادي للشيوخ الذين أتت بهم السلطة العسكرية البريطانية وفرضتهم على أبناء العشائر.

ليس لهذين السببين علاقة لا بالسياسة ولا بالوطنية بل أن تأثيرهما كان بالتأكيد عكسياً، إذ أن رغبة العشائر كانت بالعودة إلى الفوضى التي تعوّدوا عليها أيام الحكم التركي... فالاحتلال البريطاني كان يمثل بحد ذاته التقدم والنظام والقانون والإدارة الحديثة.

٣ ـ خيبة الأمل لدى المثقفين العرب، ومعظمهم من الضباط وقد شاهدوا وتوقعوا تبخر أحلامهم باستقلال العرب، وزادت شكوكهم بالتأخير المستمر والتجاهل التام من قبل الحكومة البريطانية لإصدار إعلان بتكوين حكومة عربية في العراق، رغم أن هذا الأمر كان مزمعاً القيام به.

«اترك للقارئ» تمحيص أقوال كلوب (باشا).

خاتمة الفصل الثالث

أود أن أدون المهم من المواضيع التي تجنبها السيد محسن أبو طبيخ في مذكراته عن ثورة العشرين والتي اطلعت عليها من خلال سماعي له في أحاديثه عن ذكرياته عن الثورة، وقد تجنبها لرغبته في تطبيق مقولة «عفا الله عما سلف» كما أن بودي إبداء ملاحظاتي الشخصية عن هذا الموضوع.

أولاً: لقد تحدث عن ثورة العشرين العديد من المؤرخين العراقيين والعرب والأجانب خاصة الكتاب الإنكليز ومنهم ممن حكموا وشغلوا مناصب عالية ـ في العراق ـ فترة الانتداب، ويكاد يجمع هؤلاء أن الثورة اندلعت في الفرات الأوسط وأنها لم تكن امتداداً للأحداث التي وقعت في بغداد، وهذا ما كنت أسمعه من السيد محسن إضافة إلى ما كان يؤكده أن الثورة لم تتأثر بأي حال بأحداث دير الزور وتلعفر التي حصلت بتأثير سياسة الملك فيصل أثناء وجوده في سوريا بينما كانت الثورة في الفرات الأوسط نتيجة لظلم وتعسف الحكام السياسيين وحنث الإنكليز بتعهداتهم بمنح العراق الاستقلال.

لقد حققت الثورة وفي وقت قصير انتصارات واسعة بتحرير منطقة الفرات الأوسط من الخضر جنوباً إلى المسيب شمالاً ونتيجة لهذه الانتصارات، أرسل الحاكم البريطاني العام بتاريخ ٢٧ آب (اغسطس) ١٩٢٠ رسالة إلى السيد فتح الله الأصفهاني

بمناسبة توليه المرجعية الشيعية بعد وفاة الشيرازي وعرض عليه التفاوض مع الثوار وعقد الصلح معهم وبهذا أصبحت الفرصة مناسبة امامهم لفرض شروطهم وتحقيق اهدافهم من مركز القوة. إلا أن انفراد الأصفهاني بالقرار وتسرعه في رفض عرض الإنكليز بالتفاوض واكتفاءه بمشورة حاشيته دون عرضها على زعماء الثورة والتشاور معهم ـ كما ذكر السيد محسن في أحاديثه ـ فوت على الثوار فرصة فرض شروطهم كمنتصرين بدلاً من قبولهم شروط الاستسلام فيما بعد. وانتقد السيد محسن ومعه قادة الثورة الكبار هذا التسرع في اتخاذ قرار الرفض قبل استطلاع رأيهم وإضاعة الفرصة بتحقيق الصلح بشروط افضل وتجنيب الثوار الاستسلام وأن غلق باب المفاوضات مع الإنكليز نهائياً كان تصرفاً غير صائب وبعيداً عن الحكمة من وجهة نظر السيد محسن الذي كان على حد قوله ـ مفتاح بغداد بيدنا ـ وقد علق البعض على قرار الرفض بالقول «ان المتكئين على الوسائد في النجف لا يجوز لهم البت في أمور الناس الذين يعانون ضراوة القتال». ثم أخذت الأوضاع الاقتصادية والعسكرية للثوار بالتدهور لأسباب عديدة منها تناقص العتاد الحربي والمواد المعاشية والتموينية.

ثانياً: أن الثوار في الفرات الأوسط، وهذا ما كان يؤكده السيد محسن أبو طبيخ دوماً، لم يتلقوا أية مساعدات عسكرية أو مادية أو مالية سواء من داخل العراق أو خارجه، وكان المتوقع أن يقدم الشريف حسين مساعدات عسكرية لإسناد الثوار الذين أوفدوا إليه رسولهم الشيخ محمد رضا الشبيبي مطالبين بتنصيب أحد أنجاله ملكاً على العراق في حالة منحه الاستقلال. إلا أن لا الشريف حسين ولا أحد من اولاده الامراء قدم أية مساعدة في حينه.

ثالثاً: أرسل الملك فيصل الأول مبالغ مالية من الشام للثوار غير أن الأشخاص الذين كُلفوا بإيصال هذه المبالغ استولوا عليها وأن السيد محسن أبو طبيخ يعرف هؤلاء الأشخاص الذين استولوا على هذه الأمانة وقد تسنموا فيما بعد أرفع المناصب في الدولة. كما أن الحاج عبد الواحد السكر كان على علم بهم.

رابعاً: أن الضباط العراقيين المتواجدين في مدينة دير الزور بسوريا لما سمعوا بإعلان الثورة في الفرات الأوسط أرسلوا مبعوثاً منهم يوم ١٧ آب ١٩٢٠ هو سلمان الجنابي حاملاً رسالتين الأولى إلى الشيرازي والثانية إلى علي البزركان[1]. موقعة من قبل علي جودت الأيوبي يعلن فيها استعداده ورفاقه المشاركة في الثورة بشرط تقديم مبلغ عشرة آلاف ليرة ذهب مع مبعوثهم، وقد أجاب الثوار على هاتين الرسالتين بقولهم

(١) علي البزركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ١٩٥٤، الصفحة ١٦١

(إنكم إذا اردتم المشاركة فمرحباً بكم، أما طلبكم دفع مبلغ العشرة آلاف ليرة ذهب مقابل هذه المشاركة، نود إعلامكم بأننا بأمس الحاجة إلى كل درهم لتدبير أمورنا ونحن على غير استعداد لدفع هذا المبلغ ولا نعتقد أنكم مرتزقة والوطن وطنكم فإذا أردتم الدفاع عنه فبارك الله فيكم).

وقد غادر مبعوث الضباط العراقيين عائداً إلى دير الزور ولم يحضر أي ضابط منهم للمشاركة مع الثوار واقاموا في سوريا حتى تشكيل الحكومة العراقية الوطنية وتنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق سنة ١٩٢١. وحينئذ فقط عاد هؤلاء الضباط لتولي المناصب والوزارات، ولا أريد هنا أن ابخس حق الضباط العراقيين الذين كانوا في بغداد والتحقوا بالثورة وقاموا بدور مشرف فيها. وكلمتي الأخيرة أن تقاعس الضباط ممن كان خارج العراق، عن المشاركة في الثورة والمساومة على شرف الخدمة فيها يجسد الانتهازية والأنانية التي ظهرت فيما بعد بالتكالب على المناصب وحبك المؤامرات لبعضهم البعض. وكان الملك فيصل أول من عانى من هذه السلوكية وحاول تصحيحها وحماية النظام الملكي والدولة العراقية الفتية بدون جدوى.

الدكتور محمد السيد محسن أبو طبيخ[1]
كاليفورنيا ٨/ ايلول/ ١٩٩٩



مدينة النجف ـ زيارة الدخول ـ عام ١٩١٩

(١) الدكتور محمد السيد محسن أبو طبيخ: الابن الخامس للسيد محسن، ولد في غماس عام ١٩٢٠، درس الطب في جامعة دمشق ومارس عمله في بغداد ثم التحق بجامعة هيوستن في تكساس حيث درس الطب الشعاعي، درّس هذا الموضوع في جامعة بغداد ثم انتقل للتدريس في الجامعة الأردنية بعمان وبعد تقاعده استقر في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.



الفصـــل الرابــع

الهجرة إلى الحجاز

١٩٢٠ ــــ ١٩٢١



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

صدق الله العظيم

التوبة ـ ٢٠ ـ



٦٨ ٦٨ لا انه من جماعة الدوش بامرتي الانكليز بتبقينا ونطلب

وتوجهنا الى مكة المكرمة كما ورد نه مكتوب هندنا الى ابن رشيد يطلب منه ان يرسل معنا فرسان حتى يوصلنا الى المدينة المنورة وفي بعدما اجنا في حايل عند ابن الرشيد اربعة يوماً ومن بعد ذلك وصلنا مكتوب جلالة الملك حسين خرجنا من حايل متوجهين الى المدينة المنوره على غير الطريق الاعتيادي الذي تقطعه الابل في عشرة ايام وسبب ذلك قد ورد خبر الى ابن رشيد مفاده ان غزو من الاعراب فسلكوا بنا الحرس الذين ارسلهم معنا ابن رشيد طريق اخر وهو كله ما بين ارتفاع جبلية واودية حيث من الصعب علينا فلاقينا فيه ثلاثة ايام من التعب والتيه والعطش وحيث كانت حتى ... وصلنا الى المدينة المنوره
وطال بنا ذلك الطريق سبعة وعشرون يوما ...

وكان الملك حسين قد ارسل نجله الاكبر المغفور له جلالة الملك علي الى المدينة المنوره لاجل ملاقاتنا فيها والترحيب بنا عند وصولنا الى القصر ... ولما وصلنا الى ... الذي يبعد اربعين كيلومتر عن المدينة كتبنا مكتوب الى المرحوم السيد عمران الصوبي النجفي اعلمناه به في وصولنا الى ... وكان ... فرجع لنا الجواب ان نمكث فيه الى العصر وذلك حيث ان للسيد الهاشمي المذكور ... مكتوبنا اخبر جلالة الملك علي وامره ان يخبرنا ان نبقى مكاننا حتى العصر لكي يبعثون لنا استقبال الى امام المدينة
وفي الساعة المعينة تحركنا من احد ... ولم نصل الى ... ما يقرب من عشرين كيلومترا لاقانا وفد الاستقبال ... من عقيد مكون من عسكريين وعلى رأسهم المرحوم جميل باشا الراوي وابراهيم باشا الراوي الوزير المفوض الآن في افغانستان ... ومعه ... وعلى رأسهم المذكور السيد عمران الصوبي ... ودخلنا المدينة المنوره ... ساعة ... احد عشرين من شهر رجب ١٣٢٩
وبعد استراحة قصيرة ذهبنا الى ملاقاة الملك الامير علي ... وعنه وصولنا رحب بنا اجمل ترحيب واستقبلنا خير استقبال

من مخطوطة مذكرات السيد محسن أبو طبيخ يصف فيها مشاق سفرهم في الصحراء الحجازية

الرحيل إلى الحجاز

وصلت غماس قبل الغروب بعد أن نجوت من قنابل الإنكليز التي دمرت بيتي في أبو صخير حيث كنت فيه ومعي صحبي الميامين، وحينما لم نجد ما يحمينا من الطائرات الإنكليزية، قررنا التفرق كل إلى دياره على أن يبقى الاتصال فيما بيننا للاتفاق على دولة معينة قد نذهب إليها بعيداً عن مخاطر الإنكليز وأعوانهم. **توجهت** نحو غماس مع عدد من رجالي وسلكنا طريقاً بين البساتين تارة وتارة نخوض الأهوار فوصلنا غماس قبل المغرب بقليل، وقد تجنبنا دخولها من الطريق الرئيس خوفاً من عيون الإنكليز المبثوثة في كل مكان، وأخذت دربي جنوباً إلى بساتين النخيل ومن هناك إلى داري حيث استقبلني أخي جعفر وابني كامل وكان الإعياء والعطش قد هد قواي. أخبرت أخي وابني بما حل بنا وبتشتت الثوار وتداعي الثورة، كما بينت لهما أن وجودي علناً بينهم قد يجلب علينا جميعاً خطر الانتقام الإنكليزي لأني مطلوب من قبلهم وفي حالة إلقاء القبض عليَّ فإنني قد أقتل أو أعدم فيما بعد، وعليه قررت التواري عن الأنظار في الوقت الحاضر وأن تكون وجهتي إلى مزارعي في الطابو حيث أحل عند بني سلامة من عشائر جبشه. أوصيت أخي جعفر أن يستجيب لشروط الإنكليز فيما إذا طلبوا منه تأدية غرامات مادية أو عينية باسمي، لا سيما وأن لدينا ما يكفي من حاصل التمر والشلب (الرز) لتسديد ما قد يفرضونه علينا.

بقيت في مضارب بني سلامة أياماً قليلة كنت خلالها أفكر بالرحيل عن العراق إلى إيران، ولكن رسولاً من السيد نور الياسري أتاني يخبرني بأنه هو وصحبه سوف يتوجهون إلى الحجاز، وبذلك قررت أن تكون وجهتي إلى تلك الأرض المقدسة بمعية إخواني في الثورة. وأتم استعداداتي

بقدر كبير من الهمة شيخ بني سلامة مريع الحمّور، وبعد أن أكملنا تجهيز القافلة تحركنا في الوقت الذي اتفقت به مع السيد نور وصحبه الكرام لملاقاتهم والرحيل سوياً إلى أرض الحجاز.

بعد أن علم الإنكليز برحيلي، أرسلوا قوة عسكرية إلى غماس، قامت بنسف داري واحراق مضيفي ومضيف أخي جعفر[1] بالرغم من احتجاجات أهل المدينة، وفرضوا عليَّ غرامة ألف بندقية واثني عشر ألف ليرة. قام أخي جعفر بمعونة معتمدي المرحوم الملا ياسين الأسدي[2] الذي أمّن شراء السلاح من باعة السوق السوداء الذين هم وكلاء الإنكليز ممن يتعاطون بيع الأسلحة المصادرة من العشائر والتي يعاد بيعها وشراؤها لمرات عديدة.

إلى جانب هذه العقوبات، جاؤوا إلى قريتي في مزرعتي بالطابو والتي تسمى ـ العكشة ـ فأحرقوا مضيفي ونسفوا داري ودار وكيلي واستولوا على ما عندي من خيول عربية أصيلة وخزين الطعام العائد للمضيف، إلى جانب تدمير مزارعي جراء المعارك في العارضيات التي هي محاذية لأملاكي والتي مر ذكرها في حرب الرميثة.

كان بصحبتي زوجتي وابنتنا التي لم تتجاوز بعد ربيعين من العمر، ومن أبناء عمي السيد هادي السيد عبد الله أبو طبيخ ومن خدمي الطلقاء الحاج عواد والحاج كشيش وحارسي الخاص الحاج جفات من آل زياد. مع عدد من الخدم نساءً ورجالاً.

هل علينا شهر ربيع الأول ١٣٣٩ ونحن لم نزل في أرض العراق،

---

(١) ارخ الشيخ علي البازي إعادة بناء مضيف السيد جعفر أبو طبيخ عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م بهذه الأبيات الشعرية:

ذا منزل قد أذِن اللهُ ان ... يُرفعَ للذكرى وللمؤمنينَ
أعيذه بالله والمصطفى ... والمرتضى من أعين الحاسدينَ
(جعفر) لمّا شادَ بنيانه ... أرخ (بهِ زُيّنَ للناضرينَ)

(٢) كما أرخ الشيخ علي البازي وفاة معتمد السيد محسن أبو طبيخ، المرحوم الملا ياسين آل الشيخ عدّاي الأسدي الذي توفي سنة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م بهذه الأبيات الشعرية:

إذا ما رُمتَ تسأل عن رجائي ... فقُل أرختُ (قد غابَ الرجاءُ)

يقود قافلتنا مريع الحمّور[١]، وموعدنا للقاء مع من اتفقت معهم على الرحيل إلى الحجاز السيد نور وجماعته في غربي الشنافية فوصلنا إليها فجراً وأنا أستذكر ما قاله عمر بن الفارض:

خفف السير واتئد يا حادي ... إنما أنتَ سائق بفؤادي

ما أمرّ الفراق ياجيرةِ الحيّ ... وأحلى التلاق بعدَ انفرادِ

كيفَ يلتذّ بالحياة مُعنّىً ... بينَ أحشائه كوَرْي الزنادِ

عمره واصطباره في انتقاص ... وجواه ووجده في ازديادِ

يا سميري رَوِّح بمكة روحي ... شادياً إن رغبت في إسعادي

آه لو يسمح الزمان بعود ... فعسى إن تعود لي أعيادي

باشرت قافلتنا الكبيرة التي ضمت السيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والسيد هادي مكوطر[٢] والحاج رايح العطية وشيخ العوابد الحاج مرزوق العواد، وكان مسيرنا حثيثاً لتجنب رصد الطائرات لنا وقبيل اجتياز البادية العراقية وفي وادي الرحاب التحق بنا شعلان الجبر والأخوان علوان الحاج سعدون وعمران الحاج سعدون وبعد يوم وصلنا الحاج محمد جعفر أبو التمن في قافلة تضم محمود رامز من الضباط الذين آزرونا في الكوفة وكان آخر من انضم إلينا قافلة مهدي الفاضل. وبوصولنا إلى وادي شبرم في البطن جاءنا رسول من النجف يحمل في جعبته رسالة من الميجر نوربري إلى السيد نور الياسري يعطيه فيها (الراي والأمان) له ولمن معه يتعهد فيها بسلامة من يعود ومعاملته بالحسنى والاحترام. اتفقنا على رفض طلب

---

(١) مريع أو مريعي الحمّور بن كميات من آل سويد احدى بطون بني سلامة يرجع أصلهم إلى قبيلة آل طريف من شمر وله المشيخة على كافة عشائر بني سلامة موطنهم في أراضي طابو أبو طبيخ وشط العطشان والشنافية.

(٢) السيد هادي آل مكوطر من عائلة حسينية النسب لهم الزعامة الدينية في منطقة الشنافية التي تمتلك فيها عائلتهم مساحات شاسعة من الأراضي المتخصصة بزراعة الشلب (الرز).. قام السيد هادي بتمويل المجاهدين المتطوعين من عشائر الجوار للشنافية بسفرهم إلى الشعيبة وقد شارك في حملة الجهاد هذه بنفسه. وبدخول الإنكليز إلى مدينة السماوة القي القبض عليه ونفي إلى الهند. وبعيد عودته اشتعلت نار ثورة عام ١٩٢٠ فكان من قادتها ومموليها.. وبعد عودته من الحجاز إثر تأسيس الحكم الوطني أقعده المرض ولم يشارك في الحياة السياسية. توفي رحمه الله عام ١٩٢٤.

نوربري والاستمرار في سفرنا نحو حائل لعلمنا بما جرى للحاج عبد الواحد من سوء معاملة بعد أن طمأنه الإنكليز (بالراي والأمان والبخت) في حالة استسلامه. مع ذلك فقد قرر الحاج عمران الحاج سعدون[1] العودة لقلقه على ما قد يصيب عشيرته في حالة رفضه لهذا الطلب.

وبدخولنا أرض الحجاز صرنا معرضين لخطر غارات القبائل الوهابية مما توجب علينا تجنب طريق القوافل العام واتخاذ مسيرتنا بين الشعاب والوديان وبذلك عانينا من طول الطريق ومشقته.

في حائل

وصلنا حائل في العشرين من ربيع الثاني وحللنا ضيوفاً على أميرها الشاب عبد الله بن متعب بن عبد العزيز آل رشيد. وفي أيامنا الأولى في حائل، كنا موضع عناية هذا الأمير ورجاله، وتثميناً منا لحسن ضيافته، قدمت والسيد نور كل منا حصانه الخاص وهما من أجود الخيول العربية الأصيلة هدية إلى الأمير. غير أنه بعد أن استتب بنا الأمر هنا، انقلب علينا أميرها هذا طمعاً بخيولنا فسرقوها وأخذوا يتمادون في سرقة حوائجنا وابلنا، وأخيراً وجدنا أن الأمر أصبح لا يطاق وقد مضى على إقامتنا في حائل حوالي الأربعين يوماً والأمور تسير من سيّئ إلى الأسوأ، فقررنا الرحيل إلى المدنية المنورة بعد أن وردنا كتاب الشريف حسين، يدعونا

---

(١) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م. الصفحة ١٨١ «وقد رجع الأخوان الشيخ عمران الحاج سعدون، والشيخ علوان الحاج سعدون، رئيسا بني حسن، إلى العراق بعد أن وصل الأول إلى (البطن) والثاني إلى جبل حايل، فاعتقل الشيخ عمران وبقي رهن الاعتقال حتى صدور قانون العفو العام». أما مصير الشيخ علوان فكان مثل مصير أخيه عمران.
السيد عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان النجف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
الصفحة ٣٠٥ «وتوجه الجميع سالكين طريق الصحراء باتجاه حائل وفي قرب السلمان في مكان يسمى (شبرم) وصلتهم مكاتيب من العلماء ومن حاكم النجف (نوربري) تتضمن ترك السفر والعودة إلى العراق ويتعهد الحاكم (نوربري) بعدم المساس بأي واحد منهم، فرفض الزعماء طلب العودة وأصروا على مواصلة السفر، إلا عمران الحاج سعدون فانه وافق على الرجوع وعاد إلى العراق!. وقد سمعت هذا من السيد محسن أبو طبيخ».

بالمجيء إلى مكة المكرمة وذلك رداً على كتابنا الذي سبق وأن بعثنا به له أبان وصولنا حائل وقد أخبرناه فيه بأن الثورة قد اخمدت وأننا ضيوف ابن رشيد كما أرسل الشريف رسالة منه إلى أمير حائل يطلب منه فيها أن يرسل معنا حرساً حتى يوصلنا إلى المدينة المنورة.

وقبيل مغادرتنا إلى المدينة قرر علوان الحاج سعدون العودة إلى العراق بسبب ضيق حاله وبالرغم من محاولاتنا إقناعه بعدم العودة خوفاً على ما قد يصيبه على يد الإنكليز، وبالرغم من التأكيد له على أننا سوف نقوم بمصاريفه مجتمعين، إلا أنه رفض بإباء وعاد إلى النجف، وبوصوله اليها، اعتقلته الإدارة الإنكليزية وأرسل إلى سجن الهندية.

إلى المدينة المنورة

من بعد ما ساءت أمورنا مع ابن رشيد وبعد أن وصلنا مكتوب الشريف حسين، خرجنا من حائل في الأول من جمادي الآخرة ١٣٣٩ المصادف ١٠ آذار (مارس) ١٩٢١ متوجهين إلى المدينة المنورة. وذلك على غير الطريق المألوف الذي تقطعه القوافل في عشرة أيام وسبب ذلك أنه قد ورد خبر إلى أمير حائل، مفاده أن غزوة من الإخوان الوهابيين متجهة نحو هذه المنطقة، فسلك الحرس الذين قد أرسلهم ابن رشيد معنا طريقاً آخر وعراً ما بين أرض جبلية وأودية سحيقة ونفود رملية لاقينا جراءها ما لاقينا من التعب والمشقة والعطش ما لا يطاق ولا يصدق ونتيجة لهذه المشاق والعناء والإرهاق وقلة الماء توفيت ابنتي التي كانت تبلغ ربيعين من العمر، بسبب العطش. استغرق سفرنا الشاق هذا سبعة وعشرين يوماً حتى وصولنا المدينة المنورة، وكان الشريف حسين قد أوفد نجله الأكبر المغفور له الملك علي إلى المدينة المنورة لأجل ملاقاتنا فيها والترحيب بنا.

وصل بنا الركب إلى مشارف المدينة قرب جبل أحد المعروف والذي يبعد حوالي أربعين كيلومتراً عن المدينة، فكتبنا رسالة إلى المرحوم السيد عمران الحبوبي النجفي وهو مقيم في المدينة منذ مدة، أعلمناه بوصولنا إلى أحد وكان وصولنا إلى هذا المكان صباحاً، فرجع الرسول لنا بجواب السيد الحبوبي أن نمكث حيث نحن إلى العصر... إذ اتضح لنا أن السيد الحبوبي

عندما استلم رسالتنا له، أخبر الملك علي وهذا بدوره طلب منه أن نتأخر في أحد حتى العصر لكي يتسنى لهم التهيّؤ لاستقبالنا خارج المدينة. وفي الساعة التي حددت لحركتنا توجهنا بركبنا إلى المدينة، وقبل وصولنا بحوالي عشرين كيلومتراً التقينا بحشد الاستقبال الكبير وجمع غفير مكون من عسكريين وعلى رأسهم المرحوم جميل باشا الراوي وإبراهيم باشا الراوي[1] وممثل الملك علي الشخصي الأميرلاي صبري باشا أحد قواد الجيش العربي في المدينة مع عدد من خيالة الجيش ومعه من المدنيين قاضي قضاة المدينة والسيد عمران الحبوبي.

دخلنا المدينة المنورة مساءً من باب الشام وأطلقت المدافع احدى وعشرين طلقة احتفاءً بمقدمنا، كان ذلك في ليلة السادس والعشرين من شهر رجب ١٣٣٩ المصادف ٦ نيسان (ابريل) ١٩٢١. وبعد الانتهاء من مراسيم الاستقبال واستراحة قصيرة ذهبنا إلى مقر الملك (الأمير) علي، حيث رحب بنا أجمل ترحيب واستقبلنا خير استقبال.

بقينا في المدينة المنورة ونحن موضع حفاوة ورعاية الملك علي، فخصص لكل فرد منا داراً لاقامته مزودة بكل وسائل الراحة والخدم. استمرت الضيافة والوفود والولائم احتفاءً بنا طيلة مكوثنا في المدينة مكرّمين ليس رسمياً فقط بل من أهلها الذين عاملونا وكأننا فاتحون.

وردنا رسول الملك علي ليخبرنا بأن الشريف حسين يطلب حضورنا في مكة المكرمة لمواجهته،ورغبة الشريف بالتعرف علينا. أعدت لنا قافلة مهيئة بالخدم والحرس والأدلاء ومزودة بكافة لوازم السفر فتحركنا من

---

(١) أمير اللواء الركن المتقاعد إبراهيم الراوي. من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، الطبعة الثانية، دار الكتب بيروت ١٩٧٨الصفحة ١٤٨ «وفي الربع الأول من سنة ١٩٢١م كان وصول الثوار العراقيين إلى «المدينة المنورة» بطريق «حايل» وعلى ظهور الجمال وهم أساطين الثورة العراقية التي حدثت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م وكان من جملتهم السيد نور الياسري، وجعفر أبو التمن، والسيد علوان الياسري، ورايح العطية، وشعلان السلمان الظاهر، والسيد محسن أبو طبيخ وغيرهم وقد أعقبهم محمود رامز وعلي البزركان وإسماعيل كنه، وكنت حينذاك وكيلاً لقائد المدينة المنورة، فاستقبلناهم استقبالاً شعبياً ورسمياً يليق بما قاموا به من أعمال بيضت وجوه العرب في حربهم مع الإنكليز».

المدينة يوم التاسع من شعبان ١٣٣٩ المصادف ١٨ نيسان ١٩٢١م بعد أن مكثنا فيها ثلاثة عشر يوماً.

التوجه إلى مكة المكرمة

كانت قبائل حرب التي تقطن بين مكة المكرمة والمدينة المنورة شاقة عصا الطاعة على الشريف حسين، فحينما جاء الملك علي إلى المدينة للترحيب بنا وخوفاً من تعرضهم له في الطريق فقد استقل زورقاً بخارياً من جدة إلى ميناء ينبع ومنها إلى المدينة المنورة.

ولهذا الوضع الشاذ فقد سارت قافلتنا في طريق بعيد عن القبائل المذكورة، وبعد أن وصلنا إلى بئر عباس قبيل الفجر، والذي يبعد عن المدينة مرحلتين والذي يقع في واد ضيق وتحيط به سلسلة من الجبال الشاهقة، وهناك ثارت علينا هذه القبائل وحاصرتنا في ذلك الوادي وقد تبين أن لديهم معلومات عن وصولنا المدينة المنورة وبأننا ضيوف الشريف حسين.

جرت المفاوضات معهم ومع رجال الحرس الذين كانوا معنا والذين ينتمون لتلك القبائل. فأخبروهم أننا ضيوفهم من أهل العراق ونحن إخوانكم جئنا محافظين لهم، فكان ردهم أنهم على علم تام بالأمر ولكن كوننا ضيوف الشريف فإنهم يريدون قتلنا.

استمر الكلام بينهم رداً وبدلاً ورجال القبائل مصرون على ما يريدون عمله حتى عصر ذلك اليوم. وأخيراً وافقوا على قبول فدية منا بدل القتل، وحدد الثمن بما مقداره خمسمائة ليرة ذهب عثمانية. هذا ما توصل إليه رجال الحرس فسلمناهم المبلغ المطلوب ورجعوا به إلى القوم، وبعد أن استلموا الفدية، فتحوا الطريق لنا. خرجنا من ذلك المضيق سالكين في الطريق المؤدي إلى رابح ومنها اتجهنا إلى الجنوب الغربي حتى وصلنا إلى البحر الأحمر فسرنا بمحاذاة الساحل حتى وصلنا جدّة صباح اليوم العشرين من شعبان ١٣٣٩ هـ المصادف ٢٩ نسيان (ابريل) ١٩٢١.

كان المغفور له الملك فيصل الأول (الأمير حينذاك) في طريق عودته من لندن[1] قد التقى مع أخيه الملك علي في جدة قبل وصولنا إليها بيوم واحد وقد انتظرونا ذلك النهار، وبسبب ما حدث لنا من تأخير مع قبائل حرب في بئر عباس لم نصل جدة حسب توقعهم فذهبا إلى مكة المكرمة وتركا في جدة وزير الدفاع صبري باشا لأجل استقبالنا. بقينا في جدة ذلك اليوم ثم استأنفنا سفرنا إلى مكة المكرمة يصحبنا الوزير صبري باشا ووفد الاستقبال معه. فدخلناها صبيحة يوم الثاني والعشرين من شعبان ١٣٣٩ المصادف ١ أيار/مايو ١٩٢١.

بأمر من الملك حسين كانت هناك بيوت مهيأة لكل واحد منا وقد زودت بكل وسائل الراحة والخدم، ولدخولنا محرمين إلى مكة المكرمة، ذهبنا إلى بيت الله الحرام فأدينا مناسك الطواف حول البيت المبارك ثم عدنا إلى مساكننا التي أعدت لاستراحتنا وإقامتنا.

موعد مع الملك حسين بن علي ملك الحجاز

قبل ظهيرة يوم وصولنا إلى مكة المكرمة، جاءنا الشيخ عبد الله المضايفي أحد مرافقي الملك حسين ومن المقربين لديه، فأخبرني قائلاً «سيدنا الملك يحب ملاقاتكم في البلاط وهو في انتظاركم». ذهبنا من فورنا معه، وما أن التأم جمعنا في البلاط في غرفة التشريفات حتى استأذن من جلالته، فأدخلنا إلى غرفة صغيرة وفي اصطلاح الحجازيين تسمى «المخلوان» وتعني غرفة المذاكرات الخصوصية، وكان جالساً فيها الملك حسين والملك علي وقاضي القضاة، فرحبوا بنا نهوضاً ترحيباً حاراً معربين عن أطيب المشاعر بالسلامة وإطراءنا كل الإطراء على محاربتنا للإنكليز وقد شبهها الملك حسين بثورته ضد الأتراك ومحاربته لهم وقال بالحرف الواحد «انتم

---

(١) أنيس الصايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، الطبعة الأولى، منشورات دار الطليعة، بيروت، أيار ١٩٦٦.
الصفحة ٢٠٣ «وواصل فيصل تزلفه للإنكليز وهو في لندن، أدلى بحديث صحافي طعن فيه بالثورة العراقية، وكانت قد انتهت منذ أسبوعين فقط، وأرجع أسبابها إلى «سوء فهم العرب» وأكد أن بين العراقيين «زعماء كثيرين لا يشكون بنيات بريطانيا قط».

فخر العرب، بارك الله بكم». وبعد أن قدمت لنا القهوة، ساد سكون ثم بادرنا الملك حسين بقوله أبشروا، لقد قررت الحكومة الإنكليزية إعطاءكم الاستقلال والعفو عنكم والسماح لكم بالعودة إلى العراق».

تكلم الملك بعد ذلك بإسهاب عن المبررات التي حملته على الثورة ضد الدولة العثمانية وأهم تلك المبررات التي أشار إليها هي استقلال الشعوب العربية بحدود أوطانها الطبيعية، ثم استطرد قائلاً «وقد وزعنا تلك الشعوب إلى ممالك كما قسمنا تيجانها على أنجالنا، هم الملك علي ولي عهدي على نجد والحجاز، والملك فيصل[1] ملك لسوريا ولبنان بما فيها فلسطين وشرق الأردن، وانتم هاتفين باسم عبد الله لعرش العراق، أما اليمن فنرسل إليه الأمير زيد». ولم يذكر مصر، ويجب أن اوضح أننا في الأيام الأولى للثورة كنا في بدايتها وأيامها الأولى هتفنا باسم الملك عبد الله لعرش العراق لما يتسم به من خلق عربي وسمعه عالية في العراق وأخص بذلك لدينا في الفرات الأوسط جنوباً إلى حدود البصرة[2].

أعود الآن إلى كلام الملك حسين وحديثه معنا، فاستطرد قائلاً بعد

---

(١) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور احسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الخامسة ١٩٧٨.
الصفحة ٤٣٢ ـ ٤٣٣ «عقد مؤتمر القاهرة في الثاني عشر من شهر آذار (مارس) وقرر المؤتمر أن يوصي بإنفاذ المسائل التي تم عليها التفاهم في لندن بين فيصل وتشرشل.. واقترح المؤتمرون أن يتوجه فيصل إلى العراق مرشحاً للعرش، وأن ينادى به ملكاً عن طريق استفتاء شعبي».

(٢) عبد الله بن الحسين بن علي، الابن الثاني لوالده شريف مكة، ولد عام ١٨٨٢ وعاش طفولته في الصحراء بين القبائل العربية كما قضى خمسة عشر عاماً من صباه فيما بعد منفياً مع أبيه عاشها في إسطنبول. مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، إذ كان اميراً على الضفة الشرقية من نهر الأردن منذ العام ١٩٢١ وكانت تسمى في ذلك الوقت (شرقي الاردن) ضم الضفة الغربية لإمارته عام ١٩٤٨ بعد حرب فلسطين في تلك السنة. اغتاله شاب فلسطيني في الجامع الأقصى يوم ٢٩ تموز ١٩٥١ ودفن في حرم الجامع.
كانت العلاقة بين السيد محسن أبو طبيخ والملك عبد الله وثيقة منذ لقائه الأول به في المدينة عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ واستمر بزيارته في عمان في كل سنة يصطاف بها في ربوع سوريا ولبنان. وقد أنعم عليه عام ١٩٤٦ بالوسام الهاشمي من الدرجة الثانية وهو أرفع الأوسمة الأردنية المدنية كما اختير عضواً مع الوفد الرسمي العراقي في تشييع جثمان الملك بعد مقتله.

أن بين آنفاً عن أسباب ثورته «لقد حصلت مشكلة وحلها في أيديكم، والمشكلة هي وقوع اختلاف شخصي بين الملك فيصل والفرنسيين مما تسبب بخروجه من سوريا، وقد راجعنا الحلفاء وقالوا لنا لا نتمكن من حل القضية وإقناع الفرنسيين على بقاء فيصل ملكاً لسوريا إلا عن طريق واحد وهو تبادل التيجان بين الأخوين. وذلك أن يكون فيصل ملكاً للعراق وعبد الله ملكاً لسوريا ولبنان وهذا مشروط بتنازل العراقيين عن مناداتهم باسم عبد الله ملكاً وقبولهم بفيصل بديلاً عنه. وبهذه الطريقة يمكن إقناع الفرنسيين بقبول عبد الله لعرش سوريا»

هذا ما قاله الملك حسين نصاً بالحرف الواحد، فأجبناه بالإجماع أننا عندما هتفنا بإسم نجلكم الأمير عبد الله لعرش العراق، لم يكن ذلك لمعرفة شخصية لنا به ولا لمراسلات خطية معه أو مع غيره، وإنما هتفنا باسمه كونه أحد أنجالكم والآن مَنْ تختارونه منهم ليكون ملكاً على عرش بلادنا فهو على رؤوسنا وعيوننا، فقال «الحمد لله، لقد انتهت المشكلة، فأنا أختار فيصل ملكاً لبلادكم، فصوموا شهر رمضان عندنا ويوم ثالث العيد خذوا مليككم واذهبوا سالمين إلى بلادكم» كان ذلك كما أسلفت يوم قابلناه في الثاني والعشرين من شهر شعبان ١٣٣٩.

ولم يخطر ببالنا في ذلك الوقت أن كل شيء كان قد تم الاتفاق عليه بين الملك فيصل والإنكليز وأن جهلنا بما يجري خلف الستار وصدق مشاعرنا تجاه البيت الهاشمي تم استغلالها على حساب تقرير مصير وضع العراق النهائي.

المساومة على العراق من أجل العرش

بعد أيام من مقابلتنا للملك حسين، ومن طرف موثوق وخفي عن الآخرين علمنا أن الأمير فيصل متفق مع الإنكليز إذا ما تنازلنا عن مناداتنا لشقيقه الأمير عبد الله ملكاً لعرش العراق وقبولنا بملوكيته، فإنه سيشكل حكومة عراقية تحت الانتداب الإنكليزي. أخبرت المرحوم الحاج محمد جعفر أبو التمن بهذا الشأن الخطير واتفقنا على مقابلة الأمير فيصل لأجل أن نقف على صحة الموضوع بدون أن نخبر أحداً من إخواننا، لكي لا يتطور الأمر

وتضيع الحقيقة[1]. أبديت للشيخ عبد الله المضايفي رغبتي بمقابلة الأمير فيصل، وبعد ما كلمه، حدد لنا موعداً وجرت مقابلته في منزله الخاص. لقد رحب بنا أجمل ترحاب وسألنا الكثير عن حربنا مع الإنكليز وعن العراق وأهله وأوضاعه. بعد أن شربنا القهوة، سألناه أن كان سيشكل حكومة في العراق حرة تتمتع بالاستقلال التام الناجز أم أنها ستكون حكومة مقيدة؟ فقال: مقيدة بالانتداب الإنكليزي، ولكن إذا ما تشكلت عصبة الأمم ودخلنا كعضو فيها إلى سنة ١٩٣٠م يمكن رفع الانتداب[2]. بعد أن سمعنا ذلك منه لم نجبه بغير كلمات (خير إنشاء الله) ثم استأذنا بالانصراف وخرجنا من منزله. كان ما سمعناه من الأمير فيصل ذا أثر كبير عليَّ، وتداولت مع الحاج جعفر بما أدلى به الأمير وقلت له: إني أعتقد أن الأمر مبيّت على العراق أن يتسلم الأمير فيصل عرش العراق وأن الانتداب هو جزء من الاتفاق معه. وبعد دراسة كل الاحتمالات، اتفقنا على إخبار بقية إخواننا بالموضوع. اجتمعنا في منزل المرحوم السيد نور الياسري وأخبرناهم بما دار مع الأمير فيصل وما قاله لنا حول مستقبل العراق. فوجد البعض منا أن لا مناص من قبول الأمر الواقع ومسايرة الأحداث والتصرف على ضوء ما يأتي، ولم أخالف هذا الرأي ولكن جرى رد وبدل وجدل في الكلام حول مصاحبة فيصل إلى العراق، ولما لم نجد مخرجاً من حوارنا انقسمنا إلى مجموعتين، فالمرحومان السيد نور والسيد علوان الياسري والسيد هادي مكوطر وشعلان الجبر ومهدي الفاضل والحاج صلال الموح رجحوا مصاحبة فيصل والحاج محمد جعفر أبو التمن والحاج رايح العطية والحاج مرزوق

---

(١) الدكتور عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، نفس المصدر السابق: الصفحة ٣٦٤ «... ويقول محرر جريدة «المستقبل»، إن منح الإنكليز عرش العراق لفيصل كان لعبة استعمارية. وعرف جعفر أبو التمن هذه اللعبة الاستعمارية وحاول فيصل أن يستميل إليه أبا التمن، طالباً منه أن يصحبه معه إلى العراق، مستعيناً بذلك بالسمعة الحسنة التي يتمتع بها أبو التمن لدى أبناء الشعب العراقي».

(٢) أنيس الصايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، نفس المصدر السابق الصفحة ٢٠٩ «وقد دعم ريبة الوطنيين من فيصل، خاصة أبناء المدن المطّلعين على الاحداث، ما أعلنه تشرشل في مجلس العموم من الثالث والعشرين من أيار/مايو ١٩٢١ بأن فيصلاً وافق على مبدأ الانتداب على العراق».

العواد وأنا اتفقنا على البقاء في مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ولكي لا نؤاخذ عند الشعب العراقي من أننا قبلنا بالانتداب واتفقنا على أخذ الإذن من الملك حسين على البقاء لهذا السبب.

لقد وجدت نفسي مع إخواني ونحن لاجئون وضيوف لدى العائلة الهاشمية أن الأمر مفروض علينا وعليهم، وكما خسرنا معركتنا العسكرية في ساحات العراق فقد خسرناها سياسياً، لا لضعف منا، فقد اتضح لنا قبيل مغادرتنا إلى أرض الوطن، أن مصير العراق كان قد تم البت فيه قبل مجيئنا كجزء من التسوية العامة للدول العربية التي كانت تخضع للحكم العثماني وأن توزيع التيجان الذي أشار إليه الملك حسين في حديثه معنا كان ولايزال موضوع تفاوض مع الحلفاء(١).

محاولات الشريف حسين

لم يكن اختيار الأمير عبد الله للجلوس على عرش العراق هو مجرد اعتبارات لبعض الأشخاص بفرضه على أهل العراق، لقد كان عامة الرؤساء في الفرات الأوسط قبيل الثورة وخلالها يفضلونه على غيره من إخوته من أولاد الشريف حسين لما له من سمعه عالية بين رؤساء العشائر والعامة من أبناء الشعب، وحينما قررنا انتداب الشيخ محمد رضا الشبيبي إلى مكة للحصول على تأييد الشريف حسين لمطالبينا باستقلال العراق وتنصيب أحد أنجاله ملكاً عليه فقد نادينا باسم الأمير عبد الله وليس غيره لتسنم هذا العرش.

وعندما وصلنا مكة المكرمة، وعند مقابلتنا للشريف حسين، فاجأنا أنه قد اختار فيصلاً للجلوس على عرش العراق وليس عبد الله وتجاهل تماماً الاشارة إلى موفدنا الشيخ الشبيبي، وشعرت أن الأمر فيه كثير من الغموض وأن للإنكليز يداً في الأمر طالما أن الأمير فيصل هو الذي

---

(١) نفس المصدر في هامش ١ على الصفحة ٢٠٩: جاء في الصفحة ١٦٨
«... بذل الإنكليز جهداً كبيراً لتأمين الاصوات لفيصل لأنه لم يكن يتمتع بشعبية قوية حسبما شهدت الأحداث، كان يعارضه في الدرجة الأولى غلاة الوطنيين، من زعماء ومناضلي الثورة العراقية الذين ادركوا الغاية من إرسال فيصل وتسليطه عليهم».

يتفاوض معهم على مصير الأقطار العربية التي كانت تخضع للحكم العثماني، وأن الأمير عبد الله بقي بعيداً عن هذه الأجواء السياسية التي انفرد بها الأمير فيصل من بين إخوته.. لقد حاول الشريف حسين أن يستشف منا أثناء المآدب والمجالس التي تجمعنا وإياه أو مع حاشيته، رغبة كل فرد منا وما يراه من الأفضلية بين الأخوين لعرش العراق فيصلاً أم عبد الله، وقد كنت صريحاً في تبيان رأيي من أن الاتفاق السائد لأهل الفرات خصوصاً وعلى ما أعتقد لبقية عموم العراقيين هو مناداتهم بالأمير عبد الله وأن إعطاء العرش العراقي إلى الأمير فيصل لا مبرر له حسب مفهومهم وانه سوف يسبب الانشقاق والبلبلة في الفرات وعموم العراق... وعندما تيقن الشريف حسين من صعوبة إقناعي بقبول ما اختاره هو لعرش العراق، أخذ بأسلوبه المعروف عنه باستعمال مكره السياسي ولباقته في المراوغة والمناورة فاتبع، ليس معي وحدي، انما مع أصحابي ممن يؤيدونني في الرأي، سياسة التمييز في معاملتنا بعد أن علم أن هناك اختلافاً بيننا، بين مؤيد ومعارض للأمير فيصل، وهذا الاختلاف في الحقيقة والواقع، وقد أشرت إليه سابقاً، هو مجرد تباين في وجهات النظر وكلنا يحترم ما للآخر من رأي... فمن كان قد عرف عنه بتأييده لملوكية الأمير فيصل للعراق وجد الترحاب المميز والإطناب في التكريم والمغالاة في المعاملة المفتعلة وقد نسي الشريف وهو العربي الأصيل أن عاداتنا تفرض علينا احترام الأكبر سناً منا وتقديمه في المناسبات والمجالس والمآدب وكل ما يتعلق بحياتنا الاجتماعية اليومية له الصدارة والأولوية، وهذا الشأن لا تغيره اختلاف وجهات النظر في الأمور العامة مهما بلغت اهميتها.

إن محاولات الشريف هذه لم تجدِ نفعاً، بل لفتت أنظارنا وأثارت تساؤلاتنا إلى أن ما يجري هناك ربما كان أكثر من مجرد تغطية لعملية فرض الأمير فيصل على عرش العراق أو استخلاص نخبة منا لتأييده، وأن أمر إبعاد الأمير عبد الله قد أصبح حقيقة ومن يؤيده عليه أن يصدع لأمر القدر والقبول بالأمر الواقع الذي يريده الإنكليز، وهذا ما صرّح به الشريف حسين حينما ذهبت وصحبي لتوديعه قبيل مغادرتنا مكة إلى العراق، فقال لنا ما معناه إن اختيار فيصل لعرش العراق هي إرادة الله

ومشيئته وما علينا إلا أن نذعن لهذه الإرادة الربانية، وكل ما أطلبه منكم هو تأييده ودعمه وحمايته وطاعته ثم تابع «...وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم...» فهو مليككم.

ولا بد لي أن أشير أن السيد نور الياسري بيّن لي في ليلة زيارتي له لتوديعه أن مرض المفاصل الذي يشكو منه ـ الرماتيزم ـ والذي اشتد عليه أثناء سفرتنا في الصحراء عبر الأراضي النجدية والصحراء الحجازية، نظراً لقساوة البرد الذي تعرضنا له هو الدافع الذي أوجب عليه السفر مع الأمير فيصل لرغبته بالوصول إلى أهله وتلقي العلاج في دياره ولو أن الأمير تأخر عن سفرته هذه إلى العراق فإنه كان يزمع العودة مع عياله بدون مصاحبة الموكب الملكي. كما أن الآخرين ممن صاحبوه كانوا قد صرحوا أن الأمر قد أصبح بيد الإنكليز بغض النظر عمن سيجلس على عرش العراق، وأنهم قد سئموا البقاء خارج ديارهم يعاملون كأغراب وأن عليهم واجباً تجاه عشائرهم وعوائلهم يحتم عودتهم إلى الوطن.

فيصل يتوجه إلى العراق

طيلة إقامتنا في رحاب مكة المكرمة ضيوفاً على الملك حسين، كل في منزله، كان يدعونا كل ليلة جمعة إلى الافطار معه على سفرته الخصوصية، وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان، ليلة القدر المباركة، كنا مدعوين عنده، فسنحت لنا فرصة الحديث عن المناسك، فطلبنا الاذن بالبقاء لتأدية مناسك الحج، فوافق على طلبنا. وأمر لنا بتجهيزنا بما نحتاجه من وسائط سفر ولوازم بين مكة والمدينة لإتمام فريضة الطواف ومناسك الحج في مكة وزيارة قبر الرسول ﷺ في المدينة.

في ثالث يوم عيد الفطر، خرج الملك فيصل من مكة المكرمة إلى جدة حيث كانت الباخرة التي ستنقله إلى العراق قد وصلت الميناء وكان على ظهرها المرحومان يوسف السويدي والسيد محمد الصدر، وقد استقلا هذه السفينة من ميناء صيدا اللبناني الذي قصداه في وقت لاحق بعد خروجهما من العراق إثر انتهاء الثورة فيه، وقد علم فيصل بوجودهما هناك فأمر قائد السفينة برقياً بحملهما ثم المجيء بهما إلى جدة.

وبهذا تم لقاؤهما معه لأول مرة على ظهرها عندما صعد إليها متوجهاً

إلى البصرة. وقد عاد معه من رفاقنا كل من السيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والسيد هادي مكوطر وشعلان الجبر والحاج مهدي الفاضل والحاج صلال الموح.

وكما أسلفت فقد آثرت البقاء مع إخواني الحاج محمد جعفر أبو التمن والحاج رايح العطية والحاج مرزوق العواد في مكة طيلة شهر شوال وشهر ذي القعدة حتى ادينا فريضة الحج، وبعد انتهاء المناسك، خرجنا من مكة يوم الثامن عشر من ذي الحجة ١٣٣٩ إلى جدة وركبنا السفينة المسماة همايون متوجهين إلى البصرة، ولا بد لي إن أشير إلى أن بقاءنا في مكة المكرمة وتخلفنا عن المجيء مع فيصل لم يكن بدافع رغبتنا في أداء فريضة الحج، فقد سبق لي وأن أديت هذه الفريضة، بل كان بقاؤنا لأمور تكشفت لنا ونحن في مكة وليس بودي التطرق إليها تاركاً الحكم عليها حينما تنكشف للأجيال والتاريخ لا يهمل[1].

---

(١) أنيس الصايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ـ نفس المصدر السابق الصفحة ٢١٠ «. . . وكان فيصل قد نُقل إلى العراق دون علم المندوب السامي الذي فوجئ بخبر وصول السفينة التي حملته إلى ميناء البصرة، وقد كشف فلبي عن سر تسرع وصول السفينة في نقله ـ اتهم لورنس (صديق فيصل المخلص) بتدبير كل شيء بالسر خوفاً من أن يفشل ترشيح فيصل والاستفتاء».

وتكشفت للسيد محسن أبو طبيخ، بعد أن غادر الملك فيصل إلى البصرة وبقي هو في مكة، المناورات التي كانت تجري خلف الستار والصراع الهاشمي الداخلي بين الإخوة على عروش الدول العربية وبالذات بين الملك فيصل وأخيه الملك عبد الله على عرش العراق لاسيما بعد أن أخرج الفرنسيون فيصل من سوريا، ثم بعد حين رفضوا الاقتراح الإنكليزي بتنصيب عبد الله بدلاً عنه. وهذا ما أثار التنافس بين الإخوين مما دفع بعبد الله إلى إخبار السيد محسن أبو طبيخ بواسطة أحد ثُقاته عن تواطؤ فيصل مع الإنكليز وقبوله الانتداب على العراق وأن احتمالات قبوله بسلخ لواء الموصل كبيرة وأنه ربما يقبل بأعطاء الالوية الكردية استقلالها وأنه وافق على منح اليهود حقوقاً في فلسطين مثلما وافق على منح لواء الاسكندرونة إلى تركيا. . . هذه الحقائق تكلم بها السيد محسن أبو طبيخ وسمعتها منه شخصياً، ولكنه فضل عدم التطرق إليها في نص مذكراته احتراماً للبيت الهاشمي.

نشرت جريدة العراق الصادرة بتاريخ ٢٠ أيلول ١٩٢١ خبر وصول السيد محسن أبو طبيخ، وهذا نصه: (قدم اول امس من الحجاز حضرة الوطني السيد محسن أبو طبيخ سيد منطقة الخرم في الشامية. وعاد إلى العراق الشيخ مرزوق العواد شيخ العوابد وقد ذهب إلى مقره في الديوانية).

جريدة العراق ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٢١.

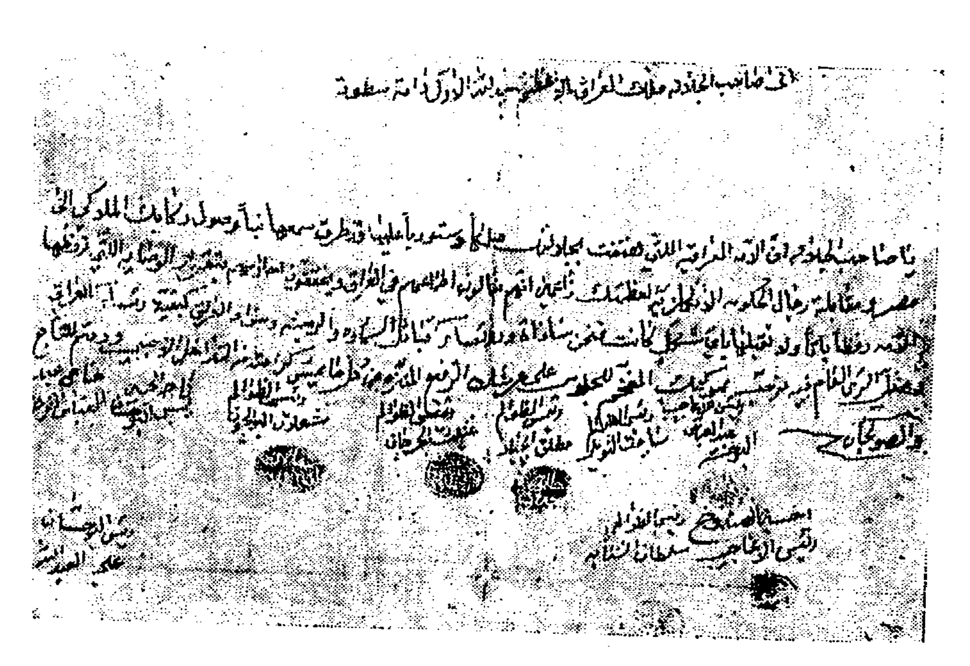
وصلنا ثغر البصرة يوم التاسع من محرم ١٣٤٠ هـ وكان في استقبالنا نجلي الأكبر كامل وشقيقي جعفر وابن خالي عبد العزيز أبو طبيخ، ومكثنا في البصرة إلى يوم ١٢محرم حيث ركبنا القطار متوجهين إلى بغداد.

هجرتنا إلى الحجاز(١) وتحقيق الهدف

لما قررنا الهجرة إلى الحجاز لم يكن لنا بد من أن نحمل معنا عيالاتنا واطفالنا لأننا كنا نظن عدم العودة إلى دار مجدنا وموطن عزنا، العراق لا غير، فقطعنا وعيالاتنا وأطفالنا الفيافي النجدية وقفار الحجاز على السفن البرية (الإبل)، تاركين وراءنا الإحبة والوطن العزيز بيد جيوش الإنكليز، لانعلم ماذا يصنع بها العدو المستعمر. وعندما استقر بنا النوى في مكة المكرمة واجتمعنا بجلالة الملك حسين وأنجاله العظام، تبينا إذ ذاك أن غرس أعمالنا قد أينع وكاد يؤتي أكله، فالصدمة التي لم تحلم بها بريطانيا قبلاً، فهي لم يخطر في بالها يوماً ما أن تعاني ما تعاني من العراق، هي التي حققت آمالنا وأرغمتها على النزول على رغباتنا وموافقتها على تأسيس حكومة عراقية يرأسها جلالة المغفور له الملك فيصل الأول. وكان قد سبق أن هتفنا بملكية العراق إلى سمو الأمير عبد الله غير أن الأمر يحدث بعده الأمر، فطلب إلينا الملك حسين أن نتنازل عنه إلى الملك فيصل، ولما كانت الفروق عندنا معدومة بين أنجاله، نزلنا على رغبته وتنازلنا عن هتافنا باسم عبد الله، وبايعنا في الحجاز الأمير فيصل ملكاً على العراق، فلما تحققت آمالنا وأمانينا، لم يكن من همنا شيء غير العودة إلى بلادنا المحبوبة فخففنا وأسرعنا في التأهب للعودة إلى العراق، وسرنا مع جلالة الملك فيصل نؤم الوطن العزيز ونحن نشاوى بمجد الظفر.

فهذه خدمتنا في سبيل الاستقلال وكل ما ضحيناه في سبيله من النفوس الزكية والدماء الطاهرة وما بذلنا من النفيس لأجل أن نكوّن هذا الكيان فكوّناه.

(١) النص أعلاه عن كتاب المبادي والرجال، للسيد محسن أبو طبيخ، راجع الصفحة ٢٩ ـ ٣٠



مضبطة شيوخ الرميثة والسماوة بمبايعة الملك عبد الله بن الحسين

إلى صاحب الجلالة ملك العراق الأعظم عبد الله الأول دامت سطوته يا صاحب الجلالة إن الأمة العراقية التي هتفت بجلالتكم ملكاً دستورياً عليها قد طرق سمعها نبأ وصول ركابك الملوكي العالي إلى مصر ومقابلة رجال الحكومة البريطانية لعظمتك زاعمين أنهم ينالون أطماعهم من العراق ويحققون أحلامهم بتقرير الوصاية التي ترفضها الأمة رفضاً باتاً ولا تقبلها بأي شكل كانت، فنحن سادات ورؤساء قبائل السماوة والرميثة وسواد العراق كبقية رؤساء العراق وممثلي الرأي العام فيه نرحب بموكبك المفخم للجلوس علىٰ عرشك الرفيع المنزه عن كل ما يمس كرامته من التدخل الأجنبي ودم للتاج والصولجان.

التواقيع

في ١٥ شوال ١٣٣٨

مع الجنرال هالدين

كان هذا القائد العسكري قد أوكلت إليه بريطانيا القضاء على الثورة في الفرات الأوسط، وقد استعمل في حملته كافة الأسلحة التي وضعتها قيادته تحت إمرته وزودته بالمعلومات التي استقوها من الجواسيس حول خطوط الحركات وفي المناطق التي تحت سيطرتنا عن إمكانياتنا المحدودة من الأسلحة والعتاد والمؤونة وارتباك بعض العشائر وترددها في مواصلة القتال بعد أن أنهكتها الخسائر البشرية والمادية. . . وقد استفاد هالدين من هذه العوامل مجتمعة ليوجه ضرباته العسكرية ليس فقط تجاهنا، فقد أراد أن يكون أهل المدن هدفه الثاني ليضعف من قوانا المعنوية. . . وقبل تقدمه، بث أعوانه خلف خطوطنا ممن اشترى ضمائرهم وبذل لهم بالعطاء لإشاعة أخبار الرعب عن أعماله وحشود جيوشه وبطشه، فلم تزدنا هذه الإشاعات إلا إصراراً وعزماً على قتاله، ووقفنا أمام اسلحته التي هزم بها الأتراك ولم نملك غير السيف والبندقية التي غنمناها منه في معاركنا السابقة معه وبالتالي اضطررنا إلى ترك ساحة المعركة بعد أن استنفدنا عتادنا. . . وفي الساعات الأخيرة من معركتنا معه، اشتبكنا مع جنوده في شوارع الكوفة ونحن لا نملك للدفاع عن أنفسنا غير السيوف والخناجر، فكانت مذبحة استشهد فيها العزيز المقدام من رجالنا ممن وقف أمام نار البنادق يحمل براحة كفه روحه وإيمانه.

وبعد جلوس الملك فيصل على عرش العراق وعودتي من الحجاز، بحوالي ثلاثة أشهر ونحن في معركتنا السياسية مع الإنكليز، أخبرني متصرف لواء الديوانية علي جودت الأيوبي أن الجنرال هالدين سيقوم بجولة في الفرات الأوسط للتعرف على ساداتها ومشايخها وأنه أعلن عن رغبته بزيارتي في محلي. . . وبعد مرور أسبوع أو أكثر من مواجهتي للمتصرف أخذت تصلنا أخبار تجوال هذا القائد في مدن الفرات ثم وفد الموما إليه غماس ومعه رهط في ضباطه بواسطة الزوارق البخارية بعد أن زار عشائر آل فتلة في المشخاب واستضافه رئيسها الحاج عبد الواحد السكر.

أقمت وليمة عشاء في تلك الليلة حضرها مشايخ عشائر غماس وأفرادها تهزج وتهوس بوقائع الثورة التي كانت إحداها من مهوال آل زيّاد:

ذَول اخوةْ مود الخانوا اعهود[١]

واويةَ بالوند ورعيانها اهنود[٢]

أبو كامل يا سبع يا سيف يا جود

بالعباس حلف يحمينه[٣]

سئل هالدين عن معنى ما قاله المهوال، وبعد أن فهم ترجمتها من مرافقه التفت نحوي قائلاً ما معناه «البادي أظلم» وبذا اعترف بتقصيرهم وظلمهم. وقبل تناول الطعام، قدم لي هدية وهي ساعة ذهبية قائلاً: «هذه هديتي الشخصية المتواضعة من جندي قاتلتموه بكل شجاعة وشرف أرجو قبولها فهي تعبير عما أكنّه لكم من احترام وإعجاب...»



السيد جعفر أبو طبيخ شقيق السيد محسن أبو طبيخ

---

(١) إخوة مود: إشارة إلى الجنرال مود الذي وعد عندما فتح بغداد إعطاء الاستقلال لأهل العراق.

(٢) اشارة إلى معركة الوند الرهيبة التي شارك فيها السيد محسن مع آل زياد والتي خسر فيها الإنكليز عدداً كبيراً من الضحايا.

(٣) إشارة إلى اليمين الذي أقسمه السيد محسن مع صحبه الميامين في ضريحي الحسين والعباس (ع) للقيام بالثورة من أجل الاستقلال، و «أبو كامل» هي كنية السيد محسن المعروف بها عند العشائر.

الفصـــل الخامـــس

عهد الملك فيصل الأول

١٩٢١ ـــ ١٩٣٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

صدق الله العظيم
التوبة ـ ١٠٥ ـ



المغفور له الملك فيصل الأول

وعلى يمينه السيد محسن أبو طبيخ

عام ١٩٢٧



الوفاء وعدمه الفصل الرابع والعشرين

~~...~~ من البيت المالك للهاشميين

انا لا اوافق على قول القائلين من المغفور له جلالة الملك فيصل هو المؤسس الحقيقي للدولة العراقية لانه وبعد ان خانوا الحلفاء في وعدهم المغفور له الملك حسين ونكثوا عهودهم معه قد نصبوه الشعب السوري والضباط الذين اشتركوا معه في الثورة الحجازية ملكاً على سوريا اما العراق فكان هاتف باسم المغفور ~~...~~ الامير عبدالله حين ذاك الملك عبدالله

اما

الصفحة الأولى من مخطوطة المذكرات حول الملك فيصل الأول



الفصل الخامس

عهد الملك فيصل الأول

١٩٢١ ـ ١٩٣٣

العودة إلى الوطن

حينما وصلت العراق وجدت اول حكومة عراقية قد تشكلت برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب وكان الانتداب مفروضاً من قبل الإنكليز ولا خيار للحكومة إلا القبول بالأمر الواقع[١].

مكثت في بغداد زهاء أسبوعين كانا حافلين باستقبال المهنئين ممن أتوا إلى بغداد من كافة أنحاء العراق. هذا وقد تشرفت بزيارة المغفور له الملك فيصل الذي أبدى سروره بمقابلتي، وهنأني على سلامة الوصول.

غادرت إلى الفرات متوجهاً نحو مقري في غماس عن طريق النجف الأشرف فوصلتها يوم ٢٧ محرم ١٣٤٠، وهنا جرى لي استقبال كبير وحافل. فقد نصب سرادق على الجبل محاط بخيم العشائر التي أتت من كافة أطراف الفرات، وكان في مقدمة المستقبلين كبار العلماء الأعلام

---

(١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، الطبعة السابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
الصفحة ٢٤ «... يجدر أن تدير دفة الحكومة في البلاد حكومة وطنية مؤقتة بنظارتي وإرشادي، وبناءً عليه أنا الميجر جنرال السير برسي كوكس... بصفتي مندوباً سامياً في العراق أعلن ما يأتي:
أولاً: تؤلف هيئة وزارية من رئيس وزراء... وستجري أعمال هيئة الوزارة بنظارتي وإرشادي» التوقيع، برسي كوكس ـ المندوب السامي في العراق.
بغداد في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠

ورؤساء العشائر وموظفي الدولة، وكان هناك من أبناء العشائر ما يقارب من خمسمائة خيّال، استقبلوني قبل وصولي إلى المدينة بهوساتهم وأهازيجهم. سلّمت على المستقبلين وشكرت لهم حضورهم خصوصاً من تجشموا منهم عناء السفر وحضروا من ديارهم البعيدة، كما أُلقيت العديد من القصائد العصماء والخُطب القيمّة، وحينما توجهت إلى داري قرب الصحن الشريف، أغلقت الأسواق ابتهاجاً ولم أشأ إلا دخول السوق الكبير مشياً لشدة الزحام، فتوجهت لتوي إلى الحرم الشريف لتأدية صلاة الشكر والزيارة لسيدنا الإمام علي (ع). وتيمناً بشهر محرم، أقمت مجلس تعزية على روح سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (ع) وكان خطيبها الشيخ كاظم السبتي رحمه الله. أمضيت ثلاثة أيام في النجف ثم توجهت إلى غماس وبصحبتي أكثر من مائتي فارس من عشائر آل زيّاد وآل شبل والخزاعل والجبور وكعب. بقي مضيفي مفتوحاً ليلاً ونهاراً لمدة تزيد على الشهر في استقبال العشائر وهم يصبحون ويمسون في هوسات وأهازيج وخطب وأشعار.

كان سروري عظيماً حينما التقيت بأخواني رفاق الثورة ورفاق هجرتنا إلى الحجاز ممن سبقوني بالعودة إلى العراق مع الملك فيصل، وقد اجتمعت بهم وبغيرهم من الرؤساء وجرى الحديث عن الوضع السائد في البلاد وقررنا توخي الحيطة والحذر من غدر الإنكليز والاستمرار في مراقبة تصرفات الحكومة وأعمالها وقراراتها عن كثب، سيما وأن هذه الحكومة قد عينت متصرفين لها في ألوية الفرات، وهما علي جودت الأيوبي متصرفاً إلى لواء الحلة والديوانية حيث أن الإنكليز كانوا قد دمجوا اللوائين تحت متصرفية واحدة معتبرين الديوانية قضاءً، وكان هناك مستشار إنكليزي مع المتصرف المذكور يدعى الميجر دكسن. كما كان قائمقام الديوانية المرحوم إبراهيم كمال معه مستشار إنكليزي هو الميجر جفريز J.F.D.Jeffreys كما عُين عبد العزيز بك القصاب متصرفاً على لواء كربلاء ومعه مستشار إنكليزي، وفي حينها أدمجت إدارة الشامية وأبو صخير وأصبحتا قضاءً واحداً عُين فيها ضابط متقاعد يدعى شاكر بك محمود أما الشامية فقد عُين فيها خيري الهنداوي بصفته وكيلاً عن شاكر بك.

غزوات الوهابيين للعراق والمؤتمر العشائري

مهد الإنكليز لفرض الانتداب والحماية على الشعب العراقي من خلال المعاهدة المزمع فرضها عليه بالغزو الوهابي للأراضي العراقية لخلق جو من الرعب والشعور بأن الحكومة العراقية وعلى رأسها جلالة الملك فيصل ومن ورائه الجيش العراقي الفتي، لا حول لهم ولا قوة، أمام حشد مسلح تسليحاً جيداً من عشائر الوهابيين، وأنه ليس من يستطيع حماية العراق وحدوده غير الإنكليز. . وقد بث أذنابهم شتى التكهنات والاحتمالات من أن ابن عبد العزيز سوف يزحف بجدوده إلى ضفاف الفرات الأوسط والجنوبية، لإخماد روح المعارضة فينا والسكوت عن مناوراتهم بفرض الانتداب وتسلطه علينا بصفته حامي العراق. ففي يوم ١٢ رجب ١٣٤٠ المصادف ١١ آذار (مارس) ١٩٢٢ هجم حشد كبير من عشائر نجد الوهابية على عشائر المنتفك وأسرفوا في القتل والنهب وقد حاولت قوة عراقية من الهجانة التصدي لهم فلم تتمكن لرداءة تسليحها وقلة عددها. ولم تتوقف هذه التحرشات عند الحدود العراقية وعشائرها، فقد تبعتها غزوة أخرى للعشائر التي خرجت للرعي في جنوبي النجف وغربي السماوة. وعندما وجد العلماء الروحانيون في النجف الأشرف والكاظمية أن الوزارة والملك في حيرة من هذا الوضع الذي خلقه لهما الإنكليز ومن الصراع المستمر بين الملك والمندوب السامي السير بيرسي كوكس سوف لن يؤدي إلا إلى تردي الأوضاع، وزاد تخوف العلماء وقلق رؤساء العشائر في الفرات الأوسط من قيام الوهابيين بغزوة ثالثة توصلهم إلى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف كما حدث في عام ١٨٠١م[١]. ومن هنا جاءت جهود الشيخ مهدي الخالصي ملبية لرغبات عموم العراقيين بدعوته إلى عقد مؤتمر عام في كربلاء لتدارس الوضع الخطير هذا. وبالرغم من معارضة الإنكليز له فقد انعقد في ١١ شعبان ١٣٤٠ المصادف ٩ نيسان (ابريل) ١٩٢٢. وحضرته مع كافة رؤساء العشائر من لواء الحلة والديوانية، وبعد المؤتمر مباشرة جاءني الحاج عبد الواحد السكر ليخبرني أن جلالة الملك يطلبنا

---

(١) الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء السادس، مطبعة المعارف، بغداد، الصفحة ١٣٠ ـ ١٣٢.

للحضور في بغداد لأمر ما، فتوجهنا سوية وحللنا في الكاظمية وهناك التقينا بالسيد علوان الياسري وعلمنا منه أنه جاء لنفس الغرض وأن عدداً آخر من رؤساء الفرات ذكر منهم المرحوم محمد العبطان والحاج رايح العطية والشيخ شعلان أبو الجون والشيخ قاطع العوادي. حضروا إلى بغداد لمقابلة جلالته[1]. لم تكن مواجهتنا معه مجتمعين وقد علمت فيما بعد أن الملك فيصل لم يرد أن يثير غضب الإنكليز علينا ولا إثارة شكوك كوكس بتواطئه معنا، فقد كان المؤتمر بمثابة اتهام صريح بضلوعهم في غزو الإخوان كما أن هذه التظاهرة العشائرية الفراتية لم ترق للإنكليز.

ذهبت إلى السيد علوان الياسري بداره في الكاظمية وكان عنده الحاج عبد الواحد السكر فتوجهنا إلى محل إقامة وسكن الملك في القشلة وقد كنا نتوقع أن نجد بديوانه الكثير من الزوار. وعلى العكس فقد دخلنا عليه في غرفة صغيرة وكان لوحده، استعجل في مقابلتنا قائلاً أن المس بيل على وشك الوصول ويفضل أن تصل بعد خروجنا. كان محور كلامه معنا عن مؤتمر كربلاء فأبدينا له تخوفنا من تكرار الغزو الوهابي وأشرنا إلى أنهم ربما يتطاولون على العتبات المقدسة في المرات القادمة وأبدينا استعدادنا للوقوف بوجههم فيما لو تم تزويدنا بالسلاح من قبل الحكومة وبصورة يتم الاتفاق عليها مع الجيش وذلك لنكون قوة ثانية احتياط لمعونة الجيش والشرطة في حالة استثنائية كهذه وبهذا نتمكن من حماية أنفسنا ومراعينا وفوق كل شيء الدفاع عن العتبات المقدسة[2].

---

(١) د. عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ - ١٩٣٣. دار الشؤون الثقافية العامة الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الصفحة ١٠٧ «يؤكد تقرير استخباري بريطاني دوّن بعد مرور يومين على انفضاض المؤتمر أن فيصلاً قد ندب نوري السعيد للحضور إلى كربلاء متنكراً لحث الزعماء الذين حضروا على تأييد سياسته «الرامية إلى تخفيض الاعتماد على الإنكليز، والمطالبة برفض الانتداب البريطاني على العراق».

(٢) الدكتور محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر. دار الحرية للطباعة، بغداد ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
الصفحة ١٩٦ «وعندما لم يجد الملك فيصل مساعدة من كوكس في أمر الدفاع عن العراق تجاه غارات الإخوان هذه اتجه إلى استنفار العشائر العراقية وتجهيزها بالسلاح... ولكن =

أوضح لنا جلالته، وبصورة لا تقبل أي شك، أن الإنكليز سوف يعترضون على تسليحنا، بعد ما تسنى لهم تجريدنا من السلاح إثر انتهاء ثورة العشرين. إلا أنه نصحنا أن نكون يقظين وعلى استعداد لنجدة قوات الجيش في حالة تحرج الموقف. وهنا ورد إلى ذهني وهو لازال مسترسلاً في كلامه قول الشاعر يزيد بن مفرغ:

يوم أُعطي من المهانة ضيماً   والمنايا يرصدنني أن أحيدا

خرجت من ديوان الملك وأنا على قناعة تامة أكثر من أي وقت مضى أنه قد تحتم علينا صيانة مراقد أئمتنا، وما علينا إلا القيام بهذا العمل لوحدنا وأن لا ننتظر من الملك فيصل الحصول على موافقة المندوب السامي لصد هجمات أصدقائه الإخوان، وهذا ما أخبرت به السيد علوان والحاج عبد الواحد فلم نكن نختلف فيما كنت أفكر به حول هذا الموضوع.

وحينما كنا نهبط السلم إلى ساحة القشلة، كانت المس بيل خاتون ترتقي السلم من الجانب الآخر. عندها خامرتني خاطرة، هل أن الملك وّقت زيارتنا له في ساعة مجيء المس بيل لنكون جزءاً من فصول مظاهر المساومة مع الإنكليز؟

اجتماع المشخاب

من تجربتي الشخصية وفي فترة وجيزة وجدت على سبيل المثال ونسبةً للوضع المحلي في لواء الديوانية، أن المستشار الإنكليزي هو الحاكم الحقيقي وليس المتصرف (المحافظ) ولا الإداريين العراقيين، وقد علمنا أن ما يجري في الوية (محافظات) الفرات يجري في كافة انحاء العراق. وبعد أن تحقق لنا من أعمال الحكومة المذكورة أنها لاحول ولاطول بيدها وانها مسيّرة لامخيّرة والأمر والنهي كله بيد المندوب السامي والإدارة الإنكليزية توجهنا

= هذه الخطة لم تحظ بقبول السير كوكس وربما خشي من تجهيز العشائر بالسلاح ولا سيما تلك العشائر التي قامت بثورة العشرين من أن تقوم بثورة أخرى ضد بريطانيا. وفي الحقيقة كان عدد من رؤساء العشائر العراقية أمثال عبد الواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعلوان الياسري وشعلان أبو الجون وقاطع العوادي قد أكدوا للملك فيصل أن العشائر العراقية باستطاعتها دحر الوهابيين وكسر شوكتهم لو جهزوا بالسلاح والعتاد الكافي».

صوب الملك فيصل بالشكوى تارة وبالنصح تارة من ضعف الحكومة وتسلط الإنكليز، فلم نجد ما نطمئن له أو من يستمع إلينا، مما حدا بنا إلى مصارحته بالقول أن بقاء هذه الحكومة فيه مأخذ كبير عليه، ونصحناه بإقالتها وتعيين حكومة غيرها.

في ذات الوقت شعرنا أن الإنكليز لم يعطوه طريقاً إلى ذلك وهم وحدهم لهم القرار بهذا الشأن. وبعد أن يئسنا من أن جلالته سيجد حلاً لهذه الأوضاع الشاذة بالرغم من إخبارنا ونصحنا له بأن ما يجري ليس من صالح البلد لا سيما وأن الحكومة تعتزم عقد معاهدة مع الإنكليز لتكريس الانتداب.

جرت اتصالات عديدة بيني وبين رؤساء الفرات من زملائي في الثورة وأخص منهم السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد السكر نتج عنها اتفاقنا على عقد اجتماع كبير يدعى لحضوره كافة رؤساء الفرات وساداته. وفي اليوم المصادف ٨ ذي الحجة ١٣٤١هـ ـ ٢ آب ١٩٢٢م، تم الاجتماع في مضيف الحاج عبد الواحد بالمشخاب وتداول المجتمعون فيه حالة البلد في الوقت الحاضر وما قد ينجم عن عقد المعاهدة من تكبيل العراق بشروط الانتداب القاسية لمدة عشرين عاماً. أخبرت الحاضرين بما علمته أثناء وجودي في الحجاز من أن الإنكليز قد قيدوا الملك فيصل بقبول الانتداب على العراق كشرط لجلوسه على العرش وما لم نأخذ المبادرة بأيدينا فإن الملك فيصل مجبر على قبول المعاهدة هو وحكومته، والانتداب فرض مهما حاول الملك التملص من التزامه معهم.

وفي ختام هذا المؤتمر قرر الرؤساء أن نرسل للملك مضبطة نبدي فيها اعتراضنا على عقد المعاهدة بصورتها التي تتفاوض عليها وزارة النقيب مع بيان ما نراه مناسباً.

وفي وقتها حررنا بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٣٤١ المصادف ٤ آب ١٩٢٢ مذكرتنا إلى جلالة الملك فيصل ومثلها إلى المندوب السامي برسي كوكس جاء فيها إن ما نطالبه به هو رفض أي شكل للانتداب الانكليزي على العراق بفرضه وتكريسه على الأمة بصيغة معاهدة، وتسريح الوزارة النقيبية التي هي أداة بيد الانكليز. كما اتفقنا على أن

نلتقي في النجف يوم زيارة عيد الغدير في حالة عدم الاستجابة لمطالبينا التي أبرقنا بها إلى الملك[1].

اجتماع النجف

حل يوم عيد الغدير ١٨ ذي الحجة ١٣٤١ المصادف ١٢ آب ١٩٢٢ ولم يردنا جواب لمطالبينا التي أبرقنا بها إلى الملك بعد مؤتمر العشائر في المشخاب. حضر كافة رؤساء العشائر والسادات من لواء الديوانية إلى النجف وكان اجتماعنا على مأدبة غداء في داري أقمتها على شرف متصرف لواء الحلة والديوانية علي جودت الذي كان عارفاً بانتقاداتنا للوضع السائد في البلد وما يجري في بغداد وهيمنة الإنكليز على مجريات الأمور صغيرها وكبيرها، وقد سبق له أن علم باتصالنا بجلالة الملك وبرقيتنا الأخيرة له واحتمالات ما قد يتمخض عنه اجتماعنا في زيارة عيد الغدير في حالة عدم تجاوب جلالته معنا. وليس لدي أي شك في أن

---

(١) د. فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية ـ البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
الصفحة ٦٧ «كما وصلت خلال شهر التتويج (آب ـ اغسطس) برقيتان من الفرات الأوسط من زعماء ثورة العشرين الأولى إلى الملك فيصل وكانت تطالبه بما يأتي: (انظر التفاصيل في المصدر).
ـ الدكتور عبد الأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٣٣م
مطبعة الآداب: النجف الاشرف ١٩٧٥، راجع الصفحة ٨٠
ـ وثائق البلاط:
مركز الوثائق ببغداد ملف رقم ٧٦/٣ لسنة ١٩٢٢ الصفحة ٤٣ أو ٤٣ و٤٣ج و٤٣د.
الموقعون على البرقية هم: السيد محسن أبو طبيخ، سيد علوان الياسري، السيد كاطع العوادي، الحاج عبد الواحد السكر، شعلان أبو الجون، الحاج رايح العطية، محمد العبطان، ومرزوق العواد.
ـ السيد عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب الجزء الثاني، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م. الصفحة ٩ «يذكر المؤلف أسماء الموقعين وهم كما جاء ذكرهم في وثيقة البلاط أعلاه ثم يستطرد قولاً (... وغيرهم من الذين حضروا الاجتماع الذي عقده ـ المتطرفون ـ في المشخاب يوم ٤ آب ١٩٢٢ ووضعوا قضية الانتداب والمعاهدة موضع المذاكرة فيه فأسفرت النتيجة عن تطيير هاتين البرقيتين». ومما يلفت النظر في كتاب الحسني انه يصف زعماء ثورة العشرين (بالمتطرفين) لمجرد عقدهم اجتماع مداولة لتنظيم معارضة المعاهدة فيما بينهم.

حضوره إلى النجف تحت أي دعوى ، كان بأمر من الملك فيصل للوقوف على حقيقة الأوضاع نظراً لما كان يتمتع به من ثقة عالية تربطه بالبلاط الملكي. تكلم المجتمعون معه بصراحة وبينوا له مطلبهم بإقالة الوزارة وإلا فإنهم سيعيدوا الكرّة في ثورة كما حدث في عام ١٩٢٠، وطلبوا منه أن يكون وسيطهم لدى جلالة الملك.

شعر الإنكليز عن طريق عملائهم بما يجري[١]، فلم يَرُقْ لهم ذلك، وأمرت وزارة الداخلية تحت ضغط مستشارها كورنواليس، متصرف كربلاء أن يشخص بنفسه إلى النجف مع مدير الشرطة وقوة للسيطرة على الوضع. وبالفعل وصل متصرف اللواء عبد العزيز بك القصاب وحضر اجتماعنا في تلك الليلة بدار حجة الإسلام السيد أبو الحسن الموسوي، وقد حضر الاجتماع هذا إلى جانب رؤساء وسادات الفرات كافة العلماء الأعلام وشيوخ النجف ووجهائها.

وفي هذا الاجتماع أخبرت الحضور بالحديث الذي جرى مع مستشار الداخلية كورنواليس في زيارتي له بمكتبه ببغداد حيث شكوت له تصرفات المستشارين الإنكليز في لوائي الحلة وكربلاء وتذمر الأهلين من تصرفاتهم وأن التذمر من تصرفات عموم المستشارين في كافة أنحاء العراق يذكرنا بشيء قد رفضناه في ثورتنا وهم الحكام السياسيين في تلك الأيام. وأنه وعدني أن المستشارين والموظفين من كبار الدرجات سواء كانوا هنوداً أم إنكليزاً سيتم وضع ترتيب معين لهم قريباً ويحل محلهم المقتدرون من العراقيين. ولم يدر بخلدي أنه ينوه بذلك إلى الاتفاقيات الإدارية المزمع عقدها مع الحكومة العراقية ضمن بنود المعاهدة أو خارجها. وقد جابه

---

(١) للتعرف على مدى قوة جهاز التجسس البريطاني في ذلك الوقت راجع: عبد العزيز القصاب، من ذكريات، منشورات عويدات، بيروت الصفحة: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ «... وقال إن رجلاً إنكليزياً ينتظر في دائرة المتصرفية يطلب مقابلتك... فعرفني بأنه مستشار الحلة الميجر ديكسن .. وأخذ الموما إليه يحدثني عن اجتماعي مع رؤساء العشائر في دار المجتهد السيد أبو الحسن الأصفهاني وأخذ يصف لي الرؤساء الذين كانوا موجودين في المجلس ومحل جلوسي هناك وذكر لي الكلام الذي جرى بيني وبينهم ووصف لي كل شيء جرى في ذلك المجلس حتى وضعية المصباح فيه. فعجبت من قوة استعلاماته فقال لي إنه علم بذلك ليلاً بعد أن غادرت المجلس بساعتين مع العلم أنه كان في مركز وظيفته في الحلة...»

المجتمعون المتصرف بمطاليبهم الصريحة التي سبق وأن أعلنوا عنها وطالبوه باستحصال جواب لهم يوم غد لتلافي ما يمكن أن يحدث من سوء عاقبة. وفهمنا من رد المتصرف بأنه موجود مع قوة لأجل تفريقنا أو إلقاء القبض علينا إن تمكن من ذلك.

وفي اليوم التالي لاجتماعنا وصلت قوة إخرى إلى النجف قبيل المغرب فيما كان متصرف لواء الحلة علي جودة بك قد عاد إلى مقره، وكان الرؤساء متفرقين بين بيوتهم في المدينة ومقاهيها، وكنت أنا في الحرم الشريف منتظراً الغروب لكي أصلي. عندما وصلت القوة إلى النجف جاء من أخبرَ بما تنوي القوة من شر لهم فاجتمعوا كلهم في محل واحد ومعهم مجموعة مسلحة من أفراد عشائرهم وقد شاع خبرهم في النجف حتى تجمهر أهل المدينة وانضم قسم كبير منهم وهم مسلحون إلى القوة العشائرية، مما منع العسكر من المساس بهم لتفادي إراقة الدماء ولعلمهم أن قوة العشائر والنجفيين كانت تفوقهم عدداً وعدة. وعندما اكتمل شمل الرؤساء افتقدوني بينهم فساورهم الشك على سلامتي فأوفدوا المرحوم سلمان العبطان للبحث عني، فوجدني جالساً في الحرم لأداء الصلاة فأخبرني بما يجري وطلب مني الإسراع بالخروج قبل الصلاة وفعلاً ذهبنا سوية إلى مكان اجتماع الرؤساء وهناك اتفقنا على التوجه جميعاً إلى مكان أمين لتنسيق جهودنا.

ذهبنا إلى أبو صخير لقربها من النجف ومراكز العشائر[1]. وبالفعل تحركنا لتونا بتلك الساعة من النجف وما أن وصلنا إلى المدينة حتى توجهنا إلى الصراي فدخلناه عنوة وأمرنا الحرس إبلاغ القائمقام بالحضور. وعندما حضر أطلعناه بما جرى في النجف وطلبنا منه الاتصال هاتفياً بوزير الداخلية لإخباره باحتلالنا الصراي وأنه أصبح أسيراً بيدنا، وأكدنا على طلبنا باستقالة الوزارة هذه الليلة وخلافاً لذلك فإن جميع العشائر ستكون في حالة حرب مع مراكز الحكومة في كل اللواء وأقضيته.

اتصل القائمقام ساعتها بوزير الداخلية توفيق بك الخالدي في بيته

---

(١) عبد العزيز القصاب، نفس المصدر السابق راجع الصفحات ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

وأخبره بخطورة الوضع وبمطالبينا وما قد ينجم في حالة المماطلة أو الرفض. كما اكدنا ذلك ببرقية إلى جلالته حددنا فيها موقفنا[١]. طلب وزير الداخلية مهلة ساعتين لإعطاء الجواب، وقد اتضح أن الوزير أطلع جلالة الملك على الموقف كما أن الملك على إثر سماعه الخبر دارت مكالمة بين جلالته والمندوب السامي السير برسي كوكس أبلغه فيها بمجريات الوضع في أبو صخير كما أخبره بتفاصيلها القائمقام[٢] أعاد وزير الداخلية الاتصال بالقائمقام وطلب ايفاد عدد من المشايخ إلى بغداد لمقابلة المندوب السامي ورجا الجمع الموجود في الصراي التزام جانب الحكمة وعدم الإخلال بالأمن وتسليم الصراي. وفعلاً خرجنا من الصراي وتم الاتفاق على أن ينوب عنا إلى بغداد السيد قاطع العوادي. وفي اليوم التالي، سافر السيد قاطع وبقينا نحن في أبو صخير ننتظر أخباراً منه. وقد علمنا فيما بعد عن عمق الخلاف الجاري بين الملك والمندوب السامي حول الوزارة وتبنيها موضوع المعاهدة وترسيخ الانتداب[٣] مما دفع معظم الوزراء إلى الاستقالة وبضمنهم وزير الداخلية الذي اتصل بنا

---

(١) د. عبد الأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٣٣م نفس المصدر السابق، نص البرقية في الصفحة ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، الطبعة السابعة، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨. الصفحة ١١٧ ـ ١١٨ رد فعل السير بيرسي كوكس على موقف الملك «فسود جواباً شديد اللهجة في الحال، يلقي فيه مسؤولية الحالة الراهنة على عاتق الملك... إن الأشخاص المسؤولين عن عدم الاستقرار مبدئياً هم أنفسهم ينالون رعاية الملك ومساعدته، وأن مجرد صدور إشارة واضحة لهم ستوقف كل شيء... إن المسؤولية الكبرى عن تدهور الوضع الحالي تقع على الملك نفسه...».

(٣) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول الصفحة ١١٧ ـ ١١٨ «وفي الوقت نفسه كان الملك فيصل قد ضاق ذرعاً بأساليب المعتمد السامي البريطاني في العراق، التي كان يسلكها في موضوع الانتداب والمعاهدة المقترحة، كما كان قد ضاق ذرعاً بتطرف المعارضة الشعبية لعقد المعاهدة، فوجه إلى المعتمد السامي هذا الكتاب».
راجع تفاصيل الكتاب في المصدر المشار إليه.
ـ كرترود لوشيان بيل، راجع المصدر السابق، الصفحة ٤٠، رسالتها المؤرخة في ٢٧ آب ١٩٢٢ : «قضينا عشرة أيام مقلقة خطرة... وكان جلالته يسير في الوقت نفسه في طريقه المحفوف بالتهور والطيش، إذ طلب إلى النقيب أن يقدم استقالته وكان (الملك) يلعب دور الولد الصغير الشرير... وكان المتطرفون في غضون ذلك يجلسون بحالة ترقب كلهم، فقد أصبحت الوزارة، وقد طالبوا بإقالتها، خارج الحكم.. وليذهب إلى الشيطان الانتداب والمعاهدة والإنكليز»!.

في أبو صخير وتكلم مع المرحومين شعلان أبو الجون رئيس الظوالم ومحمد العبطان رئيس الخزاعل وأبلغهم عن استقالته وأن الوزارة على وشك الاستقالة وفي اليوم التالي ٢١ ذي الحجة ١٣٤٠ المصادف ١٤ آب ١٩٢٢ عاد وزير الداخلية المستقيل إلى الاتصال بنا ليطلعنا على استقالة الوزارة وطلب إهداء سلامه إلى جميع الرؤساء وإبلاغهم عن أمر جلالة الملك الالتزام بالهدوء والسكينة والانصراف كل إلى دياره.

وبعد أيام من هذه الأحداث جئنا إلى بغداد أنا والحاج عبد الواحد السكر فتشرفت بمقابلة جلالة الملك معرباً له عن حسن نوايانا تجاه العرش وحرصنا على كيانه.

لقد كان رد فعل الإنلكيز على عملنا هذا عنيفاً، وقاموا بإجراءات عسكرية ضد الكثير من رؤساء العشائر الذين ساهموا فيه، في الوقت الذي تجنبوا الصدام معنا لعلمهم بما قد ينتج عنه من سوء عاقبة وبيتوا لنا الأسوأ بانتزاع أراضينا الموروثة وإعطائها إلى حلفائهم من شيوخ العشائر الموالية لهم وهذا ما سوف اسرده في الأحداث القادمة[١].

احتجاج إلى برسي كوكس[٢]

على إثر مؤتمر النجف قام المفتشون الإداريون في الفرات الأوسط

---

(١) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، راجع المصدر السابق، الصفحة ٢٢٠ ـ ٢٢١.
ـ قامت الطائرات التابعة للقوة الجوية البريطانية بغارات جوية بتاريخ ٢٨ آب و ٣٠ آب ١٩٢٢ على القرى الآمنة لعشائر آل فتله في المشخاب والعوابد في الشامية والصفران في الرميثة والاكرع في جهات الدغارة والأعاجيب وبني عارض وقرية العكشة في طابو سيد محسن أبو طبيخ، انتقاماً من دورهم في هذه الأحداث، راجع التقارير البريطانية.
Intelligence Report,No.18,co.730/24/42829,sap,1922
Intelligence Report,1.9.1922.No.17,F.O.371,7772/E10859/33/95

(٢) بتاريخ ٤ آب (اغسطس) ١٩٢٢، أبرق المؤتمرون في المشخاب بمطاليب الرؤساء التالية:
ـ رفض الانتداب واعتراف حكومة بريطانيا العظمى بإلغائه رسمياً.
ـ إسقاط أية وزارة تصادق على معاهدة غير مرضية بنظر الأمة وتعيين وزارة وطنية تطمئن الأمة لأعمالها.
ـ إزالة أية سلطة أجنبية عن الحكومة العراقية.
ـ إطلاق حرية الصحافة.
وبعد مؤتمر النجف ضاق كوكس ذرعاً بتصرفات رؤساء الفرات الأوسط فأمر القوة الجوية البريطانية بقصف قرى المشخاب وغماس والشامية والرميثة والدغارة.

باستدعاء المشاركين في المؤتمر هذا وذلك كل حسب منطقته، وقد تم استدعائي من قبل الميجر جفريز في الديوانية، تكلم بالوعود الكثيرة فيما إذا تعاونت معه وأقنعت أصحابي بالكف عن إثارة الآخرين من الموالين والاصدقاء ـ كما وصفهم ـ وبالمقابل فقد هدد وتوعد فيما إذا لم أكف عن إثارة المشاكل. وبعد كل هذا الوعد والوعيد طلب مني توقيع تعهد بعدم الإخلال بالسكينة العامة.

أثارت أخبار مؤتمر النجف عند وصولها بغداد مشاعر الوطنيين فيها وحفزتهم على القيام بتنظيم المظاهرات والإضراب ورفع المضابط إلى الملك والمندوب السامي يطالبون بما طالبنا في مذكرتنا بعد مؤتمر المشخاب، وتحديداً إلغاء الانتداب وعدم توقيع المعاهدة التي تقرّ بالانتداب البريطاني وتكبّل بنودها العراق. لقد اعتَبَرَنا كوكس مصدر البلاء في البلاد واعتبر مطالبنا التي رفعناها إلى الملك من المشخاب، ومسؤوليتنا في سقوط وزارة النقيب الثانية إثر مؤتمر النجف، أدت إلى إثارة الوطنيين في بغداد وكانت مساساً مباشراً لسلطته وتحدياً مفتوحاً من قبل رؤساء الفرات الذين حسب اعتقاده وكما قال لمجموعة من تجار البصرة ـ (أنه قلّمَ أظفارنا)، وبهذه الظروف القائمة وتوتر علاقته مع الملك فيصل باتهامه إياه بحمايتنا تارة وغض النظر عن أعمالنا تارة أخرى، فقد كوكس الهادئ المتزن أعصابه واتخذ عدداً من القرارات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على مقدار الكبت النفسي الذي كان يعاني منه لما تيقنه في قرارة نفسه من أنه لا يمكن لأحد من قومه الغلبة علينا مهما دمرت طائراته من قُرانا.

لجأ كوكس إلى الشدة مع إخواننا من أعيان الوطنيين في بغداد بعد أن تقدم عدد منهم بمذكرة إلى الملك فيصل تطالب بنقض المعاهدة وإعادة النظر في علاقاتنا مع الإنكليز. فألقي القبض على محمد جعفر أبو التمن وعدد من أصحابه وسُجنوا في البصرة. وتعاطفاً منا معهم وتحدياً للإنكليز، اوفدنا الحاج مرزوق العواد إلى البصرة لزيارته في السجن. وبعد أيام قام الإنكليز بنفي هؤلاء الوطنيين إلى هنجام ليلتحقوا بالآخرين ممن سبقوهم من الوطنيين من الحلة وكربلاء.

وعلى إثر سماعنا بخبر نفي الوطنيين، اجتمعت مع الحاج عبد الواحد

السكر والسيد علوان الياسري في مضيف الحاج عبادي الحسين في المهناوية. وبعد تدارس ما يجري وما يجب عمله اتفقنا على توخي الحذر طالما أن كوكس ينوي الغدر بنا، ففي حالة قيامه بنفينا، سوف يخلو له الجو وينفرد بالملك ورئيس الوزراء وبذلك سيملي ما يريده عليهما، ويقر المعاهدة ويثبت الانتداب بشروط أقسى. لكنا في الوقت نفسه قررنا الاحتجاج على أعماله بقصف قرانا ومزارعنا وقتل الابرياء من ابنائنا، كما نحتج على نفي جعفر أبو التمن وأعيان الوطنيين لجرم لم يرتكبوه سوى المطالبة بحقوق الأمة.

ما أن علم كوكس باجتماعنا هذا حتىٰ غارت علينا طائراته في الأيام التالية لأرهابنا[١]. وبعد ما أرسلنا له احتجاجنا وما كان من رده من قيامه بقصف بيوتنا[٢]، قررنا أن نقوم بتحدٍ سافر له، فتوجهنا إلى بغداد منفردين ثم اجتمعنا بعد وصولنا في دار السيد علوان الياسري في الكاظمية ومنها توجهنا لزيارة الملك لتهنئته على شفائه من عملية جراحية اجريت له. وقبيل دخولنا على جلالته، طلب موظف التشريفات منا أن تكون الزيارة قصيرة بأمر الطبيب وأن لا نتحدث معه بأي موضوع سياسي بأمر من المندوب السامي السير برسي كوكس.

وامعاناً في تحدي الشعور الوطني العام، وخلافاً لرغبة الملك الحقيقية، أمر كوكس بتأليف الوزارة الجديدة من قبل السيد عبد الرحمن النقيب وللمرة الثالثة على التوالي متجاهلاً ومستخفاً بإرادة الأمة.

---

(١) بتاريخ ٢٧ آب و٣٠ آب ١٩٢٢هاجمت الطائرات البريطانية قرى المشخاب والمهناوية والعكشة في طابو أبو طبيخ C.O. Report No.730/24/42829

(٢) F.O. Intelligence Report,1st, Sept, 1922, No.371,7772/E10859/33/9

الدكتور خالد التميمي، محمد جعفر أبو التمن، دمشق ١٩٩٦

الصفحة ١٨٣ «في ٣٠ آب ١٩٢٢ بعث عبد الواحد الحاج سكر والسيد محسن أبو طبيخ، والسيد علوان الياسري، رسالة إلى المندوب السامي يعربون فيها عن قلقهم العميق إزاء كل من الهجمات الجوية التي قامت بها الحكومة على القبائل... وكذلك إزاء القبض على جعفر أبو التمن وقد كتبوا:

«إننا لا نرغب في إعلان عداء صريح للحكومة وعليه فإننا نرجو تعليمات رسمية من المندوب السامي وإعلاناً واضحاً للحقائق لكي نكون متيقظين»

انتخابات المجلس التأسيسي

هَلَّ علينا شهر رمضان المبارك وقد صادف وجودي الاعتيادي في النجف خلاله وذلك عام ١٣٤١ والمصادف سنة ١٩٢٣م. جاءني قبيل المغرب، ونحن في اليوم الأول منه، ثلاثة من أصدقائي المقربين من الفراتيين[١] بدون سابق علم بزيارتهم وأخبروني أنهم جاؤوا من بغداد لأجل التشاور معي في أمر مهم، ذلك أن الإنكليز طلبوا من الملك فيصل الإعداد لانتخابات المجلس التأسيسي لكي يسن هذا المجلس الدستور ويصادق على أول معاهدة إنكليزية ـ عراقية.

وقد تململ أهل بغداد من هذا الخبر، وعلى إثر ذلك استدعانا الملك فيصل، وطلب منا تأييده على إجراء الانتخابات، وكانت رغبتنا أن لا نخالفه وبنفس الوقت كنا لا نريد أن نخالف الرأي العام البغدادي، فرجوناه أن يمهلنا ثلاثة أيام لغرض التشاور معك في الأمر وقد أيد طلبنا. أجبتهم إن هذا أمر سهل ويمكن أن نجمع بين رضا الملك ومجاراة الرأي العام، وهو أن نجتمع بالعلماء فنذكر لهم تفاصيل الموضوع وما يجري في بغداد ونطلب منهم ـ إن اقتنعوا ـ إصدار فتوى في تحريم انتخابات المجلس التأسيسي، وإذا ما صدرت الفتوى يمتنع الناس عن الانتخابات. وافق زواري على اقتراحي هذا لعلمهم أن العلماء لا يمتنعون عن إجابتنا عن هذا الطلب بحكم ثقتهم بنا واطلاعهم على موضوع الانتخابات المزمع اجراؤها، في تلك الساعة بعثت برسالة إلى أحد العلماء ويدعى أحمد ابن الملا كاظم الخراساني، ذكرت له رغبتنا مجتمعين مقابلة العلماء في أمر هام. عاد الشيخ أحمد من مهمته في تلك الليلة ليخبرنا أن الموعد هو الرابعة من بعد ظهر الغد وأن الاجتماع سيتم في بيته.

---

(١) السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد السكر والحاج مرزوق العواد، كل المصادر التي كتبت عن موضوع الانتخابات أشارت إلى أن الملك فيصل نوه بصورة واضحة في حديثه مع الرؤساء إلى وعود شخصية وإلى وعود سياسية عامة فيما يتعلق بالمعاهدة وعضوية المجلس. وكان هؤلاء على علم تام بحركة مقاطعة الانتخابات التي نادى بها العلماء في النجف والكاظمية إلى جانب الوطنيين في الموصل وبغداد الذين قدموا مذكرات إلى الملك تطالبه بوقف الانتخابات.

حضر من العلماء الأعلام في هذا الاجتماع كل من السيد أبو الحسن الموسوي والشيخ حسن النائيني وآخرون والحاج محسن شلاش. وبعد تدارس كافة الأوضاع في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء واحتمالات ما قد تجره هذه الانتخابات على البلاد من انقسام طلبنا منهم إصدار فتوى بتحريم انتخابات المجلس التأسيسي في الوقت الحاضر. وبعد تدارس الأمر فيما بينهم، كان اتفاقهم بالإجماع وكتبوا الفتوى ووقعت من قبلهم وأرسلت فوراً إلى المطبعة فطبع منها تلك الليلة ما يقارب من عشرة آلاف نسخة، أرسل قسم منها إلى بغداد والآخر وزع في مدن الفرات كافة[١].

وتحت ضغط المعارضة والخلافات القائمة بين جلالة الملك وكورنواليس قدمت وزارة النقيب استقالتها بسبب عجزها التام عن إدارة شؤون البلاد ومجاراتها للسياسة الإنكليزية ضد رغبات الشعب. شكل الوزارة لأول مرة عبد المحسن السعدون، وأول عمل قام به هو اتخاذ كافة الإجراءات للقيام بالانتخابات ومنها قيام جلالة الملك فيصل بالطواف في المدن العراقية شمالاً وجنوباً لإقناع العراقيين بأهمية المعاهدة والدور الكبير الذي يلعبه المجلس التأسيسي في استقرار البلد.

جرت عدة لقاءات بين مشايخ الفرات والملك لم أكن حاضرها، فطلب منهم إقناعي على توحيد الرأي معهم بتأييد الانتخابات مما دفعهم للإبراق لي يطلبون حضوري لبغداد بصورة مستعجلة[٢].

---

(١) الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء السادس راجع المصدر السابق، الصفحة ٢٠٨، «ولم تقتصر المقاطعة على المناطق الشيعية وحدها بل تجاوزتها إلى بعض المناطق الأخرى. ففي الموصل مثلاً ألصقت إعلانات تدعو إلى المقاطعة... وقد شارك بعض المسيحيين في هذه المقاطعة... أن رجال الدين المسيحيين أفتوا بمقاطعة الانتخابات ومؤازرة المسلمين فيها تمسكاً بالجامعة الوطنية...».
المصدر أعلاه، راجع الصفحات ٢٠١ ـ ٢٠٤ حول عدد العلماء الذين أفتوا بحرمة الانتخابات وصيغ الفتاوى التي صدرت عنهم.

(٢) مذكرات كامل السيد محسن أبو طبيخ المخطوطة: «اجتمع السيد علوان وعبد الواحد والحاج رايح وشعلان أبو الجون والسيد قاطع العوادي والسيد محسن أبو طبيخ وتعاهدوا فيما بينهم أنه يتبعون فتيا العلماء بمعارضة الانتخابات للمجلس التأسيسي».

بسم الله تعالى

حضرات علمائنا الاعلام وحجج الاسلام متعنا الله بظلهم مدى الايام

بلغنا انكم بمقتضى وظيفتكم الدينيه ورياستكم الروحانيه حرمتم على كافة الامة العراقيه المداخلة في هذا الانتخاب المضر بالامة العراقيه وحرمتم المساعدة فيه بكل وجه وجعلتم المساعدة فيه محادة لله ولرسوله فنسترحم منكم ان تبينوا لنا صحة ذلك حتى نمتثل اوامركم الشريفة التي امر الله تعالى بامتثالها ادام الله ظلكم ١٥ ربيع الاول ١٣٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم قد صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل باد وحاضر فمن دخل فيه او ساعد عليه فهو كمن حارب الله ورسوله واولياءه صلوات الله عليهم اجمعين الاحقر ابو الحسن الموسوي الاصفهاني

١٦ ربيع الاول ١٣٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم حكمنا بحرمة الانتخاب وحرمة الدخول فيه على كافة الامة العراقية وان من دخل في هذا الامر او ساعد عليه ادنى مساعدة فقد حاد الله ورسوله والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين اعاذ الله الجميع عن ذلك

١٧ ع ١ سنة ١٣٤١ الاحقر محمد حسين الغروي النائيني

صورة الفتوى بمقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي موقعة من قبل أبو الحسن الموسوي ومحمد حسين النائيني

خرجت من النجف الأشرف في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٣٤١ قاصداً محلي في الشامية وذلك بعد ختام مأتم سيد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي جرت عادتي بإقامته أثناء شهر رمضان من كل سنة في البلدة الشريفة المذكورة وقد انحرف مزاجي هذه المرة في النجف انحرافاً شديداً ولم ينجح فيه علاج أطبائها فصممت على الذهاب إلى بغداد بقصد المداواة حينما وردتني البرقية من الأصدقاء التي أشرت إليها يطلبون حضوري، وهكذا برحت الشامية بعد قضاء بعض المهمات وإمضاء عطلة العيد في رابع شوال سنة ١٣٤١هـ وقد أمضيت الخامسة من ليالي الشهر المذكور في قصبة الشامية المسماة بالحميدية وقضيت الليلة السادسة بينها وبين الديوانية ومنها ركبت القطار إلى بغداد حيث أقمت في الكاظمية، وبعد إجراء بعض الفحوصات قرر الأطباء وجوب إقامتي هنا زهاء شهرين للعلاج.

الاختلاف مع الملك فيصل الأول

كان الملك فيصل قد توجه إلى الموصل لبعض المسائل السياسية وذلك قبل وصولي إلى بغداد بيومين وقد رجع بعد ذلك بأسبوع فقصدت زيارته في منزله ثاني يوم وصوله وقابلته صباحاً مقابلة استغرقت نصف ساعة سألني فيها عن الأحوال العامة في البلاد فذكرت له ما رأيته وما سمعته في هذا الباب، ثم استأذنت فأذن لي بالذهاب طالباً أن أعود إليه بعد يومين وقد عدت في الوقت المضروب وأخبره حاجب التشريفات في الحال بوصولي إلى قصره المعمور، وعندما تشرفت بالدخول عليه افتتح الكلام في موضوع الانتخابات ودعوة المجلس التأسيسي وخلاصة ما أفاده أنه عازم على إجراء الانتخابات على كل حال وإرغام كل من يعارض أياً كان[١]،

---

(١) د. عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ ـ ١٩٣٣ راجع المصدر السابق، الصفحة ١٢٤ «وقد حاول فيصل الضغط على رجال الدين ودفعهم إلى تغيير موقفهم المعارض عن طريق عدد من رؤساء العشائر المعروفين، منهم الحاج عبد الواحد سكر، ممن أبدوا استعدادهم للذهاب مجتمعين إلى رجال الدين والطلب منهم العدول عن تلك الفتاوى التي أصدروها بصدد الانتخابات» «نقلاً عن ملفات البلاط الملكي» =

فدفعني الإخلاص وحب المصارحة الحقيقية إلى النصيحة، فقلت: اعلم يا جلالة الملك أن انتخاب المجلس التأسيسي حق من حقوق الأمة وهي التي تطالب باجرائه على قواعده المرعية المعلومة فإن أمكنكم ضمان حرية الانتخابات تمت بسهولة وشكرتكم الأمة على ذلك والا تعين عليكم الصبر وسعة الصدر واتخاذ التدابير الحسنة وانتهاج السيرة المرضية وإقناع الناس بفائدة الانتخاب على كل حال لا سيما العلماء الروحانيين، ولا يخفى أن الغرض من دعوة المجلس التأسيسي امور؛ أولها النظر في المعاهدة العراقية الإنكليزية، والأمة العراقية وعلماؤها وقادة الرأي فيها لا يكرهون قط المعاهدة مع الحكومة الإنكليزية بل يقبلونها بكل ارتياح إذا ضمنت تلك المعاهدة تبادل المصالح وتقايض المنافع بين حليف وحليف لا بين قوي وضعيف، ولكن المعاهدة العراقية الإنكليزية المعلومة ليست كذلك ولا شأن فيها للعراق والعراقيين ولا مصلحة فيها لغير الأجانب ولذلك صدرت الفتوى بتحريم الانتخابات، فإن استعملت الشدة والعنف في إجرائها اضطر العلماء إلى تأكيد فتواهم في هذا الباب. فما كان من الملك إلا وأن أشار إلى رغبته بالتفاوض مع العلماء.

اجتمع الملك فيما بعد بمشايخ الفرات وأبدى لهم رأيي المتقدم فلم يستصوبوه بل وافقوه على التزام خطة العنف والشدة مع المعارضين أياً كانوا.

اجتمعت بزملائي الذي طلبوا حضوري لبغداد، فعلمت منهم أن جلالة الملك أعاد الكرّة عليهم بشأن إجراء الانتخابات وأنهم أيدوه، ولم يدر بخلدي أن هؤلاء الذين هم من أصدقائي الحميمين قد تراجعوا عن المبدأ الذي جاؤوا من أجله وتخلوا عن العلماء أيضاً تحت ضغط الملك

= ـ محمد مهدي البصير تاريخ القضية العراقية، راجع المصدر السابق، الصفحة ٢١٥ ـ ٢١٦ «استدعى الملك إليه عدداً من شيوخ الفرات الأوسط كان من بينهم عبد الواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعلوان الياسري وقاطع العوادي وشعلان أبو الجون، وأقنعهم بأن «البروتوكول» كسب للعراق وأن الشروع بالانتخابات ضروري، فوافق الرؤساء على رأيه ماعدا أبو طبيخ حيث صرح بأنه غير قادر على مخالفة علماء الدين الذين أفتوا بحرمة الانتخابات ولكنه يبذل جهده للتوفيق بين إرادة العلماء وسياسة الحكومة».

واغرائهم بما يرضيهم ولكن أن يحنثوا بقسم أخذوه على أنفسهم هذا شيء لم اتوقعه أن يصدر من امثالهم[1]. توقفت هنا في حديثي معهم لأذكرهم بفتوى العلماء والتي جرت بحضورهم في النجف، فكان ردهم ترديد عبارات التهديد عن لسان الملك والإنكليز معاً إلى كل من يعارض الانتخابات. فكان جوابي من أني لا يمكن أن أخالف فتوى العلماء ولا تهمني التهديدات مهما كان نوعها، وافترقنا مختلفين وقد علمت فيما بعد أن ما جرى بيننا قد سمع به جلالة الملك.

كان بيتي ليس ببعيد عن مرقد سيدنا موسى الكاظم عليه السلام وفيما كنت خارجاً من الحرم الكاظمي الشريف فإذا بالمرحوم الحاج محسن شلاش يأخذ بيدي إلى أحد لواوين (غرف) الصحن وبادرني بقوله «انت ليش عنود، أن موضوع الانتخابات قد وافق عليه جماعتك، وايدوا جلالة الملك على إجرائها، وانا بدافع الصداقة أنصحك أن توافق وأن لا تنفرد وحدك عنهم بالرفض وتعرّض نفسك للإيذاء والإضرار». أجبته، يا حضرة الحاج، أنا لست بعنود ولا مخالف لجلالة الملك، بل أنا وأنت بصفتنا من الفرقة الامامية من الطائفة الشيعية فإننا ملزمون بتقليد العلماء وأتباع فتاواهم، وذكّرته بفتوى العلماء بتحريم الانتخابات التي أصدروها استجابة لطلبنا عندما اجتمعنا بهم في النجف. فإذا هم قد ارتدوا عن أتباع

(١) نفس المصدر في صفحة ٢٤٤ راجع، الصفحة ٢١٦ «ارسل الملك علوان الياسري وقاطع العوادي إلى الشيخ الخالصي في محاولة لإقناعه بسحب فتوى تحريم الانتخابات، وقيل أن الخالصي اتهمهما بالكفر».

«وقد حدث شيء مشابه للوزير عبد الحسين الجلبي مما دفعه للانتقال بسكناه إلى خارج الكاظمية».

ـ الدكتور محمد مظهر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، الجزء الثاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩، الصفحة ٥٠ ـ ٥١ «كان الملك فيصل الواسطة التي تمت بها استمالة رؤساء العشائر بمن فيهم عبد الواحد سكر.. فقد كتب الملك فيصل في ٣٠ كانون الأول ١٩٢٢ رسالة إلى المندوب السامي برسي كوكس (أخبره) إنهم التمسوا منه التوسط لديه لكي يعفو عنهم.. وأن أحدهم الشيخ عبد الواحد يلتمس أن يحظى بمقابلتكم.. إذ كان (لهذا) بقايا ضرائب... ويبدو أن هذه المسائل قد سويت بعد ذلك لأن عبد الواحد سكر كان من بين الذين شاركوا في الانتخابات دون الالتفات إلى فتاوى رجال الدين... كما تم استرضاؤهم بالتمثيل العشائري في المجلس».

الفتوى، فأنا لا يمكن أن أرتد عنها، ومن رأيي أن تنصح جلالته أن لا يستعجل في هذا الأمر ليعطينا فرصة نرجع بها إلى العلماء ونذكر لهم الأمر الواقع في البلاد لعلهم يتراجعون عن فتواهم أو لعلهم يسمحون لنا بالسكوت عن معارضة الانتخابات، وفي حالة عدم موافقتهم فلا يمكنني مخالفة فتواهم حتى الموت[1]. وافترقنا على أن يقوم الحاج محسن بالاتصال بزملائي لإنهاء هذا الخلاف.

في اليوم التالي ١٦ شوال ١٣٤١هـ المصادف ١١ حزيران (يونيو) ١٩٢٣ ذهبت مع الحاج للاجتماع بإخواني وقد حضره العديد ممن شاركوا في مذاكراتنا السالفة، بدأنا المناقشة مبيناً لهم وجهت نظري باستمهال الملك للرجوع إلى مشاورة العلماء وإلى أن يهدأ الوضع العام المعارض للانتخابات، وقد اثار شكي موافقتهم لاقتراحي هذا بدون تردد أو تسائل مما دفعني أن أطلب منهم التأكيد على أنهم يشاركونني هذا الرأي عندما نقابل جلالة الملك فجاء جوابهم «قسماً بسيدنا الكاظم كفيل وسيد محمد الجواد وكيل إننا شركاؤك في هذا الرأي ونقول مثلما تقول ونطلب ما تطلبه والله شاهد على ما نقول» فآمنت بالله والأئمة الطاهرين وانتقلنا بعد ذلك إلى البلاط لمقابلة جلالته. دخلنا عليه وهو جالس في الصالون المثمن الذي في مقدمة البلاط. أخذ يسأل كل منا منفرداً قائلاً: «إيه (فلان) ما رأيك في انتخابات المجلس التأسيسي»؟ فكان الرد واحداً من كل من سأله «انا موافق على كل ما تأمر وتريد» وكانت موافقتهم هذه بالاجماع، التفت نحوي ورماني بنظره شزراً وعلى اسارير وجهه شيء من الحدة وقال: «ايه يا أبو طبيخ ما رأيك أنت وإجراء الانتخابات» فقلت له: «اسمع مني يا سيدي ما أقوله بدافع الصدق والإخلاص الشخصي لك وللوطن ـ ولتوضيح موقفي

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، راجع المصدر السابق، الصفحة ١٧٢ «وفي مساء يوم السابع عشر من حزيران ١٩٢٣ عقد مجلس الوزراء جلسة خاصة دوّن فيها ما يلي (قرارات المجلس)... أما وزير المواصلات والأشغال ياسين الهاشمي، فقد كتب في ذيل هذا القرار هذه الكلمات «انا مخالف للإسراع بالانتخابات».
استمر ياسين الهاشمي في معارضة إجراء الانتخابات وطالب بالتريث لحين تهدأ البلاد، ومع مخالفته هذه بقي وزيراً في منصبه إلى أن استقالت الوزارة السعدونية الأولى ولم تنله يد العقاب لا من الملك فيصل ولا من المندوب السامي ولا من رئيس الوزراء».

أولاً تجاه هذا الأمر ولكي لا أظهر بمظهر المتمرد سيما وأن جماعتي قد نكلوا عن يمينهم بالالتزام بموقف معلوم اتفقنا عليه نقفه امام جلالتك» وهكذا اضطررت والحالة هذه أن أفصح له بكل شيء من ساعة مجيئهم إلى بيتي في النجف الأشرف إلى هذه الساعة ـ كما أشرت له عن موقف العلماء وبرّرت له حسن نيتهم بإصدار الفتوى التي كانت بطلب جماعي منا وتفهماً منهم لمصلحة البلاد من أجل تفادي الانشقاق والفتنة التي لا تحمد عقباها. كما ذكرت لجلالته سياسة التفرقة التي سار عليها الأتراك سابقاً وقد تبناها الإنكليز الآن، وقلت له: «ان تصدي الوطنيين المخلصين ومن ورائهم العلماء الروحانيين أدى إلى توحيد الكلمة والصف أمام محاولاتهم مما شجعنا على قيام الثورة العراقية التي كان ثمرتها تكوين عرشكم هذا. فأنا بدافع الإخلاص انصحك يا سيدي أن لا تستعجل في الأمر، راجياً أن تعطينا فرصة كافية لكي نرجع إلى العلماء علّهم يعيدون النظر في الفتوى ويتغاضون عنها على الأقل، وفي حالة إصرار جلالتكم على المضي بما قررتم عمله، فكن على يقين أن العلماء سوف يصرّون على الفتوى وقد تحدث مشاكل وامور بينكم انتم في غنىً عنها في الظرف الحاضر[1]. أما انا، فبصفتي جعفري امامي المذهب، لا أسطتيع أن اخالف العلماء الذين أنا مقلدهم مهما يقع عليّ من جلالتكم، واني ابدي لجلالتكم أسفي الشديد لمخالفتكم في هذا الأمر»... كان الملك مصغياً لكلامي إصغاءً تاماً وكنت انظر إلى وجهه الكريم بإمعان، وكلما استرسلت بكلامي معه كانت أساريره تتبدل وتتحول إلى هدوء بدلاً عما كان ظاهراً عليه من حدة في بداية مخاطبته لي.

وبعد أن انتهيت من كلامي قال بهدوء: «انظر هذه الليلة في الأمر وإلى الغد». ثم نهض جلالته إيذاناً لنا بالانصراف. ومن المؤسف حقاً أن تتأزم العلاقة مع جلالته فيما بعد إثر قيام أحد الذين حضروا اجتماع

---

(١) من مذكرات سلمان الصفواني ـ شخصيات واحداث ـ مجلة آفاق عربية السنة الثالثة عشرة، نيسان ١٩٨٨، الصفحة ٧٠ «... وكانت تهدف (الحكومة) إلى القضاء على نفوذ رجال الدين وزعماء القبائل في آن واحد ليخلو لها الجو، وكانت تتهيب الإقدام على هذه الخطوة الجريئة خوفاً من رد الفعل الذي لا تقوى على مجابهته.. إلا أنها لم تلبث أن اتخذت قرارها الحاسم. بنفي الزعيم السيد محسن أبو طبيخ إلى سوريا في ١٤ حزيران عام ١٩٢٢».

البلاط بنقل وقائعه حرفياً إلى مستشار الداخلية كورنواليس، مما دفع هذا إلى أن يشير على الملك إلى اجباري على مغادرة العراق في حالة إصراري على معارضة الانتخابات. وفي صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ شوال ١٣٤١هـ المصادف ١٢ حزيران ١٩٢٣ زارني مبكراً المرحوم الحاج كاظم أبو التمن[١]، فأخبرني أن جلالة الملك استدعاه وأخبره بما دار في اجتماعكم عنده يوم أمس واردف قائلاً أن الملك صرح له «إني اقدر السيد محسن أبو طبيخ واوده، وأن آراءه معقولة، إلا أنه لا يمكن من جانبنا التراجع عن أمر الانتخابات للمجلس التأسيسي». ورجاه الملك، بصفته صديقاً لي أن يقنعني على الموافقة على إجراء الانتخابات والتراجع عن آرائي وفي حالة فشله في إقناعي «احضر معه لمقابلتي في البلاط»، واستطرد أبو التمن «ان كل ما يخشاه الملك هو انك سوف تقوم بدعاية ضد الانتخابات قد تثير المتاعب للحكومة في الفرات خاصة ولها تأثير عام في بقية أنحاء العراق». لقد شعر الحاج كاظم بعدم التوصل إلى نتيجة في جدله معي محاولاً إقناعي بالتراجع عن موقفي، فقال «اذاً تفضل معي لمقابلة جلالته، لأنه هو طلب حضورك ولنذهب سوياً».

وجدت في البلاط بعضاً ممن حضروا الاجتماع يوم أمس ثم دخلنا على جلالته وفي هذه المرة بادرني بقوله «إيه يا أبو طبيخ هل فكرت هذه الليلة في الأمر وهل أبدلت رأيك عما قلته أمس». فقلت له: «ليس لدي شيء أضيفه لما عرضته على جلالتكم أمس ولم ابدل رأيي فأنا عراقي الوطن إمامي المذهب لا يسعني الموافقة على ما يمس كرامة بلادي ولا يمكنني مخالفة علماء مذهبي، فمعذرة اليك يا جلالة الملك»[٢]، وثق انني سوف لا اعارضك قط

(١) الحاج كاظم أبو التمن ـ هو عم الحاج محمد جعفر أبو التمن، يتضح أن الملك فيصل عهد إليه بدور الوساطة بين المعارضين للانتخابات وبينه.
السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول راجع المصدر السابق، الصفحة ١٧١
«... ثم إن الملك أوفد الحاج محمد كاظم أبو التمن وعبد الله الحاج ـ من موظفي البلاط ـ إلى الشيخ مهدي الخالصي... وقد كان الحاج كاظم أبو التمن في بداية الأمر من العاملين على إصدار فتاوى مقاطعة الانتخابات».

(٢) السيد محسن أبو طبيخ، الرحلة المحسنية والسياحة الهاشمية إلى الديار الشامية والمصرية، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م. راجع تفاصيل مقابلاته مع الملك فيصل، الصفحات ٢ ـ ٥.

بل أكون على الحياد التام في هذه المسألة. فبدا على محياه شيء قليل من الغضب مشوب بالعطف، وقال «اذا لم توافق فلا مناص لك من مبارحة العراق»، فقلت أني افضل الموت ضرباً بالسيوف على الخيانة، واني مستعد للسفر إلى أي بلد تأمر فقط أمهلني يومين كي اجهز لرحيلي، حينئذ أمر بنفيي إلى سوريا[1]، كنت حينذاك أول مبعد عراقي في العهد الوطني من قبل جلالته في سبيل مصلحة الأمة وأني أعد ذلك أكبر وسام شرف تقلدته من بين إخواني المخلصين، خرجت من مجلس الملك ولسان حالي يردد قول سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (ع)

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نَوى خيراً وجاهدَ مُسلما
فإن عشتُ لم أندم وإن مُت لم أُلم كفى بكَ ذلاً أن تعيش وترغما

الرحيل إلى المنفى ومظاهرات التوديع

أخذت في تحضير ما احتاجه إلى السفر ولم يعلم بما جرى أي فرد من أفراد عائلتي أو حتى أتباعي لكي يتدبروا أمورهم مدة غيابي التي لا أعرف مداها.

وفي يوم الخميس ١٤ شوال ١٣٤١ المصادف ١٤ حزيران ١٩٢٣ المحدد لمغادرتي العراق، كان الخبر قد شاع في بغداد وأخذ الناس بالتوافد إلى بلد الكاظمين وتجمهروا في الصحن الشريف وعندما دخلت الحرم لأداء فريضة الوداع للإمامين وكان الصحن على سعته مكتظاً بالمودعين الذين أوقفوني وأخذ الخطباء بإلقاء شتى الكلمات والخطب وارتقى المنبر الشيخ سلمان الصفواني صاحب جريدة اليقظة حيث ألقى خطاباً مسهباً تعرض فيه

(١) الدكتور محمد مظهر الأدهمي، المجلس التأسيسي العراقي، الجزء الثاني، راجع المصدر السابق الصفحة ٥٠ «أما أبو طبيخ فقد نفي بصورة غير رسمية إلى سوريا من قبل الملك فيصل».
ـ الدكتور عبد الأمير هادي العكام ـ الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٣٣م راجع المصدر السابق، الصفحة ١٢٦ «وبالرغم من تأييد بعض رؤساء العشائر لسياسة الحكومة فقد استمرت مقاطعة الانتخابات، لذلك قررت السلطة أتباع سياسة الشدة في إجرائها، فكرهت السيد محسن أبو طبيخ بصورة غير رسمية على الخروج من العراق فسافر في ١٤حزيران ١٩٣٣ إلى سوريا».

للثورة العراقية وما ضحيناه في سبيل استقلال البلاد وعن نتائجها أن نكون من المسفرين. وقد حضر توديعي العلماء الأعلام والشيوخ والوجهاء[1]. فودعت تلك المشاهد الشريفة واتجهت إلى محطة الترام محاطاً بأفراد من الشرطة وتحيطنا جموع المودعين راكبين ومشاة وعند وصولنا بغداد وجدنا الناس بانتظارنا يتقدمهم الوجهاء والأعيان وسط الهتاف والصلاة على محمد وآله عليهم السلام. وكانت هناك أربع سيارات إنكليزية فيها ضابط برتبة ميجر ومعه قوة كبيرة من الشرطة. وقفت لتوديع المشيعين وأُلقيت الخطب الحماسية واضطرب الجمهور فكانت مظاهرة عظيمة حاول الجمهور منعنا من السفر فتدخلت الشرطة وأوشك أن يقع بين الفريقين ما لا تحمد عقباه فتداركت الأمر وشكرت الجميع على ما أبدوه نحوي، ثم ركبت السيارة تتبعنا قوة كبيرة من الشرطة وعلى رأسها مدير الشرطة إسماعيل الصفار ومعهم عدد من الجنود الإنكليز في السيارات الأخرى التي تبعتنا. وبهذا الحفل الجليل ودعني أبناء الكاظميين وبغداد. وكنت أول عراقي مسفر من قبل الحكومة العراقية في سبيل أمتي وبلادي.

لقد وقع ما تنبأت به وقلته لجلالة الملك، فعندما شاع خبر تسفيري بسبب تمسكي بفتوى العلماء، وفي أيام قلائل، ثار من العلماء المغفور له

---

(١) مجلة آفاق عربية، السنة الثالثة عشرة، نيسان ١٩٨٨، راجع المصدر السابق الصفحة ٧٠ «... وما كاد الخبر (نفي أبو طبيخ) يشيع حتى اهتزت بغداد... إن تسفير السيد محسن أبو طبيخ خارج العراق من دون أن يكون له توديع حافل... أمر غير مقبول. افتتح الحفل وتقدمت لإلقاء الكلمة.. أبى الناس بعد الحفل إلا أن يرافقوا أبو طبيخ في طريقه إلى محطة القطار.. وما أن بلغ الموكب علاوي الحلة في الكرخ وكانت القوات المسلحة الحكومية تساير الركب.. أعلنت أن الحكومة تمنعني من إلقاء خطابي، فهاج الناس واشتبكوا في معركة مع القوات المسلحة ولعلع الرصاص... وفي الوقت الذي انقضت فيه ثلة من رجال الشرطة على السيد محسن أبو طبيخ واختطفته إلى محطة غربي بغداد...»
ـ مذكرات كامل السيد محسن أبو طبيخ المخطوطة: «أقام الشيخ مهدي الخالصي يوم سفره توديعاً حافلاً في صحن الكاظميين والشيخ في مقدمة الناس وحوله أتباعه من العلماء والتجار والكسبة والعوام.. ولما وصلوا الجعيفر أمر الشيخ مهدي أتباعه بالسير مشياً يتقدمهم السيد محسن إلى علاوي الحلة والآلاف المؤلفة التي اجتمعت حوله وفي جادة نهر الخر وجدنا جماعة واقفين لتوديعه فوقفنا للسلام عليهم وكانوا الحاج جعفر أبو التمن والحاج حسين علاوي والحاج محمد جواد الرحيم والحاج محسن شلاش الذي جاء ممثلاً عن علماء النجف..».

الشيخ مهدي الخالصي، إلا أن الشرطة داهمته في منزله وتم تسفيره إلى إيران. ولم يهدأ علماء النجف وجماهيرها، فأرسلت الحكومة قوة كبيرة من الشرطة مدعومة بأفراد من الجيش الإنكليزي وألقي القبض على عدد كبير منهم بضمنهم السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني وسفروهم إلى إيران. ومنذ ذلك التاريخ عادت النعرات الطائفية بين الشيعة والسنة كما كانت في زمن الحكم العثماني بل أشد منها حيث استغلها الإنكليز والمتعصبون من الطائفتين ووسعوا شقة الخلاف إلى يومنا هذا فشمل حتى الدوائر الرسمية. وهذا ما حذرت من وقوعه لجلالة الملك غير أنه غُلب على أمره وأُجبر عليه.

إلى سوريا[1] مدينة حلب

لم يكن طريق الرمادي رطبة الشام مفتوحاً، فذهبوا بنا على طريق القوافل القديم مع الفرات إلى الفلوجة، رمادي، هيت، ثم حديثة، عانة، القائم إلى دير الزور ومنها مروراً بكل القرى والمدن على طول الطريق إلى حلب، ولوعورة الطريق استغرقت الرحلة ثلاثة أيام، وفي هذه المدينة سلمنا الضابط الإنكليزي الذي بقي معنا طوال الرحلة إلى السلطات الفرنسية. حللت في نزل (الفرات) حيث أمضينا ليلتنا وما أصبح الصباح حتى توافد علينا من بلغه وصولنا إلى حلب من أعيانها ووجهائها واقترحوا علينا الانتقال إلى منازلهم فاعتذرنا واكتفينا بإجابتهم إلى ولائمهم وحفلاتهم الفاخرة حيث شاهدنا من الإعزاز والإجلال ما لا يسعه البيان. وهي احدى عواصم الشرق وحواضر الإسلام فتحها أبو عبيدة عامر وخالد بن

---

(١) كتب السيد محسن القليل عن منفاه في مذكراته المخطوطة وخاصة جولته في المدن التي مر بها ابتداءً من خروجه من بغداد ثم عودته اليها. وقد دوّن هذه الذكريات تفصيلاً ونشرها بكتابه الرحلة المحسنية، الذي طُبع في صيدا سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م. ونظراً لأهمية هذه الرحلة لما تتصف به من الدقة في الوصف الجغرافي والتاريخي وطرافة في السرد والأسلوب اللغوي، فقد اخترت من هذا الكتاب ما يتعلق بسفره في فلسطين لما في ذلك من اهمية تاريخية بعد أن تحولت أرضها إلى هيمنة الدولة الصهيونية وضاعت معالمها وتسمياتها العربية. ولفقدان هذا الكتاب من المكتبات فقد قام أخي الدكتور علي بإعادة طبعه مشكوراً عام ١٩٩٨، في بيروت ونظراً للمشاكل التي واجهت نشره في أسواق الكتب العربية بقي الكتاب نادراً ويصعب الحصول عليه.

الوليد وتسمى قديماً هلبون أو هلبة وكانت عاصمة الدولة الحمدانية ثم الدولة المرداسية من سنة ٤١٤هـ إلى سنة ٤٧٣هـ وقد قال فيها الشاعر أبو الفتح كشاجم تلك القصيدة الغراء والفريدة العصماء التي سارت بها الركبان ورواها القاصي والداني منها قوله:

أرتك يد الغيث آثارها　　　وأعلنت الأرض أسرارها

وما أمتعت جارها بلدة　　　كما أمتعت حلب جارها

هي الخلد تجمع ما تشتهي　　　فزرها فطوبى لمن زارها

ومن أراد وصفها تفصيلاً فعليه بكتب التاريخ المطولة، وقد أورد ياقوت في ذلك فصلاً لا بأس به فراجع معجم البلدان، وقد أخرجت خلقاً من مشاهير الشعراء والأدباء وحسبك منهم ابن خالويه والأمير أبو فراس الحمداني وكشاجم ومن العلماء وأدبائهم كابن البراج وابن الصلاح وبني زهرة وغيرهم.

في الطريق إلى دمشق

برحنا حلب الشهباء يوم الاثنين ١٠ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ ٢٥ حزيران ١٩٢٣م وذلك بعد أن أمضينا فيها أسبوعاً كاملاً. ومنها توجهنا في اليوم التالي إلى حماة وهي من المدن القديمة اسمها قبل الإسلام (أفامية) فتحها خالد بن الوليد وأبو عبيدة بعد حمص سنة ١٤هـ وإليها ينسب ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان المشهور المتوفى في بغداد سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م، وكانت عاصمة الملك المؤيد أبي الفداء صاحب التاريخ وقد ولد بدمشق سنة ٧٣٢هـ ١٣٣١م.

تروى حماة من نهر العاصي وهو يشطر البلدة إلى شطرين مخرجه من بحيرة (قدس) قرب حمص، ويصب في البحر قرب أنطاكية، يخترق حماة من المشرق إلى المغرب وقيل أنه إنما سمي (العاصي) لأن أكثر الأنهر تتجه ذات الجنوب وهو يأخذ ذات الشمال.

وقد بارحنا حماة عصر الثلاثاء في ١١ ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ ٢٦ حزيران ١٩٢٣م قاصدين حمص.

حمص من مدن الشام القديمة، بناها اليونانيون، على قول أهل السير، واما فتحها فذكر المنذر عن أبي مخنف أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق قدم امامه خالداً بن الوليد وملحان بن ريار الطائي ثم تبعهما، فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجؤوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح فصالحوه على ١٧٠ ألف دينار، وقد ذكر ياقوت أن في حمص كثيراً من مشاهد الصحابة والتابعين ومزاراتهم فمن ذلك مشهد للإمام علي أمير المؤمنين (ع) ومن ذلك قبر قنبر مولى الإمام، وقبور لأولاد جعفر بن أبي طالب وهو جعفر الطيار وقبر خالد بن الوليد وابنه عبد الرحمن، ففي هذه القبور كلام مختلف على القارئ اللبيب والباحث المنقب تمييزه وتحريره،برحنا حمص منتصف نهار الخميس ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ ٢٨ حزيران ١٩٢٣ ومنها أقلع بنا القطار إلى طرابلس الشام فوردناها الساعة السادسة مساءً وهي تقع على ساحل البحر ونزلنا في نزل (فرنسا).

برحنا طرابلس يوم الأحد الموافق ١٦ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ ١ تموز ١٩٢٣م إلى بيروت على سيارة إذ لا توجد بينهما سكة حديد.

في مدخل بيروت استوقفنا درك فرنسي فقيدوا رقم السيارة واسم سائقها وسألوه من أين جاء وإلى أين يريد، فسرنا إلى مخفر آخر للشرطة المحلية ففعلوا كما فعل الأولون بعدها ذهبنا إلى نزل (وندسر). وفيها جامع صغير ولكنه يسمى الجامع الكبير فيه مقام نبي الله يحيى بن زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ويزعم البيروتيون أنه مدفن رأسه الشريف، وليس من الغريب في بيروت قلة العناية بجوامعها ومعابدها فإنها مدينة إفرنجية بحتة، اقتبس أهلها حضارة أوروبا وعاداتها على علاّتها وآفاتها التي لا تعد ولا تحصى.

برحنا بيروت إلى دمشق صباح الخميس ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ ٥ تموز ١٩٢٣ بعد طلوع الشمس، وفضلنا ركوب السيارة على القطار لسرعتها إذ أنها تقطع الطريق إلى دمشق في ٣ ساعات ولا يقطعها القطار بأقل من ٨ ساعات.

دمشق الشام

دمشق جنة الآفاق وعاصمة سوريا على الإطلاق، قلّ أن تجاريها

مدينة من مدن الشرق والغرب في بهجتها وحسن عمارتها وكثرة مياهها وخيراتها وهي من اقدم المدن على وجه الأرض. وقد قيل إن أول حائط وضع بعد الطوفان في الأرض حائط دمشق وحران وفسّر بعضهم قوله تعالى. (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قائلاً هي دمشق ذات قرار وذات رخاء من العيش وسعة ومعين كثيرة الماء. وقيل في قوله تعالى: (التين) الجبل الذي عليه دمشق (والزيتون) الجبل الذي عليه بيت المقدس. فتحها المسلمون في رجب سنة ١٣هـ ٦٣٤م بعد واقعة (اليرموك) واسمها بالمصري القديم (دمسكو) ومنها اشتق اسمها عند العرب.

وقد أكثر الشعراء والأدباء في إطرائها ووصفها، ومن أشهر ما جاء فيها قول البحتري:

اما دمشق فقد أبدت محاسنها ... وقد وفا لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على اجبالها فرقاً ... ويصبح النبت في صحرائها بددا

دخلنا دمشق الشام الساعة التاسعة والنصف صباحاً، فاستقبلنا في مدخلها مخفر شرطة عربية أعادوا علينا أسئلة شرطة بيروت، ثم تركناهم إلى المدينة وذهبنا رأساً إلى نزل (إنكلترا) حيث أمضينا فيه يومين ثم انتقلنا إلى دار خاصة استؤجرت لنا في الصالحية. تخترق البلدة وبساتينها عدة أنهار منها (بَرَدى) يخترق دمشق من مغربها إلى مشرقها، وقد قال فيه الشاعر ذو القرنين أبو المطاع بن حمدان:

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني ... إلى بردى والنير بين حنين
وقد كان شكي في الفراق يروعني ... فكيف يكون اليوم وهو يقين
فوالله ما فارقتكم قالياً لكم ... ولكن ما يقضى فسوف يكون

من دمشق إلى فلسطين

قام بنا القطار من دمشق في طريقنا إلى زيارة القدس الشريف والوقوف على أحوال الديار الفلسطينية والمصرية في الساعة التاسعة وخمس دقائق من يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٤٢، ١٠ايلول ١٩٢٣، وصلنا

(درعا) وقربها الحد الفاصل بينها وبين (شرقي الأردن) وهي من مدن الشام القديمة الجاهلية ذكرتها العرب في أشعارها لأنها لم تزل من بلاد العرب قبل الإسلام وكان اسمها (أذرعات) وبعده قال امرؤ القيس:

ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تنسيني إذا قمت سربالي

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالي

ثم (مزيريب) تبعد عن درعا ٢٠ دقيقة ينزلهاالعرب وفيها ضياع ماؤها من الجباب، ثم (تل شهاب) تبعد عن المزيريب نحو ٢٠ دقيقة، ثم (زيزون) تبعد عن تل شهاب ٣٠ دقيقة وحولها منازل للعرب وقرى وضياع ماؤها من الجباب، ثم (المقارن) تبعد عن زيزون ٣٠ دقيقة حولها منازل للعرب وضياع ماؤها من الجباب، ثم (الشجرة) تبعد عن المقارن ٢٥ دقيقة وهي محطة في بر أقفر ماؤها من القطار، ثم (وادي خالد) يبعد عن الشجرة ٢٥ دقيقة وهو واد عظيم بين جبال يجري فيه نهر الأردن وعرضه هناك نحو٥ أمتار وماؤه عذب غزير يستبطن الوادي المذكور إلى (بحيرة طبرية) حيث يصب فيها فرع منه ومنتهى مصبه (بحيرة لوط) وهو الحد الفاصل بين امارة شرقي الأردن وفلسطين ومحطة وادي خالد لا ينزلها أحد وليس فيها قرية وماؤها من النهر المذكور ثم (الحمة) تبعد عن وادي خالد ١٥دقيقة لا قرية فيها ولا سكان، ماؤها من الأردن، ثم (سمخ) تبعد عن الحمة ٢٥ دقيقة وهي محطة على (بحيرة طبرية) جنوباً وهذه البحيرة في منخفض تحيط بها جبال قوسية الأشكال، ماؤها عذب غزير يسقي قرى وضياعاً كثيرة ينزلها الزراع من العرب، قال الأزهري: بحيرة طبرية نحواً من ١٠ أميال في ٦ أميال: وقال ياقوت، رأيتها يعني بحيرة طبرية مراراً وهي كالبركة تحيط بها الجبال وتصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر وينفصل منها نهر عظيم فيسقي أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة أو بحيرة لوط قرب (أريحا). ثم محطة (جسر المجامع) تبعد عن سمخ ١٥ دقيقة قربها قرى وضياع مأهولة بالعرب ماؤها من الجباب. ثم (بيسان) تبعد عن جسر المجامع ٣٠ دقيقة وهي بلدة واقعة على هضبة حولها من جهاتها الأربع بساتين لطيفة المنظر وقرى وضياع وتعد من مدن الأردن القديمة، قال ياقوت: بيسان مدينة بالأردن بالغور

الشامي ويقال هي (لسان الأرض) وهي بين حوران وفلسطين، وبها (عين الفلوس) يقال انها من الجنة وهي عين فيها ملوحة يسيرة وتوصف بكثرة النخل وهي بلدة وبيئة حارة أهلها سمر الألوان جعد الشعور. ثم (الشطة) تبعد عن بيسان ٢٥ دقيقة وحولها قرى وضياع مأهولة بالعرب تروى من عين، ثم (عين، هارون) تبعد عن الشطة ١٠دقائق مأهولة بالعرب واليهود وفيها ضياع تروى من عين ثم (العفولة) تبعد عن عين هارون ٢٠ دقيقة ذات قرى وضياع مأهولة بالعرب واليهود ماؤها من الجباب، ثم (تل الشمام) تبعد عن العفولة ٣٠ دقيقة ذات قرى وضياع مأهولة بالعرب ماؤها من الجباب، ومن هذه المحطة قام بنا القطار إلى (حيفا) فوصلنا الساعة السابعة والنصف وسرنا إليها من محطتها الواقعة شرقي المدينة ونزلنا في (نزل السلام).

حيفا

مدينة ساحلية على البحر الرومي المعروف الآن بالبحر الأبيض، يكتنفها البحر من الغرب والشمال والجنوب ويطل عليها من الشرق جبل شاهق وموقعها على البحر مبهج بديع جداً وفيها حي مستحدث يدعى (حيفا الجديدة) في مقابل (حيفا القديمة) وفي المدينة شارعان واسعان مرصوفان بالأحجار يخترقانها من أولها إلى آخرها، وفيها سوقان غير مسقوفين يمتدان على طول المدينة، وكل أزقتها وأسواقها مرصوفة، والبلدة مستطيلة غير عريضة لمضايقة الجبل لها عرضاً فيها بساتين قليلة أكثرها النخيل، وتكثر فيها البقول، ولها رصيف على البحر تمر عليه السكة الحديدية إلى (يافا)، سكانها مسلمون على مذهب أهل السنة، وفيها كثير من النصارى واليهود إذ يؤلفون ٣٠ في الـ ١٠٠ من مجموع السكان على أن النصارى في اتفاق تام مع المسلمين وذلك ضد اليهود الصهيونيين الذين يطمعون في استعمار فلسطين وجعلها وطناً قومياً لليهود كما يزعمون. وحيفا مدينة تجارية صناعية أهم صادراتها الحبوب والبقول وماؤها من الآبار ثقيل جداً رديء الطعم والرائحة وفيها من المواشي والحيوانات الأهلية والوحشية ومن الطيور المائية والبرية ما في سائر مدن الشام، ويغلب على أرانبها البياض من بين سائر الألوان، وثعالبها تغلب عليها

الألوان الكدرة، ويألف دورها العصافير والخطاطيف والفواخت، والظاهر أن حيفا لم تكن في قديم الزمان كما هي الآن بل كانت معقلاً ساحلياً من معاقل جنود المسلمين، قال ياقوت: حيفا حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ولم يزل في ايدي المسلمين إلى أن تغلب عليها «كند قري» الذي ملك بيت المقدس سنة ٤٩٤هـ (١١٠٠م) وبقي حصن حيفا في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٣هـ (١١٧٨م) وخربه.

برحنا حيفا في الساعة الواحدة والنصف من يوم الثلاثاء ٢٩ محرم الحرام سنة ١٣٤٢ هـ ١١ أيلول ١٩٢٣م، وركبنا القطار منها إلى محطة «عتليت» وهي محطة مجردة تبعد عن حيفا ٣٠ دقيقة ليس فيها ماء وإنما يحمله إليها القطار، ثم (ذكرى يعقوب) تبعد عن عتليت ٢٠ دقيقة وقربها قرية وبستان ماؤها من الجباب، ثم (الخضيرة) تبعد عن ذكرى يعقوب ١٠دقائق قربها قرية ماؤها من جباب مأهولة باليهود لا غير، ثم (بنيامين) تبعد عن الخضيرة ٢٠ دقيقة ماؤها من الجباب وحولها قرى وضياع مأهولة بالعرب واليهود، ثم (طول كرم) تبعد عن بنيامين ١٥دقيقة وهي بلدة كبيرة لها منظر واقعة على مرتفع يحيط بها سهل كثير القرى والضياع مأهول بالسكان وماء البلدة من الجبال ومحطتها في جهتها الغربية منها يذهب فرع من السكة الحديدية إلى (نابلس)، ثم (قلقيليا) تبعد عن طول كرم ٢٠ دقيقة وفيها ضياع ماؤها من الجبال، ثم (رأس العين) تبعد عن قلقيليا ٢٥ دقيقة حولها قرى وضياع ماؤها من جباب، ثم (كفر جنب) تبعد عن رأس العين ٢٠ دقيقة حولها قرى وضياع ماؤها من الجباب، ثم (اللد) تبعد عن كفر جنب ٢٠ دقيقة وهي بلدة عامرة ظريفة الموقع فيها بساتين كثيرة أكثرها الزيتون وفيها قرى وضياع عديدة ماؤها من الجبال، وفي غربها المحطة الكبرى تتفرع منها عدة خطوط؛ خط إلى يافا وثانٍ إلى القدس وثالث إلى القنطرة، وترعة السويس واللد معروفة مشهورة من القديم ذكرها ياقوت في معجمه، نزلنا فيها الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وتحولنا إلى قطار يذهب إلى يافا أقلع بنا الساعة الخامسة فوصلنا (صفرية) وهي من اللد على ١٥دقيقة فيها قرى وضياع وبساتين ماؤها من الجباب، ثم (تل أبيب) تبعد عن صفرية ١٠دقائق وهي بلدة حديثة عمّرها الصهيونيون وتتصل عمارتها بيافا.

يافا

دخلنا يافا الساعة الخامسة وخمس وأربعين دقيقة بعد الظهر وذهبنا إلى (نزل جورج) وهي مدينة ساحلية ظريفة الموقع أكبر وأعمر من حيفا يحدها البحر غرباً وشمالاً والسهل جنوباً وشرقاً وهو سهل يشتمل على بعض الهضاب والكثبان الرملية وتنقسم إلى قسمين يافا القديمة عمارتها على الطراز القديم ويافا الحديثة عمارتها على الطراز الحديث لاسيما تل أبيب وهي المستعمرة الصهيونية الحديثة التي أنشئت بعد ختام الحرب الكبرى ولم يفرغوا منها إلى الآن ولا يزال العمل جارياً فيها وقد أصبحت أكبر من يافا وأكثر انتظاماً، فإنها خططت بجميع ما تشتمل عليه من دور وشوارع وأسواق تخطيطاً هندسياً وهجرة اليهود إليها متصلة حتى ضاقت بهم ذرعاً على سعتها ومن المهاجرين إليها الآن قسم يقيمون بالخيام لأن بيوتهم غير تامة هذا فضلاً عمن يتوارد إليها كل يوم من المهاجرين وينتظر أن تفوق يافا بعد بضع سنين سائر المدن الساحلية السورية في اتساع رقعتها وعمران بقعتها حتى بيروت مضافاً إلى ما تمتاز به من لطف موقعها وجمال منظرها فإنها محاطة بالبحر من جهة وبالحدائق والبساتين من جهة أخرى وهي كثيرة جداً وأكثرها شجر البرتقال إذ لا يقع بصرك إلا على أزهار يانعة وأوراق ناضرة من أشجاره وهو منبع ثروتها ومدار تجارتها وأهم صادراتها يصدر إلى الشرق والغرب والبر والبحر وتربتها رملية ذهبية اللون وفيها من المواشي والحيوانات والطيور الأليفة وغيرها ما في حيفا، أكثر سكانها الآن مسلمون إذ يؤلفون ٦٠ في الـ ١٠٠ من مجموعهم ويجيء من بعدهم اليهود ثم النصارى ولكن إذا دامت هجرة اليهود إليها على معدلها في الوقت الحاضر أحرزوا الأكثرية في مدة وجيزة ولذلك تجد المسلمين والنصارى على اتفاق تام ضد هؤلاء الضيوف الثقلاء وماؤها من الآبار تستخرجه آلة رافعة من بئرها الكبيرة حيث يجمع في مخزن فتحمله القساطل إلى البلدة، وهي من المدن القديمة جرت عليها وقائع كثيرة في الحروب الصليبية وقد برحناها وجهتنا القدس الشريف على القطار الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر من يوم الأربعاء سلخ محرم سنة ١٣٤٢هـ ١٢ أيلول ١٩٢٣م، فوصلنا اللد المقدم ذكرها الساعة الرابعة ومنها تحولنا إلى قطار القدس

فأقلع بنا الساعة الرابعة والنصف ووصلنا الرملة بعد ١٥ دقيقة.

الرملـة

بلدة صغيرة ذات بساتين كثيرة أكثرها الزيتون وحولها قرى وضياع ماؤها من الجبال، وقد كان لها شأن خطير في صدر الإسلام إذ كانت يومئذٍ عاصمة فلسطين برمتها عمرها الوليد بن عبد الملك وأخوه سليمان صاحب جند فلسطين، وقديماً كان أهلها يشربون من آبارها المالحة ولكن كانت فيها صهاريج مقفلة خاصة بالمترفين مع كثرة الفواكه وصحة الهواء تداولتها ايدي المسلمين والإفرنج إلى أن خربها صلاح الدين سنة ٥٨٧ هـ ١١٩١م، قال ياقوت: وبقيت على ذلك الخراب إلى الآن وفيها على ما روى بعضهم (الجامع الأبيض) ويقال إنه مدفون فيه (٣٠٠) من الأنبياء والصديقين صلوات الله عليهم أجمعين ثم «النعانة» تبعد عن الرملة ١٠ دقائق حولها قرية وضيعة ماؤها من الجباب، ثم (وادي الصرار) تبعد عن النعانة ١٥دقيقة وفيها ضياع مأهولة ماؤها من الجباب، ثم (عرتوف) تبعد عن وادي الصرار ٢٠ دقيقة مأهولة بالعرب ماؤها من الجباب، ثم (دير الشيخ) تبعد عن عرتوف ٣٠ دقيقة وهي محطة مجردة، ثم (بتير) تبعد عن دير الشيخ ٣٠ دقيقة وقربها قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة أكثرها الكروم ماؤها من الجباب، ثم (القدس الشريف) وصلناها الساعة السابعة مساءً وأقلتنا إليها مركبة من محطتها الواقعة غربي البلد على مسافة ميل واحد منها ونزلنا في بيت (محمود).

القـدس الشريـف

بلدة كبيرة واقعة على هضاب متجاورة وشعاب متدانية متصلة الأبنية والعمارات من ظهور الجبال إلى بطون الأودية والشعاب، تحيط بها مع ذلك جبال شامخة من جهاتها الأربع، ويحدق بها سور قديم عظيم جداً ضخم البناء له ٤ أبواب، في كل جهة من جهاته الأربع باب، والقلعة في الجهة الغربية من قرب الباب الذي يسمى اليوم (باب الخليل) طولها ١٤٠

قدماً في عرض ٦٢ قدماً في جهتها الغربية والشرقية ٨ أبراج لكل جهة ٤ وفي جهتيها الجنوبية والشمالية ٦ أبراج لكل جهة ٣، وداخل القلعة ٤ معاقل محكمة منفردة كل معقل لا يتصل بالآخر بعضها عامر والأكثر خراب، ويحدق بالقلعة خندق عرضه نحو ٢٠ متراً في عمق ١٠ أمتار من دخل إليه لا يسعه الخروج منها، وقد عقد عليه بإزاء باب القلعة جسر وعلى الجسر حصن، فهذا السور المشار إليه يحيط بالقدس القديمة المحافظة على الطراز القديم وشوارعها ضيقة مطبقة بالحجارة وتشتمل على عدة أسواق مغطاة ومكشوفة، وأما (القدس الحديثة) فإنها خارج السور تتصل به من جهة الشمال، جديدة العمارات واسعة الشوارع والحارات حسنة الأسواق، وفي القدس كثير من البساتين يجود فيها الزيتون والكروم وتنمو فيها من الأشجار والبقول على رطوبة الهواء وبرودة الأرض ما ينمو في كثير من مدن سوريا إذ أن مناخ القدس يشبه مناخ حلب في اعتداله، وفيها ضياع كثيرة تزرع فيها الحبوب والذرة ومياهها مما يسيل إلى مصانعها من الأمطار في أيام الشتاء، وفيها من المواشي والحيوانات الأهلية الخيول الجياد والحمير والبقر والغنم والمعز ويغلب على ألوان حميرها السواد وفيها من الطيور الأليفة وغيرها ومن الدواجن الأهلية الدجاج والبط والحمام والفاختة والعصفور والخطاف والبلبل والدراج والسمّن والقطا إلا أنه اصغر من قطا العراق ويميل لونه إلى الحمرة، وفيها من الوحوش الضبع والأرنب والذئب والثعلب وابن آوى وارانبها على اشكال مختلفة والغالب على ثعالبها من الألوان الكدرة. واما فتحها على ايدي المسلمين فإن عمر بن الخطاب انفذ عمرو بن العاص إلى فلسطين ثم نزل البيت المقدس فامتنع عليه فقدم أبو عبيدة بن الجراح بعد أن افتتح (قنسرين) وذلك في سنة ١٦ للهجرة ٦٣٧م فطلب أهل (بيت المقدس) من أبي عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب، فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر فقدم عمر ونزل (الجابية) من دمشق ثم سار إلى بيت المقدس فأنفذ صلحهم وكتب لهم بذلك وكان ذلك في سنة ١٧هـ ـ

٦٣٨م وقد تداولتها بعد ذلك أيدي الدول الإسلامية إلى أن سقطت بأيدي الصليبيين الذين قصدوها من أقطار أوروبا بدافع التعصب الذميم وارتكبوا مع أهلها المسلمين افظع الفظائع الدالة على همجية اوروبا وبربريتها المتأصلة في نفوس أهلها وذلك سنة ٤٦٢هـ ـ ١٠٦٩م، وبقي (البيت المقدس) بأيدي الصليبيين ٩١ سنة إلى أن استعاده منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧م فحرك ذلك أحقاد صليبيي أوروبا مرة أخرى وخرجوا إلى محاربة المسلمين سنة ٦١٦هـ ـ ١٢١٩م ولكنهم عادوا بخفي حنين على أن التقادير الإلهية قضت بخروج (القدس الشريف) من أيدي المسلمين وسقوطه بأيدي الإنكليز سنة ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٧م ولا يزال بأيديهم إلى الآن واما ما ورد من الأخبار والآثار من طرق الفريقين بشأن هذه البقعة الشريفة المباركة وانها أقرب بقعة في الأرض إلى السماء وأنها ثالث الحرمين وأولى القبلتين وانها قرار الأنبياء ومدفنهم وأن الصلاة فيها خير من ألف صلاة في غيرها إلى هذا وغيره فمما لا يتسع الوقت لشرحه وليس هو من شروط هذه العجالة فراجعه في مواضعه من كتب الأخبار والأحاديث الشريفة.

الحرم الشريف

وأما المسجد أو الحرم الشريف فهو في الطرف الشرقي من المدينة القديمة نحو القبلة، يتصل سور المدينة بسوره فيحسبان سوراً واحداً طوله من الجنوب إلى الشمال ٦٦٠ قدماً وعرضه من المشرق إلى المغرب ٤٠٦ اقدام له ١٠ أبواب و٤ مآذن وفي وسط ساحته الشريفة مصطبة عالية ترتفع قدر ٥ أذرع كبيرة طولها ١٥٠ قدماً وعرضها مثلهن ويصعد إليها من عدة مواضع بجملة مراقٍ وسلالم وفي وسط هذه المصطبة القبة الشريفة المعروفة بقبة الصخرة تشرع إليها ٤ ابواب من كل جهة باب وفيها كثير من المواضع الشريفة والمقابر المنيفة وآثار الأنبياء والعباد والصالحين أهمها أثر قدم النبي عليه الصلاة والسلام والقبة مثمنة الشكل داخلها ١٦ عموداً من الرخام الأبيض تتألف منها ٨ أساطين أو بلاطات تقوم عليها أجنحتها الثمانية، هذا ما عدا تلك الأعمدة الرخامية التي تحمل نفس القبة ومجموعها ١٢ عموداً تتألف منها ٤ أساطين فمجموع الأعمدة داخل القبة ٢٨ عموداً والأساطين ١٢

أسطوانة، وهي من عمارة عبد الملك بن مروان سنة ٧٠ وأما الصخرة الشريفة فإن تحتها مغارة ينزل إليها بسلم عدتها ١٢ درجاً مبلطة بالرخام وهذه المغارة يصلى فيها وتزار وفيها مصلى داود (ع) ومصلى ابنه سليمان (ع)، الصخرة دورتها ٦٠ قدماً وهي كالسقف لهذه المغارة ولها رواقان عرض الأول ١٨ قدماً ومحيطه ١٥ قدماً والرواق الثاني يتألف من الأساطين التي تحمل القبة وقد مضى ذكرها وقد أنشئ ما بين هذه الأعمدة شباك من حديد محيطه ٧٠ قدماً وعرضه ما بين الشباك والصخرة مما يلي الجنوب والمغرب ٥ أقدام ومما يلي المشرق ٣ أقدام ومما يلي الشمال قدمان أما الأقصى المبارك فإنه داخل الحرم المذكور تجاه قبة الصخرة ومن الجنوب على مسافة ١٢٠ قدماً بينهما طوله ١٠٥ أقدام وعرضه ٨٢ قدماً معقود السقف على ١٠ أعمدة طولاً و ٦ عرضاً وله ١٠ أبواب منها ٧ على نسق واحد من جهة الشمال تظللها سقيفة ولكل جهة من الجهات الثلاث الباقية باب واحد ويحاذي الباب القبلي منه المنبر المشهور الذي عمل على عهد الملك نور الدين بن أيوب من الأبنوس وفيه من نفاسة الصنعة وإتقانها ما فيه ، أما عمارة المسجد الاقصى نفسه فترتقي أيضاً إلى عبد الملك بن مروان وفي الحرم الشريف (بئر الورقة) ماؤها عذب شروب منه يستقي المقدسيون لأن بقية آبار المدينة رديئة المياه، وفيه قبر سليمان بن داود (ع) في بيت يلاصق السور شرقاً طوله ١٧ قدماً وعرضه ١٣ قدماً عليه محراب من رخامة بيضاء مغطاة ببردة حريرية خضراء وليس عليه شباك، ووراء السور مما يلي الجنوب على نحو ١٠ دقائق قبر نبي الله داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام داخل جامع طوله ٥٠ قدماً في عرض ٣٠ قدماً معقود السقف على ٤ أعمدة من الرخام طولاً و ٣ عرضاً وطول صحنه ٣٠ قدماً في عرض ٢٠ قدماً، أما القبر الشريف المذكور ففي بيت مما يلي الشمال طوله ١٠ أقدام في عرض ٨ أقدام وعلى دكته بردة وليس عليه شباك، ووراء السور أيضاً على نحو ١٠ دقائق شرقاً قبر (مريم) بنت عمران (ع) عليه كنيسة عظيمة فيها مغارة عميقة ينزل إليها على ٢٠ درجة والقبر داخل المغارة في شباك مزخرف بأنواع الزخرف وضعوا عليها تمثالها، وعلى التمثال من الحلي والذهب والأحجار الكريمة والقناديل وطرائف البلور الثمينة مبالغ هائلة.

كنيسة القيامة

من أهم آثار القدس الشريف الكنيسة الكبيرة المسماة عند النصارى (كنيسة القيامة) وهي كنيسة فخمة البناء وثيقة الأركان يرتقي عهدها إلى سنة ٧٥٠ من تاريخ الميلاد فيها تمثال عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام على هيئة الصليب في حالة الصلب وتمثاله على المغتسل وليس في البيت الذي يشتمل على تمثال صلبه شيء من النفائس الظرائف، وفي الكنيسة أيضاً تمثال مريم (ع) في حالة الحزن وتمثال حوارياتها المواسيات لها في ذلك وفي هذه يحضر البطريرك الكبير ويجلس تحت قدمي المسيح (ع)، وعلى القبر المذكور شباك مموه بالذهب مطعم بالفضة وفيه من النفائس المعلقة والأحجار الثمينة مقادير كبيرة وداخل هذا الشباك شباك ثان فيه القبر علقت عليه درة ثمينة ما عدا سائر الأحجار واليواقيت ويقف على باب القبر في كل ساعة راهب بهيئة الحزين ومن أبدع التماثيل في الطابق الثاني من هذه الكنيسة تمثال مريم يحكي الممثل تماماً وعليه من الحلي ما يعجز القلم عن وصفه وتقديره، وفي الغرف أيضاً من الجواهر والأحجار الثمينة والنفائس المعلقة أكثر مما على قبر مريم وعيسى (ع) هذا فضلاً عن عدد كبير من التماثيل والأقانيم القديمة والحديثة.

وهذه الكنيسة أقدم كنائس النصارى وأهمها في الشرع وفيها لكل فرقة من فرقهم معبد خاص، ولكن مفاتيحها مع ذلك بيد المسلمين منذ بدء الفتح الإسلامي إلى الآن عملاً بما اشترطه على نصارى القدس عمر بن الخطاب في مقابل ترك الكنيسة المذكورة على حالها لأن المسلمين حولوا كثيراً من الكنائس في الفتوح الإسلامية إلى جوامع.

ولما انسحب الأتراك من فلسطين واحتلها الإنكليز حملت إليهم المفاتيح المذكورة فردوها على خازنها من المسلمين قائلين إن البلاد إسلامية فيجب أن يبقى القديم على قدمه إلى هذا وغيره من إحوال هذه الكنيسة مما لا يمكن بسطه في هذه العجالة واعلم أن ما تقدم ذكره من المقابر والمعابد والمشاهد إنما هو في القدس نفسها وهناك في أعمالها ونواحيها كثير من قبور الأنبياء ومشاهدهم الشريفة كما ستعرفه من قريب.

الخليل

قصدنا بعد القدس زيارة الخليل يوم الجمعة ثاني صفر سنة ١٣٤٢ هـ ١٤ أيلول ١٩٢٣م حيث أقلتنا إليها سيارة الساعة السابعة صباحاً، إذ ليس بين البلدتين سكة حديد، فقطعنا المسافة إليها في ساعة، وهي مدينة أصغر من القدس القديمة تحيط بها من جهاتها الأربع جبال شاهقة وفيها بساتين أكثرها الكروم وماؤها من الآبار وفيها من المواشي والحيوانات الأهلية والوحشية والطيور ما في القدس، وقد سميت بخليل الله إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وهي من المدن القديمة في فلسطين قال ياقوت: الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي (حيرون) وقيل (حيري) وفي التوراة أن الخليل اشترى من (عفرون) بن (صوحار) الحيثي موضعاً بأربع مائة درهم فضة ودفن فيه (سارة) وهو موضع طيب نزه روح إثر البركة ظاهر عليه ويقال إن حصنه من عمارة سليمان بن داود (ع).

جامع الخليل

وفي الخليل جامع له من الشأن والجلال والبهاء الإلهي ما ليس لغيره وفيه من التأثير على نفوس قصاده والأخذ بمجامع قلوب رواده ما لا يعهد في سواه مع أنه خال من الزينة والزخارف ولا إثر فيه للصنائع والطرائف، ولم لا يكون كذلك وقد اشتمل على قبور أنبياء الله ورسله وسفرته إلى الخلق من قبله، ففيه من قبورهم الشريفة قبر خليل الله إبراهيم وسارة زوجته وقبر إسحاق ابنه وقبر يوسف وابيه يعقوب على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فما أشرف بقعته من بقعة وما أشرف تربته من تربة.

وطول هذا الجامع المبارك ١٠٥ أقدام في عرض ٢٤ قدماً معقود السقف على ٤ بلاطات وله ساحة على طوله وعرضه ٢٠ قدماً وقبر الخليل في بيت ما بين الجامع وصحنه مما يلي الجنوب طوله ١٥ قدماً في عرض ١٠ أقدام وخلفه قبر سارة مما يلي الشمال بينهما مسافة ٥ أقدام وعلى قبريهما محرابان من الرخام الأبيض قد غشيا ببردتين من الحرير الأخضر ودون كل قبر على عرض البيت شباك من البرنز الأصفر وتجاه هذا البيت

أي (الحجرة) بيت ثان بمقداره فيه مما يلي الشمال قبر يعقوب (ع) ومما يلي الجنوب قبر يوسف (ع) عليهما محرابان وستارتان وشباكان كما رأيت في قبر الخليل، أما قبر إسحاق وزوجته ففي وسط الجامع عليه مشبك من الحجر الطبيعي. رجعنا من يومنا إلى القدس الشريف بعد قضاء الوطر من زيارة الخليل وبتنا ليلة السبت فيها وبارحناها صباحاً على القطار إلى (اللد) حيث وصلنا الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وانتقلنا إلى قطار (سينا) وقد بارح اللد الساعة ٥ و٣٠ دقيقة فوصلنا محطة (رخبوط) وهي من على ١٥ دقيقة من اللد حولها قرى وبساتين ماؤها من الجباب، ثم (يبنة) تبعد عن رخبوط ١٠ دقائق حولها قرية ماؤها من الجباب، ثم (مجدل) وتبعد عن يبنة ٢٠ دقيقة وهي قرية كبيرة حولها بساتين وضياع كثيرة ماؤها من الجباب، ثم (دير سينا) وتبعد عن المجدل ٢٥ دقيقة حولها قرى وضياع ماؤها من الجباب، ثم (غزة) وتبعد عن دير سينا ٢٥ دقيقة.

غـزة

بلدة كبيرة تخترقها السكة الحديدية وهي ساحلية والبحر منها على مقدار ميل وعمارتها على الطراز القديم وحولها قرى وضياع مأهولة بالعرب وماؤها من جباب وهي بلدة قديمة سماها العرب قديماً (غزة هاشم) لأن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ مات فيها وعمره ٢٥ سنة وقيل ٢٠ وبها قبره. قال ياقوت: غزة مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. ثم (خان يونس). تبعد عن غزة ١٥ دقيقة وفيها قرية ماؤها من الجباب، ثم قبر (عمير) وتبعد عن خان يونس ١٠ دقائق وهي محطة مجردة قفراء ماؤها من القطار، ثم (العريش) وتبعد عن قبر عمير ٢٠ دقيقة.

العـريـش

بلدة كبيرة على شرق السكة الحديدية فيها نخل كثير وليس فيها عمارة ضخمة وماؤها من الجباب، وقد انحطت عما كانت عليه قديماً فقد قال الحسن بن محمد المهلبي: مدينة العريش مدينة جليلة كانت حرس مصر أيام

فرعون وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرة وفيها جامعان ومنبران وهواؤها صحيح طيب وماؤها حلو عذب وبها سوق جامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير وصنوف من التمور ورمان يحمل إلى كل بلد بحسبه وأهلها من جذام. ثم (مزار) وتبعد عن العريش ٣٠ دقيقة وهي محطة مجردة ماؤها من القطار، ثم (العبد) مثلها وتبعد عنها ٢٥ دقيقة، ثم (الخربة) كذلك وتبعد عن العبد ١٠ دقائق، ثم (القنطرة).

القنطـرة

اسم محطة سينا الواقعة على ترعة السويس وصلناها الساعة الخامسة بعد الظهر ولم ننج فيها من تبعات العراق وذلك أن الأنباء كانت قد حملت إلينا قبل حركتنا من سوريا خبر تلوث العراق بالهيضة، فقررت مديرية الصحة في مصر وضع الحجر الصحي في القنطرة على الداخلين إلى مصر من العراق فدخلنا الحجر بعد الاطلاع على جوازاتنا وأمضينا فيه ٥ أيام ثم برحنا القنطرة يوم الخميس في ٨ صفر سنة ١٣٤٢هـ ٢٠ أيلول ١٩٢٣م عابرين ترعة السويس إلى محطة مصر في ضفتها الأخرى.

ترعـة السويـس

هي الحد الفاصل بين آسيا وأفريقيا الواصل بين البحرين البحر الأحمر والبحر الأبيض أو بين بحر العرب وبحر الروم عرضها نحو ٧٥ متراً وعمقها ٢٠ متراً تمخر فيها البواخر والسفن الشراعية الكبار وليس على ضفتيها بلدان ما عدا قرى الفلاحين والصيادين. مخرجها من البحر الأبيض حيث قامت مدينة (بورت سعيد) وهناك للإنكليز معاقل حربية منيعة ومنتهاها في البحر الأحمر حيث قامت مدينة (السويس) قرب أطلال مدينة (القلزم) المعروفة هي وخليجها في تاريخ العرب والمسلمين، وهناك أيضاً للإنكليز معاقل حربية حصينة وطول هذه الترعة من مخرجها إلى منتهاها (٢٥٠) ميلاً وقد قام بحفرها المهندس الإفرنسي (دلسبس) سنة ١٢٩٧هـ ١٨٧٩م على نفقة شركة فرنسية إنكليزية كان هو رئيسها وللحكومة المصرية

بعض الأسهم فيها مقابل إعطائها امتياز حفر الترعة للمهندس المذكور وقد تم حفر الترعة وفتحها على عهد الخديوي إسماعيل واحتفل بفتحها احتفالاً لم يسبق له مثيل في الإسراف والبذخ ولا تزال مصر تشكو من عواقبها الوخيمة إلى الآن وأقيم للمهندس المذكور تمثال على فم الترعة وقد قلقت إنكلترا قلقاً عظيماً على الهند منذ المباشرة بحفر الترعة وأدركت أنها أخصر الطرق وأقربها إلى مستعمراتها هناك فاتخذت جميع الوسائل لامتلاكها والسيطرة عليها حتى تدخلت بشؤون الحكومة المصرية ورسخت قدمها باحتلال البلاد، وقد عبرنا الترعة على قارب وذلك بعد قضاء مدة الحجر الصحي وركبنا القطار المصري نحو القاهرة.

مصر القاهرة

وصل القطار إلى محطة مصر القاهرة الساعة الخامسة بعد الظهر ونزلنا في نزل (القلوب) جوار مشهد رأس الحسين (ع)، وهي على ثلاثة اقسام مصر القديمة أو العتيقة وهي (الفسطاط) التي اختطها المسلمون في بدء الفتح وذلك بعدما أذن عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص في المسير إلى مصر وسار إليها وفتحها يوم الجمعة مستهل سنة ٢٠ للهجرة (٦٤٠م) ثم اجمع على المسير إلى الاسكندرية، فسار إليها في ربيع الأول سنة ٢٠ وأمر بفسطاطه أن يقوض فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه فقال: (لقد تحرمت بجوارنا أقروا الفسطاط حتى تنقف وتطير فراخها).

أما القسم الثاني من المدينة فيسمى مصر الوسطى وهي (القاهرة) التي انشأها الفاطميون بجانب الفسطاط وأول من أحدثها جوهر الصقلي قائد المعز أبي تميم معد بن إسماعيل الملقب بالمنصور ابن أبي القاسم، كما قام جوهر ببناء الجامع الأزهر وبفضل وجود هذا الجامع أصبحت المدينة محط رحال الطلاب والعلماء.

وفي المدينة مشهدان معظمان من مشاهد أهل بيت النبوة (ع) الأول مشهد رأس الحسين (ع) حمل على ما يدعون من الشام ودفن في مصر والثاني مشهد السيدة زينب بنت علي (ع) يذكرون أنها جاءت مع الرأس وتوفيت في مصر مع أنه لا صحة للأمرين معاً.

امتدت إقامتي في مصر القاهرة عشرة أيام، وفي أيامها الأخيرة جاءني ضابط انكليزي ومعه شرطي مصري، فسلمني برقية من ياسين الهاشمي الذي كان قد استوزر بمنصب وزير للأشغال والمواصلات في وزارة عبد المحسن السعدون الأولى، ينقل فيها قراراً عن جلالة الملك بوجوب عودتي إلى العراق بعد أن انتهت انتخابات المجلس التأسيسي.

رحلة العودة للعراق

بارحنا القاهرة يوم الخميس ١٥ صفر سنة ١٣٤٢هـ ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٣م، وركبنا القطار إلى بورت سعيد فالقنطرة ومنها عبرنا ترعة السويس من محطتها إلى سيناء فتأخرنا فيها إلى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل وفيها ركبنا القطار إلى اللد في فلسطين التي وصلناها الساعة السابعة صباحاً ولم نتأخر فيها إلا ٣٠ دقيقة بمقدار نزول المسافرين وركوب غيرهم ثم واصلنا المسير إلى حيفا وفيها تحولنا إلى قطار دمشق التي وصلنا محطتها ليلة السبت في ١٧ صفر سنة ١٣٢٤هـ ٢٩ أيلول ١٩٢٣م فأقمنا فيها ١٤ ليلة.

ومرة ثانية رحب بي أهل الشام ومن فيها من العراقيين أجمل ترحاب ولو تسنى لي الإقامة بينهم أشهراً طوالاً لما انتهت ضيافتهم وترحابهم بي وهكذا كنت لأربع عشرة ليلة بين مستقبل ومودع إلى أن حل يوم عودتي إلى العراق ولسان حالي يقول:

وهى عنك يا أرض العراق التجلد   فعدنا إليك اليوم والعود أحمد

خرجنا من دمشق الشام في طريقنا إلى العراق ليلة السبت ٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٣م سالكين طريق البادية على السيارات بقافلة متكونة من ثلاث عربات فوصلنا عذراء وهي آخر قرية من قرى الشام القديمة قال ياقوت فيها: هي قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان وبها قتل حجر بن عدي الكندي وبها قبره وقيل إنه هو الذي فتحها.

أخذنا طريقنا في وادي حوران المشهور فوصلنا إلى مكان يقال له (الرطبة) في سبعة جباب يربع حولها بعض من عشائر عنزة كالعمارات

والرولة وأما في الصيف فتنزل العمارات أرياف العراق وتنتجع الرولة مشارف الشام ولا يقيم في هذا الموضع من حوران إلا بدو الصليب ويقال أنهم من بقايا العرب البائدة.

ثم واصلنا السير من حوران بقية النهار وهزيعاً من الليل وكان مبيتنا في الصحراء وبعدها سرنا ووجهتنا بلدة الرمادي، فعرض لنا في الرمادي ما عاقنا بقية النهار واضطررنا إلى المبيت فيها ليلة واحدة ثم غادرناها إلى الفلوجة ومنها إلى بغداد فوصلنا الساعة الرابعة والنصف نهاراً من يوم الثلاثاء في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ ١٦ تشرين الأول ١٩٢٣م حيث ذهبنا رأساً إلى الكاظمية للتبرك بزيارة مشهد الإمامين (ع)، وفي صبيحة الأربعاء ذهبنا إلى بغداد بقصد زيارة جلالة الملك فعلمنا أن جلالته توجه قبل وصولنا بأيام إلى الموصل، فأقمنا بالكاظمية إلى أن عاد بعد ثلاثة أيام فأسرعت إلى زيارته في قصره المعمور وحظيت بلقياه فعاتبني على مقاطعة الانتخابات معتقداً أني أعارض في أصل الانتخابات والحال أني أوافق من صميم القلب عليها وإني اعترض على وسائل الشدة والعنف التي يتذرعون بها لإجراء الانتخابات كما رأيت في مقدم الرحلة، وقد أعدت على مسامع جلالته رأيي هذا وقلت له إني ما عارضت ولم اعارض الانتخابات ولكني أحببت أن تجمع بين رضا الأمة وعلمائها وبين مقاصدك في الانتخابات وكنت أخشى من وقوع هذه الضجة القائمة الآن حول الانتخابات فاستحسن ذلك وأبدى ما أبدى من العطف والحنان ثم استأذنته بالرجوع إلى محل إقامتي في الشامية فأذن وكان خروجي من بغداد ليلة الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٣ حيث ركبنا القطار إلى الديوانية فوصلناها الساعة الثامنة صباح الجمعة ووجدنا محطتها مكتظة بالمستقبلين بينهم ما يربو على مائتي فارس من أهل الشامية عدا ما هرع إلى المحطة من أهل الديوانية فكان استقبالاً شائقاً وقد امتطينا ظهور الجياد إلى البلدة حيث تناولنا طعام الغداء في بيت محمد الحاج حسن على مأدبة نفيسة جمعت ما لذ وطاب ثم بعدها قصدنا الشافعية بدعوة من السيد عباس السيد سرحان من أعيان المنطقة وسادتها.



السيد محسن أبوطبيخ عام ١٩٢٤

وبحلول يوم السبت قصدنا محلنا في الشامية والتقينا الأهل والأصدقاء شاكرين ذا الجلال والإكرام الذي أعادنا إلى ديارنا سالمين وختم لنا هذا السفر معززين محترمين منشدين قول الشاعر:

والقت عصاها واستقر بها النوى   كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

أما العلماء الذين تم تسفيرهم من قبل الحكومة والذين غادروا البلاد احتجاجاً فقد سُمح لهم بالعودة إلى ديارهم بعد رجوعي بفترة قصيرة وللأسف فإن الشيخ مهدي الخالصي قد وافاه الأجل في منفاه بإيران، وعاد من بعده أولاده ليلعب احدهم دوراً في مجرى الحوادث القادمة في العراق.

ولي أن أؤكد في أني حينما رجعت إلى الوطن، لم يؤثر هذا الأمر عليَّ وعلى إخلاصي ولا على مزاولة أعمالي لخدمة البلاد، بل ضاعفت في نشاطي إلى العمل، بجد وإخلاص وفاءً لما وعدت به نفسي وإرضاءً لوجداني. . .

في مجلس النواب

في الانتخابات التي جرت في ٢٢ كانون الأول ١٩٢٤، لأول مجلس نيابي في العهد الوطني، تم (اختياري) عضواً عن لواء الديوانية وقد صاحب حملة التصويت هذه ضجة كبيرة في الأوساط الشعبية، عن توجهات الحكومة السعدونية ومنهاجها السياسي، ومدى ارتباطها بتنفيذ رغبات المندوب السامي، في تحقيق خططه لترسيخ الانتداب، بعد أن استمر الصراع بين الوطنيين والنفوذ الإنكليزي متمثلاً في شخص جلالة الملك فيصل الذي حاول دوماً الجمع بين الاتجاهين سلمياً وتجنب إثارة الأزمات[١].

تشرفت بزيارة جلالة الملك بعد انتخابي لأعرب له عن عظيم ثقتي من أن دوري مهما كان صغيراً داخل المجلس فإنه سوف يكون حائزاً على دعمه ورضاه، واطلعني جلالته على مناورات الإنكليز للضغط عليه وعلى حكومته للرضوخ لمطاليبهم بشأن المعاهدة الجديدة التي ستحل محل معاهدة عام ١٩٢٢ وأنهم صارحوه بكل وضوح أن الثمن الذي سيدفعه العراقيون في حالة الرفض هو العراق بدون لواء الموصل[٢]. فأبديت له استعدادي التام للوقوف بجنبه وبجانب الحكومة بغض النظر من يكون على رأسها الآن أو فيما بعد.

وبعد أيام زرت فخامة عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء وأخبرني بمثل ما أخبرني به جلالة الملك عن ربط الإنكليز مصير وحدة العراق بتصديق المعاهدة، وانه من أجل التغلب على المصاعب داخل المجلس وتفادي تنفيذ الإنكليز لتهديداتهم لا سيما وأنهم يتفاوضون على موضوع الموصل مع الأتراك بنفس الوقت ـ فإنه عازم على تأليف حزب برلماني

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية الجزء الثاني الطبعة الثالثة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥، مطبعة العرفان، صيدا راجع الصفحات ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) أ ـ م ـ منتشا شغيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨ الصفحة ٢٤٤ ـ ٢٤٥ «لقد استطاع الإنكليز حتى نهاية ١٩٢٤تهدئة البلاد ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد بدأت في بداية ١٩٢٥اضطرابات جديدة في العراق بخصوص أزمة الموصل التي أثارتها إنكلترا» «إن أزمة الموصل هي أول أزمة دولية خطيرة ظهرت في الشرق الأدنى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى».
ـ الدكتور فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية ـ البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨، راجع المصدر السابق، الصفحات ١٣٩ ـ ١٤٦.

للحصول على الأكثرية حين التصويت على المعاهدة.

وقد أعلن السعدون فيما بعد عن تأليفه رسمياً وأسماه بحزب التقدم[1]. لقد شعرت بخطورة المسؤولية التي نحن إزاءها، وأن التكاتف أمر يستوجب اهتمام الجميع وترك الحزازات والتفرقة في مثل هذه الأزمة شيء لا مفر منه حفظاً للمصلحة الوطنية، ومن عقيدتي هذه قررت الانتماء إلى حزب التقدم[2] والوقوف بجانب أي توجه من قبل البلاط والحكومة لصيانة وحدة العراق. ولم يكن ضم صوتي إلى جانب من أيد المعاهدة[3] إلا من أجل هذا الهدف الذي حاربنا من أجله، وقد رأيت أن الأيام أمامنا لتعديلها بأحسن منها أو إلغائها إن تمكنا، وخير دليل على ذلك هو هذه المعاهدة بحد ذاتها والتي حلّت محل تلك التي عقدت عام ١٩٢٢ وكبلت العراق بقيود الانتداب والحكم الإنكليزي المباشر.

لقد هيأ لي انتخابي من قبل أعضاء المجلس في ١ تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٢٧ نائباً لرئيس مجلس النواب وترؤسي للعديد من جلسات المجلس للنظر في الكثير من القوانين ومناقشة الكثير من اللوائح ومشاركتي في اللجان المتخصصة في المجلس التي تبت في أمور لها علاقة مباشرة باستقرار البلد وتقدمه مقدار ما للمصالح الخاصة من أقدمية وأهمية على حساب المصالح العامة.

ولم تمض فترة طويلة بعد تصديق المعاهدة حتى شعرت أن التكتل الحزبي داخل المجلس أصبح الآن مجرد نزاع وتنافس على السلطة والمناصب

---

(١) عبد الجبار عبد مصطفى، تجربة العمل الجبهوي في العراق بين ١٩٢١ ـ ١٩٥٨، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨، الصفحة١٠٠ «فكان حزب التقدم، الذي تألف في ٢٦ حزيران ١٩٢٥ أول حزب نيابي، عمل على إسناد وزارة السعدون وتمرير قوانينها في البرلمان».
ـ احلام حسين جميل، الأفكار السياسية للأحزاب العراقية في عهد الانتداب ١٩٢٢ ـ ١٩٣٢الصفحة ٥٠ ـ ٥٦ راجع الأحزاب السياسية في العهد الدستوري.

(٢) الدكتور فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢٠ ـ ١٩٣٢، مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٧٨الصفحة ١٦٥ «أسماء أعضاء الهيئة الإدارية لحزب التقدم: «وبينهم من عمل في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ممن كان لهم تأثير واضح في الفرات الأوسط وكربلاء والنجف ـ محسن أبو طبيخ وقاطع العوادي».

(٣) السيد عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الثاني، مطبعة العرفان ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.
راجع الصفحات: ١٣٢ ـ ١٣٤ «موقف النواب».

وأن مثل هذا التكتل هو أداة بيد من يريده لتمرير سياسته ضد سياسة الآخرين فوق مصلحة الدولة والأمة.

فبعد استقالة الوزارة السعدونية الثالثة في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٩، قام بتأليف الوزارة توفيق السويدي وهو أقرب رجل إلى دار الاعتماد الإنكليزي، وكان مجيئه إلى الحكم الحافز الذي دعاني إلى إعادة النظر في ارتباطي بحزب التقدم، لاسيما حينما وقف رئيس الوزراء هذا بوجه الملك فيصل عندما طلب منه الاستقالة ورفضها بحجة قانونية مما خلق بادرة سياسية خطيرة سوف يعاني منها العراق لأمد طويل، ما لم يتم تعديل قوانين الدولة بوضوح للفصل بين السلطات الدستورية، وصلاحيات الملك، والفصل التام الحاسم والذي لا يقبل أي تفسيرات بين السلطات الدستورية الثلاث مما لا يدع مجالاً لأي كان لاستغلال الفرص على حساب مصلحة الأمة.

الطائفية

ان ما كان يقلقني وأخشاه منذ سنوات طويلة من أن تأخذ الطائفية طريقها إلى دواوين الدولة ويتبناها من هم في الحكم[١]، وقد فُتح الباب على مصراعيه لذلك في عهد تولي عبد المحسن السعدون لرئاسة الوزراء وأصبح جزءاً من سياسة الحكومة التوجه بأعمال تعوزها الحكمة السياسية وبعد النظر خاصة بما يتعلق بالتعامل مع تطلعات الشيعة عموماً وقادتهم خصوصاً، وبالذات في مجال المناصب الحكومية التي أصبح التمثيل الشيعي فيها في بعض الأحيان أقل مما تناله الأقليتان اليهودية والمسيحية[٢]، وخير

(١) لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، الطبعة الثانية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٧٩
الصفحة ٨٦ إلى ٩٢ حول تدابير السعدون تجاه كتلة رجال الدين:
ـ الذي يلفت النظر في سياسة السعدون تجاه معارضي الانتخابات من رجال الدين أنه اختص بالعقاب منهم برجال الدين الشيعة في الوقت الذي عارض الانتخابات أعيان رجال الدين من السنة والمسيحيين في بغداد والموصل وقد تجاهل السعدون معارضتهم هذه بينما أنزل أشد العقوبات بالعلماء الشيعة المعارضين.

(٢) Hanna Batatu, The Old Social Class and the Revolutionary Movement of Iraq, Princeton University Press1978

دليل على ذلك هو أسلوب توزيع المناصب الوزارية وتعيين كبار موظفي الدولة ومتصرفي الألوية وموظفي الإدارات المحلية. أثرت هذا الموضوع للسعدون نفسه، ناصحاً تارة ومحذراً تارة أخرى من مغبة المضي في تجاهل حقوق الأكثرية الشيعية وما قد ينجم عن ذلك من أمور وردود فعل طويلة الأمد تنعكس على مستقبل العراق لأجيال تأتي. فوجدت لديه صورة قد أخذ مفهومها من ثقافته التركية مضافاً إليها تأجيج الحقد الإنكليزي، فتولد عنده فكر متعصب ضد الشيعة لا يمكن إخفاؤه وهذا ما برز في تصرفاته ليس معي شخصياً بل ومع قادة الشيعة من رجال الدين والفكر. وإني في حين لا أبخس مقدرته السياسية، وقد تعاونت معه من أجل المصلحة العليا، إلا أن أخطاءه الكبيرة التي اقترفها تجاه الشيعة وتبنيه سياسة مفتوحة مبنية على الطائفية في توزيع المناصب وتدخله الواضح في التأثير على علاقات الملك وقراراته تجاه أحداث معينة، كل هذه المسائل كان لها أسوأ الأثر على سير الأمور وتأزمها في الفرات الأوسط فيما بعد. هذا ما دعاني إلى البوح بمخاوفي من تصرفاته هذه ليس للملك فقط، بل حتى للمندوب السامي ومستشار وزارة الداخلية، فلمست أن السعدون رحمه الله قد وقع ضحية للإنكليز في أتباع سياسة فرق تسد تماماً مثلما وقع ضحية لمناورات الإنكليز الخبيثة في مفاوضات المعاهدة.

وبالرغم من خطورة الأوضاع في كافة أنحاء القطر بسبب تزايد المعارضة للمعاهدة وجراء سياسة السعدون هذه، خاصة موقفه تجاه العلماء إبان أزمة مقاطعة الانتخابات بات الكثير من مشايخ الفرات وساداتها ومفكري النجف وكربلاء في ريبة منه، وعندما انتخبت عضواً في مجلس النواب أخذ الكثير من هؤلاء القوم بالتردد عليَّ سواء في داري ببغداد أو

= حنا بطاطو، العراق ـ الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول
ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الابحاث العربية بيروت ١٩٩٠
الصفحة ٨٦ «... فقبل سنة ١٩٤٧ لم يكن شيعي واحد قد وصل إلى منصب رئاسة الوزراء... ومع ذلك، فلم يكن للشيعة أبداً وزن تقريري على المستوى الحكومي».
الصفحة ٦٩ الجدول رقم (٤ ـ ١) المناصب الوزارية الشيعية في العهد الملكي (١٩٢١ ـ ١٩٥٨) باستثناء منصب رئاسة الوزراء.

في محلي في الشامية وغماس والكل عامل في سبيل تكوين مشروع للخروج بجواب لهذه المعضلة التي أخذت تتفاقم، وقد زارني في أحد سفراتي للنجف الشيخ باقر الشبيبي[1] ومعه عدد من المشايخ وتحدث عن تكوين جمعية إسلامية لتكون نواة لحزب في المستقبل تتحمل مسؤولية النطق باسم الطبقة الشيعية جهاراً طالما أن الحكومة في الوقت الحاضر لا تعير أهمية لهم لعلمها بتفرقهم وتشتت آراء قادة الرأي فيهم. لم أكن متحمساً لما طرحه الشيخ الشبيبي وقد حذرته من خطورة مثل هذا الأمر فيما إذا سيطر عليه أفراد متطرفون.

وصلتني في تلك الآونة الكثير من الرسائل كما جاءني الكثير من الرسل يحملون نفس ما نطق به الشيخ وكنت دوماً أرد عليها وعلى الرسل بما يستوجب الحيطة والحذر، ولم يدر بخلدي أن الكثير من هذه الرسائل كانت مدسوسة من قبل رجال المستشارين الإنكليز في المدن المقدسة ولواء الديوانية، ولم أستغرب البتة عندما طلبني المفتش الإداري للواء الديوانية جون كلوب في ليلة ١٨ ذي الحجة ١٣٤٤ هـ المصادف ٢ حزيران (يونيو) ١٩٢٦م وكنت قد وصلت لتوي من بغداد، فبادرني بوجوب التوقف عن افعالي التي هي الاتصال بمشايخ الفرات الأوسط وعلماء النجف وكربلاء وانه على «علم تام بها» مشيراً إلى أن الاستمرار بهذه الاتصالات فيه الكثير من المخاطر ليس على مستقبلي السياسي ولكن على ما قد تجرّه على المنطقة ككل. وقد فهمت منه أن لديه ما يشير إلى أني والبعض من أصحابي رفقاء ثورة العشرين على اتصال مستمر لتكوين جبهة ذات أفكار انفصالية هدفها

(١) لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، المصدر السابق الصفحة ١٧٧ ـ ١٨٠ «الوزارة السعدونية الثانية» «ولم يقلق راحة السعدون سوى محاولة نائبي المنتفك (السيد عبد المهدي، الشيخ باقر الشبيبي) لتأسيس حزب سياسي في أوائل آب ١٩٢٥، فقد اعتبر السعدون النائبين المذكورين (مفسدين) غرضهما بث الشقاق والتفرقة بين السنة والشيعة بتأسيسهم حزباً سياسياً قائماً على الأساسات المذهبية والمطامع الذاتية..»

«ففي ٢٠ آب ١٩٢٥ أخبر السعدون الملك قائلاً: «كنت عرضت لجلالتكم في السابق أن بعض نواب الجعفرية ساعون إلى تأسيس حزب سياسي وتوسيع اشتراكهم في إدارة الحكومة والآن قد حصلت لي القناعة أن ليس في هذه التشبثات ما يوجب القلق».

تكوين ما هو أقرب إلى حكومة شيعية في الفرات الأوسط[1]. لم أرد عليه بالنفي لكي لا أكون مدافعاً عن ذنب لم أقترفه ولكن أبديت له أن التذمر شامل وعام جراء سياسة التميز ضد الشيعة وما دامت هذه سياسة الإنكليز فإن ما جاء به سوف يبرز إلى حيز العلن سواء عاجلاً أم آجلاً وعندئذٍ سأكون أنا في مقدمة القوم للمطالبة بمثل هذا المشروع أو غيره إلى أن ينال أبناء الشيعة قسطهم من هذا الوطن الذي ضحوا بقدر عظيم وغالٍ من أجله.

الرحيل إلى المنفى الثاني

في شهر تموز (يوليو) ١٩٢٦ وردتني برقية من المتصرف في الديوانية يطلب بها حضوري مستعجلاً، كنت آنذاك في غماس أشرف على ارواء مزارعي في الوقت الذي كنا نعاني من شحة في المياه وهي مزروعة بالشلب (الرز) الذي يتطلب عناية فائقة في الزراعة والري.

توجهت إلى الديوانية في اليوم التالي فقابلت المتصرف جميل العزاوي الذي أشار بصورة واضحة أن الطلب باستدعائي جاء بناءً على مشورة من المفتش الإداري، كلوب، وكنا نلقبه (أبو حنيك)[2]، لم يوضح المتصرف

---

(١) حنا بطاطو، المصدر السابق، الطبعة المترجمة الصفحة ٢٧٧ «ففي العام ١٩٢٦، مثلاً، كان محسن (أبو طبيخ) مشغولاً بإرسال الرسل إلى مختلف «السادة» والمشايخ على الفرات لكسب تأييدهم لتركيبة عشائرية تضمن حماية «حقوق» الزعماء العشائريين... ومن اجل دولة دينية (ثيوقراطية) للعشائر الشيعية على الفرات لا تدين إلا بولاء اسمي لحكومة العراق...»
استناداً على تقرير مستشار الديوانية بهذا الخصوص:
Letter Dated 26 June1926 from the Administration Inspector of Diwaniyyah to the Advisor of the Minister of Interior File NO:277
File NO: 277on"Sayyid Muhsin Abu-Tabikh".
الطبعة الإنكليزية راجع الصفحة ١٩٤

(٢) كلوب، جون بكوت، أول تعيينه في عام ١٩٢٢، في المنطقة الجنوبية بلواء الناصرية وكان يعمل حينذاك كضابط مخابرات للقوات الجوية البريطانية، ثم نقل إلى الديوانية عام ١٩٢٣ بنفس الرتبة والمهمة وفي عام ١٩٢٦ تم تعيينه مفتشاً إدارياً للواء الديوانية ولقبه الناس أبو حنيك لإصابته بطلق ناري في أسفل وجهه أصيب على أثره بتشوه في حنكه، عمل بعد ذلك في الجيش الأردني كمشاور عسكري إلى أن أخذ على عاتقه تكوين الجيش الأردني الحديث. واحيل على التقاعد في عام ١٩٥٦ من قبل الملك حسين، توفي في لندن عام ١٩٨٦، ألف العديد من الكتب وجميعها تتحدث عن خدمته في الجيش البريطاني ومهامه - كجاسوس - في المخابرات الجوية البريطانية وعلاقته بالعرب أثناء قيامه بواجباته هذه وأهمها =

أسباب استدعائي وأشار عليَّ بمراجعة المفتش الإداري للتعرف على ما عنده.

كانت تربطني علاقة جيدة بكلوب هذا بالإضافة لما أعرفه عنه من مرونة وخبث. وعند دخولي عليه كان في غاية الغطرسة على غير عادته ولم يخف من غضبه غير احمرار وجهه واوضح لي أنه استدعاني ليطلب مني التوقف عن تحركي المستمر في منطقة الفرات والاتصال مع رؤساء العشائر ورجال الدين في النجف من أجل خلق تكتلات عشائرية، وعندما انتهى من كلامه أخبرني أن مستشار الداخلية كورنواليس يطلبني ويتوقع حضوري في بغداد على وجه السرعة.

وفي اليوم التالي وصلت بغداد ولتوي توجهت إلى مقر مستشار الداخلية في القشلة وهناك قابلت كورنواليس. لم تختلف مقابلتي معه عن تلك التي جرت قبل يوم مع كلوب المفتش الإداري للواء الديوانية إنما أضاف من أنه غير مرتاح من عموم تصرفاتي في اللواء وأن لديه تقارير لا تقبل الشك بكافة تحركاتي واتصالاتي زماناً ومكاناً. وهذا ما لا اشك فيه نظراً لكثرة الجواسيس المبثوثين في الفرات وللأسف فإن معظمهم إن لم يكن كلهم كان من أبناء المنطقة. لم أكن اتوقع أن يكون الأمر بهذه الخطورة، إذ بعد مرور يومين من مقابلتي مع كورنواليس وعندما كنت في ديوان مجلس النواب اتصل بي مدير التشريفات في البلاط ليخبرني أن موعداً قد حدد لي لمقابلة الملك فيصل في اليوم التالي.

توقعت أن الملك سوف يعيد على مسامعي ما قاله مستشار وزارة الداخلية فعندما دخلت عليه وانا في حيرة من أمري، بادرني بالسؤال عن مزارعي ومشكلة شحة المياه في الفرات بعدها انتقل مباشرة إلى ما كنت انتظره فأشار إلى ما يعانيه شخصياً من طلبات الإنكليز المتناهية ووصف الوضع (نحن في مرحلة عصيبة مع الإنكليز) بأنه متوتر وأنهم يثيرون المتاعب في كل مرحلة يتفاوض معهم عليها، في المعاهدة وملحقاتها (جملة وجملة)

= كتاب (مغامرات عربية) عن خدمته كضابط مخابرات في المنطقة الجنوبية من العراق ثم الصحراء الغربية العراقية ومقره في الرمادي وبعدها في الفرات الأوسط ومقره في الديوانية وينتهي الكتاب قبيل تعيينه بمنصب المفتش الإداري في لواء الديوانية عام ١٩٢٦.

على حد تعبيره، وأردف مبيناً تخوفه من إثارة المشاكل من قبلهم، حتى نوّه بإثارة قبائل الأخوان النجدية الوهابية وتعدياتهم علينا في الحدود الغربية جنوب السماوة إلى كلوب نفسه، وأنهم الآن يهددون العراق باقتطاع لواء الموصل وأنهم ولا شك يريدون خلق اضطراب داخلي وأخطر ما يمكن أن يحدث هو اضطراب عشائري في الفرات الأوسط واطلعني الملك على أني وبعض الرؤساء مستهدفون من قبل الإنكليز، وأن كورنواليس فاتح رئيس الوزراء، عبد المحسن السعدون لرفع الحصانة البرلمانية عني وعن بعض النواب الآخرين من رؤساء العشائر الفراتية لغرض التحقيق معنا بتهمة تأليف تكتلات عشائرية لفصل جنوب العراق وتشكيل حكومة شيعية فيه[١]... لم يرد الملك فيصل مني أي دفاع أو نقاش، إنما طلب مني أن اقدم مصلحة الأمة على نفسي ولا ادع للإنكليز أي مسوغ لتنفيذ مخططهم، عليه طلب مني السفر إلى أي جهة أختارها وعلى وجه السرعة، فأجبته إلى طلبه في الحال بأنني سوف أكون عند حسن ظنه، وسأغادر العراق حال استكمال معاملة جوازي واستعدادي للتوجه إلى إيران لأداء فريضة الزيارة للإمام علي ابن موسى (الرضا) (ع) في مدينة مشهد فاستحسن مني مبادرتي وودعته مسرعاً لتدبير متطلبات السفر.

غادرت بغداد عن طريق خانقين كرمنشاه وبعد يومين وصلنا طهران، اتصلت بالمرحوم الميرزا إسحق بن الشيخ حبيب الله الرشتي الذي عرفته منذ كان في النجف الأشرف يطلب العلم وكنت أحمل معي رسالة له من السيد هبة الدين الحسيني فيها التوصية اللازمة لتيسير أموري[٢]. ومن حسن الحظ أنه استأجر داراً لإقامتي بالقرب من بيته فكان لي مجلس يومي معه جمعني بالعلماء الأعلام ممن كانت تربطني بهم علاقات طيبة أثناء

---

(١) حنا بطاطو، المصدر السابق، الصفحة ١٤٦ والطبعة الإنكليزية الصفحة ١٩٤، يشير فيه إلى إضبارة السيد محسن أبو طبيخ وتقرير مفتش الديوانية عن فعاليات السيد محسن أبو طبيخ، تحت عنوان التكتل الشيعي.

(٢) في مقابلة مع السيد جواد هبة الدين الحسيني بداره في الحارثية ببغداد بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٩٨ أن والده المرحوم السيد هبة الدين الحسيني زود السيد محسن أبو طبيخ بكتاب إلى الشيخ حبيب الله الرشتي وآخرين من العلماء الاعلام في إيران ومشهد لتيسير إقامته في إيران أثناء إبعاده من قبل الملك فيصل.

وجودهم في العراق. وبعد أيام أخبرني الشيخ الرشتي أنه رتب لي مقابلة مع رئيس الوزراء وثوق الدولة وهو شقيق لرئيس الوزراء الأسبق قوام السلطنة. وقبيل مغادرتي إيران جاءني إلى بيتي مودعاً.

استمرت اقامتي في إيران قرابة الأربعة أشهر قمت خلالها بالسفر إلى مدينة مشهد حيث أديت مراسيم الزيارة للإمام (الرضا) (ع) كما تجولت في أنحاء البلاد عدت بعدها إلى العراق في الأول من تشرين الثاني ١٩٢٦، لأجد أن الإنكليز لم يعودوا يرغبون بوجودي في الحقل السياسي عقوبة لي على ما سلف، فحرمت من الترشيح لدورات مجلس النواب ١٩٢٨ الثانية و١٩٢٩ الثالثة و ١٩٣٠ الرابعة.

لم ينته الحقد الانكليزي بإبعادي عن المعترك السياسي، بل تعداه إلى التنكيل بي بالاستحواذ على أملاكي بشتى الذرائع ذلك بالإضافة إلى تأليب العشائر الموالية للحكومة في الشامية ليقوموا بالسيطرة على المياه وهم مورد المجرى شمال النهر عن غماس إضافة إلى محاولتهم الشق بين عشائر آل زياد الموالية لي كلياً وخصوصاً ممن هم جنوب مجرى النهر عن غماس.

مسلسل العقوبات

انتقم الإنكليز مني ومن العديد من زعماء ثورة العشرين باستقطاع اعز وأحسن املاكنا الزراعية المنتجة ومنحها للآخرين[١].

ففي سنة ١٩٢٢ وبناء على تقرير رفعه المفتش الإداري للواء الديوانية الميجر كتشن، قامت وزارة المالية باستقطاع أراضي الرملة في المنطقة التي امتلكها (طابو أبو طبيخ) وهي سلسلة ميراث عن الآباء والأجداد منذ عام ١٧٨٣، وزيادة في التنكيل فقد منحت إلى اليهودي الياهو عزرة خلاصجي الذي هو أحد أصدقاء الإنكليز في قضاء الشامية وعموم الديوانية.

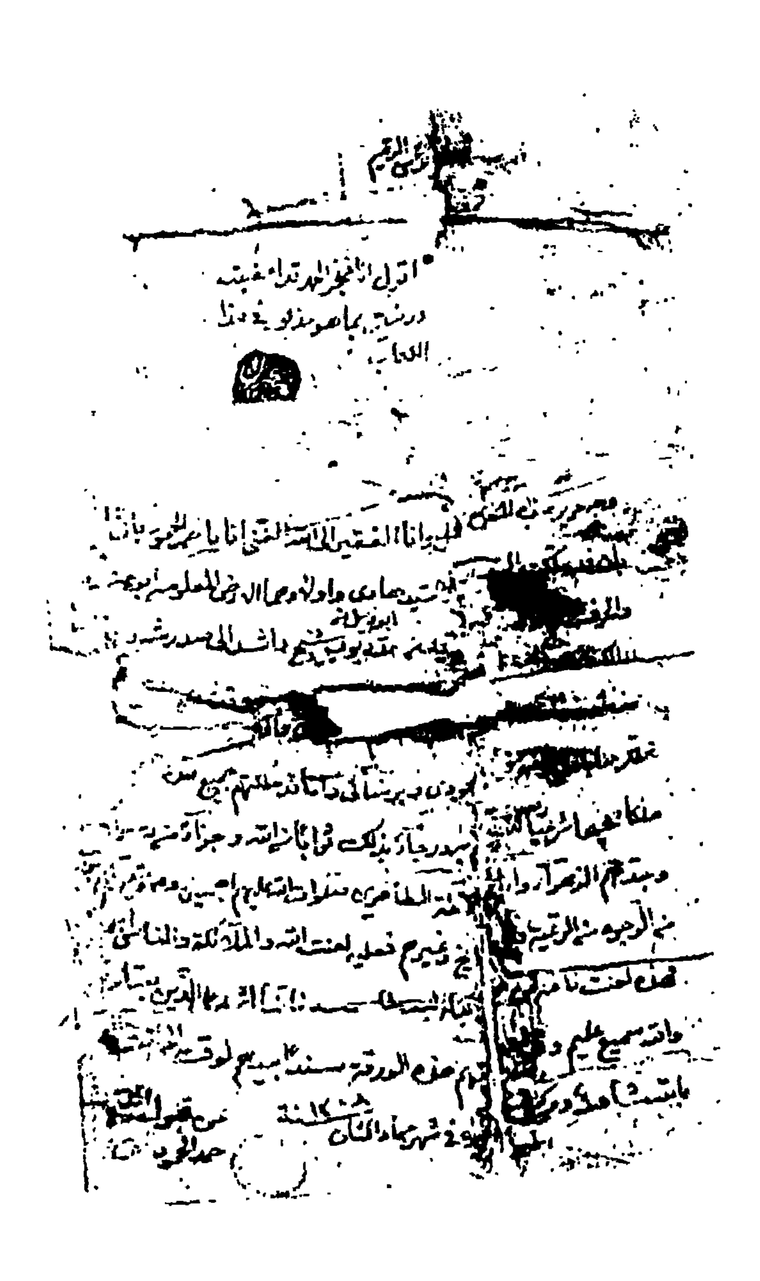
وبالرغم من الاعتراضات المستمرة، فإن الأمر لم ينته عند حد، ففي عام ١٩٢٨ اقتطعت من املاكي مزرعة ثانية واعطيت أيضاً إلى نفس

(١) السيد محسن أبو طبيخ، المبادي والرجال
الصفحات ٣٣ ـ ٣٤و ١٤٦ ـ ١٥٢

اليهودي المذكور. مما دفعني إلى إقامة الدعوى على وزارة المالية. فوكلت من قبلي المحامين نجيب الراوي وعبد الله اثنيان، أما وزارة المالية فوكلت عنها محمد زكي البصري رئيس المجلس النيابي السابق ومحمد علي محمود.

واستمر هذا النزاع بين اللجان والمحاكم والمماطلة المتعمدة حتى عام ١٩٣٢حيث تدخل في الأمر جلالة المغفور له الملك فيصل فقد وردني إشعار أن جلالته يطلب حضوري امامه، ولما تشرفت بمقابلته قال: «اني أعتقد أن أراضي الرملة ارضك وملكك، وأن كل ما تدعيه فيها هو الحق الصريح، ولكن الحكومة لا تستطيع ارجاعها بعد أن وضعت يدها عليها واعطتها إلى أشخاص أخرين وخسر هؤلاء عليها من نصب مضخات وغيرها، وعليه فلا يمكن أن تنحل القضية، لذلك فأنا أطلب منك أن تتنازل عن قسم منها، والمالية تتنازل عن قسم فتنحل صلحاً لأني لا أحب أن يقال أن محسن أبو طبيخ والحكومة يترافعان بالمحكمة على قطعة أرض».

فأجبت رجاء جلالته، وتنازلت عن نصف الأرض المتنازع عليها، فشكرني على ذلك، وأخبر الوزراء بذلك وأرسل إلى متصرف الديوانية مصطفى العمري، وأخبره بذلك، وامره أن يقبل ويكتب تقريراً إلى المالية يحبذ فيه حل القضية على تلك الصورة. إلا أن النزاع استمر بالرغم من تعليمات الملك وتعاقبت على ذلك الوزارتان الشوكتية فالوزارة الكيلانية، وهنا تدخل جلالة الملك فيصل وأخذ الأمر على عاتقه مجدداً فأرسل قبيل سفره إلى اوروبا، يطلب حضوري فاستجبت لطلبه، وكان لي شرف مقابلته فقال لي: «انا أريد السفر إلى اوروبا وأحب أن أتوسط في القضية، وأتولى حلها بنفسي، فهل تقبل أن أكون وكيلاً عنك؟» فقلت له: «وكيف لا أقبل؟! وانا أكون جد سعيد في هذا الأمر». وبالرغم من تدخل الملك شخصياً لم ينته الأمر فسافر جلالته وأدركه أجله فمات، وعلى إثر ذلك استقالت الوزارة الكيلانية، وحلت محلها الوزارة المدفعية الأولى، ثم الثانية ثم الوزارة الأيوبية.



سند ملكية أراضي (طابو أبو طبيخ) الممنوح إلى كل من السيد مهدي والسيد هادي جدي السيد محسن أبو طبيخ والمؤرخ في جمادي الآخر سنة ١٢٠٨هـ - ١٧٨٣م

ولما شُكلت الوزارة الهاشمية، كنت واثقاً من حل القضية على أي نحو أريده، وارغب فيه، ولكن حفظاً لكرامتي وكرامة أصدقائي الوزراء معاً برهنت أنني بعيد عن الاطماع الذاتية وعندما سألني ياسين الهاشمي عن حل القضية بأي طريق يكون؟ فتنازلت عن حقوقي ورضيت بتسعمائة بدلاً من الألفين دونم التي كانت لي وأصدر أمراً بذلك فاستلمتها من النصف الجنوبي من الأرض وأخذت بزراعتها.

وجاءت حكومة حكمت سليمان إلى كرسي الحكم واستلم أزمة الأمور فأصدر حكمت بعد عشرة أيام من احتلاله رئاسة الوزراء أمره إلى المتصرف بانتزاع الأرض مني مجدداً وإرجاعها إلى اليهودي وتجاهل اتفاقه مع الملك فيصل والهاشمي حينما كلفهما قبيل سفره بحل القضية. كل ذلك جرى بسبب معارضتي للسياسة الإنكليزية في البلاد وحقدهم عليَّ مضافاً إلى ما ولدته الثورة في نفوسهم، فأرادوا الانتقام وهذه صفة يتسم بها الإنكليز ممن يمس مصالحهم واوعزوا إلى من استهووهم بالمقامات العالية، وأسبغوا على العراقيين منهم بعطفهم وعينوهم بالوظائف الرفيعة وسلطوهم على من ارادوا معاقبتهم، فسلبوا وصادروا أملاك المواطنين.

ولم يؤخذ في ذلك بالوثائق والمستمسكات والسندات إذ أن كل هذا لم يكن حقاً في نظر السياسة البريطانية، والمؤسف أن يكون هذا العقاب جماعياً لقادة ثورة العشرين، فلم يك حظ الحاج عبد الواحد الحاج سكر من هذه السياسة بأقل مني، فقد اغتصبوا منه قسماً من الأراضي العائدة له المغروسة بالنخيل والأشجار، بحجة واهية وأعطوها لمن سلوّا سيوفهم علينا أيام ثورة العام ١٩٢٠، وكان جل قصدهم من ذلك، إخضاعنا بالقوة، والإكراه، والضغط النفسي لأن نستسلم لأوامرهم وعندما وجدوا أن هذه السياسة لم تثمر وأن هـذه النـواقص المادية لا تهمنا، اتبعوا معنا سياسة اللين، فأوحت إليهم أحلامهم بعرض المقامات الحكومية العليا علينا، ومنونا بإرجاع أراضينا المغصوبة ظانين أننا لم نندفع إلى تلك المعارضة إلا بدافع الطمع والجشع(١). ولم يصدقوا أن معارضتنا لم تصدر إلا عن صدق

(١) حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ـ نفس المصدر السابق، راجع الصفحة ١٤٤ =

أحد سندات التمليك لأجداد السيد محسن أبو طبيخ والمؤرخ في سنة ١٢٢٥هـ - ١٨٠١م

لأراضيهم في منطقة الرميثة

نية وإخلاص ولم نكن من ذوي الأطماع فلم تسحرنا الوعود والأماني كما سحرت غيرنا، وعندما وجد الإنكليز أن كل ذلك لم يزدنا إلا بعداً عنهم وأننا أكثر إصراراً في عمل المعارضة، امعنوا فينا فتكاً بأساليب الإبعاد والتسفير والنفي ومصادرة الاملاك.

الملك فيصل الأول في غماس

كان الملك فيصل الأول يبدي اهتماماً بالزراعة ويسألني عن أمور مزارعي بدراية ومعرفة كما كان يسأل عن زراعة المنطقة عموماً سواء في غماس أو الطابو، وكان يثير إعجابي لدرايته التامة بالمواسم الزراعية، الشتوي منها والصيفي، كما كان يشجعني دوماً على توسيع غرس أشجار الفاكهة وإعمار البساتين وكانت هذه الأحاديث تأخذ كثيراً من وقته عند زياراتي له سواء الاعتيادية منها أو السياسية التي كنت أحضرها بناءً على طلبه في مناسبات معينة، وقد أبديت له في العديد من هذه المناسبات

= استند هذا الباحث، والذي تولت جامعة برنستون الأمريكية في ولاية نيوجرزي تبني بحثه على تقارير المستشارين الإنكليز ودوائر المباحث والأمن عن رجالات العراق، فيما يخص الاحداث التي شارك فيها هؤلاء الرجال، ومن البديهي، أنه لا الإنكليز ولا دوائر الشرطة تكتب غير ما هو يؤمن مصالحها ووجهة نظرها وحتى كاتب التقارير من هؤلاء، فهو يكتب ما يكون مقبولاً لدى رؤسائه لتثبت مكانته والحط من مكانة الخصم مهما كان مرموقاً. ومن هنا جاء اعتماد حنا بطاطو على هذه الوثائق سقطة اكاديمية لا تغتفر فقد بنى عليها استنتاجاته فجاءت مغايرة للواقع كتب في الصفحة ٢٢٧ عن السيد محسن أبو طبيخ «. . . وما كان يضايقه إلى أقصى حد هو اضطراره إلى دفع ضرائب سنوية تصل إلى ٢٠.٠٠٠ روبيه. وهذا ما كان يكمن وراء مشاركته في مؤامرات المشايخ في الشامية». «. . . ولكن الهدف الحقيقي الذي يعتقد أنه كان يكمن وراء هذا التحرك. . على أمل أن يضمن بذلك معاملة تفضيلية في الأمور المتعلقة بالأرض وبالعائدات». وهذه الآراء هي نفس ما جاء بالتقارير الإنكليزية المختلفة.

لقد بنى بطاطو استنتاجه أعلاه على تقريري المفتش الإداري (الإنكليزي) في الديوانية ومستشار وزارة الداخلية كورنواليس ـ راجع المصدر للتفاصيل أيضاً راجع الطبعة الإنكليزية لهذا الكتاب:

The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq page 165

وبهذا يخرج بطاطو من كونه باحثاً إلى مستنسخ للتقارير البريطانية ومتبني آراء كتاب التقارير في دوائر الأمن مما ألغى صفته العلمية وأسبغ الطابع الصحفي على كتاباته غير الموضوعية. . .

ترحيبي به لو شاء وشرفني بزيارة لمزرعتي في غماس.

علمت من البلاط أن الملك سوف يقوم بجولة في الفرات الأوسط[1] يزور خلالها النجف الأشرف وكربلاء وبعض مدن الفرات الأخرى، ولكون هذه الزيارة هي الأولى له بعد انتخابات المجلس التأسيسي، فقد عزمت على دعوة جلالته لتشريفي في غماس، ومن حسن الصدف أنه بعد أن انتهى من زيارته للنجف علمت أنه سيتوجه إلى أبو صخير، انتهزت هذه المناسبة للتقدم إليه بدعوة زيارة محلي في غماس أن تسنى له ذلك، فوعدني خيراً، وفي اليوم التالي خرجنا من النجف إلى أبو صخير حيث مكثنا فيها بعض الوقت ثم استقل بعد ذلك زورقاً بخارياً متوجهاً إلى المشخاب، فاستقبلته عشائر آل فتلة ورئيسها الحاج عبد الواحد السكر يتقدمهم للترحاب بسموه وبعد أن استراح في مضيف الحاج عبد الواحد والعشائر تستعرض له وتهزج قام إلى زورقه واصطحبناه إلى غماس حيث كان لي شرف استضافته في مضيفي[2] وقد التفت حوله عشائر آل زياد والخزاعل وآل شبلُ والجبور يهزجون ويستعرضون مبدين ولاءهم وغبطتهم بوجوده في ديارهم، ولعلمه من أحاديثنا السابقة، أني امتلك عدداً من اصائل الخيول العربية فقد طلب مشاهدتها، فسرني تلبية طلبه، وكان لي فخر وغبطة عندما أحسست باعجابه البالغ بحصاني فاغتنمت هذه الفرصة لأقدمه بكل اعتزاز هدية له، فقبله وأنا فخور بما قدمت له. ولم تمض إلا أيام قلائل حتى وصل الحصان إلى بغداد صحبة رجالي الذين أغدق عليهم سموه بالهدايا عند وصولهم.

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، صيدا ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م الصفحة ١٥١ «سافر الملك فيصل إلى مدن الفرات الأوسط في شهر كانون الأول عام ١٩٢٣، لافتتاح الخط الحديدي الذي مدته إدارة السكك من سدة الهندية إلى كربلاء ومنها عرج الملك على النجف وابي صخير...»

(٢) أحمد فهمي تقرير حول العراق، المطبعة العصرية، بغداد ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م، الصفحات ٢١ - ٢٢ «وللشيوخ عدا هذه القصور والقلاع مضائف للضيوف... أما سعة المضائف وجسامتها فتكون بنسبة العواميد، فمضيف السيد محسن أبو طبيخ أكبر حجماً واشهر اسماً من غيرها في هذه النواحي مبني في قصبة (خرم) - غماس في هذه الأيام - على واحد وعشرين عمداً».



الملك فيصل الأول في زيارته للفرات الأوسط عام ١٩٢٧ الصورة هذه في معسكر الحلة وقف على يمينه جعفر العسكري وعلى يساره رشيد عالي الكيلاني والمرافق العسكري للملك وإلى جانبه الشيخ سماوي الجلوب فالسيد محسن أبو طبيخ وإلى أقصى اليسار الشيخ شخير الهيمص

وبعد هذه الزيارة، وفي السنوات التالية، لم يهمل جلالته زيارة الفرات الأوسط ومدنه الزراعية الغنية وعشائرها الأصيلة، فتردد على الديوانية وأبو صخير والشامية وغماس والمشخاب والحلة في معظم زياراته الرسمية لمراكز الالوية الجنوبية، وكان لي شرف استقباله في هذه المناطق ومصاحبته في تجواله وتوديعه[1]. يذكرني هذا الاهتمام من قبل الملك فيصل بالاهمال المقصود والمتعمد لخلفه لكافة مناطق الفرات الأوسط في جدول تجوالهم في أنحاء البلاد، فالملك غازي ومن بعده الأمير عبد الاله ثم الملك فيصل الثاني لم تتجاوز زيارتهم خارج حدود مراكز الألوية أو المدن التي تقع في طريق سفرهم، ولم يقتصر هذا التجاهل على من جلس على العرش، بل تعداه إلى رؤساء الوزارات والوزراء المختصين وبقية الحال كذلك.

الحزب الشيعي بين العلماء والعشائر[2]

بعد عودتي من الحجاز عام ١٩٢٣ وقد جلس الملك فيصل الأول على عرش العراق والسيد عبد الرحمن النقيب رئيساً للوزراء اثار انتباهي وتساؤلي حرمان الشيعة من المناصب الوزارية ومساواتهم باليهود بإسناد وزارة واحدة لهم، ومنذ تشكيل الوزارة النقيبية الثانية والوزارات التي تلتها، لم يتبدل التوزيع الوزاري عن سابقه.

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، نفس المصدر أعلاه، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة الصفحة ١٧٢ «سافر الملك فيصل إلى مدن الفرات الأوسط في يوم ١٣ تشرين الأول ١٩٢٨م وبعد أن زار «كربلاء» و «النجف» و «الرحبة» و «أبو صخير» و «الشامية» و «الديوانية» و «الحلة» و«سدة الهندية» عاد إلى عاصمة ملكه فبلغها في اليوم السادس عشر من هذا الشهر».

(٢) وثائق وزارة الداخلية العراقية: إضبارة السيد محسن أبو طبيخ رقم ٢٧٧ تقرير المفتش الإداري للواء الديوانية لمستشار وزارة الداخلية المؤرخ ٢٦ حزيران ١٩٢٦، حنا بطاطو/ المصدر السابق
- وثائق وزارة المستعمرات البريطانية/ دائرة الاستخبارات المركزية، نيودلهي التقرير رقم ٢٥ إضبارة رقم ١٩/١ المؤرخة في ١٧تموز ١٩٣٢
د. خالد التميمي/ المصدر السابق
- تقرير مديرية شرطة بغداد المرقم س/٩٧٤ والمؤرخ في ١٥آب ١٩٣٢
د. هادي السماك/ المصدر السابق

لقد تعداه إلى حرمان أبناء الشيعة من المناصب الإدارية المهمة في الإدارات المحلية في الالوية (المحافظات) إذ كان كل من المتصرف (المحافظ) والقائمقام ومدير الناحية وموظفي الدوائر ومدراء الشرطة في الفرات الأوسط وفي كافة التقسيمات الإدارية هم من الأفندية وصغار ضباط الجيش العثماني السابقين من أبناء السنة واقتصر تعيين أبناء الشيعة على الوظائف الكتابية البسيطة، ويكاد يكون مثيل هذا الوضع في كافة دوائر الدولة ودواوينها في بغداد... لم اسكت عن هذا التمييز الشاذ الذي يكمن فيه خطر جسيم على مستقبل الأمة في حالة تبنيه بصورة غير معلنة كسياسة للدولة وتجاهل حقوق الشيعة في المشاركة العادلة في المناصب الوزارية وفي إدارة مناطقهم التي هم الغالبية الساحقة فيها.. وقد جاهرت باحتجاجي وتخوفي من ذلك في مراجعاتي لرئيس الوزراء والوزراء والدواوين الاجتماعية في بغداد وحذرت من إعطاء الإنكليز فرصة زرع بذرة الطائفية في كيان الدولة الفتية.. وكان كل الذي سمعته أن أبناء الشيعة من المتعلمين المؤهلين للوظائف الحكومية هم قلة وقد نسوا أن الموجود منهم وعلى درجات عالية من المعرفة في النجف لوحدها قد يفوق مجموع الأفندية الموجودين في كافة دوائر الدولة.

لقد كان هذا الموضوع هو مدار حديثنا كلما اجتمعت بالعلماء في كربلاء والنجف وبالرؤساء في الفرات الأوسط، وفي كثير من المناسبات واجهت الانتقاد واللوم على السكوت ازاء هذا الغبن غير المقبول لدى الجميع والتحدي السافر لحقوق أبناء الشيعة والاستهانة بما بذلوه أكثر من غيرهم في سبيل تأسيس كيان الدولة العراقية. ولم تجدِ مراجعاتي الشخصية والجماعية صحبة رؤساء العشائر للملك فيصل الذي كان دوماً يعدنا خيراً ويؤملنا بالأحسن في المستقبل القريب!! لقد اتضح لنا من مراجعاتنا هذه أن الإنكليز لم تكن لديهم رغبة بإعطاء الشيعة أي دور في إدارة المملكة وقد وجدوا المسايرين لهم من الأفندية في بغداد خير سند ودعم لهم لإسكاتنا.

ولم أتصور حلاً عملياً إلا بتوحيد صفوفنا في جمعية أو حزب يتبنى مشاكل المنطقة وأبنائها، وكان العديد من رؤساء العشائر والعلماء المعتدلين يشاركونني هذه الفكرة، ولا بد لي أن أشير إلى الأفكار المتعصبة لدى بعض

العلماء والتي حظيت بتأييد قليل من رؤساء العشائر بوجوب مقاطعة تعيين أبناء الشيعة في الوظائف الحكومية أثارت لنا المتاعب لما في ذلك من تناقض في مناداتنا بالحقوق العامة لأبنائنا.. ولغرض تنفيذ ما طال الكلام عنه بأهمية توحيد الصفوف فقد تم الاتفاق مع الرؤساء على أخذ المبادرة وإسماع صوتنا في بغداد بالاعتراض على ما يجري من إهدار لحقوق الشيعة. ولا بد لي أن أفصح عن حقيقة لا لبس فيها أن حركتنا ضد وزارة النقيب عام ١٩٢٢، وتحدينا للإنكليز في اجتماع المشخاب وما تبعه من حركات لم تخلُ منها دوافع إظهار القوة من جانبنا ليس للملك والحكومة فقط بل كانت رسالة مفتوحة للسير برسي كوكس برفضنا سياسة التفرقة التي يغذيها ويدعمها ضد أبناء الشيعة.

وبحلول عام ١٩٢٦ حينما كنت في مجلس النواب نائباً عن الديوانية أيام وزارة عبد المحسن السعدون التقيت بنواب الفرات الأوسط وكان حديثنا في موضوع ضرورة الإسراع بتكوين الحزب.

وبمناسبة أحد العطل الرسمية واستراحة المجلس، دعانا الحاج محسن شلاش وهو نائب عن كربلاء للاجتماع بداره في النجف الأشرف لتدارس الأفكار التي كانت مدار بحثنا في ردهات مجلس النواب، أتذكر من الحضور في هذه الدعوة السيد علوان الياسري والسيد قاطع العوادي، وسلمان الظاهر وعبادي الحسين وعمران الحاج سعدون ومظهر الصكب وجميعهم كانوا أعضاءً في المجلس النيابي كما حضر الدعوة كل من الحاج عبد الواحد السكر ومرزوق العواد وعزاره المعجون واعتذر عن الحضور كل من السيد محمد الصدر والحاج محمد جعفر أبو التمن. لم يثمر اجتماعنا هذا عن نتيجة كما كنت اتوقع بعد أن طال الجدل وكثرت الآراء، إلا أن الاتفاق كان تاماً بشأن تأسيس الحزب وبوجوب عقد اجتماع أكبر يضم العلماء الأعلام وكافة وجوه الشيعة من بغداد وغيرها ليكون تأسيس الحزب شاملاً بموافقة عامة من عموم أبناء الطائفة وليس فقط من قبل رجال الفرات الأوسط... وبعيد انفضاض اجتماعنا أخذت بالاتصال برؤساء العشائر في السماوة والرميثة والحلة ومراجعة العلماء حاثاً إياهم على جمع الصف ووحدة الكلمة تمهيداً للاجتماع المزمع عقده وتحقيق

أهم وأخطر مشروع للقضية الشيعية منذ ثورة العشرين.

وبعد مضي أيام قليلة على اجتماعنا في النجف بدار الحاج محسن شلاش تم استدعائي إلى بغداد ومقابلتي مع الملك فيصل الذي أشار عليَّ بوجوب السفر إلى خارج العراق لتفادي أي أزمة قد يفتعلها الإنكليز بعد أن رصدوا تحركاتي وتحركات أصحابي، لا سيما وأن البلاد تجتاز مرحلة صعبة في التفاوض معهم حول المعاهدة ومشكلة الموصل والملك يحاول جاهداً معهم للحصول على أكبر قدر ممكن من المغانم، ففضلت الامتثال لأمره ووضع مصلحة الأمة فوق أي مصلحة أخرى، فغادرت العراق طوعاً ونزولاً عند رغبة جلالته إلى إيران ـ كما أسلفت في موضوع سابق ـ حيث مكثت فيها قرابة الستة أشهر حتى استتبت الأمور في بغداد فعكفت راجعاً لأمارس حياتي السياسية ولم تزل عندي تلك الغاية والهدف بتكوين الحزب الذي يتبنى مصالح سكان العراق من الشيعة والملل الأخرى ويرعى مشاكل مناطقهم المهملة أينما كانوا.

وفي مطلع الثلاثينات انتقل نشاطنا إلى بغداد واشترك معنا في جهودنا هذه الشيخ محمد رضا الشبيبي لما له من أفكار نيرة وقررنا بعد تدارس الاحتمالات كافة أن يتم تشكيل حزب سياسي ينتمي إليه من يشاء من أبناء العراق ولكن طبيعة توجهاته وجوهر مبدئه هو حماية حقوق أبناء الشيعة.. لقد بينت في كافة مراحل اجتماعتنا أن الأفندية في بغداد ممن بيدهم الحكم ومن ورائهم الدعم الإنكليزي سوف لن يدعونا ننفذ ما نريد وأن الواجب علينا تحذيرهم بخطورة قيام احتجاج مسلح عام في كافة مناطق جنوب العراق في حالة رفض طلبنا.. ولتفادي الرفض هذا وما قد ينجم عنه قررنا تسليم السعي من أجل الحزب إلى الحاج جعفر أبو التمن بعد أن يئسنا من الآخرين من شيعة بغداد، إلا أن الحاج جعفر اعتذر عن قبول أي دور مبدياً استعداده بالقيام بعمل معنوي، كما أن السيد محمد الصدر أبدى عدم رغبته بالانضمام لأي (تجمع عشائري) لأن ذلك قد يخل بعلاقاته بالملك.

عرض السيد علوان الياسري والسيد قاطع العوادي والحاج محسن شلاش والحاج عبد الواحد السكر أن يتم تأليف الحزب بدون تأخير وأن

أقوم أنا بدور الرئاسة بصورة مؤقتة إلى حين استكمال التشكيل بصورة عامة فتجري الانتخابات الداخلية بما فيها منصب الرئيس ومساعديه وأعوانه... ومما يؤسف له أن العصبية القبلية التي كادت أن تنقضّ على الإسلام في شتى مراحل تاريخه الطويل، لازالت لها الأفضلية في مجتمعنا العشائري وهي تعلو على المصلحة الوطنية في قضايا في غاية الخطورة.

لقد أعتقد البعض من الرؤساء أني في مسعاي من أجل تأليف الحزب انما أصبو إلى طلب قيادته في الوقت الذي يعرف الجميع أني لم أكن أول من تكلم ونادى بهذا الموضوع ولا أول من تحرك لتحقيقه، ولهذا لم أكن اعطي لنفسي أحقية تسنم رئاسته لعلمي أن هناك من هو أجدر بهذا المقام مني... إلا أن الصدع توسع واستغل هذا الانقسام ساسة بغداد وأفنديتها وغذوه بروح النفاق والوعود بالكراسي والأراضي مما أسقط في يدي وأصحابي فأدركنا وجوب إعادة النظر في كل توجهاتنا وعلاقاتنا، ليس فقط مع رجال الدين والرؤساء، بل حتى مع الساسة في بغداد ممن كنا ننظر إليهم بعين الريبة والحذر أمثال ياسين الهاشمي وحكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني، وجراء شعور الاحباط الذي أحسست به لمشروع كرست من أجله أكثر من عشر سنوات وابعدت عن الوطن وتعاون معي أخلص الرجال ممن شاركت معهم في ثورة العشرين بتحقيقه، حصلت لدينا قناعة لا تقبل أي شك بضرورة التعاون مع ساسة بغداد في سبيل استخلاص ما يمكن لنا كسبه، لأبنائنا ومناطقنا... ولكن حتى تجربتنا هذه باءت بالفشل لاصطدامها بالعصبية ـ الطائفية ـ التي تسيطر على عقلية ساسة بغداد، وهكذا سقط مشروع تكوين حزب شيعي بسبب تعدد الأطراف التي تريد تقرير وجوده وأسلوب عمله، سقط بين تطرف العلماء الأعلام والتنافس والتناحر فيما بينهم وسقط بين رؤساء العشائر والعصبية القبلية التي تقرر حياتهم اليومية وسقط بين دسائس بغداد من البلاط إلى دار الاعتماد إلى ديوان مجلس الوزراء... كل هذه التيارات تآلبت على إفشال تأليف الحزب مما سيبقي أبناء الشيعة تحت خطر التعرض للاستغلال السياسي لأجيال عديدة.

وفاة الملك فيصل الأول

كنت في غماس عندما جاءني مدير الناحية ليخبرني أنه تلقى مكالمة هاتفية من متصرف الديوانية أخبره فيها بوفاة الملك فيصل يوم أمس ٨ ايلول ١٩٣٣وهو في مصيفه بسويسرا ومعه أخوه الملك علي ونوري السعيد ورستم حيدر.

وفي اليوم التالي وردتني برقية من وزير الداخلية حكمت سليمان يدعوني فيها إلى بغداد لحضور تشييع جنازة الملك عند وصولها في ١٤ أيلول (سبتمبر) فحضرت العاصمة مع وفد كبير من رؤساء عشائر المنطقة. لم تكن وفاة الملك مفاجئة لي أو لكثير من معارفي، ويداخلني إلى الوقت الحاضر، أن وفاته المفاجئة لم تكن طبيعية، بالرغم من التقارير والمبررات الطبية التي نشرت عقب وفاته، إلا أن سوء علاقته وتدهورها مع الإنكليز قبيل سفره إضافة إلى تفاقم الخلافات المستمرة مع نوري السعيد كانت كلها إشارات شؤم ونذير لنهاية حكمه.

لقد ارتكب الملك أخطاءً كبيرة بنظر الإنكليز بتحديهم المتواصل وغير المتوقع في أثناء مفاوضات تعديل المعاهدة، وكان خطؤه الأكبر، سكوته عن المذابح التي حصلت في القرى التي يسكنها الأثوريون في شمال العراق إثر الصدامات التي حصلت بينهم وبين وحدات من الجيش العراقي وعندما حاول ارضاء الإنكليز بتدخل معنوي لصالح المار شمعون الآثوري اعتبر تدخله هذا من قبل حكومة رشيد عالي الكيلاني ووزير الداخلية حكمت سليمان غير وطني لا سيما وإن ولي العهد الأمير غازي كان قد بارك العمليات العسكرية وبذلك لم يحظ بما كان يرجوه من طاعة في توجيه السياسة الداخلية في الأزمات الحادة، خاصة ما هو له مساس بالرغبات الإنكليزية.

والآن وقد رحل الملك فيصل مخلّفاً وراءه تركة ثقيلة لولي عهده الأمير الشاب الذي لا يملك من خصال الملوكية إلا الاسم والمظهر، علينا أن لا ندع الأمور تفلت وتضيع كل جهودنا وما أنجزناه هباءً للريح.

لقد عرفنا فيصل محارباً شجاعاً عندما نازل الأتراك في ثورة الحجاز،

وعرفناه رجلاً شجاعاً عندما جاء العراق لوحده. وجلس على العرش ليحكم بلداً أفرغه الأتراك من مستلزمات الحضارة وجاء الإنكليز من بعدهم ليفرضوا على أبنائه بغطرستهم شروط العيش والعمل والكلام تحت قوانينهم.

ليس هذا فقط، بل لم يكن للملك مقومات الدولة، والحكومة في أي من سلطاتها الدستورية أو التنفيذية أو التشريعية، وحينما تم تكوينها بدأ النزاع على من يتربع على كراسيها، ووسط هذه المتاعب والصعاب وجد الملك فيصل رحمه الله له طريقاً ليسلكه، فقاد البلد، والإنكليز يترصدونه، ولا يدعون فرصة تمر دون أن يحاولوا خلق العراقيل والأزمات بوجهه.

إضافة لذلك فإن الشعب العراقي، من شماله إلى جنوبه هو مجموعة تاريخية من الأقوام التي سكنته فاستغل المستعمر العثماني هذه النقطة الضعيفة في بنيته وركز على التفريق العنصري، وزاد بها بالتفريق المذهبي وعندما استلم الإنكليز العراق، وجدها طبخة جاهزة استثمرها في تأجيج مريديه وأدخلها بصورة شبه رسمية في دواوين الدولة.

بهذه الأجواء حكم الملك فيصل، وجابه الأمور بشجاعة رجل وأنجز في فترة قصيرة ما لم يستطع أحد عمله لولا نبوغه وشجاعته.



ملـحــق

الفصــل الخامــس



من أوراق السيد محسن أبو طبيخ المتفرقة

الورقـــة الثالثـــة

قال السيد محسن، دخلت على وزير الداخلية عبد المحسن السعدون لقضية تتعلق بالإدارة في الديوانية وذلك إثر تشكيل الوزارة النقيبية الثالثة، مهنئاً له بالوزارة ومستعرضاً معه الحالة في الديوانية وكان لديَّ موضوع يتعلق بأحد الموظفين هناك.

أثناء ذلك دخل عليه توفيق الخالدي وكان يومها وزيراً للعدلية وقبلها وزيراً للداخلية وكأنه أدرك الغرض من زيارتي هذه، فشرع يحدّث السعدون بالتركية فأدركت أن الموضوع ما بينهما يتعلق بما تحدثت بشأنه.. وكأنه أراد أن يفهم مرامه... وقد فعلت اللغة التركية فعلها بين الوزيرين.. وانتهت زيارتي وكانت اللغة التركية أكبر شفيع في إنجاز المعاملات وتذليل اصعب المشاكل، يتم التفاهم بينهم والعربي كما قال المتنبي «غريب الوجه واليد واللسان» وعلى هذا النحو كانت تجري معظم الأمور...

زيارة الملك فيصل للفرات الأوسط

قام الملك فيصل الأول بالعديد من الزيارات لمدن الفرات الأوسط إما إلى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف أو في جولاته التفقدية وفي معظم هذه الزيارات كان السيد محسن مستقبلاً ومودعاً تصحبه عشائر آل زياد من غماس أو غيرها مثله مثل المشايخ الكبار في المدن التي يمر بها... وقد أثار السيد محسن امتعاض الملك حينما وقف بين يديه في مدينة الحلة[1].

(١) اختلف البعض في المكان الذي قيلت فيه هذه (الهوسه) والصحيح هو الحلة فيما إذا أخذنا معنى الأبيات، ففي مدينة الحلة جرت وقائع رهيبة بين الثوار والجيش البريطاني طيلة =

وألقى هذه الابيات:

أهنا قامة قيامة إو وَجّت النيران(*)

سَبع تشهر جلجل عَليَنة الدخان(**)

ولولانا يَفيصل هّل عَرش ما جان(***)

شُبان أنطيناك اشتنطينه

التوديع الأخير للملك فيصل

قبيل سفر الملك فيصل الأول إلى أوروبا عام ١٩٣٣ توافدت عليه شخصيات البلد من ساستها وأعيانها وحظي السيد محسن بمقابلته لتوديعه، وكان الملك دوماً يسأله عن امرين شخصيين، خارج نطاق المشاكل السياسية، اولهما عن مزرعته وثانيهما عن تعليم أولاده، ففي مستهل افتتاح المدرسة العسكرية طلب الملك من السيد محسن إدخال ولديه إدريس ومشكور لهذه المدرسة، فاعتذر منه لأن كليهما غير مؤهلين للخدمة العسكرية بسبب ما أصاب نظرهما من ضرر جراء المرض... فدخلا مدرسة الحقوق بدلاً عن ذلك.. إلا أن السيد محسن وعد الملك بإدخال ولده الرابع نوري للمدرسة العسكرية تنفيذاً لرغبة جلالته.. وفعلاً تخرج منها برتبة ملازم والتحق بفصيل الحرس الملكي ثم ترشح لبعثة القوة الجوية للتدريب في بريطانيا، إلا أنه قتل في حادث هناك، تغمدّه الله برحمته الواسعة، وذلك في نهاية شهر آب (اغسطس) من عام ١٩٣٩... وبعد مرور أيام وجيزة من انتهاء مجلس الفاتحة والعزاء التقى السيد محسن الأمير عبد الإله في مناسبة رسمية فأراد الأمير السؤال من السيد محسن عن الحادث إلا أنه نسي اسم المرحوم وذكر بدلاً عنه اسم أحد طياري القوة الجوية المعروفين، فأجابه السيد محسن: «.. هذا لطف منك أن تسأل عن مقتل ابني... إلا أني أتذكر عمك جلالة الملك فيصل الذي كان يعرف جميع أولادي بأسمائهم حينما يسألني عنهم...»

= السبعة اشهر من عمر الثورة راح ضحيتها خيرة أبناء العشائر شهداء في الوقت الذي لم تجرِ أي معارك في مدينة كربلاء التي أشار البعض أنها قد قيلت هناك أثناء زيارة الملك فيصل لهذه المدينة فكربلاء أخلاها الإنكليز في بداية الثورة بدون قتال، واستولوا عليها في نهاية الثورة بعد أن انسحب منها الثوار بدون قتال، راجع القصيدة في جريدة الجهاد الصادرة في طهران، العدد ٢٩٥، حزيران ١٩٨٧.

* إو وجت: أي اشتعلت ** جلجل: خيم علينا *** جان: ما كان

من خطاب له في مجلس الأعيان في ٢٧ أيار/ مايس ١٩٥٣
سياسة الطائفية

«... سادتي أما سياسة الطائفية الممقوتة فيؤسفني أن أقف هذا الموقف أمام هذا المجلس العالي وأتكلم بأمور ممقوتة واني أعتقد لو رجع المنصفون إلى ذاكرتهم ولو اعادوا الكرة إلى ضمائرهم واعني بذلك أصحاب الضمائر الحية فإني ابعد من كل واحد عن هذه النعرة الخبيثة وإني أبغضها كل البغض وامقتها كل المقت وأكره العناصر التي تروجها والتي تتظاهر بها سواء كان ذلك من شيعة أو سنة واني أرجو من أصحاب الضمائر والوجدان الذين يعرفونني بهذا الشكل أن يعتقدوا أني لم يدفعني على ذكرها أي دافع غير الإخلاص وآلامي هي من اندفاع المسؤولين المتعاقبين بتأثيرها وخوفي من نتائجها على هذا الكيان الذي عزّوا به وتنعموا به أكثر من غيرهم، أما أصحاب الضمائر الميتة، فلا أبالي بهم فليكيفوا كلمتي هذه بما يريدون وليؤولوها بما يرغبون فإني أقول أن سياسة الطائفية هي أم السياسات كلها وهي أصلها السامي وفرعها النامي ومنها خلقت المشاريع السياسية وبأمرها توقفت المشاريع العمرانية...».

عندما كان السيد محسن يلقي كلمته هذه كان مكانه خلف أحد أعضاء المجلس من المشايخ الجالسين أمامه بعمامته البيضاء والذي أخذ (يتنحنح) بصوت عال مقاطعاً، فتوقف السيد محسن عن إلقاء كلمته ودس إصبعه في عمامة الشيخ قائلاً.. «شيخنا تذكر من كنت تقرأ تعزية الحسين في مضيفي... تذكر أقوالك في القراية... تذكر عطايانا الك... نسيت لو تتناسا حتى يرضون عنك ربعك العينوك بالمجلس هذا...»



الفصـــل الســـادس

عهد الملك غازي الأول

١٩٣٣ ــ ١٩٣٩



المغفور له الملك غازي ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

صدق الله العظيم
الاحزاب ـ ٢٣ ـ



الملــك غــازي

عندما كنت في بغداد لحضور مراسيم العزاء بوفاة الملك فيصل الأول انتهزت فرصة لقائي المتكرر مع رؤساء الفرات الأوسط، الذين حضروا أيضاً مجالس التعازي، واتفقنا على أن نجتمع لتدارس الوضع الحالي بعد رحيل الملك فيصل. فتم لنا ذلك في دار السيد علوان الياسري وحضر الاجتماع الحاج عبد الواحد السكر وسماوي الجلوب والحاج مرزوق العواد وسلمان العبطان وآخرون وانصب الحديث على مسؤوليتنا في مراقبة العاهل الجديد وحمايته من سوء الاستغلال نظراً لحداثة سنه وقلة تجربته مما قد يعرضه لمشاكل قد تزج البلاد في أزمات لا تحمد عقباها، كما اتفقنا أن أذهب والحاج عبد الواحد السكر إلى رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني لنبين له وجهة نظرنا هذه إضافة إلى مفاتحة ياسين الهاشمي وإعلامه باجتماعنا وبيان ما نراه بهذا الصدد. وقد أكدا، ياسين ورشيد بأن الموضوع تم تدارسه وليس هناك ما يدعو إلى القلق.

وبعد أيام من تتويج جلالته ملكاً خلفاً لوالده، صدرت الإرادة الملكية بتعييني عضواً في مجلس الأعيان كما عين الشيخ سماوي الجلوب[1]، عضواً في نفس المجلس فاستبشرت خيراً بأن يكون منبر هذا المجلس أقرب إلى الملك لأسمعه رأيي. ولا بد لي أن أشير إلى أن القلق كان يساورني دوماً من تصرفات الملك غازي التي تتسم بالطفولية والتهور والإكثار من احتساء

(١) سماوي الجلوب ـ هو سماوي بن جلوب بن راضي وهو من مشايخ آل فتلة فخذ البو شهيب في ناحية أبو غرق بقضاء الهندية، شارك في ثورة العشرين مع أفراد عشيرته وبانتهاء الثورة سجن في معتقل الحلة حتى إعلان العفو العام في أيار عام ١٩٢١، توفي رحمه الله في ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٣٥.

الخمر ومصاحبة طبقة متذللة من الضباط وبعمله هذا ومجموع تصرفاته، أهمل واجباته الحكومية والعائلية مما اضطر ياسين الهاشمي عند تسلم الوزارة إلى فرض القيود على تحركات الملك فرحبنا بعمله هذا واعتبرناه بداية حسنة في سبيل إخضاعه لمتطلبات العرش.

ولم يمر زمن طويل، حتى تعارضت تصرفاته مع نوايا ورغبات الإنكليز المتمثلة بسفيرهم في بغداد، الذي بات يتذمر علناً من وجوب وضع حد لأعماله وخاصة وقف إذاعة قصر الزهور التي أخذت تطالب رسمياً بضم الكويت إلى العراق... وبتحديه للإنكليز هذا إلى جانب ضلوعه مع بكر صدقي في مقتل جعفر العسكري ومباركته لمذبحة الآثوريين في الشمال عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ أوغر صدر الإنكليز عليه وهم قوم لا يغفرون لأي كان التعرض لمصالحهم وبذلك حكم الملك غازي على عرشه وشخصه بالزوال بنفس الطريقة التي قضي بها على والده.

تأسيس حزب الإخاء، الدوافع... والنتائج

إن المتتبع لتاريخ السياسة العراقية منذ تشكيل الحكم الوطني، يجد أن الوزارات العراقية لا يدوم عمرها إلا بضعة أشهر، فتسقط ولم يتحقق بعد تنفيذ إلا القليل من منهاجها المعلن، وفي مطلع الثلاثينات، ولقرب انتهاء الانتداب الإنكليزي المفروض على العراق، كنا نتوقع أحداثاً كبيرة وتغييرات سياسية مهمة، وأول ما لفت نظرنا، ازدياد تسلط المندوب السامي الإنكليزي على توجيه السياسة الداخلية وضعف مقدرة الملك على التغلب على المصاعب التي يثيرها له الإنكليز، فاليوم قضية ولاية الموصل، وبعدها التهديد بفصل ولاية البصرة، وغداً أمر جديد آخر، وتحت هذه الظروف شعرت أن الواجب يتطلب منا أن تكون لنا جبهة قوية، هدفها خدمة البلاد والوقوف بوجه التحدي الإنكليزي والهيمنة على الوزارات عن طريق الأشخاص الذين يتسنمون المناصب الوزارية.. ومما حفزنا على العمل الجاد هو المعاهدة العراقية ـ البريطانية التي أراد الإنكليز أن تكون تعويضاً عن الانتداب الذي انتهى أجله.

لا أريد أن يكون مفهوم المعارضة هو مجرد الاعتراض على وجود

سياسي معين على رأس الحكومة لأسباب شخصية، وانما المقصود بالمعارضة حقيقة الواقع الذي يمر به العراق، تجاوزنا ذلك وأخذنا بنظر الاعتبار المصلحة العامة فبصفتي أحد المعارضين لسياسة نوري السعيد، فإني لم أكن الوحيد من بين الرؤساء وكبار الساسة الذي يتخذ هذا الموقف منه، فكل المعارضة داخل المجلس وخارجه كانت واعية لما يجري وما هو مطلوب منه، ومن هذا الموقف توجهنا إلى تكوين الكتلة التي تقف بوجه سياسة أي حكومة لا تخدم المصلحة العليا، ونتيجة لهذه الظروف استطعنا الاتفاق على تأسيس حزب الإخاء الوطني.

وبانبثاقه تقدمنا إلى العمل فور تشكيله، فجابهنا نوري السعيد وتحديناه برفض قانون رسوم البلديات وتأييدنا التام للاضراب العام الذي شمل العراق احتجاجاً على المشروع مما أدى في نهاية المطاف إلى سقوط الوزارة السعيدية.

إني لا أود أن أسرد واكرر أكثر مما ذكرت عن الأسباب التي حدت بنا إلى معارضة وزارة علي جودت الايوبي، ولا أسباب العصيان المدني الذي قمنا به على وزارة جميل المدفعي الثالثة، انما أريد أن أوضح بجلاء أن معارضتنا لم تكن بدوافع حزبية صرفة أو أننا كنا محّرضين من قبل اناس آخرين، ولكن بالرجوع إلى سجل هذه الوزارة، نجد أنها (وزارة الأيوبي) قد اهملت واجباتها وغضت النظر عن الأمور الاصلاحية وأطلقت يد الموظفين الإداريين في الألوية (المحافظات) والأقضية والنواحي في الأعمال الكيفية وصمت مسامعها عن الشكوى ضدهم حتى اضطرب حبل الإدارة وكادت الفوضى تعم البلاد مما أدى ذلك إلى استياء عام دفعنا بحكم المسؤولية التي نحملها إلى أن نطالب الوزارة الأيوبية بالأمور الإصلاحية التي وعدت بها ولم تنفذها.

وبعد تأليف ياسين الهاشمي لوزارته إثر سقوط وزارة المدفعي اعتقدنا أن المبادئ التي شكلنا الحزب من أجلها واخترنا تسمية الإخاء لها رمزاً قد عبثت بها الاهواء والطموح الشخصي لبعض الوزراء مما إثر على سمعة رئيس الوزراء ومقدرته على البقاء حيادياً بدون الانحراف والانصياع للتأثيرات من داخل الوزارة أو خارجها. . ومن الغريب أن أهم المشاكل

التي واجهت الوزارة كانت نتيجة لقرارات تم العمل بها فور بحثها في مجلس الوزراء وبدون اطلاع أعضاء الحزب على مضمونها، وقد سمعت بها أنا شخصياً من آخرين أو طالعتها في الصحف اليومية. ولا بد لي أن اشير إلى دور وزير الداخلية، رشيد عالي الكيلاني في هذا الصدد، وانفراده في إجراءات خلقت الازمات للوزارة، وأساءت إلى سمعة الحزب، ووترت علاقة الحزب بأعضائه المؤسسين وبالتالي كانت العامل المهم في انهياره مما اوجب حلّه. لقد واجهت ياسين منذ تشكيل وزارته رسمياً وعلى انفراد وأثناء اجتماعاتنا الحزبية، وكلمته بصراحة تامة عن وجوب الإقلاع عن تحدي الشعور العام الديني في جنوب العراق، وتأجيج وتأليب المتطرفين ممن يلجؤون إلى إحراجنا في مثل هذه المناسبات طالبين التوقف عن إسناد الحكومة والحزب إلا انني وجدته قد تغلب عليه طبعه العسكري ووقع تحت تأثير رشيد عالي والمتعصبين في البلاط الملكي وداخل الحزب.

وعندما قام الشيخ خوام العبد العباس بحركته المناوئة للحكومة في الرميثة، ذهبت والحاج عبد الواحد السكر إلى ياسين وطلبنا منه أن يتبع سياسة اللين وعدم اللجوء إلى القوة، وأن يخولنا التفاوض معه والاستماع إلى مطاليبه. فوافق على ما عرضناه عليه على أن يتم التريث إلى حين معرفة جهود متصرف الديوانية وقائمقام السماوة. وبعد أيام علمت أن قوات الشرطة السيارة قد اصطدمت بعشائر الظوالم وأن الأمور متوترة في الرميثة. ولتوي ذهبت إلى ياسين وحينما سألته عن الوضع في الفرات بدا منفعلاً واجابني «لدينا معلومات أن عشائر الشامية متفقة مع عشائر الرميثة للقيام بثورة وبناء على ذلك فقد أخبرت جلالة الملك وأطلعته على الوضع العام هناك، وقد خولت جعفر باشا (جعفر العسكري وزير الدفاع) لاتخاذ ما يلزم للقيام بإجراءات قمعية».

فذكرته بأني مستعد لبذل جهدي للوصول إلى حل سلمي قبل تفاقم الوضع وتدخل الجيش بما لا مبرر له.. وفي تلك الليلة توجهت إلى الديوانية فأصبحت في قريتي (العكشة) التي تبعد عن الرميثة حوالي العشرين وبضع كيلومترات، ومن ساعتها توجهت إلى هناك وباشرت اتصالاتي مع العشائر الثائرة والتي عرضّت بها حياتي للخطر. وبالرغم من الفشل الأولي

الذي واجهني في مهمتي، إلا أنني أعتقد أنه لو اعطي لجهودي وقت كاف، فلربما كان أثمر وتكلل عملي بالتوفيق وتجنبنا إراقة الدماء.

كان الجيش بقيادة بكر صدقي مما اثار المخاوف في نفسي من وجود هذا الضابط على رأس الحملة، لما يتصف به من قسوة وخشونة في تنفيذ عملياته العسكرية التي اشتهر بها في حملته على الآثوريين في شمال العراق.. ولم تمض إلا أيام معدودة حتى تدخل الجيش بأسلوب لم يسبق له مثيل من تخريب وتقتيل وسفك دماء... وعندما سألت طه الهاشمي رئيس الأركان في ذلك الوقت، عن سبب اختيار بكر صدقي لقيادة هذه العمليات وفيما إذا ما كان سيحاسب على ما قام به من مجازر في الرميثة[1]. أجابني أن الذي رشح بكر لقيادة الحملة هو الملك وأنه يتمتع بكامل ثقته، قبل الحملة وبعدها... وبذلك اتضح لي، أن الحزب أصبح اسماً وأن رئيسه تحول رمزاً، وأن المناورات تجري من وراء الستار بين رشيد عالي الذي كان يطالب بحرق قرى العشائر المناهضة من الشامية إلى السماوة، وبين المتعصبين في البلاط للبطش بأبناء العشائر أسوة بالآثوريين من أبناء الشمال... ولم تمض إلا أيام معدودة على ما جرى في الفرات حتى وجد ياسين الهاشمي نفسه وجهاً لوجه معنا وقد احرجنا لأكثر من مناسبة في سياسته غير المتوازنة في جنوب العراق تجاه أبناء الشيعة عموماً وأبناء العشائر خصوصاً، كما أن انفراد رشيد عالي بتصرفاته وتكتله داخل الحزب والوزارة اخل بتوازن القوة لرئاسته، فوجد أن المخرج الأسلم له في مثل هذه الظروف هو أما الاستقالة أو حل الحزب والتخلص من مشاكله التي

---

(١) طالب عدد من النواب بعد مقتل بكر صدقي التحقيق في مذابح الرميثة التي ارتكبها في عهد وزارة ياسين الهاشمي ومعاقبة المسؤولين عنها، فرد أربعة وزراء من وزارة الهاشمي هم نوري السعيد ورؤوف البحراني ومحمد أمين زكي وصادق البصام بمذكرة إلى المجلس للإسراع في التحقيق من قبل المجلس ومعاقبة من تقع عليه جريرة العمل.

راجع الوثيقة التي قدمها القنصل الأمريكي في بغداد بتقريره المرقم:

G,General Condions/123 No.987890
March-.17,1938
Iraq Survivors of Hashimi Gabinet Request Vindication
Knabenshue-.U. S. Counsel, Baghdad

القنصل الأمريكي: نابنشو
راجع ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (٣٠)

ابتدأت ساعة تشكيله، وبذا تقرر حل الحزب الذي أسسناه من أجل مبادئ نبيلة، فذهب الحزب وبقي الرجال كل يتبع هواه...

اجتماعات الصليخ

اتخذنا من بيت حكمت سليمان دار ندوة لنا في الصليخ[1] فكثرت فيها اجتماعتنا ومذاكراتنا، وفي الليلة السابعة من كانون الأول ١٩٣٤ المصادف ١٢ رمضان ١٣٥٣، دعانا رشيد إلى تناول الفطور في بيته، وكنا ثمانية أشخاص من الرؤساء، وحكمت سليمان[2]، وبعد أن تذاكرنا طويلاً قررنا بصورة قطعية معارضة الحكومة[3]، بالطرق الأدبية المجردة من الأمور الحزبية، وأن نقدم الاحتجاجات إلى جلالة الملك نذكر فيها مساوئ الوزارة ونطلب إسقاطها وخلافاً لذلك نقوم عليها بقوة السلاح.

ولما كنا نعرف ما للمناصب من المفعول الشديد في النفوس، الذي قد

---

(١) السيد محسن أبو طبيخ، المبادئ والرجال، المصدر السابق «مؤتمرات الصليخ الصفحة ٣٤»
- سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عام ١٩٢٢ - ١٩٣٦، الجزء الثاني، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٦ الصفحة ١٦ «وقد بلغت اجتماعات الصليخ ذروتها يوم ٧ كانون الأول ١٩٣٤ عندما عقد اجتماع في دار رشيد عالي الكيلاني حضره ثمانية من رؤساء الفرات الأوسط بضمنهم السيد علوان الياسري والسيد محسن أبو طبيخ وعبد الواحد الحاج سكر...»

(٢) حازم المفتي، العراق بين عهدين، ياسين الهاشمي وبكر صدقي، مكتبة اليقظة العربية، مطبعة سومر ١٩٩٠، الصفحة ٧٢ «حكمت سليمان، من كبار الإقطاعيين في العراق ومن الموالين للسياسة البريطانية، وهو سليل أسرة «كولامندية» غير عربية من بقايا الكولامند المماليك وهم خليط من أبناء الكرج والصرب والداغستان والألبان. نشأ حكمت سليمان في بيت تكره العرب وتمجد الأتراك، وهو أخ شقيق محمود شوكت باشا الذي زحف على استانبول سنة ١٩٠٩، واجبر السلطان عبد الحميد على التنازل عن العرش... انتسب حكمت سليمان إلى جمعية الاتحاد والترقي التركية ومن أهدافها القضاء على القومية العربية وكان من أعضاء حزب الإخاء الوطني، وفي سنة ١٩٣٥ انشق على الحزب وعلى ياسين وفي سنة ١٩٣٦ ألف الوزارة بعد الانقلاب الذي تزعمه الفريق بكر صدقي، وفي سنة ١٩٣٩ حكم عليه بالإعدام لأنه دبّر مؤامرة لقلب الوزارة السعيدية ولكن الحكومة البريطانية وسفيرها في بغداد ضغطوا على الملك فأبدل الإعدام بالسجن المؤبد وبعد سنة أعفي من عقوبته».

(٣) المقصود هنا بكلمة، «معارضة الحكومة»، هي وزارة علي جودت الأيوبي.

يعود على البلاد بأوخم العواقب، ولا سيما لدى الساسة الذين نتعامل معهم، فأردنا أن نأخذ على أنفسنا ما نُطمئن به مستقبل البلاد، فاقترحنا على كل من حكمت سليمان ورشيد عالي أن نكتب وثيقة، تكون كمنهج عمل للمستقبل يوقع عليها الحضور. كتب الوثيقة رشيد عالي ووقعنا عليها جميعاً ثم وضعت فوق القرآن المجيد، وأقسمنا يمين الإخلاص على العمل بموجبها، واودعت بعد الفراغ من جلستنا لدى حكمت سليمان.

كان أهم مواد الوثيقة هي: أنه لا يجوز لأحدنا أن يقبل أي منصب يعرض عليه من مناصب الدولة بدون موافقة الموقعين على الوثيقة وقد أطلق حكمت على اتفاقنا هذا «الكتاب المقدس».

وفي تلك الليلة نظمنا صور الاحتجاجات والعرائض التي رفعت إلى جلالة الملك غازي[1]، ورئيس مجلس الأعيان ومجلس النواب، وفي اليوم التالي أخذت هذه العرائض إلى الفرات وتم توزيعها في كافة مدنه وتعهد حكمت سليمان أن يقوم بدور الوسيط في ربوع عشائر لواء ديالىٰ وعشائر الالوية الكردية وأن يشركهم معنا في الميثاق لنكون معهم يداً واحدة[2]، وبفضل مساعيه توارد زعماء هذه المناطق على بغداد وكنا نجتمع بهم في بيته ويجري حلف اليمين والإخلاص[3].

---

(١) حازم المفتي، العراق بين عهدين، ياسين الهاشمي وبكر صدقي، مكتبة اليقظة العربية ١٩٩٠. الصفحة ٤٨ «وقصد جماعة من هؤلاء إلى بغداد يوم ١٢ شوال سنة ١٣٥٣ فرفعوا هذه العريضة إلى الملك (غازي)».

(٢) نفس المصدر أعلاه الصفحة ٥٠ «وفي بغداد بدأ حكمت سليمان اتصالاته برؤساء قبائل العبيد والعزة وتوقيع عرائض بهذا المعنى...»
عشائر العبيد والعزة موطنها بين ديالى وكركوك.

(٣) الشيخ عبود الهيمص، ذكريات وخواطر، بغداد ١٩٨٩، مطبعة الراية، الصفحة ١٧١، «بعد قيام علي جودت الأيوبي بإجراء الانتخابات عام ١٩٣٤ حصل توتر بين الوزارة والمعارضة التي كان يقودها حزب الإخاء الوطني بزعامة رئيسه ياسين الهاشمي وبتأييد من زعماء العشائر في الفرات الأوسط وفي مقدمتهم: عبد الواحد الحاج سكر، والسيد علوان الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ رحمهم الله... وقد تكررت هذه اللقاءات والاجتماعات التي كانت نواة لما عرف بعدئذ بـ (مؤتمرات الصليخ)... وأذكر من الذين حضروا أحد الاجتماعات وأدوا اليمين كلاً من: الشيخ حبيب الخيزران رئيس عشائر العزة والشيخ عاصي العلي رئيس عشائر العبيد، وحميد الحسن رئيس عشائر بني تميم، وعلي كمال والشيخ دارا الداوده والشيخ داود الجاف... والشيخ عبادي الحسين، وشنشول =

ولما أدرك ياسين الهاشمي جدية اعراضنا عنه، ومعاضدة مجلس الأعيان لنا بتأييده تلك الاحتجاجات والعرائض التي وردته من أنحاء البلاد، جاءنا ذات ليلة ونحن مجتمعون في بيت حكمت سليمان في ساعة متأخرة من الليل، مع رؤساء عشائر لواء ديالىٰ، وكان مجيئه من دون سابق وعد، فصفق له الحاضرون وقدم هو اعتذاره عن تأخره طول هذه المدة، ثم اشترك معنا وعاهد الله واقسم اليمين على احترام العهد الذي اتفقنا عليه غير أننا لم نعرض عليه الميثاق ولم يوقع عليه.

جاءني حكمت سليمان في أحد الأيام بعد اجتماعاتنا المارة الذكر إلى بيتي وأخبرني قائلاً أن لي صحبة وصداقة مع جعفر أبو التمن وقد فاتحته وأخبرته بعملنا هذا، وطلبت منه أن يشترك معنا وقد سألني عن أسماء القائمين بهذه الحركة وعندما أخبرته اظهر الرغبة في الاشتراك بهذا الأمر، وقال لي «إني لا أثق بغير السيد محسن أبو طبيخ من بين القائمين بهذه الحركة، فإذا امكن أن تجمعني به وأسمع منه صدق النية في العمل لأشترك معكم في عملكم هذا».

ولما كان الأمر مهماً، فالواجب يحتم علينا قبول اشتراك كل العناصر معنا لأجل أن نكثر الضغط على الوزارة، فقصدت جعفر إلى محله وتذاكرت معه بما نقوم به، وأبدى رغبته مشاركتنا وفعلاً حضر ذات ليلة إلى منزل رشيد عالي الكيلاني، فوافق المجتمعون على اشتراكه في الوقوف معنا في معارضة الحكومة فقط، لا على الاسس والمبادئ التي سبق الاتفاق عليها بيننا في الميثاق.

الاضطرابات المسلحة في الفرات الأوسط ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥

لم تكن اضطرابات الفرات الأوسط عام ١٩٣٤ وليدة ساعتها أو أنها تمخضت بسبب استلام علي جودت الأيوبي لرئاسة الوزراء، ربما كان هو

= حسن آغا، وسماوي الجلوب والشيخ حسن البدر الرميض، والشيخ ريسان الكاصد والشيخ صكبان العلي.. وقد تم الاتفاق بين الحاضرين على معارضة حكومة علي جودت الأيوبي وعدم تنفيذ أوامرها والامتناع عن دفع الضرائب، ثم القيام بالتمرد والعصيان المسلح...»

بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير، بإجراءاته التعسفية وإبعاده رجال الفرات عن الحكم ومقاعد مجلس النواب وتسليمها إلى الأفندية ممن لا يمتلكون عنصر الوجدان للتكلم باسم الشعب العراقي[١]، لقد كان الفرات الأوسط ينوء تحت وطأة الإهمال المتعمد المتواصل منذ تأسيس الحكم الوطني، وبمجيء كل حكومة جديدة كنا نتوقع تبديلاً في السياسة ونأمل التحرك في رفع أسباب الشكوى جراء انعدام الخدمات الصحية والتعليم، وفقدان طرق المواصلات وإهمال الزراعة وقنوات الري، ثم تأتي الكوارث متعاقبة على المنطقة، من فيضانات وجراد لتدمر المزروعات والبساتين التي هي مصدر عيش الكبير والصغير، الملاّك والسركال والفلاح، إلا أن الحكومات المتعاقبة لم تأخذ هذه الاعتبارات بعين الواقع الذي يتطلب العدل في معالجة هذه المشاكل[٢].

كنا نتوقع وعموم سكان هذا الجزء المهم من العراق، أنه باستلام الحكم الوطني زمام الأمور، ستصلنا الرعاية الصحية، والتعليم وكري الأنهار والجداول وتعبيد الطرق وربط الجسور، ولكن لازال أبناؤنا تفتك بهم الملاريا وأمراض السل والبلهارزيا والجدري وليس هناك من يهتم. وعلى سبيل المثال، لا يوجد حتى ولا موظف صحي في غماس أو المشخاب، وعلينا السفر إلى النجف لطلب المعونة الطبية هناك، وفي موسم

---

(١) اسطيفان همزلي لونكرك، العراق ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠، مطابع جامعة اوكسفورد ١٩٥٣ الصفحات ٢٣٩ ـ ٢٤٠ «وكانت الدعاية ـ ضد وزارة الأيوبي ـ موجهة بصورة اعتيادية من النجف وقبائل الفرات حيث يتواجد الشيوخ الساسة امثال عبد الواحد الحاج سكر شيخ آل فتلة وامثاله السيد محسن أبو طبيخ، وعلوان الياسري الذين استثنوا بصورة غير حكيمة من الحكم ولهم كل المبررات الشخصية والعامة لتبديل الحكم». هذه الترجمة بتصرف، راجع النص الإنكليزي
Stephen Hemsly Longrigg, "Iraq,1900 to 1950, a Political Social, and Economic History", pages 237-244

(٢) جون بكوت كلوب، مغامرات عربية، الطبعة الأولى، لندن ١٩٧٨
John Bagot Glubb," Arabian Adventures", London, 1978
الصفحة ١١٢ «. . . وقد ورد لخاطري، أن هؤلاء الأناس الفقراء ـ يقصد عشائر بني حجيم ـ المطالبين دوماً بدفع الضرائب، ولم ينتفعوا بشيء من الحكومة التي تطالبهم بدفعها، فبالنسبة لهم، ليس هناك طرق، ولا أطباء ولا مدارس حتى ولا أمان لحياتهم وممتلكاتهم. . .» راجع النص الإنكليزي للتفاصيل.

الفيضان، تنقطع الطرق في عموم المنطقة وتجرف المياه الجسور والقناطر البدائية، وبعد الفيضان نقوم نحن، كل في منطقته، بإصلاح ما خربته المياه، أما الطرق، فهي عبارة عن ممرات ترابية لمسالك الإنسان ودوابه، وجدت منذ استوطن اجدادنا هذه البقاع، وهي لازالت كذلك ولم يختلف وضعها منذ الحكم العثماني. وأشد ما يعاني من إهمال، هو التعليم، فالمدارس تكاد تنعدم في المنطقة ولأجل تشجيع وزارة المعارف على فتح مدرسة ابتدائية في غماس، أخبرت وزير المعارف باستعدادي للتبرع ببناية للمدرسة من املاكي مع دار لسكن المعلمين[1].

ومما زاد في خطورة هذه الأوضاع الإجراءات غير الحكيمة التي اقترفتها الحكومات المتعاقبة بإبعاد أبناء الفرات عن ابسط الأعمال الوظيفية ناهيك عن المناصب الإدارية الأخرى وتفضيل التعيينات لأفراد من خارج المنطقة مما اثار في كثير من المناسبات العديد من شيوخ العشائر فقاموا برفع أصواتهم احتجاجاً على العصبية الطائفية! وما أن جاء علي جودت الأيوبي إلى الحكم، حتى قام بحملة تقليص الملاك الحكومي ووقع هذا الأمر تحديداً في وزارة المعارف، فتم فصل كبار وصغار موظفيها من أبناء الألوية الجنوبية أو ممن لهم صلة مذهبية بها، وبدون مبرر، كما تم تقليص إدارات

---

(١) عبد الكريم الأزري، تاريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠ ـ ١٩٥٨، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٢الصفحة ٢٨ «لقد كانت توجد سابقاً خمس مناطق معارف وكانت واحدة منها تسمى ـ مديرية معارف منطقة الفرات الأوسط وكانت تشمل أربعة ألويه (منها) لواء الديوانية، ومع ذلك فقد ألغيت هذه المديرية في سنة ١٩٢٧ عندما كان ساطع الحصري مديراً عاماً للمعارف. . وألحقت شؤون المعارف لمحافظة القادسية (الديوانية) بمديرية منطقة معارف البصرة البعيدة جداً والتي يصعب على سكان المحافظتين المذكورتين مراجعتها بسبب بعدها وبسبب انقطاع المواصلات معها في معظم أيام السنة بسبب الأمطار والفيضانات».
للتعرف على وجهة النظر البريطانية وأهميتها على سير الاحداث في اضطرابات الفرات عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ راجع التقرير البريطاني المرسل من السفير الإنكليزي في بغداد السير ارجبيالد كلارك كبير وعنوانه «عرض للأحداث في العراق في عام ١٩٣٤... الجزء الأول، كانون الثاني ١٩٣٥».

Review of Events in Iraq in 1934
Section 1-. January 1935
F.O. 371- 18949/E898/464/44

التقرير مسهب وليس في هذا الكتاب متسع فيه للأسف لترجمته أو إلحاقه مع الوثائق المرفقة، فهو محفوظ في دار الوثائق البريطانية بمدينة كيو، إنكلترا.

التعليم في كافة الألوية الجنوبية حتى تلك التي في منطقة نهر دجلة، في الوقت نفسه قامت قيامة اليهود في بغداد ولندن في آن واحد بمجرد فصل بعض الموظفين اليهود في وزارة المالية. . . يتضح أن الأمر بالنسبة لنا له معياران، فإن حاولنا حماية أبنائنا من التعسف وطالبنا بالحد الأدنى لرفع مستوى المنطقة ينعتوننا بالطائفية.

هذه مجرد مقدمة وجيزة للأسباب التي أدت إلى رفع العشائر في الفرات الأوسط عقيرتها بالهتاف ضد الوزارة الأيوبية بعد أن لمست أن إجراءاتها عقيمة وكانت سبباً للتعبير عن نقمتها المكبوتة وخيبة الأمل في وزارات الحكم الوطني.

وحينما تبينت لنا خطورة الوضع في الفرات الأوسط ما قد ينجم عنه من بلاء، توجهنا بتفكيرنا إلى من يقود الأمة وإخراجها من هذا المأزق، وبحكم علاقتنا الوطيدة بياسين الهاشمي ومن خبرتنا به في المجالس النيابية، وأدائه لواجباته في الوزارات التي تسنمها، وجدنا فيه صفات رجلٍ منزه عن المطامح الشخصية وصاحب نزعة وطنية فوق كل مصلحة. ولهذا جاء الاجماع من طرفنا بتأييده لانتشال البلاد من أوضاعها المتردية ولم نكن في أي يوم من الأيام أداة بيد احد. أما ضعاف النفوس ومتصيدي المناصب وعضويات المجالس، فتجدهم في كل مجتمع وفي كل مكان وزمان وأن دورهم في تلك الأحداث بالذات لم يكن بخافٍ على احد.

استمر الوضع بالتدهور في عموم البلاد، ورئيس الوزراء ماضٍ في تجاهله لرغبات الأمة، فقد زور مجلساً أسماه ـ نواب الأمة ـ وتجاهل المضابط الشعبية التي عبرّت عن سخطها لإجراءات منع التجمع واعتقال المعارضين، إضافة إلى تجاهله لمجلس الأعيان الذي بقي يناقش أعمال الوزارة ويتحدى مقرراتها، ولما وجدنا أن الأمر أصبح أكثر من أن تتحمله الأمة، وبوجه التحديات التي قامت بها قوات الشرطة السيارة التي أرسلها وزير الداخلية إلى المشخاب وغماس ولاستمرار الاستفزازات ضد أبناء العشائر من قبل هذه القوة، فقد وقفنا بوجهها، ونزلت عشائر آل فتلة وآل إبراهيم والخزاعل وآل زيّاد كل في منطقته واحتلت المعابر والجسور والطرق العامة ومخافر الشرطة وجرى بعض التراشق بالنيران في غماس إلا أن آل

زياد سيطروا على الوضع، وعندما قررت التوجه في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٤ إلى غماس، وعند وصولي إلى المحاويل، تصدت لي قوة عسكرية، أعادتني مخفوراً إلى بيتي، وبقيت فيه، تحت الإقامة الجبرية إلى أن استقالت وزارة الأيوبي في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٣٥ وشكلها بعده مباشرة جميل المدفعي. أما في الفرات الأوسط، فقد استمر التوتر في كافة المناطق ولم يتبدل الوضع إلى الأحسن، فتوجه وزير الداخلية لمقابلة رؤساء العشائر هناك، وعند وصوله طلب ابني الأكبر كامل من الحاج عبد الواحد السكر في المشخاب احتجاز وزير الداخلية كرهينة إلى أن تخلي الحكومة في بغداد سبيلي لغرض الالتحاق بهم، ولكن الحاج عبد الواحد رفض هذا الاقتراح تفادياً لتأزيم الوضع. ولم تهدأ الخواطر إلا بعد استقالة وزارة جميل المدفعي واستلام ياسين الهاشمي لرئاسة الوزراء فتركت بغداد بعد ذلك بأيام إلى الفرات لطمأنة النفوس وإحلال السلام في ربوع الفرات الأوسط الذي كادت تعصف به اهواء الساسة في بغداد.

حزب الإخاء يستلم الحكم

استقالت الوزارة المدفعية الثالثة في ١٦ آذار (مارس) ١٩٣٥، وكلف جلالة الملك غازي ياسين الهاشمي بتشكيلها في ذلك اليوم جاءني محمود النعماني، أحد أعوان الهاشمي إلى منزلي يطلب حضوري فقصدت داره التي كان معه فيها الحاج ياسين الخضيري زائراً، فبادرني قائلاً، أن الوزارة استقالت وكُلفتُ من قبل جلالة الملك بتشكيلها، ولم أعط جلالته جواب القبول بعد، فما هو رأيكم في ذلك؟ فقلت له بصفتي الشخصية أرى من الواجب أن تقبل التكليف حالاً، لأننا ضغطنا على وزارتي الأيوبي والمدفعي فاستقالتا، وإن جموعنا متقابلة مع الجيش، ولحسن الحظ لم تطلق حتى الآن طلقة واحدة من الجانبين، فيجب أن تقوم بتشكيل الوزارة لكي تنتهي هذه الحركات بسلام، فقال: «إذ كان هذا رأيك فيجب أن تذهب إلى أصحابك أهل الصليخ، وتأخذ موافقتهم». فذهبت لتوي إلى حكمت سليمان وأخبرته بتكليف الهاشمي بتشكيل الوزارة فوجدته على علم بالأمر كما ابدى تحفظاً بقوله «انا ليس لي رأي في ذلك والرأي لكم ولصاحبكم». بعدها اتضح لي أنه قد ارتبط بعهد آخر وهذا

ما قاله «انا مرتبط مع جماعة ولي عهد ويمين معهم فليس باستطاعتي أن أعطي رأيي قبل أن اقف على آرائهم ولا يمكن أن اشترك في الوزارة قبل أن أخذ موافقتهم»[١] وهؤلاء «الجماعة» هم ليسوا من اجتمع بهم في داره وحلفنا اليمين سوياً واودعنا الميثاق لديه. وكان اتفاقه مع «جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي وعبد القادر إسماعيل وغيرهم». وبذلك اتضح لي وانكشف سبب نكول حكمت عن عهده ويمينه معنا وليس أوضح على ذلك من سلوكه معي بإصراره على المشاركة في الوزارة شرط أن يستلم هو منصب وزير الداخلية وكان هذا نفس موقف الحاج جعفر أبو التمن، فوجدت أن الوقت أقصر من أن يضيّع في المزايدات السياسية وتجاهل مصلحة البلاد، ويمكننا إنقاذ الموقف وتفادي الازمات بعدم الرضوخ للمطاليب الشخصية والأنانيات[٢].

---

(١) السيد محسن أبو طبيخ، المبادي والرجال، المصدر السابق، راجع الصفحات ٤٦ ـ ٤٨

(٢) خليل كنه، العراق أمسه وغده، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٦
الصفحة ٤٤ «وجابه ياسين الهاشمي مشكلته الجديدة الخطرة عندما عرض على صديقه وأحد اقطاب حزبه السيد حكمت سليمان الاشتراك في الوزارة معه غير أن حكمت سليمان طلب امهاله ريثما يستشير اصدقاءه.. وهنا يروي السيد رشيد عالي الكيلاني القصة فيقول: «كلفني ياسين الهاشمي أن أتحرى عن الأصدقاء فقمت بزيارة السيد جعفر أبو التمن وهناك علمت أن الاصدقاء الجدد هم جماعة «الأهالي» وعندما اطلعت ياسين على هذه الحقيقة اعتذر عن تأليف الحكومة وأبلغ البلاط ذلك، ويواصل رشيد عالي كلامه» وعندما بدا لي أن الفرصة المواتية لتأليف الحكومة قد تبخرت فسارعت إلى داري وهيأت بعض الملابس وأسرعت إلى دار السيد محسن أبو طبيخ بقصد الذهاب معه إلى الفرات لإشعالها ثورة دامية مرة اخرى، وبينما انا اناقش الأمر مع السيد محسن أبو طبيخ جاءني رسول يقول إن ياسين يطلبني وعندما وصلت داره رأيت الوزراء بلباس البونجور وهم بانتظاري لنذهب إلى البلاط...».
ـ الدكتور علي السيد محسن أبو طبيخ، في مقابلة لي مع أخي علي بمنزله في كاليفورنيا قال «في ظهيرة يوم طرق خادم الوالد الباب فخرجت له وأخبرني أن رشيد عالي الكيلاني جاء لزيارة السيد وهو الآن في غرفة الاستقبال. فأسرعت بإخبار الوالد وكان قد نزل إلى السرداب ليأخذ قيلولة الظهيرة، ثم رجعت إلى غرفة الاستقبال فوجدت رجلاً قصير القامة عريض الكتفين واقفاً يذرع المكان جيئة وذهاباً، فسلمت عليه وتبادلنا الحديث عن دراستي وأثناء سؤاله لي دخل الوالد فتقدم إليه رشيد عالي وعانقه. وبعد جلسة طويلة غادر رشيد وعلمت من الوالد أن زيارة رشيد عالي المفاجئة كانت آخر محاولة منه لإقناع السيد بإثارة عشائر الفرات ولكنه لم يفلح بسبب إصرار الوالد على متابعة تهدئة الخواطر ولهذا السبب بعد انصراف رشيد عالي وإعلان تشكيل وزارة الهاشمي أحس الوالد بخطورة الوضع في الفرات وقرر ترك بغداد وتوجه إلى غماس». =

عدت إلى بيت ياسين الهاشمي بعد أن أطلعته على أننا نواجه خطر المساومة على الكراسي الوزارية من لدن جماعة لا هدف لها غير توسيع نفوذها السياسي الجديد[1].

وفي صبيحة ١٧ آذار ١٩٣٥ تشكلت وزارة الهاشمي على النحو المعروف ولم يشترك فيها حكمت سليمان لإصراره على طلب منصب وزير الداخلية، بناء على ما أشار عليه رفاقه الجدد، وقد ضرب عرض الحائط بتصرفه هذا، بعهده ويمينه لأصحابه الأوائل، وليس لي إلا أن أترك الحكم على أمثال هؤلاء الرجال للتاريخ.

الصراع على الزعامة الدينية والسياسية[2]

بالغ الكثيرون من الكتاب في تفسير موقفي تجاه العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وقد كان ما أوردته عن هذا الموضوع في كتابي المبادئ والرجال واضحاً ولا يقبل أي تعليل أو تفسير، غير أن ندرته وقلة أعداد الكتاب حرمت المتتبع عن تقصي الحقائق وبقي ما بقي من آثار تلك الفترة

= ـ عبد القادر البراك، ذكريات أيام زمان، طبع الدار العربية، بغداد ١٩٨٩، الصفحة ٣١ «والحقيقة كما عرفتها بعد من غير حكمت سليمان، أن الأخير رغم اشتراكه بمؤتمر الصليخ الذي مهد له رشيد عالي الكيلاني للإطاحة بحكم وزارتي المدفعي والأيوبي وإسنادها إلى حليفه القوي الهاشمي، فأنه ـ أي حكمت ـ كان على اتصال بجماعة الأهالي (جعفر أبو التمن) (كامل الجادرجي) (وعبد القادر إسماعيل) الذين اقروا مبدأ الاتفاق على قيام انقلاب عسكري ـ خلافاً لرأيهم في الانقلابات ـ على أن تسند لحكمت وزارة الداخلية...».

(١) المقصود هنا بعبارة (الجماعة) هو (جماعة الأهالي) المتكونة في ذلك الوقت من عبد القادر اسماعيل وحسين جميل وعبد الفتاح إبراهيم ومحمد حديد وجعفر أبو التمن، وكامل الجادرجي.

(٢) وجدت من المناسب أن يضم هذا المجلد ما دوّنه السيد محسن أبو طبيخ عن علاقته مع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه المبادي والرجال ليطلع القارئ على خلفية الموضوع لقد كتب الكثيرون عن هذه العلاقة منذ الثلاثينات للوقت الحاضر وتطرق إليها البعض بتطرف مثير لا مبرر له قادهم للتحامل على السيد محسن وأصحابه، لمجرد إعلانهم النصح للطرف الآخر.
... ولولا جهود السيد محسن أبو طبيخ، والسيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد السكر وصحبهم من الرؤساء لغرق الفرات الأوسط وبالتالي العراق قاطبة بحرب طائفية ربما نتج عنها تمزيق كيانه الاجتماعي والجغرافي معاً.

تتناولها الألسن في المجالس شفاهاً وفيها كثير من التشويه وكل يسير على هواه، وبناءً على ذلك، أرجو أن يكون هذا الايجاز موضحاً لبعض ما خفي من تاريخ تلك الأيام.

في مطلع محرم ١٣٥٤ (١٩٣٥) كنت في النجف الأشرف عندما زارني أحد المشايخ يحمل لي رسالة من الشيخ كاشف الغطاء، وقد كانت غريبة في كل ما ورد فيها ولم اجد لها تفسيراً أو مبرراً، إذ حدد فيها وبصورة لا تقبل أي شك رغبته في تسنم قيادة العمل السياسي وتزعم ما لم يستطع التوصل إليه في صراعه الطويل مع العلماء الأعلام حول تقلد المرجعية وذلك بالنطق بعموم المطاليب العامة وتحديداً حقوق الشيعة بصورة خاصة، كما أشار إلى كيفية التصرف مع الحكومة القائمة ومع بعضنا البعض وفي نهاية المطاف ختم رسالته بتنصيب نفسه بصورة غير معلنة زعيماً دنيوياً مطلقاً إلى جانب زعامته الدينية التي نكن الولاء لها.. لقد أكد الشيخ أنه بصفته المرجع الديني الأعلى، فقد وجب علينا وعلى أتباعنا الرجوع إليه وحده في البت بالمشاكل المحلية، والوطنية، وهذا ما لم نعهده من قبل في المراجع الدينية سابقاً، كما أن انتقاده لنا على قبول المناصب الحكومية وعضوية مجلس الامة، مناقض لتطلعاتنا ولا مبرر له.

في الوقت الذي يشكو هو من قلة ما يحصل عليه الشيعة من حقوق في دوائر الدولة وضرورة ايصال صوتهم إلى الجهات العليا... فإذا حرمنا منها نحن وأولادنا، فمن يتعرف على مشاكلنا في دواوين الحكومة؟... وزد على ذلك منعنا من الانتماء للاحزاب والعمل فيها، في الوقت الذي كان هو أول من نادى بتكوين الاحزاب الشيعية والجمعيات النجفية، وإذا كان الانتماء الحزبي الشيعي حلالاً؛ والآخر على المستوى الوطني العام لإيصال ما نصبو إليه من اقتسام الحقوق مع الآخرين حراماً؛ فكيف يرتئي سماحته تفسيراً لهذه الرسالة الغريبة في تناقضاتها؟

وحينما التقيت بالحاج عبد الواحد السكر في أحد مجالس العزاء الحسيني، أطلعني على رسالة مماثلة استلمها من الشيخ، كما أخبرني أن آخرين من المشايخ قد وردتهم مثل هذه الرسالة وهم في محالهم وقراهم في الفرات.

وعند رجوعي إلى بغداد زارني ياسين الهاشمي وجعفر العسكري،

فتكلم جعفر قائلاً إن لديهم معلومات وتقارير وردت من متصرفية كربلاء والشرطة تشير إلى خطورة ما يقوم به الشيخ كاشف الغطاء من دعاية وتوزيع مناشير وعقد اجتماعات قد تثير الشغب والفتنة في صفوف الزوار ووفود المواكب الحسينية التي تؤم كربلاء في شهر محرم، وما لم يوقف الشيخ أعماله هذه فإن الحكومة في طريقها لاتخاذ ما يلزم لتفادي حصول المحظور. . وقد بلغني فيما بعد أن رشيد عالي الكيلاني قد زار السيد علوان الياسري وأخبره بما سمعت من جعفر باشا، فقمت بزيارته وايد ما ذكرته له عن رسالة الشيخ لأنه استلم رسالة مماثلة كما أخبرني ما قاله الكيلاني عن خطورة الوضع في كربلاء. وبناءً على ذلك قررنا الذهاب إلى النجف سوياً لمعالجة الموضوع قبل أن يستفحل. . فقمنا بزيارة الشيخ حيث كان ديوانه غاصاً بالكثير من مريديه. تكلم السيد علوان بصورة عامة وقد اثار مسألة المخاوف التي تنتابنا جراء أي فتنة قد تؤجج أثناء موسم الزيارات في محرم الحرام، وطلب من الشيخ أن يكون عوناً لجمع الصفوف وتوحيد الكلمة وتجنب تدخل الحكومة في سير مواكب العزاء. وقد أثار دهشتنا اعتدال جوابه وعدم تعرضه بالاشارة إلى الحكومة إلا أنه وجه اللوم لمن يتعاون معها وكأنه بهذا يدعونا للخروج عليها ثم أشار إلى رسائله التي بعث بها إلينا مؤكداً صيغتها وانها ـ القبس ـ الذي سيسير عليه في علاقته معنا. ومن ساعتها توقعت أن الشيخ ماض في طموحه السياسي لدعم صراعه على الزعامة الدينية وبعمله هذا عرّض وسوف يعرّض أبناء الفرات ورؤساءها إلى الانشقاق والتفرق والحزازات وإلى الفتنة وإراقة الدماء.

نحن والعلامة كاشف الغطاء(1)

دفعني للخوض في هذا الموضوع اطلاعي على ما كتبه المدعو إبراهيم يوسف يزبك، الصحافي البيروتي الذي استقدمه حكمت سليمان، ودفع له من خزانة الدولة، ليؤلف كتاباً يحتوي على السب والثلب في الهاشمي

(1) السيد محسن أبو طبيخ، المبادي والرجال، المصدر السابق الصفحة ١٥٠
راجع التفاصيل في الصفحات ٥٣ ـ ٨١ تحت عنوان: «إنقاذنا البلاد من حرب ضروس بين الشيعة والسنة ـ نحن والعلامة كاشف الغطاء».

وزملائه وأصدقائه، ويتهمهم بمختلف التهم التي تبرر أعمالهم، ويكيل لجماعة حكمت سليمان المديح. إن الذي دفع بي إلى كتابة هذا الفصل هو أني أثناء تصفحي الكتاب شاهدت فيه فصلاً منقولاً عن كتاب (أسرار الانقلاب) للسيد عبد الرزاق الحسني، كان قد منع من الدخول إلى العراق وتطرق فيه الحسني إلى أقوال منقولة عن العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[1]، تمس دورنا في أزمة الوزارة الأيوبية عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ ولما كانت التصريحات المنسوبة إلى الشيخ مغايرة للحقيقة ومنقولة بتصرف مشين بشخصيتنا، رأيت من الواجب أن أبين الحقيقة، وهي كل ما دار بيننا وبين العلامة في هذا الفصل.

ومن أجل الوقوف على صحة أقوال الشيخ، فقد كلفت أحد الافاضل العلماء أن يكتب إليه كتاباً يستفهم فيه عما نسب إليه من تصريحات وبيان عن حركة عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ المنشورة في كتاب يزبك، وهل لها نصيب من الصحة، أم هي من مفتريات المضللين؟ وكان رد سماحته بما يفيد أنه ليس صاحب الافتراء الوارد في كتاب يزبك والمنقول عن كتاب الحسني صاحب كتاب (الانقلاب). لذا لم يكن ذلك الرد بكاف لكشف النقاب عن وجه الحقيقة، فقصدت الحسني إلى داره، وسألته عما نشره في كتابه، وهل أخذ ذلك عن الشيخ شفاهياً أم خطياً. فأجابني الحسني: «ان السؤال والجواب، لم يكونا إلا بشكل كتابين، وأن جواب الشيخ محفوظ عندي ومؤرخ في ٢٧ شوال سنة ١٣٥٥» فوجدت الكتاب

---

(١) السيد محمد حسين كاشف الغطاء من علماء الشيعة في النجف، واحد من المجتهدين العرب القلائل المهمين. حضر المؤتمر الإسلامي في القدس سنة ١٩٣١ مندوباً عن العراق، زار إيران في جولة طويلة في صيف سنة ١٩٣٣ وعاد إلى العراق في شباط ١٩٣٤، في ربيع سنة ١٩٣٥ قام بدور بارز في الاضطرابات العشائرية على الفرات، ومنح تأييده الكامل للعشائر التي حملت السلاح ضد ياسين الهاشمي باشا. غير انه لم ينجح إلا جزئياً، وبعد اندحار العشائر أمام قوات الجيش انسحب بحكمة إلى عتبات النجف ملتزماً الصمت.
أعلاه التقرير المرسل من السفير البريطاني عن «الشخصيات الرئيسية في العراق في سنة ١٩٣٥» السفير السير ارجيبولد كلارك إلى وزير الخارجية البريطاني مستر ايدن مؤرخ في ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٦.

بعد اطلاعي عليه هو ما دونه الحسني في «أسرار الانقلاب» وهو نفسه ما في كتاب يزبك ولم يختلف يزبك عن الحسني بغير ذكر الأسماء. يقول الشيخ في كتابه هذا إلى الحسني والذي نشره في الصفحة ١٤١ من (أسرار الانقلاب) السطر ٥ ـ ٦ ما نصه: «كان للفريق الأول نصيب يومئذ من مقاعد النيابة بخلاف الثاني سوى فردين منهم كانوا في الأعيان» والفردان: هما أنا والسيد علوان الياسري[1].

وقال أيضاً في نفس الصفحة السطر ٧ ـ ٨ ما نصه: «ثم اجتمع عندي سبعة من أركانهم». وهنا أضاف إلى عدد من حضر عنده اثنين، والذين حضروا عنده هم خمسة أشخاص لا غير وهم: أنا والسيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد الحاج سكر، والمرحوم الحاج عبادي، والمرحوم الحاج سماوي آل جلوب.

وقال في نفس الصفحة من السطر ١١ ما نصه: «وعرّفتهم سوء مقاصد القوم وخبث نياتهم».

كما جاء أيضاً في صفحة ١٤٣ السطر ٥ ما نصه: «وما كان بأسرع من أن جاءنا شخصان من عمال هذه الوزارة الجديدة»، فالشخصان أنا والسيد علوان الياسري احتسبنا عمالاً للهاشمي.

وفي نفس الصفحة السطر ١٠ قال: «ولما استبان غدرهم ومكرهم لعامة أهالي النجف أرادوا البطش بهما فمنعناهما خوف الفتنة واتساع الخرق».

مما لا ريب فيه انني جعفري المذهب امامي، ومن حيث أن الإمامية من الشيعة هم أكثر من غيرهم تمسكاً بالعلماء، لم أكن أنا إلا فرداً منهم،

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الرابع، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣م الطبعة الثانية.
الصفحات ١٧٤ ـ ١٧٨ نص كتاب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المشار إليه بمذكرات السيد محسن أبو طبيخ، ونظراً لطول محتويات الكتاب فلا مجال لنقله.

اغار على كرامتهم أكثر مما أغار على كرامتي الشخصية، وأعتقد أن الكثير منهم يعرفونني بهذه الميزة التي أمتاز بها على غيري، ويعتقدون أيضاً أني اقرب أبناء نوعي اليهم، وأكثرهم أتباعاً لآثارهم. وبالحيثية العلمية التي يتصف بها سماحة الشيخ كاشف الغطاء أرى من الواجب الذي لا محيص عنه، أن أحترمه، كما احترم غيره وأجله كما أجل غيره من الجهابذة، واسهر على حفظ كرامته، كما سهرت على كرامة غير واحد من حملة العلم الشريف، وقد حشمته واحترمته منذ عرفته، وأني لم أزل أحافظ على هذا الاحترام، ولا أريد فيما اكتب أن أقابل تصريحاته الآنفة الذكر بما يمس كرامته، ولا أقابله بمثل ما تجاوز به علينا، ومس به كرامتنا، بل أكتفي بأن ألفت نظر القارئ الكريم إلى نبذ المتناقضات فيما ذكره الشيخ ليتحقق أن كل ما ذكره ليس بصحيح أو أنه مخالف للحقيقة.

لقد ابدى سماحته في مقدمة كتابه المنشور على الصفحة ١٤٠ من كتاب (أسرار الانقلاب) كل ما ذكرته أنا من أعمال الوزارة الأيوبية وأحكامها الكيفية، واستياء الرأي العام منها، وتذمر الشعب من المعاملات المخالفة للأنظمة والقوانين، ومما يدل على اعتقاد سماحته بكل ذلك، ما جاء في نفس الصفحة من السطر ١٥ وهذا نصه: «اتفق خلال ذلك زيارة الملك غازي إلى النجف للدفعة الأولى، فاجتمعنا به برهة قصيرة، وخلونا بعدها بالأيوبي فبذلنا له النصائح وانذرناه، حتى طلبنا منه إطلاق أولئك الشباب المعذب على تهم لا أصل لها فوعدنا وما وفى، وبقي الحال على ذلك المنوال أو اشد» فهذا يدل على أن سماحته كان يعتقد بسوء حالة البلاد وتدهورها من ناحية الثقافة والإدارة والأحكام والسياسة في عهد الوزارة الأيوبية، فوق ما وصفناه، وأن الحال إذا دامت على هذا الوضع ستزداد تعقداً والبلاد تدهوراً.

ثم اعترف بعد تلك المقدمة في السطر ١٩ من نفس الصفحة بما نصه: «وكان حزب الإخاء في بغداد، ينتهز هذه الفرص، ويستغل تلك الأحوال، وينفخ في تلك الجذوة، كي يزيدها ضرماً، ويطبخ عليها ما يريد

أكله شهياً وإشباع شهواته، لنيل غاياته، ويعقد اجتماعاته في الصليخ وغيره جهرا وسراً»، أن قوله هذا يعد اعترافاً منه بأن حزب الإخاء ذو كيان عظيم، وشوكة قوية، نافذ الإرادة، وهو غير هياب ولا وجل من الوزارة الأيوبية، ثم ناقض نفسه فيما جاء في الصفحة ١٤١ السطر ٥ ـ ٦: «واعلم يقيناً، انكم تشتغلون لحزبكم، وتريدون تبديل وزارة إلى وزارة لا اقل ولا أكثر، ولا تريدون إصلاح وضع، ولا رفع ظلم، وإنما هي وسائل ومعابر إلى غايات شخصية، فقاموا بعد أكثر من ساعتين مغضبين يائسين، ثم بعثوا فريقاً من وجوه أهل العلم، ومن البيوتات الشهيرة في النجف، يستميلوني اليهم... وإني لا أثق بهم ولا بعض الوثوق حتى يستقيلوا من حزب الإخاء».

فكل ما ذكره سماحته فيما بعد جاء في كتابه إلى الحسني، مختلق ومكذوب من اساسه. وانا أجل الشيخ من الكذب لأنه محرم شرعاً، ولكني احمل كل ذلك على النسيان، وهو معروف بذلك، أما الحقيقة التي كنا نحاول ابرازها للعيان فهي: أن أسباب حركتنا على الوزارة الأيوبية عام ١٩٣٤، لم تكن لدوافع حزبية، ولا طائفية، ولا عنصرية، كما أننا لم نكن مأمورين عليها، أو بفتيا من عالم، وانما هي حركة كونتها الظروف فقمنا بها في سبيل خدمة البلاد ضد رجال اهملوا واجباتهم ولم يلتفتوا إلى ما تقتضيه المصلحة العامة، ولما تظاهرنا بحركتنا، وتحقق عند الخاصة والعامة أنها لم تكن حركة حزبية، وأن مجلس الأعيان ايدها اولاً، ثم ايدها الشعب كله من شمال العراق إلى جنوبه حتى أصبحت حركة شعبية، لقد باشرنا بعملنا هذا في أول شهر رمضان ١٣٥٣هـ الموافق ٩ كانون الأول عام ١٩٣٤.

وقد كتبت فيها الوثائق، ولم يدر في خلد أي فرد منا، أننا بحاجة ماسة إلى المقامات الروحانية، أو نطلب أية مساعدة منها لتأييدنا. ولما ايدنا مجلس الأعيان في أعمالنا[1]، وناقش الوزارة على إثر العرائض التي جاءته

---

(١) الدكتور خالد التميمي، محمد جعفر أبو التمن، المصدر السابق الصفحة ٣٥٣ «... كما وادى الإجراء الذي اتخذه عشرون من الأعيان من رؤساء العشائر المتأثرين بالعين السيد محسن أبو طبيخ ونتيجة لإجرائهم ذلك... استقال علي جودت في ٢٣ شباط ١٩٣٥ وعمت انتفاضة عشائرية بصورة آنية في مناطق الفرات الأوسط وديالى».

من رؤساء العشائر، ثم أيدت طبقة المحامين المجلس ثم تبعتها جميع الطبقات، ضاقت الوزارة ذرعاً وارتبك موقفها أمام الرأي العام وإذ ذاك التجأت إلى من استأجرتهم من الرؤساء بالمقاعد النيابية ولعلمها بأن خور العزائم باد عليهم، والضعف قد استولى على قلوبهم وإرادتهم ولا يمكنهم إنقاذها مما وقعت فيه، لذلك التجؤوا إلى سماحة الشيخ لعلمهم بأنه يطمح إلى التدخل بالأمور السياسية واقنعوه بأنه إذا كلفنا بالاستقالة من مجلس الأعيان، وحزب الإخاء، فإنهم يستقيلون أيضاً من المجلس النيابي وحزب الوحدة الحكومي.

وبعد انتهاء شهر رمضان المبارك وأثناء زيارة عيد الفطر في كربلاء وتحديداً في اليوم الثاني منه، جاءني رسول من قبل الشيخ يطلب منا أن نواجهه.

وفي اليوم الثالث من العيد، اجتمعنا بسماحته في ليلة ذلك اليوم بداره في النجف، فذكر لنا ما أراده النواب منه، فأدركنا في الحال ما يرمون اليه، فقلنا له أن القصد من الدخول إلى المجالس التشريعية ليس إلا خدمة الامة، لأداء الواجب، وها نحن في مجلس الأعيان قد قمنا بواجبنا، وهذه أصواتنا حيث رفعناها عالية في مطالبة الحكومة بالإصلاح، فلأي أمر يستقيل من أخلص لخدمة بلاده بواسطة المجلس؟ وهل لديكم غاية غير خدمة البلاد؟

فقال سماحته: «في الحقيقة انتم تشكرون».

ثم أردنا أن نوضح لسماحته بأن أولئك النفر انصار الوزارة الأيوبية لم تكن لهم نوايا حسنة تجاه البلاد، وأن ما أبدوه لسماحته وحاولوا تحقيقه إنما يريدون به الخديعة.

وفي صبيحة اليوم التالي جاءنا منه رسول يدعونا إلى الحضور في بيته عصراً، فأجبنا طلبه، وذهبنا إليه، فوجدنا عنده عدداً يتراوح بين السبعين والثمانين رجلاً، من بينهم رؤساء من مختلف الألوية والباقون من الأشراف

والطبقة المتنوّرة من أهل المدن، ولم يكن أحد من أهل العلم حاضراً سوى سماحة الشيخ عبد الكريم الجزائري ومعه السيد محمد رضا الصافي النجفي. وبعد أن جلسنا، خطب الشيخ في الحاضرين، حاثاً على توحيد الكلمة، ولم الشعث، ولكن سرعان ما اظهر أحد أقارب الشيخ ورقة من جيبه وقال: أن الشيخ يأمر بأن توقعوا على هذه الورقة، لكي تكون كمنهج لأعمالكم، واساس مطاليبكم، وأن ما دوّن فيها، انما كان الذي تطلبونه من الحكومة، فلما تناولنا الورقة، وجدنا فيها اثنتي عشرة مادة، وكانت كلها صريحة في الأمور التي تسبب التفرقة بين الشيعة والسنة، وكان قد دونها أحد الشباب من محامي الشيعة المشهورين[1]. قلنا له: يا حضرة الشيخ، إن ما تضمنته هذه الورقة خارج عن الموضوع الذي نحن مجتمعون بسببه اليوم، وإن هدفنا اسقاط الوزارة فكيف تطلب منها مطاليب هي مستبعدة التحقيق، ولا يتصور حتى في عالم الخيال أن تتنازل الحكومة وتقوم بتنفيذها، ثم أن هذه المواد كلها تسبب التفرقة في حين أن حركتنا شعبية وليست بطائفية، لهذا لا يمكننا التوقيع عليها[2]، ثم وجهت كلامي له قائلاً: أيها الشيخ، إننا لم نأتِ اليك من تلقاء انفسنا، بل انت دعوتنا إلى الحضور في هذا المجتمع، فإن كان القصد من دعوتك لنا أن نوقع على هذه الورقة ونطالب بموادها، فنحن نعتقد أن المطالبة بها تسبب التفرقة بين الطائفتين، وبذلك تحدث بلا شك حرباً طحوناً، وإذا كنتم ترون ذلك واجباً شرعياً؛ فتفضلوا بإصدار

---

(١) دكتور خالد التميمي، محمد جعفر أبو التمن، المصدر السابق، الصفحة ٣٥٢ ـ ٣٥٣ «... ثم عقد المؤتمر في ١١ كانون الثاني ١٩٣٥ حضره زعماء العشائر ومعظمهم من رؤساء آل فتلة والأكرع، والجبور والخزاعل والحامدة وبني عارض..»

(٢) سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي، ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ ـ ١٩٣٦ الجزء الثاني، مطبعة العاني بغداد، ١٩٧٨ الصفحة ١٩٢ «وأثار صدور الميثاق ياسين الهاشمي... وقد أكدت الوزارة (الداخلية) في جوابها أن الميثاق نظمه الشيخ كاشف الغطاء ورفقاؤه الشيخ عبد الكريم الجزائري ومحمد جواد الجزائري، أما رؤساء العشائر الذين وقعوا عليه فهم.. راجع ملف وزارة الداخلية المرقم ٣/٦/٦ وثائق رقم ١١٤ ـ ١١٩...» «ودعا كاشف الغطاء بدوره بعض قادة العشائر من أنصار الوزارة الهاشمية الثانية كالشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والشيخ شعلان العطية، وفريق المزهر وعلوان الياسري ومحسن أبو طبيخ للتوقيع عليه، فرفضوا بدعوى أنه أي (الميثاق) يؤدي إلى التفرقة بين القبائل ويؤثر المصالح الطائفية. وأعلنوا أنهم يحرصون على الوحدة العراقية».

فتوى شرعية، حتى إذا كان ما كان، نكون معذورين عند الله تعالى.

فلما سمع مني ذلك قال: «أعوذ بالله من أمور تسبب التفرقة» فقلت له: إذا كانت هذه الأمور ليست بشرعية، وتتعوذ بالله منها، وتصدر فتوى فيها فما اسمها؟ فأجاب: «إنها سياسة».

فقلت له: «إذا كانت سياسة فنحن أدرىٰ بها، فاتركنا يا حضرة الشيخ، نحن وإياها، وأنت شخصية دينية فلست مكلفاً بها».

فرد مستهزئاً: «نعم إنها سياسة وأنتم أعلم بها منا ولكن أسألكم متى تطالبون بالإصلاح» اجبته: «متى ما سقطت هذه الوزارة وتشكلت وزارة نثق بها، عندئذ نأتي إليك ونأخذ رأيك في المطاليب النافعة العامة التي لا تشوبها شوائب طائفية، أو عنصرية، ثم نطالب بها تلك الوزارة».

وبذلك انتهى اجتماعنا الأول مع الشيخ.

ولنعد إلى بيان المتناقضات في كتابه إلى الحسني المار الذكر فقد ورد في الصفحة ١٤٢ السطر ١٧ ما نصه: «وبقينا نعمل على توسيع نطاق الحركة في الخارج بالرسل والكتب ولكن على تلك الشروط، فامتد حبل الاضطرابات في عامة ألوية الفرات من لواء الحلة إلى لواء البصرة، وكان ظهوره في العشائر والقرى أقوى منه في العواصم والمدن». نفهم من هذا أنه هو صاحب الرأي والراية، ولولاه لما حصلت هذه الاضطرابات والفتن، التي أدت لمجازر بشرية، ذهبت فيها ضحايا كثيرة من النفوس البريئة، وسفكت فيها الدماء الطاهرة.

أجل اعترف بأنه مصدر كل ما كان! ولكن سرعان ما ناقض هذا التصريح بما قاله في السطر ٢٣ في الصفحة ذاتها: «وكان من إحدى الكبر عندنا، أن يقع الحرب الداخلي ويتضارب الجيش مع الأمة، والدولة فتية في بدء نهوضها وترعرعها».

وآخر المتناقضات في كتاب الشيخ ما جاء في أول الصفحة ١٤٣ قوله: «وكان الحديث والعهد بيننا وبين الثائرين، في الدور الأول ـ أعني عمال حزب الإخاء أنه لو سقطت الوزارة تشكل وزارة شعبية يستشار فيها

العلماء والزعماء ولا تكون من الحزبين المتضادين على الكراسي». يعترف هنا الشيخ بالحقيقة، وهي أن قادة الحركة والثورة والذين أسقطوا الوزارتين هم الاخائيون دون غيرهم حتى أنه تطلب منهم، فيما إذا اسقطوا الوزارة التي يناوئونها تشكيل وزارة شعبية.

في اجتماعنا الثاني مع الشيخ بعد سقوط الوزارة المدفعية الثالثة، وتشكيل الوزارة الهاشمية أبرقنا إلى رؤساء العشائر الثائرين نعلمهم بذلك.

وفي اليوم الثالث من تشكيل الوزارة، ذهبت والسيد علوان الياسري إلى الفرات لأجل تهدئة خواطر العشائر، وإرشادهم إلى الهدوء والسكينة، وجعلنا طريقنا النجف، وكان ورودنا إياها قبيل الغروب. وعندما وصلنا تلقتنا الجماهير، هاتفة بسقوط الوزارة الهاشمية وهي غاضبة وساخطة علينا كأننا قد فعلنا منكراً.

وعندما استفسرنا عن سبب هذا السخط غير المتوقع، قيل لنا أن الشيخ كاشف الغطاء، لا يرضى بهذه الوزارة، وحيث أنها تشكلت بنتيجة مساعيكم فهو ناقم عليكم.

وبعد قليل من وصولنا، جاءنا رسول من الشيخ، يدعونا إلى الحضور إليه، فذهبنا إليه لتونا وكان في مجلسه من العلماء سماحة المرحوم الشيخ جواد آل صاحب الجواهر، والمرحوم السيد محمد علي آل بحر العلوم، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد محمد رضا الصافي، وأحد المتمولين من أهل النجف. وما أن أخذنا مكاننا حتى لاحت أمارات الغضب واضحة على وجهه، ثم ما لبث أن انهار علينا بالتقريع والتوبيخ، كأننا جناة قد ارتكبنا احدى الكبائر، فسألناه عما ارتكبنا من عظيم الذنب، فقال: «كيف تشكل الوزارة ولا يؤخذ رأينا فيها؟».

فقلنا له: «إن تشكيل الوزارة حق من حقوق جلالة الملك وانها تشكل بإرادة منه»، فقال: «أنتم شكلتموها وهي حزبية إخائية» فأجبناه: «إنها شعبية وليست بحزبية وأصدق شاهد على ذلك أنه قد دخلها أربعة وزراء من غير الإخائيين، وهم: نوري السعيد، وجعفر العسكري، وأمين

زكي، ورؤوف البحراني»، فقال بغيظ: «إن هذا لا يرضيني أبداً». فسألناه عما يرضيه؟ فناب عنه بالجواب المتمول الجالس قريباً منه، إذ قال: «إن الشيخ لن يرضى حتى تسقط حكومة بغداد، وتشكل حكومة بالفرات عاصمتها الكوفة»[1].

عندما سمعنا ذلك منه قلت له: «إنه لأمر عظيم، ومثل هذا الأمر لا يتسنى تحقيقه بالأماني، وبالكلام الفارغ داخل هذه الغرفة وإن السنة لا يعطون السلطة بدون حرب طاحنة، تجري فيها الدماء كما تجري المياه في الأنهر وهذا لا يتم إلا في ثلاثة أمور: احدها عليك، والثاني على الشيخ، والثالث علينا،» فقال المتمول:

«وما هي الأمور الثلاثة؟» فأجبته: «بذل المال وهو عندك فعليك بذله، وإصدار فتوى من الشيخ بوجوب إشهار الحرب على السنة، وتطاحن الطائفتين من ما تنازل عنه إمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إلى أصحابه حفظاً للأمة من الفتنة لما تحقق عنده وقوعها، فيما إذا أصر على طلب الإمارة، ونشترط أن تؤيد فتواه من جميع العلماء، والثالث وهو الموت والاستماتة في الحرب وهذه متروكة علينا».

خرجنا في ساعة متأخرة من داره، والجماهير متجمهرة في الازقة، أمام بيت الشيخ، تهتف بسقوط الوزارة وتسمعنا من الكلمات البذيئة ما لا يليق بشأننا[2].

---

(١) اسطيفان همزلي لونكريك، العراق ١٩٠٠ إلى ١٩٥٠، المصدر السابق الصفحة ٢٤٢ «... إن محاولة زج العالم كاشف الغطاء كرجل سلام لم تنجح وبنفس الوقت فقد تم الاتصال به من قبل الجماعات المناوئة لعبد الواحد وأبدى رغبته وعدم استعداده لتكدير علاقته مع أصدقائه والتيار العام ضد الوزارة..»
الترجمة بتصرف، راجع النص الإنكليزي

(٢) عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٤٥، الطبعة الثانية ١٩٨٠، دار الحرية للطباعة ١٩٨٠ جاء في الصفحة ٣٩٩ «أرسل السيد محسن أبو طبيخ رسالة إلى جعفر أبي التمن بتاريخ ٣ نيسان ١٩٣٥ يخبره برغبة عبد الواحد الحاج سكر وجماعته بزيارته... ومن الطبيعي أن يكون موضوع المذكرة هو توسط جعفر أبي التمن لدى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لتخفيف مطاليب الحكومة أو إعفائهم من التوقيع عليها. فسافر إلى النجف في ٨ نيسان ١٩٣٥ ومنها إلى كربلاء واجتمع بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وحاول إقناعه في تعديل بعض المواد من المطاليب المنوي تقديمها للحكومة، إلا أنه لم يتمكن من إقناعه...».

بعد رجوعي إلى داري، وردتني رسالة من سماحة الشيخ عبد الكريم الجزائري، يرجو مني فيها مقابلته في بيته صباحاً. ذهبت إليه الساعة السابعة صباحاً، فأخبرني أنهم بعد خروجي من بيت الشيخ، خاصموه وانحوا عليه باللائمة وذمموا له رأيه، وقبحوا ما تمادى فيه وتهجم به علينا، ثم أردف أنه يطلب مقابلتكم في هذه الساعة، أنت والسيد علوان، لكي يقدم اعتذاره عما سلف منه في الليلة الماضية.

ذهبنا إلى بيت الشيخ فوجدناه جالساً مع السيد علوان لوحدهما، استقبلني باسماً، واحتضنني وقبلني قائلاً: «انت تأثرت ليلة البارحة مني أكثر من تأثر السيد علوان وأنا أعتذر اليكما عما سمعتموه مني، وما تكلمت بما تكلمت إلا بدافع الخوف من الهاشمي نفسه على الشيعة، لأنه رجل قوي الإرادة شديد التعصب إلى طائفته».

فقلنا له: «انك تعلم أننا متفقون مع الهاشمي وهو الذي ساعدنا أكثر من غيره على هذه الحركة وكنت أنت عندما تسمع بمساعدته لنا تشكره وتذكره بالثناء، فمتى داخلك هذا الشك وهذا الخوف منه؟ ثم انك تعلم ايضاً أننا في بدء نهضتنا ما وفقنا واسقطنا الوزارة لو لم يكن في جمعنا ياسين، ولم يكن في الجمع هذا اللين من الهاشمي لتشكيلها، ثم أن هدفنا نحن الجميع هو إصلاح الوضع، وتحقيق أماني الأمة، وليس القصد منا ومنه الأمور الطائفية». قال سماحته: «نعم لقد شكل الوزارة الهاشمي، ولكن هل انتم واثقون منه أنه سيفي بوعده، ويصدق بعمله معكم؟».

فأجبناه: «نعم نحن واثقون منه».

قال: «فإذا خالف ولم يصدقكم قوله، ولم يف بما عاهدكم عليه، فماذا أنتم فاعلون؟»

قلنا: «نخاصمه، حتى نأخذ منه حقوق الأمة».

قال: «اعطوني عهداً على ذلك».

قلنا: «نعاهدك».

فقال: «وماذا تريدون مني الآن؟»

أجبناه: «أن الواجب يقضي الآن عليكم وعلينا وعلى كل فرد من العلماء تهدئة خواطر الناس، وإرشادهم للخلود إلى السكينة حتى تستقر الأمور، ويستتب الأمن، وتعطى الوزارة فرصة للعمل في جو هادئ حتى تتمكن من القيام بواجباتها من الأمور الاجتماعية»، فاستحسن ذلك واستفسر قائلاً: «إلى أين انتم الآن ذاهبون؟».

قلنا: «إلى أبو صخير لأجل مقابلة الحاج عبد الواحد والرؤساء الذين معه لكي يسرّحوا جموعهم ثم نذهب إلى غماس والدغارة والرميثة لأجل ملاقاة الرؤساء وتسريح جموعهم أيضاً، والمهم الآن أن تكتب إلى من حضضتهم من عشائر الرميثة بالأمس وأول الأمس على المثابرة على الهوسات أن يسمعوا رأينا ويأتمروا بأمرنا»[1].

فأجاب طلبنا، ووافق على ذلك ثم فارقناه وخرجنا من النجف ونحن حاملون ثقته وليس كما ذكر في كتابه الحسني (أسرار الانقلاب) من أننا خرجنا من النجف مهانين.

عندما وصلنا إلى أبو صخير التقينا بالحاج عبد الواحد وسرحنا جموعه ثم فارقناهم على أن يذهبوا إلى غماس، أما نحن فنذهب إلى الدغارة والرميثة وفعلاً توجهنا إلى هناك، فوصلنا الدغارة وهدأنا عشائرها، بعدها ذهبنا إلى الرميثة فوجدنا جموع العشائر الثائرة كلها مجتمعة فيها تنتظرنا، كما وجدنا كتاباً من الشيخ كاشف الغطاء إلى الشيخ أحمد أسد الله معتمد الشيخ يأمره فيه بأن يبلغ العشائر التابعة له بأن تسمع قولنا وتمثل امرنا،

---

(١) سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي، ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٦ الجزء الثاني مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٨ الصفحة ١٧٠ «كما قام عبد الواحد الحاج سكر بالدفاع عن قضايا الشيعة لدوافعه السياسية إذ رأس في الديوانية اجتماعاً عشائرياً عقده في داره يوم ١٩٣٥/١/٩ تقرر فيه أن يقوم هو ومحسن أبو طبيخ، وعلوان الياسري بهمزة وصل بين حزب الإخاء ورجال العشائر المناوئين للسلطة، وقد وجه هؤلاء، في الوقت نفسه رسالة إلى المجتهد الشيخ محمد كاشف الغطاء طلبوا فيها عقد اجتماع تحت رئاسته للمداولة في الأمور التي يتذمرون منها ويتحسسون بآلامها للوقوف على تفصيل وافٍ لهذه النشاطات والاجتماعات وما اتخذ فيها من قرارات خطيرة».

وهو مغاير لما قاله الشيخ في كتابه المنشور في (أسرار الانقلاب) من أننا لما انتهينا إلى الرميثة قابلتنا عشائرها بالإهانة والتحقير.

بتنا تلك الليلة في الرميثة بضيافة الزعيم شنشول آل حسن آغا[1]، وكان جميع الرؤساء معنا وفارقناهم صباحاً بعد أن أرشدناهم إلى وجوب المحافظة على الأمن والامتثال لأوامر الحكومة وإطاعة موظفيها، ثم توجهنا إلى الديوانية فبغداد[2].

وبعد بضعة أيام من ورودنا بغداد، إذا بمنشور الشيخ الذي يحتوي على اثنتي عشرة مادة قد طبع ونشر في عامة أنحاء العراق يحث فيه على مطالبة الحكومة بما فيه، والمنشور هو على تلك الصورة التي عرضها علينا في اجتماعنا الأول وأرادنا أن نوقع عليه ونهيناه عنها بما ادلينا إليه من النصائح بوجوب تركها. فكتبنا له، نطالبه بعهدنا معه في مقابلتنا الثانية معه، ونصحنا له ورجونا منه أن لا يكون سبباً في احتدام نار الفتنة، وإثارتها مرة ثانية في البلاد بعد أن خمدت وانتهت بسلام، وهذه مقاطع من الكتاب المرسل اليه:

في ١٧ نيسان ١٩٣٥ الموافق ١٢ محرم سنة ١٣٥٤هـ

---

(١) شنشول آل حسن آغا: هو شنشول بن حسن آغا بن فرهود بن عسّاف، لهم المشيخة على بني زريج من عشائر بني مالك وهم بطن من خزاعة. وقد كان نائباً عن السماوة في دورتي مجلس النواب لسنتي ١٩٥٤ و ١٩٥٨.
وكان الشيخ شنشول قد سجن من قبل وزارة حكمت سليمان بعد انقلاب بكر صدقي من عام ١٩٣٧م.

(٢) سامي عبد الحافظ القيسي، المصدر السابق راجع الصفحة ١٨٤
الصفحة ٢١٨ ـ ٢١٩ «فأرسل ياسين الهاشمي أعوانه من الرؤساء كالسيد علوان الياسري وعبد الواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ لاستمالة القبائل وإقناع الثائرين بترك السلاح فأخفقوا».
«ويبدو أن السبب في اخفاقهم وجود عوامل حقد دفينة بين الطرفين زاد من شدتها إجراءات الوزارة وما قامت به من تفويض أراضي... في السماوة إلى عبد الواحد الحاج سكر، وإقرارها لبعض الحقوق في أراضي الرملة لمحسن أبو طبيخ... في حين لم تنل عشائر الرميثة من أتباع الشيخ خوام شيئاً من هذا القبيل».
راجع محاضر مجلس الأعيان في ١٠شباط السنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ الاجتماع الاعتيادي ١١ الصفحة ٩٦ ـ ٩٨ .

حجة الإسلام العلامة المصلح متعه الله بطول حياته

أما بعد فنحن نحمد الله تعالى ونشكره ونسأله أن يرشدنا إلى الطريق السوي للوصول إلى وحدة الهدف والقصد. . .

تعلمون بلا شك، بأن الحركة التي قمنا بها من الحركات الوطنية وأن الغاية التي نحن الآن في طريق تحقيقها من الغايات العامة، وما كسبت عطف العراقيين على اختلاف منازعهم واتجاهاتهم إلا لأنها كذلك. وقد رأيناكم في المواقف العصيبة من احرص أئمتنا على تأييدها كحركة عامة تستهدف الإصلاح العام وقد وجدناكم في كل أدوار هذه الحركة المباركة في جانب القائمين بها في حدود الوحدة التي تعتصمون بها وتجاهدون في سبيلها، ونعيذكم ـ والأفق مظلم ـ والمسؤولية عظيمة أن يطوّح بالنجف ـ قبلة المجاهدين الأحرار ـ فريق من العابثين بالكرامات الدينية والقومية وأن يلوذ بكم رهط لا يؤمن بالنتائج ولا يفكر بالعواقب فكونوا في مجابهة ذلك الفريق ومصارحة هذا الرهط عند الخطة الحكيمة. . .

ان مقامكم يجب أن يكون فوق رغائب الأشخاص والفرق وأن يكون ملتقى جميع الأفكار والآراء بدون تحزب أو تمسك بفريق أو رأي معين حتى تجتمع الكلمة، أما ما نراه ونسمعه الآن في النجف فإنه يؤدي حتماً إلى التطاحن الطائفي ونحن نجلكم أن تكون النتيجة هذه النكبة العظمى.

نحن على ما عاهدناك عليه من الاستماتة في سبيل الإصلاح ولم نتنازل قط عن هدفنا الاسمى أو حقوقنا ولكن من المصلحة العامة ومن واجبنا بعد أن حقنت الدماء وعادت السيوف إلى أغمادها أن لا تعود إلى احراج الموقف من جديد فالمسؤولية إذن عظيمة والتبعة جسيمة فنحن نرجوكم الآن تهدئة أحوال النجف وصرف الناس فيها إلى معالجة شؤونهم وندعوكم بروح الثقة والاطمئنان إلى ضرورة التعاون وإفساح المجال للرجال المخلصين حتى يتسنى لهم أن يقوموا بالإصلاح المطلوب. ونحن لا نكتمكم بأن معظم قادة الرأي الذين يعوّل على آرائهم سواء في الخارج أو في الداخل في معالجة الأحوال الراهنة لا يرتاحون إلى الروح المشبع به المنشور ولا يوافقون عليه بصورة قطعية لأنهم يعتقدون أنه لا يعود على البلاد

بسوى الضرر الفادح، هذا ودمتم لإطفاء الفتنة وفقكم الله لكل خير.

الحاج عبد الواحد الحاج سكر   السيد علوان الياسري

السيد محسن أبو طبيخ

التمرد العشائري ضد وزارة الهاشمي

من يتصفح أحداث المعارضة العشائرية ضد الوزارات المتعاقبة، بدءاً من وزارة النقيب الثانية ووزارة علي جودت الأيوبي ثم وزارة جميل المدفعي وأخيراً وزارة ياسين الهاشمي، يجد أن تلك الحوادث حصلت بسبب تأثير قطب مهم، مثلما وقع في حركة العشائر ضد وزارة السيد عبد الرحمن النقيب بتأثير من الملك فيصل فأدى إلى سقوط الوزارة وتوتر العلاقة بينه وبين السير برسي كوكس. أما أحداث السنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦، التي أدت إلى استقالة وزارة الأيوبي، فهي كما أسلفت في موضوع سابق، لم تكن وليدة ساعتها ولست أنا بصدد تبرير أو إخفاء حقيقة الدور الذي دفعني والعشائر إلى الوقوف ضد الوزارة، فلقد تكاتفت مجموعة أخطاء جسيمة اقترفها علي جودت زائداً الظروف السيئة التي أشرت إليها التي كانت تعيشها مناطق الفرات الأوسط، كل هذه الأسباب تم استغلالها سياسياً في دفع العشائر للمطالبة بالإصلاحات التي فشل في إنجازها مما تسبب برضوخه للأمر الواقع وتقديم استقالته ليستلمها منه جميل المدفعي الذي لم يستطع الايفاء بما يسكت العشائر تحقيقاً لمطاليبهم المعلنة، ففضل التخلي عن منصبه ليتسلم رئاسة الوزراء من بعده ياسين الهاشمي الذي أعلن حال استلامه لعمله، عن منهاج وزارته الواسع، بما فيه الإصلاحات التي تتطلبها المناطق الريفية أينما كانت والتي غالبية سكانها من العشائر.

ان الخطأ الذي ارتكبه ياسين في تنفيذ منهجه، هو اصطدامه بقوتين مما أدى إلى سفك الدماء من أبناء العراق بصورة لم يسبق لها مثيل، لقد أثارت إجراءاته بتقليص صلاحيات الملك غازي في مجالات متعددة وتحديد حركته وتصرفاته ثائرة الضباط المنتفعين من حوله، والقوة الثانية هم الإنكليز، إذ أن قيامه بإنهاء خدمات المستشارين والموظفين الإنكليز إلى

جانب إبدالهم بالسوريين واللبنانيين والفلسطينيين وتعاونه وتعاطفه مع المجاهدين الفلسطينيين والسماح لقائدهم فوزي القاوقجي بالإقامة في العراق إلى جانب مفتي الديار الفلسطينية وغض النظر عن مجهودهم العسكري بل تعداه إلى المساعدة على تهريب السلاح العراقي والمتطوعين العراقيين إلى فلسطين مما دفع بالسفير الإنكليزي في بغداد بتقديم المذكرات الرسمية احتجاجاً على هذه الأعمال... وبالإضافة لهذين العاملين الخطرين، فقد أدت سياسة وزير الداخلية، رشيد العالي الكيلاني، المتطرفة في معظم الاحيان إلى تأزم الوضع في الكثير من مناطق الفرات الأوسط التي لم ترق لها خططه... فكانت المعارضة العشائرية فعّاله في أنحاء الشامية والنجف والحلة، ولم تكن هذه السياسة إلا حجر عثرة لي ولجهود زملائي في محاولاتنا لتنقية الأجواء وتهدئة الخواطر.

استغل البعض هذه الظروف وأخص منهم من له رغبة بأعواد المناصب بتحريك بعض العشائر في أنحاء الرميثة والسماوة وعفك والدغارة، فوقعت حوادث قتل وسلب ونهب راح ضحيتها الأبرياء، وزاد في الطين بلة، تسنم بكر صدقي لقيادة الجيش الذي أوكلت إليه مهمة اخماد القلاقل، فاتبع الأسلوب الذي سار عليه في قمعه لحركة الآثوريين[1] مما أدى إلى مذابح بشرية وعنف لا مبرر له... هذه الأوضاع جعلت ياسين أمام خيارين، أما الاستقالة وإفساح المجال لسفك الدماء وترك البلد يقع في دوامة الارباك السياسي بتبديل الوزارات التي تعارضها العشائر غير الموالية لها مما قد يؤدي إلى حروب أهلية لا مفر منها بين الجيش والأهالي، والاختيار الثاني كان هو الأصعب، وذلك بالسيطرة الحكيمة على الوضع ما استطاع إليه سبيلاً بما يتطلبه ذلك من استعمال القوة ضماناً لاستتباب

---

(١) القس جوزيف نعيم، هل يجب أن يموت هذا الشعب؟، نيويورك ١٩٢١
Joseph Naayem, Rev, Shall This Nation Die?
New York, 1921,p.3
يعود أصل الآثوريين ـ الكلدانيين إلى السلالات البابلية، فالآثوريون عاشوا لآلاف السنين وحكم ملوكهم لفترات طويلة في ممالك وادي دجلة والفرات واعالي ميسوبوتاميا (وادي الرافدين) وسوريا، وكانت السيادة السياسية للشرق الأوسط بيدهم لقرون عديدة قبل ظهور المسيحية راجع المصدر أعلاه في الحاسوب الأمريكي/ الشبكة الدولية تحت
Internet Ref: http:/aina.org /shalt.h

الامن والمحافظة على كيان العراق من التمزق والانهيار على أن لا تكون الشدة غير حكيمة فينتج عنها المآسي التي حلت بالفرات...

لقد بذلت جهوداً كبيرة في سبيل تفادي سفك الدماء عندما ثار خوام العبد العباس مطالباً بإسقاط حكومة الهاشمي(١) وعرضت نفسي للمخاطر والقتل بذهابي إلى محله لطلب مواجهته في مضيفه، ولكنه وخلافاً للتقاليد العشائرية، رفض الجلوس معي، مما أدى إلى انشقاق المقربين من حوله وانتهت حركته بعد أن عمَّ الخراب دياره وديار عشيرته وقاده عمله هذا إلى حبل المشنقة، فأخذت على عاتقي القيام بالوساطة لدى رئيس الوزراء ووزير الداخلية للتدخل في تغيير الحكم إلى أن صدرت الإرادة الملكية بإبداله إلى السجن.

ولم تمض أشهر معدودة على إخماد هذه الحركة، حتى اثيرت مشكلة أخرى في الديوانية مرة ثانية، ولا بد لي وأن أعطي الحق للعشائر في هذه الحوادث، نظراً لاستمرار الإجراءات القاسية والأحكام العرفية التي تبناها رشيد عالي ـ لتهذيب العشائر ـ على حد قوله، وقد حاولت بذل المساعي لتفادي الأزمات، بإفهام وزير الداخلية بضرورة الأخذ بنظر الاعتبار احترام الفرد العشائري مهما كان منصبه، ولم يستفد أحد من هؤلاء من قولي مما اجج النار مرة ثانية في منطقة الدغارة، فقام الشيخ شعلان العطية محتجاً على إجراءات سقيمة قام بها موظفو الإدارة المحلية في منطقته، وبجهود المخلصين تمكنا من تفادي ما حصل في الرميثة مع خوام العبد العباس(٢).

---

(١) عبد الجبار عباس الجسام (٣٠) سنة في الوظيفة، بغداد ١٩٥١ الصفحة ١٤٥ «العشائر التي كانت محتشدة في الجبهة اليمنى والتي اتخذت مواضعها في العارضيات تأثرت بمساعي السيد محسن أبو طبيخ وجماعة آخرين من الرؤساء... وكان يسعى لتهدئة الحالة بالطرق السلمية».

(٢) نظراً لأهمية هذه الاحداث في تسلسل وقائع السياسة العراقية التي أدت إلى انقلاب بكر صدقي، وللتعرف على دور الإنكليز فيها ووجهة نظرهم في هذه الأزمات وفي الأشخاص الذين شاركوا فيها بمن فيهم السيد محسن أبو طبيخ، فقد وضعت بين يدي القارئ والباحث نصوص التقارير البريطانية التي تخص هذا الموضوع، راجع ملحق الوثائق، وثيقة رقم (٢٧)

علاقتي بحزب الإخاء.. وياسين الهاشمي

عندما تأسس الحكم الوطني وتم تشكيل أول حكومة عراقية عام ١٩٢١، عاد العديد من العراقيين ممن كانوا في أيام العهد العثماني في الخدمة المدنية أو العسكرية إلى وطنهم العراق وقد وجدوا الأبواب مفتوحة امامهم لتحقيق رغباتهم الشخصية والعمل على تنفيذ معتقداتهم ومذاهبهم السياسية. وكان هناك طرفان يتنافسان على جذب هؤلاء وتبني طموحاتهم، فتم لهم الانضواء تحت لواء الملك فيصل الأول الذي كان يمثل المصلحة الوطنية، أو الإنكليز ودار الاعتماد، التي جندت البعض منهم لخدمة مصالحها، وبقي آخرون يتذبذبون بين الكتلتين لكسب المغانم واصطياد الازمات للرقي على حساب البلاد وأبناء الشعب، فقام البعض منهم بتأسيس الاحزاب السياسية وكلها كانت للوصول إلى غايات وأهداف معينة، ولهذا بعد أن أنجزت ما أريد لها، انتهى دورها السياسي واختفت بنفس السرعة التي برزت فيها. وكان مؤسسوها وقادتها، في تنافس على جذب الأعضاء لأحزابهم والإغراء الدائم هو عضوية مجلس النواب أو المناصب الرفيعة أو الإقطاعيات الزراعية... لقد فضلت الابتعاد عن هذه المنتديات الحزبية لاعتقادي انها تخدم أصحابها أكثر مما تخدم المصلحة العامة. وفي عام ١٩٢٥ شكل ياسين الهاشمي حزب الشعب وطلب مني

= - خوام العبد العباس، بن فرهود بن عساف بن جادر، ولد في السماوة سنة ١٨٩٢ رئيس عشائر بني ازريج، قام ضد الحكومة الهاشمية عام ١٩٣٥ وحكم عليه بعد محاكمة عرفية بالإعدام بعد أن قُتل أخوه في المصادمات العسكرية في منطقة الرميثة مع الجيش، شارك في ثورة العشرين مع عشيرته...
بعد إلغاء محكوميته السالفة انتخب نائباً عن الديوانية لدورات مجلس النواب في الأعوام ١٩٣٧ - ١٩٣٩و ١٩٤٧ - ١٩٤٨ و١٩٤٨ - ١٩٥٢ و١٩٥٣ - ١٩٥٤ توفي رحمه الله في ٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧.

- شعلان العطية، آل دخيل آل شبانة من شيوخ قبائل الأقرع التي يعود نسبها إلى شمّر والتي هم بجوار ناحية الدغارة في لواء الديوانية.. شارك وأبناء عمومته في ثورة العشرين كما كان من المشاركين في العصيان العشائري ضد وزارة علي جودت الأيوبي عام ١٩٣٤ - ١٩٣٥.. ثم تمرد على وزارة الهاشمي واثر هذا التمرد حكم عليه بالإعدام ثم تغير الحكم إلى ابعاد وإقامة جبرية في مدينة الرمادي ثم مدينة عانة واعفي عنه في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٦ انتخب نائباً عن الديوانية في الدورات الانتخابية للسنوات ١٩٣٥ و١٩٣٦ توفي رحمه الله في شهر آذار (مارس) ١٩٤٩.

الانضمام إلى حزبه، إلا أني اخترت البقاء بعيداً عنه، بالرغم من احترامي لشخصه ولما له من سمعة متميزة بين رجال العهد العثماني ولمواقفه الطيبة مع الملك فيصل أيام كان في دمشق وما هو معروف عنه من إخلاص لوطنه. وهذا ما لمسته أنا شخصياً من متابعتي له وملاحظتي لمواقفه السياسية خاصة فيما يرتبط بالقضايا المعلقة والحساسة التي لها صلة بتقرير مصير العراق، فقد كان صريحاً بمعارضته للمعاهدة مع الإنكليز، ومعارضاً عنيداً للانتداب ومتكلماً جسوراً إزاء ازمة ولاية الموصل. وبحلول العام ١٩٣٠، وبعد مداولات واجتماعات عديدة مع الرؤساء في الفرات الأوسط والاصدقاء في بغداد، استقر الرأي على تكوين حزب مؤتلف يضم النخبة من رجال السياسة من كافة الاتجاهات يوحد الأمة ويضع حداً للطموح الفردي المتمثل بالأحزاب الوقتية الانتهازية.

لم يشترك ياسين الهاشمي معنا عندما تم تأليف حزب الإخاء الوطني وعندما رشحنا اسمه لزعامة الحزب، كان الإجماع لصالح ترشيحه بعد أن تأكدنا من تصرفاته وحسن مواقفه وترفعه عن المصالح الشخصية وتفانيه من أجل المصلحة العامة. فقدمناه على غيره واسندنا إليه زعامة الحزب، وبعملنا هذا بقيت العلاقة معه مثلما كانت سابقاً، فلم يكن هناك رئيس ومرؤوس، ولم نشتغل معه ولم نؤازره إلا لاعتقادنا بصدقه وإخلاصه، فالمنافع الذاتية والمقامات الحكومية لم تكن ضالتنا والهدف الذي نسعى اليه. ولو كانت لدينا غايات مثل هذه لحصلنا عليها منذ عام ١٩٢٠ ولم يكن ليسبقنا إليها أحد.

ان المنافع الذاتية دخلت العراق من وراء البحر، جاء بها الإنكليز منذ سنة ١٩١٤ أرسلوها بيد ولسن وكوكس وبيل خاتون.

إننا لم نكن في يوم ما مأجورين لحزب الإخاء أو لياسين الهاشمي عندما قمنا بحركتنا عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥، ولم تكن لغايات حزبية مؤقتة، انما كانت كما أسلفت وليدة الفرات الأوسط، وليدة شعوره العميق وإحساسه الجاد بما وصلت إليه البلاد من التدهور والانحطاط من كل

موارد الحياة، ولما توترت العلائق بيننا وبين الوزارة الأيوبية، مررت على مستشار الداخلية (كورنواليس) فقال: «إني سمعت أن عشائر الفرات متحفزة للثورة على الحكومة» فقلت له: نعم. فقال: «لا تثيروا العشائر، لأن عشائر الفرات مثل مائه في أيام فيضانه، إذا تحرك وفاض غمر العالي والمنخفض، فعشائره إذا تحركت تهيج فتعبث بالأمن وأراكم لن تستطيعوا تسكينها». فقلت له: إن زمام عشائر الفرات بأيدينا فإن شئنا ومتى شئنا نرخي لها الزمام فتهيج وتضرب أو نقصّر زمامها ونأخذ على رأسها فتكف ولا تضرب وليس الأمر كما تتصور.

وبعد أن استقالت وزارة جميل المدفعي وحلت محلها وزارة ياسين الهاشمي وسكنت العشائر وهدأت الحال، مررت على المستشار المذكور فقال: «ما كنت أعتقده من وضعكم مع عشائر الفرات لم يكن صواباً وعرفت أني أنا المخطئ وأن ما قلته أنت هو الحق وانت الصادق فيما قلته واشهد انكم تمثلون القوة والزعامة».

وقوله هذا هو خير شهادة لمن في يده صحيفة الحقائق عن مجريات الأمور في العراق، وخير دليل على أن ما نسعى إليه كان المصلحة العامة، وأن الحزب والأشخاص مهما كانت علاقاتنا بها ومهما كانت مناصب الآخرين، ليس لها تأثير على معتقداتنا وأهدافنا الوطنية.

انقلاب بكر صدقي

لقد كان للانقلاب أسباب متعددة، قد أوجدتها نفوس تغلغل في أعماقها الطمع في المقامات العالية، وأحدثتها أحقاد ماضية على الهاشمي نفسه، وزملائه، وقد ذكرت الأسباب التي حملت حكمت سليمان على عدم الاشتراك في الوزارة الهاشمية الثانية، وهي طمعه في كرسي وزارة الداخلية، لأجل أن يوسع الدعاية الشيوعية وينشرها، بعد أن عاهد أصحابه على ذلك، ولما حيل بينه وبين خدمة مبدئه، ظل ناقماً وساخطاً على الهاشمي، فأخذ يشتغل ضد الوزارة الهاشمية طي الخفاء، تحت ستار الظلام حتى تمكن من تدبير مؤامرة الانقلاب المشؤوم. ونتيجة للتحريض المستمر للبعض من

العشائر على القيام بثورة ضد الحكومة، ولما اندلع لسان النار التي أضرمها حكمت بين هذه العشائر والحكومة، أخذ ينعى إلى الطبقات الراقية ضحايا العشائر والجيش خلال الثورة التي قامت بتحريضه[١].

علم حكمت أن بكر صدقي[٢] ناقم على الوزارة الهاشمية مثله، وطامح إلى الدكتاتورية، وانه منذ زمن يشتغل في القضية الكردية فأراد أن يستميله، وكانت بينهما صداقة قديمة تربطهما منذ عام ١٩٣٣ حين أوكلت إلى بكر قضية تأديب الآثوريين. إن بكر صدقي رجل طموح، انطوت لفائف قلبه على التعصب العنصري، وكان دائماً يرنو إلى قومه، ويتمنى تحقيق أمانيهم، التي طالما ناضلوا من أجلها. وما هذه الأمنية إلا انفصال كردستان ـ أي الألوية الشمالية ـ عن البلاد، وتشكيل حكومة كردية فيها، وقد رأى الفرصة سانحة له، نظراً للمرتبة الرفيعة التي أوصله إليها ياسين الهاشمي،

---

(١) أحمد زكي الخياط، مذكراته، الجزء الأول، مطبوعة بالرونيو ولم تنشر. الصفحة ١٦٣ «انه (أحمد زكي الخياط) كان محامياً وكيلاً عاماً عن حكمت سليمان، وفي سنة ١٩٥٩، بعد ثورة تموز سأل حكمت سليمان عن البواعث التي دفعت به إلى القيام بحركة بكر صدقي ضد ياسين الهاشمي.. فلم يحر جواباً... وبعد إلحاح عليه قال «لا تحرجني»... فقلت له لماذا الاحراج والحوادث كلها غدت ملكاً للتاريخ. فأجابني على عادته «ثق يا ولدي إنها كانت كلها نتيجة عواطف وارتجال!!» قالها وعلى محياه علائم الندم ولات حين ندم. وهكذا اثبت أن الزمن أكبر مؤدب للرجال وأن هؤلاء مهما ارتفعت بهم المناصب.. هم بحاجة دائمة إلى تجارب تقيهم شرور الاندفاع.. فإن الاندفاع يورث الندم على كل حال..».

(٢) بكر صدقي بن شوقي «ولد في بغداد سنة ١٨٩٠ من أبوين كرديين، تخرج في الكلية العسكرية التركية في الآستانة سنة ١٩٠٨، وحصل خلال الحرب على رتبة مقدم. انتمى إلى الجيش العراقي في سنة ١٩٢١ ورفع إلى رتبة عقيد في سنة ١٩٢٨، افصح في بعض الاوقات عن آراء مؤيدة للأتراك ومؤيدة للأكراد. درس في كلية الأركان في كمبرلي سنة ١٩٣٢ وكانت التقارير عنه جيدة، ربما كان أحسن قائد في الجيش العراقي. انيطت به القيادة العليا التي حشدت على الفرات لقمع انتفاضات العشائر في نيسان ومايس سنة ١٩٣٥، فأثبت كفاءته مرة أخرى» جاء ذلك في تقرير السفارة البريطانية عن «الشخصيات الرئيسة في العراق في سنة ١٩٣٥، كتبه السفير حينذاك السر آرجيبالد كلارك إلى وزير الخارجية البريطانية مستر ايدن، صدر في بغداد ١ كانون الثاني ١٩٣٦.

وجاء في الوثيقة البريطانية: F.O.371/20015 (E7790/1419/93)

إن بكر صدقي كان يعمل وكيلاً للاستخبارات البريطانية في المنطقة المحايدة التي كانت قائمة في ذلك الوقت بين العراق وتركيا. وإن بكر صدقي دخل الجيش العراقي عام ١٩٢١ بواسطة القيادة البريطانية العامة في العراق: راجع الوثيقة البريطانية

F.O. 371/20015-237.19.1.1937

وأخوه طه الهاشمي رئيس أركان الجيش، والمكانة العالية التي نالها في الجيش بانتدابهما اياه في كل مهمة، وفي كل حادثة حدثت في البلاد من الاضطرابات الداخلية، وبذلك صارت له المنزلة الرفيعة، مضافاً إلى كل ذلك الترفيعات المتوالية، التي نالها في مدة وجيزة، وارتقاؤه من العقيد إلى رتبة الفريق.

اغتنم بكر فرصة غياب رئيس أركان الجيش في الآستانة، واعتبرها خير فرصة للعمل لتحقيق رغباته بعد أن أسندت إليه رئاسة الأركان بالوكالة إضافة إلى قيادته الفرقة الثانية، فلما وجد نفسه قادرة على تحقيق امنيتها، اتفق وحكمت على تدبير إثارة الجيش ضد وزارة الهاشمي واتهامها بأنها تريد قلب العرش، ولدعم موقفه داخل الجيش استطاع بكر إدخال الفريق عبد اللطيف نوري، آمر الفرقة الأولى معه في المؤامرة، وعبد اللطيف هذا كان مخلصاً للهاشمي ومعظماً له وشاكراً له لما للهاشمي من فضل كبير عليه.

وبعد أن انضم إلى بكر، جرى اجتماع في بيت حكمت حضره كل من جعفر أبو التمن وعبد اللطيف نوري وبكر صدقي ورب البيت في يوم ٢٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٦، فتعاهدوا على العمل سوياً ثم رتبوا أعضاء الوزارة الجديدة وعينوا لكل مقامه الذي سيتبوؤه[1].

---

(١) يعرب فهمي سعيد، حقائق عن اغتيال بكر صدقي، مجلة آفاق عربية، السنة الثالثة، العدد ٦، شباط ١٩٧٨.

الصفحة ٨١ «من عناصر المخابرات البريطانية التي كانت تعمل في العراق «جستن» وهو ضابط بريطاني يهودي الأصل... وفي اليوم الأول من شهر ايلول ١٩٣٦ شهدت دار «جستن» اجتماعاً ضم بالإضافة «لجستن» الفريق «بكر صدقي» و «حكمت سليمان» وقد أعقب هذا الاجتماع اجتماعات عقدت في دار حكمت سليمان في الصليخ وكان مفهوماً لدى المطلعين على سير الأحداث أن «جستن وبكر» يخططان لعملية معينة، وفي ذات الوقت انعقد اجتماع في دار ساسون خضوري رئيس الطائفة اليهودية في بغداد حضره السفير البريطاني والفريق بكر صدقي والفريق عبد اللطيف نوري وحكمت سليمان وكامل الجادرجي وجعفر أبو التمن، وقرروا القيام بانقلاب يقوم به الجيش للإطاحة بحكم الهاشمي ووضع السفير عشرين ألف دينار تحت تصرف القائمين بالانقلاب».

ولم يخف بكر صدقي تعصبه وعنصريته، فلم يمض الأسبوع الأول من تقلده منصب رئاسة أركان الجيش حتى نشرت (الجمعية الكردية الإصلاحية) رسائل بعثتها إلى الكثير من أبناء البلاد، وكنت أنا أحد من استلم كتاب الجمعية هذا، تخيرني فيه بين القتل، أو أن اغادر الوطن العزيز[1]، وأذهب حيث أشاء. كانت تلك الرسائل على نمط واحد، ولم تنطو على غير الانذار للمخلصين، ثم نُشر كُتيب صغير يحتوي على ٢٩ صفحة عنوانه (الأكراد والعرب) لفريق من الشباب الأكراد، وكان محل طبعه في بغداد بمطبعة النجاح عام ١٩٣٧م. كل هذا تم بتفكير وتنفيذ بكر وأعوانه. ومع علم حكمت بالرسائل التي وزعت على المخلصين من أبناء البلاد من قبل الجمعية السرية، وبالكتاب الذي ذكرته، فقد ظل يدافع عن بكر، ويبرئ ساحة جماعته، وينسب كل ذلك إلى الافتعال عليهم حينما كان يطلب منه أن يبدي رأيه الشخصي في ذلك.

في اليوم الأول من الانقلاب نظر إلينا رجاله نظرة المرتاب لأنهم كانوا يعتقدون أننا نعرف فساد مبادئهم وأننا سنعارضهم حتى النفس الأخير من الحياة، والذي مكّن الشك والارتياب منهم، هو أنهم يعرفون أننا اصدقاء الوزارة الهاشمية وانا لا بد أن ننتقم لها من خصومها فيما إذا مكنتنا الظروف من ذلك رغم علمهم بتوتر العلاقات بيننا وبين الوزارة المذكورة في الأيام الأخيرة لنكولها عن بعض ما وعدت به من إصلاحات في الفرات الأوسط.

أما اعتقادهم أننا نعارضهم على مبادئهم الشيوعية والعنصرية، واننا لا نماشيهم عليها فله نصيب من الصحة وافر، لأن تلك المبادئ لا تنطبق

---

(١) مذاكرات عبد الجبار الراوي، مطبعة الراية، بغداد ١٩٩٤
الصفحة ١٨٣ « في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٦، وزع البريد رسائل بتوقيع «الجمعية الكردية الإصلاحية» إلى شخصيات عراقية متعددة وأنا من جملتهم تقول: يجب مغادرتكم العراق خلال ثلاثة أيام من تاريخه، والا فمصيركم القتل... إضافة إلى ذلك حدثت اعتداءات كثيرة من أتباع بكر صدقي على بعض الشخصيات فراجعوني بصفتي مديراً لشرطة بغداد، وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ ارجعت إلى وظيفتي الأصلية، معاوناً لمدير الشرطة العام لشعبة الحركات».

على حياتنا الدينية والأدبية والاجتماعية ولا السياسية والأخلاقية.

واما اعتقادهم أننا اصدقاء الوزارة الهاشمية فما لا سبيل إلى إنكاره، لكن بحدود مشروطة، وما أنست أنفسنا بهم إلا بعد الاختبار وطول التجارب المتعددة، الدالة على الإخلاص وصدق النية لخدمة هذه الأمة.

فعندما وردني كتاب بكر السري المار الذكر، أرسلته إلى مديرية الشرطة العامة، وعلى إثر ذلك قابلت المدير نفسه، ولما كان يعلم بمصدره فلم ينبس ببنت شفة، وفي الليلة العاشرة من شهر رمضان، جاءني سبعة من الجنود إلى البيت، في الساعة السابعة ونصف زوالية ـ أي بعد غروب الشمس وكانوا مسلحين، ومن المصادفات أني كنت مدعواً تلك الليلة في البلاط لتناول الافطار، ومنه ذهبت إلى الكاظمية لزيارة الامامين عليهما السلام، فلما وصلوا إلى البيت، سألوا الخادم عني، ولما علموا بعدم وجودي، استفسروا عن موعد رجوعي كما أخبروا الخادم أنهم قد أرسلوا من قبل بكر صدقي لأمر خاص. ومما لا ريب فيه، أن ارسال اولئك الجنود المسلحين، كان لأمر سوء، وقد كتبت إلى السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد، أخبرهم بذلك. وفي اليوم التالي، ذهب الحاج عبد الواحد إلى مدير الشرطة العام، وأخبره بما وقع من دون إن أعلم، وبعد ظهر ذلك اليوم، جاءتني تذكرة من الحاج عبد الواحد، يقول فيها أن مدير الشرطة العام، يرغب في مقابلتك في بيتك، فانتظره وبعد نصف ساعة يحضر عندك.

وفي الزمن المضروب جاءني مدير شرطة بغداد عبد الله عوني، وقال أن المدير العام كان يرغب في زيارتك، لكن وزير الداخلية طلبه الآن، وأرسلني لأخبرك بذلك وأقدم عنه المعذرة، ثم سألني عن أمر الجنود فجاء خادمي وأخبره بتفاصيل ما دار بينه وبين الجنود من كلام وأنهم قالوا أنهم مرسلون من قبل رئيس أركان الجيش. انصرف مدير شرطة بغداد وعاد في التاسعة ليلاً وقال: «لقد سأل المدير العام رئيس أركان الجيش عن أمر الجنود، وقال له: نعم أنا أرسلتهم إلى محسن أبو طبيخ لشغل خصوصي بيني وبينه».

في الخامس عشر من كانون الأول جاء البريد يحمل كتاباً لي وآخر إلى الحاج عبد الواحد، وعليهما توقيع (ناصح) ينصحنا فيهما بالخروج من البلاد، وإذا لم نخرج يهددنا بالقتل، وفي الساعة التي وصل فيها هذان الكتابان أرسلناهما إلى مدير الشرطة العام، ثم راجعنا الدوائر المختصة، وقلنا لهم إذا كان هذا الناصح ينصحنا بلسان الحكومة، وإذا كانت الحكومة راغبة في سفرنا فنحن مستعدون للسفر، ونود أن تهيئوا لنا جوازات السفر، فتنصلوا من ذلك، وقالوا أن هذه المكاتيب يكتبها خصومنا وخصومكم لكي يوقعوا البغضاء ويولدوا الشحناء في الصدور بيننا وبينكم.

بالرغم من انذاراتهم المتكررة لنا بالقتل، وتهديدهم به إذا لم نبارح الوطن العزيز، وبالرغم من سياستهم الهوجاء، التي لا تستقر على حال، ولم تتخذ لها خطة معينة، كنا ندلي لهم بالنصائح لخدمة البلاد التي لم تجد لها اذناً صاغية.

ولما تبينا الشذوذ في سياستهم، وإنها هوجاء لا ريب في ذلك، اعتقدنا أنهم سوف يفسدون عشائر قضاء السماوة والرميثة، التي ثارت في وجه الوزارة الهاشمية لدن تشكيلها، ثم أتبعتها بثورة دموية ثانية، بما بذلوه لها من الأموال الطائلة باسم المشاريع العمرانية، مع أنها إكراميات للعشائر، لأنها تلقت تحريضهم بعين القبول وثارت ثورتها الثانية على الوزارة الهاشمية.

كنا نحذر كل الحذر، ونخشى أن تمثل تلك العشائر معهم الدور الذي مثلته مع الوزارة السابقة، فتكون البلية عليهم وعلى البلاد في النهاية. رأينا الواجب يحتم علينا أن ننصحهم، فحذرناهم سوء العاقبة، وعبّرنا عن ذلك بواسطة معالي وزير العدلية صالح جبر وأبدينا تخوفنا على البلاد، لأننا نعتقد أنها لا تقوى على اضطرابات داخلية أكثر مما مر عليها، على أن ما اسديناه إليهم من تلك النصائح بانت لهم حقيقتها في اليوم الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٧، عندما سافر حكمت سليمان وبكر صدقي إلى

الديوانية. فذهب حكمت منفرداً إلى السماوة، وما كاد يصلها حتى جمع الرؤساء والسراكيل في سراي الحكومة، ثم قام فيهم خطيباً ليحثهم على طاعة الحكومة، وامتثال أمرها، والإذعان لقانون خدمة العلم، وكان يعتقد أن ما كان قد انعم به عليهم من أموال الدولة، سيكون سبباً لاستعبادهم، لكنه لم يكد يختم خطابه حتى سمع الجواب معكوساً، فقد اجيب بأن قانون الجندية لا يطبق في قضاء السماوة، وأن الضرائب لا يمكنهم دفعها في هذه السنة.

عندما انس حكمت وأصحابه عدم القدرة على قتلنا مالوا إلى سياسة اللين، فدعانا إلى بيته في الليلة الثانية عشرة من الشهر المذكور، للتداول والتفاهم معه، ودعا معنا وزير العدلية، ومتصرف الديوانية ماجد مصطفى، ومظهر الشاوي، والشيخ حبيب الخزران والشيخ حميد الحسن التميمي، واستمرت الجلسة أكثر من أربع ساعات انتهت بعد منتصف الليل وقد خرجنا من بيته وكل فرد يعتقد أن التفاهم قد حصل. ولكن ما إن أصبحنا حتى وجدنا كل شيء كما كان، كأن لم يكن في الأمس شيء، ثم إن حكمت دعانا إلى تناول العشاء في بيته في الليلة الثامنة والعشرين من الشهر نفسه، وكنا خمسة أشخاص، السيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد الحاج سكر، وعبد السادة الحسين[١]، والحاج سلمان الجبر وانا، ثم حضر بعدها بكر صدقي ومحمد علي جواد، والرئيس علي غالب، وضابط آخر لا أعرفه.

دار الحديث بأوسع من ذي قبل، حتى حسبنا أن سوء التفاهم قد زال، وحصل الاتفاق على ترك سياسة العنف والطيش، وابدالها بسياسة

(١) عبد السادة الحسين، هو عبد السادة بن حسين بن علي (آل علي) والملقب بأبي هدلة وبذا اصبح لقب هذا البيت البوهدلة وهم من عشيرة آل فتلة بطن آل كيم وموطنهم في الجهة اليسرى من شط الشامية بناحية المهناوية شارك هو وعشيرته في ثورة العشرين وخاضوا معركة الرارنجية المشرفة. وبانتهاء الثورة سجنه الإنكليز في معتقل الحلة، انتخب عضواً في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٣م ـ ١٣٤٢هـ كما أنه مثل الديوانية في مجلس النواب لدورات متعددة. توفي رحمه الله في شهر رمضان عام ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

اللين والاعتدال وغلق باب الدعاية الشيوعية وغيرها من الدعايات المضرة بالبلاد، وتركنا الحضور على هذا الوجه في الساعة الثانية صباحاً.

كلمة وإيضاح

اراد بكر صدقي التخلص من الملك غازي وقادة ثورة العشرين في الفرات الأوسط لتنفيذ مخططه في الانفراد بالحكم، أما من يقف وراء هذه المخططات، فليس صعب على المتتبع لتاريخ العراق في تلك الفترة وتاريخ بكر نفسه أن يشير إلى الإنكليز في مثل تلك الظروف.

ولخوف بكر من شعبية الملك غازي وما قد ينجم عنها فيما إذا قام بإزاحته عن الحكم سواءً اغتيالاً أو إبعاداً، فإنه أراد أن يقوم رجال الفرات الأوسط بذلك بعد أن وعدهم باستقلال الجنوب. وفيما لو فعلاً قبل السيد محسن أبو طبيخ والحاج عبد الواحد السكر القيام بما طلبه منهما بكر، فإنه ولا شك، سوف يفتك بهما وبرجال الفرات وابنائه لينفرد بحكم العراق بعد أن يخلو له الجو من أي معارضة.

والمثير للشك والاستفهام، أن يفلت المتآمرون بعد مقتل بكر، واعني بذلك كل من متصرف الديوانية ماجد مصطفى، وقائمقام أبو صخير عبد الوهاب مصطفى من أي إجراءات قانونية، واكتفى رئيس الوزراء نوري السعيد بمذكرة ماجد مصطفى التي كانت خالية من الاشارة إلى حقائق ملموسة ووثائق مفقودة ـ كان الاجدر بنوري باشا إجراء التحقيق المفتوح ولكافة الأطراف في مثل هذه القضية الوطنية التي تمس كيان العراق، في الوقت الذي أفسح المجال لشخص مشتبه بالتآمر على حياة الملك أن يكيل الشتائم للسيد محسن والحاج عبد الواحد ويكرّم فيما بعد بمناصب وزارية. إلى جانب ذلك، فقد تجاهلت السلطات الرسمية وتجنبت توجيه أي استفسار للسيد محسن عن هذا الموضوع خوفاً من الوقوع في ورطة التآمر وكشف المتآمرين الحقيقيين.. زد على ذلك أن السلطة تجاهلت استمرار السيد محسن والحاج عبد الواحد على إصرارهما على سرد الحدث، وكان الحاج عبد الواحد نفسه أكثر صراحة بقوله أن رفضهما تنفيذ المؤامرة أنقذ الفرات الأوسط من مذابح كان يعدها لهم بكر صدقي[١].

كل هذه المؤشرات تدل على أن فصول التآمر على إزاحة الملك غازي عن العرش

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الرابع، صفحة ٣٢٨، مجلة آفاق عربية، العدد المؤرخ في ١٢/٨/١٩٨٠ الصفحات ١٢ ـ ١٨ «روايات ووثائق عن عهد بكر صدقي، بقلم عبد الجبار العمر».

والفتك برجال ثورة العشرين لم تنته بعد.

لقد تم التنكيل بكافة قادة ثورة العشرين، وسيقوا إلى المعتقلات والسجون وتمت مصادرة الكثير من أراضيهم الزراعية، ولم يمضِ على مقتل بكر سوى تسعة عشر شهراً، حتى قُتل الملك غازي في ظروف غامضة لم تكتشف أسرارها للوقت الحاضر.

ونظراً للأهمية التاريخية لهذا الموضوع وجدت أن أعيد نشر ما كتبه السيد محسن في كتابه المبادئ والرجال بهذا الشأن

جميل السيد محسن أبو طبيخ

التآمر على قتل الملك غازي(1)

في تلك الجلسة المارة الذكر مع حكمت وبكر، كنا ونحن ننظر إلى وجوه الرجال ونتفرس فيها، نشعر بنوايا مطوية في صدورهم تخالف ما يكتمون، والحقيقة أنهم كانوا يحاولون استدراجنا للاشتراك معهم في ما يرغبون، أو ننفرد بالقيام به تكليفاً منهم، غير أنهم كانوا يتهيبون التصريح بذلك.

في أوائل شهر شباط (فبراير) عام ١٩٣٧ قضت الضرورة أن أذهب أنا والحاج عبد الواحد إلى أماكننا في الفرات للإشراف على مزارعنا، فأخذ كل منا إجازة من المجلس (الأعيان)، وبعد بضعة أيام من وصولي إلى غماس جاءني في اليوم الرابع عشر من الشهر كتاب من الحاج عبد الواحد يطلب حضوري إلى أبو صخير، وفي اليوم الخامس عشر ذهبت إليه صباحاً أجابة لطلبه، حتى إذا انتهيت إلى مفرق الطريق بين الشامية والديوانية وأبو صخير غماس، وجدت الحاج عبد الواحد في سيارته واقفاً على المفرق ينتظرني، فاستغربت ذلك، فبادرني قائلاً: «إني أنتظرك وهلم نجلس في

---

(1) السيد محسن أبو طبيخ، المبادي والرجال، نفس المصدر السابق، راجع الصفحة ١٠٤ - ١١٤ «كشف الستار عن الأسرار وعما ارادوه منا بواسطة متصرف الديوانية».
- استمرت المؤامرات لتصفية الملك غازي أثناء حكم بكر صدقي وبعده إلى أن تم قتله مساء الثالث من نيسان عام ١٩٣٩، راجع كتاب:
سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥، الطبعة الأولى ١٩٨٨، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، الناشر مكتبة اليقظة العربية، بغداد. دور نوري السعيد في ملابسات مقتل الملك غازي.

السيارة، لكي أشرح لك السبب، فالأمر مهم والخوف دفعني لذلك». ففي تلك الأيام لم يسلم معارض من رصد، حيث كان ضباط بكر صدقي في ذلك الوقت يقومون بقتل الرجال في الشوارع ضحوة النهار.

جلسنا وأخذ يحدثني قائلاً: «ان المتصرف ماجد مصطفى جاءني قبل يومين إلى محلي ومعه قائمقام أبو صخير عبد الوهاب مصطفى، وأدليا لي بأمر هام كان هو السبب الذي حدا بي لطلب حضورك، وفي مساء أمس تخابر المتصرف مع القائمقام، وطلب منه حضوري إلى الديوانية بهذا اليوم، والقائمقام معي، ووقفت هنا أنتظرك في طريقي إلى الديوانية» فقص ونحن في الطريق كل ما دار بينه وبين المتصرف ثم أردف قائلاً: «قال المتصرف إنه مرسل من قبل بكر صدقي وحكمت سليمان بأمر هام، أنت والسيد محسن أبو طبيخ لأنه سريع الجواب وصعب الانقياد وودت أن أفاتحك لوحدك بالموضوع لتقوم بإقناع السيد محسن وتأتيني بالجواب غداً بواسطة القائمقام أو بواسطة أحدكما مباشرة».

واسترسل المتصرف في إعطاء التفاصيل قائلاً للحاج عبد الواحد: «ان قوة البلاد المسلحة منقسمة إلى قسمين، قسم الجيش، وهو بيد بكر، وقسم العشائر وأكثريتها معكم، وأنتم قادتها، فإذا ما بقيت هاتان القوتان متعاديتين، فأي قوة منهما، تتحطم، تعود الخسارة فيها على البلاد، أما إذا توحدت القوتان واتفقتا، فقد احتفظت البلاد بقوتها، وصار في إمكانها أن تخدم الصالح العام».

واستمر المتصرف بكلامه: «إن في البلاد عناصر فاسدة ومضرة، وهي حجر عثرة في سبيل الإصلاح والمصلحين، وقد اتفق كل من حكمت وبكر على ازالتها، لكي يتسنى لهما الوصول إلى الطريق، ولكن ذلك لا يتم إلا بموافقتكم، واتفاقكم معهما لأن الأمر خطير وذو شأن عظيم، ولا يتم إلا بالقوة، وإذا وافقتم على ذلك واتحدت قوتكم مع قوة الجيش فإن كل شيء يتم بسهولة».

فقلت للحاج عبد الواحد: «صحيح أن البلاد تحتاج إلى إصلاح وكلنا يرحب بهذه الفكرة، كما أن الأمة تعاضده، وتساعد المصلحين، ولكن ما هو الأمر الذي لا يتم إلا بالقوة؟ وما هي العناصر الفاسدة التي قرر

حكمت وبكر إزالتها»

فقال: «ان المتصرف أخبره أن الملك غازي لا يصلح لأن يكون ملكاً لهذه البلاد[1]، لأنه أول عقبة في طريق الإصلاح، فقبل كل شيء يجب خلعه وطرده خارج البلاد، أما العناصر المضرة فأكثرها بين من قتل ومات، وبين من طرد إلى الخارج ولن يعود. فلم يبق إلا ثلاثة رجال في بغداد وهم جميل المدفعي، وناجي السويدي، وأخوه توفيق، فهؤلاء الثلاثة عنيدون، بحيث لم يخرجوا بالإشارة، وقد تقرر قتلهم، هذا ما كلفت به، وجئت به اليكم، وما يراد منكم، فإذا كنتم توافقون حكمت وبكراً على هذه المقررات، فهما يشاطرانكم ما تريدونه من مقامات في الدولة، تبقى لكم بصورة دائمة، ويرجع إليكم كل ما غصب منكم من الأراضي سابقاً ولاحقاً، وتعطون غيرها ما تشاؤون من الأراضي الأميرية وتملك لكم بدون بدل مثل، وتعطون ما يكفي تعميرها من نقود».

فلما سمعت هذا الحديث من الحاج عبد الواحد، دهشت وسألت الحاج ما كان رده؟ فقال: «قلت للمتصرف إن الأمر لعظيم، وليس بامكاني أن اجيبك عليه قبل أن اتصل بأصحابي، وأستطلع رأيهم» فأجابني: «لا تتصل بغير السيد محسن أبو طبيخ، وهو الآن في غماس، فأطلبه وخذ رأيه، وأخبرني بما تتفقان عليه». وأردف الحاج: «وعلى هذا طلبتك واما استدعاؤه لي اليوم فلا ادري، أهو يريد مني الجواب؟ أم لأمر غير ذلك؟».

اتفقت مع الحاج عبد الواحد على أن يخبر المتصرف أن هذا الأمر لا يتم بالواسطة نظراً لخطورته، لذا نحن نريد مقابلة بكر وحده منفرداً عن حكمت، وعندما نجتمع به ونسمع منه ما طلبه المتصرف منا سوف نبين

(١) خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمي، منشورات دار الطليعة، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٧.
الصفحة ١٩٦ «وفي أقوال أحمد شوقي ما يقنع أن للإنكليز ضلعاً في المؤامرة، بينما يصرح هو في مواقف اخرى أن الإنكليز يراقبون الأمور وهم غير مرتاحين وقد يقومون بأمر يؤدي إلى تغيير من على العرش بآخر، وربما يكون الأمير عبد الإله».

له رأينا.. وفي اليوم السابع عشر من الشهر، جاءني كتاب من الحاج عبد الواحد يخبرني أنه اجتمع مع المتصرف وأخبره بوجهة نظرنا التي اتفقنا عليها وأن المتصرف أجابه قائلاً: «اني الآن ذاهب إلى بغداد وسوف أخبر بكراً بذلك، فإذا وافق على مقابلتكم في بغداد، أطلب حضوركم، واذا رغب أن يقابلكم في الديوانية،أصحبه أنا ونأتي معاً، وأرجو أن تُعلم السيد محسن أبو طبيخ، وتطلب منه أن لا يغادر النجف إلى اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر».

وفي السادس والعشرين منه، استلمت كتاباً ثانياً من الحاج عبد الواحد يطلب فيه حضوري إلى محله، فذهبت اليه، فأخبرني أن المتصرف، قد رجع من بغداد وانه طلبه بالأمس إلى الديوانية وأخبره أن بكراً أجل المذاكرة إلى وقت آخر وقبل أن نفترق اتفقت مع الحاج على رفض طلبهم المار ذكره رفضاً باتاً، وأن هذا الأمر لا يمكن تحصيله ونحن أول من يعارضهم عليه.

في يوم ٢٧ منه، قابلت المتصرف فبادرني بقوله: «إني فاتحت الحاج عبد الواحد في أمر هام، يتعلق بمصلحة البلاد العامة، وبمصلحتكم الذاتية أيضاً، ولا شك أن الحاج فاتحك بالموضوع ودرسته فما رأيك فيه»؟[1]

قلت له: «ان الحاج عبد الواحد ذكر لي شيئاً مجملاً، ولكن أحب أن أسمعه منك بالتفصيل فذكر لي كل ما تكلم به مع الحاج وقال: «هذه هي

---

(١) العقيد الطيار المتقاعد موسى علي الطيار، اضواء على مقتل الفريقين جعفر العسكري، وبكر صدقي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة (٥٠)
طبع دار آفاق عربية ـ بغداد ١٩٨١
الصفحة ٣٧ ـ ٣٨ «هذا ولما شعر بكر أن الجيش أخذ يتكتل ضده قرر أن يستغله فوراً لأغراضه الشخصية قبل أن يستفحل امره... لذا أخذ يفكر.. إبعاد الملك غازي عن العرش وتبديل نظام الحكم الملكي... إلا انه أخذ يخشى من وجود عشائر الفرات الذين لا يزالون يضمرون له العداء ولا سيما وهم الذين قاموا بثورة ١٩٢٠ وكانوا السبب لتتويج فيصل ملكاً على العراق...
«وفعلاً اجتمع ماجد مصطفى بالشيخين الجليلين عبد الواحد الحاج سكر والسيد محسن أبو طبيخ اللذين يعتبران من أبرز شيوخ المنطقة وفاتحهما بما يخالج أفكار بكر... منها عدم صلاحية الملك لحكم البلاد واستهتاره بأمور الدولة وانغماسه في الملذات...»

الرسالة التي كلفت الحاج عبد الواحد أن يحملها إليكم وبودي سماع جوابكم».

قلت له: «اظن أن الحاج عبد الواحد جاءك قبل سبعة أيام وأخبرك بأننا نريد مقابلة بكر، وعليه ذهبت أنت إلى بغداد وبعد رجوعك منها أخبرت الحاج أن بكراً قبل ذلك ولكنه لكثرة أشغاله أجل المقابلة إلى وقت آخر».

أجاب المتصرف: «نعم ولكن أنا أحب أن أسمع منك ما تجيب به بكراً».

قلت: «يا سعادة المتصرف، أن الذي ذكرته وتريده ذو شؤون وشجون، لقد ذكرت أن حكمت وبكر يريدان إصلاح البلاد ويريان أن ذلك لا يتم إلا باتفاقنا معهما على خلع الملك غازي وطرده وقتل جميل المدفعي وآل السويدي. أعلم يا سعادة المتصرف، أن الملك فيصلاً لم يفتح بلادنا عنوة بجيوش الحجاز ولم يحتلها عن طريق الحرب وأن عرش بلادنا نحن الذين قوّمناه بسيوفنا وشيدناه على جماجم أبنائنا وإخواننا، وحيث أن الملك حسين نهض باسم العروبة، مالت إليه نفوسنا، ورأينا من الحق أن لا يتسنم عرش العراق إلا أحد أنجاله، فذهبنا إليه في الحجاز، وطلبنا منه أن يرسل أحد أنجاله ليكون ملكاً على بلادنا، فاختار لنا المغفور له الملك فيصلاً، وعدنا به معاً إلى العراق، وأجلسناه على عرشه، ولما بويع، واستقر به الجلوس على اريكة الملك رأيناه نعم الملك، فقد وفى بعهده، وادى أمانته إلى امته وقام بواجبه خير قيام، حتى مات مجاهداً في سبيل استقلال بلاده وسعادة شعبه».

«ذهب فيصل إلى ربه مجاهداً، وترك عندنا وديعته، وهو ولده الملك غازي فبأي ذنب نؤاخذه؟ وبأي جرم نعاقبه، أتريدون أن نبيعه بحطام الدنيا أن ذلك لن يكون ابداً».

«انتم تمنوننا بالمقامات الرفيعة والأموال الوافرة، وما منها إلا زائل فانٍ، وتظنون أن ذلك يسحرنا، فنبيعكم ضمائرنا، التي لم تعرف الغدر والخيانة ونسحق شرفنا بأقدامنا ونوافقكم على قتل إخواننا، تريدون أن تبتاعوا منا ما هو خالد بخلود الإنسانية بما يميت المرء ولو غفل عنه القدر».

«أما جميل المدفعي وآل السويدي، فهم إخواننا، ودمهم دمنا ولحمهم لحمنا، فدماؤنا تراق قبل دمائهم، وأرواحنا نضحي بها قبل أرواحهم، فأنبذوا هذه الأماني وراء ظهوركم، وأخرجوا هذه الاحلام من أذهانكم، إذ انكم عبثاً تحاولون الحصول منا على ذلك».

«تمنوننا بالمقامات العالية، والثروة الغالية، وتطلبون منا لقاءها الخيانة لمليكنا، والغدر بإخواننا، فلو كان هذا رائدنا لظفرنا به من قبل يومنا هذا مثلما ظفر به غيرنا ولما سبقنا إليه سابق».

«إننا يا سعادة المتصرف حماة العرش، سنحميه كما شيدناه بدمائنا، وأن دماء إخواننا لم تكن بأرخص من دمائنا ولن نبيحها حتى تسيل دماؤنا دونها».

«نعم أننا نوافق بكر على شيء واحد إذا أراد المقام الدائم عدا العرش، ولا تحصل الموافقة منا على ذلك إلا بشروط، وذلك أننا نوافق بكر على اعطائه رئاسة الوزارة على أن يضرب حكمت سليمان وجماعته وأن يوصد ابواب الدعاية الشيوعية والعنصرية، وأن يرينا منهج الإصلاح، ويجعل لنا رأياً فيه وأن تشكل وزارة قومية من نخبة من رجالات البلاد المخلصين، فإذا كان يوافق على ذلك فنحن مستعدون للاتفاق معه».

بقي المتصرف صامتاً بضع دقائق عندما فرغت من كلامي. . . وبعد برهة، قال: «نعم سوف يقابلكم بكر ويوافقكم على ذلك». وافترقنا[١].

توجهت ذلك اليوم إلى بغداد وفي صبيحة اليوم التالي ذهبت إلى بيت جميل المدفعي وأنبأته بكل ما جرى وحذرته من غدر بكر وحكمت،

(١) عبد الجبار العمر، روايات ووثائق عن عهد بكر صدقي، مجلة آفاق عربية، السنة الخامسة، العدد ١٢ آب (اغسطس) ١٩٨٠

ـ أشار كاتب المقال في الصفحات ١٥ ـ ١٨ إلى مذكرة ماجد مصطفى الرسمية حول الموضوع الذي تطرق إليه السيد محسن، وقد وجدت في دفاع المتصرف، لغة الانفعال كما انه انحدر إلى لغة القذف والتشهير التي إن تنم عن شيء فهي تعطي صورة حقيقية لمحاولته التنصل من دوره في المؤامرة. لقد تجنب الإجابة الموضوعية الموثقة، فكان رده عموميات وغيبيات لم تسعفه في إخفاء تعاونه ومشاركته في مؤامرة وضعها بكر صدقي وحكمت سليمان بإيعاز إنكليزي للتخلص من الملك غازي وقادة ثورة العشرين في الفرات.

فشكرني وقال: «نعم إني منذ أيام أوجست منهم خيفة ونظرت في وجوههم فلاح لي الشر فيها وبعض علائم الغدر وفي كل يوم أشاهد أشخاصاً مجهولين متنكرين يراقبون بيتي ومن أجل ذلك تركت زيارة اصدقائي ليلاً، ولازمت البيت فلا اخرج في الليل حتى لو مست الحاجة، انما ارجو أن تخبر آل السويدي بذلك، ومن واجبكم أن تتيقظوا أنت والحاج عبد الواحد وتأخذوا حذركم، وتتنبهوا كل التنبه خشية غدرهم».

تركت جميلاً في بيته، وقصدت من ساعتي ناجي السويدي إلى بيته وحدثته بما انبأت به جميل بك وبينت له كل ما دار بيننا وبين المتصرف وقلت له خذ حذرك أنت واخوك توفيق.

بعد أن أخبرت جميل وناجي بما تقدم وبعد أيام جاء متصرف الديوانية إلى بغداد وإذ ذاك كنت فيها، وحينما عجزوا ويئسوا من إقناعنا بقبول مطلبهم وتحقيق أمانيهم، عدّل بكر خطته وجاءنا بثانية.

تقسيم العراق[١]

زارني ذات ليلة حوالي منتصف الليل، صديق من الأكراد البارزين، كان يشغل منصباً عالياً في الدولة وممن شاركوا معنا في حركة عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥[٢] أخبرني هذا الزائر أنه جاء إلى بغداد قبل أيام معدودات أحد شيوخ بشتر وذهب معه إلى بكر صدقي فأخبرهم أن أهل الفرات يبغضون

---

(١) العقيد الطيار المتقاعد موسى علي الطيار ـ اضواء على مقتل الفريقين جعفر العسكري وبكر صدقي ـ المصدر السابق.
خطة بكر صدقي الثانية كانت: الصفحة ٣٩ «تشكيل دولة كردية تضم أكراد تركيا من شرقي الاناضول وأكراداً من غربي إيران ودمجهم مع أكراد العراق ومنحهم الاستقلال التام ليصبح هو نفسه رئيساً لها، وقد رفض الأتراك والإيرانيون التحدث في مثل هذا الموضوع»..

(٢) في مقابلة مع أخي الدكتور محمد بداره في سان دياغو بولاية كاليفورنيا أن الشخص الذي أشار إليه الوالد هنا والذي زاره هو عزيز يا ملكي والشخص الثاني الذي أشار إليه بأحد شيوخ بشتر هو معروف جياووك، وأنه يتذكر أن كلاهما زاراه في استمرار وقد صرح الوالد فيما بعد لأخيه السيد جعفر أن «الأكراد يريدون ينفصلون ويريدون يجرونا وياهم» أي منطقة الفرات الأوسط.

الحكومة وهم متحفزون للثورة عليها. وهذه فرصة سانحة لتحقيق «أمانينا» وذلك بأن نتفق مع الفراتيين على اساس «جنوبهم لهم، وشمالكم لكم»، وتثورون في آن واحد انتم والفراتيين، ثم قال «يجب أن تذهبوا إلى الديوانية وتجتمعوا هناك بماجد مصطفى متصرف اللواء، وهو يطلعكم على حالة الفرات، فالتقارير السرية التي يرسلها لي يومياً أن بركان الثورة يكاد ينفجر قريباً». ثم أردف زائري هذا أنه ذهب وصاحبه إلى الديوانية وبقيا فيها ثلاثة ليال عند المتصرف ماجد، وايد ما ذكره بكر لهما من بغض الفراتيين للحكومة واستعداد العشائر للثورة وأن الفرصة سانحة للعمل والتخلص من استعمار أهل بغداد والموصل وهذا ما يريده الفراتيون وهذه فرصة ثمينة للاتفاق معهم، ثم نصح بالاتصال بك قائلاً: «فاتح صديقك السيد محسن أبو طبيخ، فإذا وافقكم واتفق معكم تنجحون».

لهذا السبب جئتك وأن صديقي الآغا نازل في الفندق ويرغب بمقابلتك، فأجبته: «أعلم ايها الصديق الغالي، أن الفراتيين لا يكرهون الحكومة، وانما يكرهون الموظفين منها، الذين أساؤوا في الإدارة والتصرفات المخالفة للأنظمة والقوانين، وإذا ثاروا فلا يثورون إلا على أولئك الأمراء والمأمورين الطائشين الذين أساؤوا للبلاد وأكثروا فيها الفساد.

أما أمر التفرقة وتجزئة البلاد فلم يفكر فيه أي فراتي كان، والفراتيون حرب على من يقول بذلك لشدة بغضهم له وينفرون من هذه الفكرة وأنا أنصحك أن لا تفاتح بذلك أي شخص من أهل الفرات غيري خوفاً من أن ينفضح امرك وتذهب ضحية ذوي الطيش والنزق والغدر والخيانة».

التهديد والتكريم

بعد أن رفضنا رسالتهم الأولى التي جاء بها المتصرف ماجد مصطفى ورسالتهم الثانية التي اتى بها ذلك الصديق، جعلناهم يلمسون حقيقة الفرات وانه لا يتسنى تحويل مجراه، أو تحويره عن وضعه السابق منذ اليوم الأول الذي شيدنا فيه عرش العراق، وارتقى الملك فيصل أريكة الحكم، ولما عرفوا أننا وقفنا على كنه أسرارهم، أوعزوا إلى متصرف لواء الديوانية

أن يشتغل ضدنا، وينسب إلينا كل ما يمكن أن نؤاخذ به.

عندما اكتشف المتصرف أن عشائر بني حجيم أفلتت من ايديهم، وتمردت عليهم بسبب سياستهم الهوجاء، رأى أن يستغل تمرد هؤلاء فرصة للانتقام منا قبل أن نفضح أسرارهم التي كتمناها، فأوعز إلى جواسيسه بترصد حركتنا وكتابة التقارير التي ينسبون لنا فيها أن تمرد بني حجيم ناشئ من تحريضنا لهم، واننا أرسلنا أموالاً وافرة لهم، لنثيرهم بها على الحكومة.

اشتغل المتصرف بهذا الأمر بجد حتى تحرج الموقف في قضاء السماوة، ونار الفتنة تأججت وذلك بسبب تصرفاته الشاذة عن الأخلاق والقانون وكان خير مساعد له على ذلك قائمقام السماوة رشيد الصوفي. وكان هذا إذا ما كفت العشائر فيما بينها عن ارتكاب الشر وتجنبته، أجبروها عليه باستفزازاتهم. وعلى هذا الاساس أخذوا ينسبون المشاكل لنا ويرسلون التقارير إلى حكمت سليمان بصفته وكيل وزارة الداخلية يتهموننا بهذه المشاكل.

جاءني يوماً السيد علوان الياسري وأخبرني أنه زار حكمت سليمان في مجلس رئاسة الوزراء وكان عنده الشيخ عجيل الياور رئيس شمر فقال لهم: «ان السيد محسن أبو طبيخ يسعى إلى فصل الفرات عن جسم الدولة، ويريد إدارة مستقلة وحكماً ذاتياً للفرات». وفي نفس اليوم قمت بزيارة الشيخ عجيل الياور في اوتيل مود، وأخبرني أيضاً بما أخبرني به السيد علوان.

ذهبت لمقابلة حكمت سليمان في الساعة الخامسة بعد الظهر، في وزارة الداخلية وكان عنده ناجي الاصيل وزير الخارجية، فأخبرته عما سمعته من السيد علوان الياسري والشيخ عجيل ومدى صحته، فلم ينفِ ذلك.

فقلت له: «لأي أمر تتهمني أنت بالخيانة والفساد، وهل لي أن أسألك إذن من أرسل المكاتيب الصادرة عن (جمعية كردية) تهددنا بالقتل إن لم نخرج من البلاد؟»

فأجاب: «إن التحقيق جارٍ مجراه، وعندما نتأكد من مصدر هذه

الكتب سنعاقب أصحابها أشد عقاب».

لما شاهدنا من القوم هذه التطورات وشعرنا أنهم يضمرون الشر لنا وتحقق عندنا سوء نياتهم قررنا أنا والحاج عبد الواحد السفر إلى خارج العراق، واذاك اجتمعنا بوزير العدلية صالح جبر وأنبأناه بما عزمنا عليه، وأننا لا نريد سوى منحنا إجازة من مجلسي الأعيان والنواب (للحاج عبد الواحد) وجوازات سفر، فأخذ الوزير يمانعنا في ذلك ويقول إن السفر لا يجوز وأن القضية لما تصل بعد إلى هذا الحد وأن التفاهم سيحصل مع حكمت.

وفي العاشر من نيسان (ابريل) ١٩٣٧، استلمت تذكرة من وزير العدلية يطلب فيها حضوري إلى دائرته، وقابلته في اليوم التالي فأخبرني أن رئيس الوزراء ووزير المالية اعطياه صلاحية حل قضية أراضي الرملة المتنازع عليها بيني وبين وزارة المالية كما أسلفت في الفصول السابقة وانه مفوض بحسم الموضوع على الأسس المتفق عليها بيني وبين وزارة المالية في عهد الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣ ولم تنفذ في حينه[١].

وما كاد ينهي كلامه، حتى أدركت أن القصد غير ما فاه به[٢]، فقلت له: «يا معالي الوزير، في الوقت الذي أشكرك وأشكر زملاءك الذين خولوك حل هذه المشكلة، إلا أني ارجو أن تخبرني بما تريده مني، وما طلبتني من أجله»، وبينما نحن في هذا الأمر دخل عليه السيد علوان الياسري، والحاج سلمان الجبر، وعبد السادة آل حسين، فأخبرهم بما أخبرني، فأدركوا منه ما أدركته أنا وعرفوا أن هذا لم يكن بيت القصيد، فأجابوه مثلما اجبته أنا وقالوا له أن السيد محسن ترك هذه القضية إلى

---

(١) السيد محسن أبو طبيخ، المبادي والرجال ـ نفس المصدر السابق الصفحة ١٥٠

(٢) راجع التقرير السري المرفوع من السفير البريطاني في بغداد، أ. كلارك كير إلى المستر ايدن
Confidential, From A.Clark Kerr to Mr.A. Eden No. 274,f.o, 371,20795/E699/14/93
والذي أشار فيه انه اجتمع برئيس الوزراء حكمت سليمان في شهر حزيران (يونيو) ١٩٣٧ وأن حكمت يشعر بإمكان تقويض قوة العشائر ونفوذ رؤسائها عن طريق إعادة توزيع ممتلكاتهم إلى أبناء تلك العشائر نفسها.

وقت آخر فهل لك أن تخبرنا ما تريد.

فقال: «انا أرغب أن تتفاهموا مع حكمت وكذلك هو يرغب بذلك، فإن كنتم توافقون أطلبه الآن للتفاهم معه لحل كل القضايا العمومية والخصوصية».

وكنا نعلم أن هذه مناورة لا تختلف عن سابقتها ولتجنب أن يكون علينا حجة فيما لو رفضنا، اجبناه على طلبه، فاتصل به وأخبره بوجودنا معه، وبعد مضي وقت قصير حضر حكمت إلى مكتب وزير العدلية.

وما كاد يستقر في جلسته حتى بادرنا: «أنتم تشتغلون ضدنا، وقد بلغني انكم قد أرسلتم الفاً وخمسمائة دينار إلى عشائر قضاء السماوة لأجل اثارتهم علينا». ولما طال الجدل، التفت إلى صالح جبر قائلاً: «نريد أن نتكلم مع الجماعة وهذه تستوجب أن يكون لنا وقت طويل، فيلزم أن تدعونا في الليلة الآتية إلى عشاء في بيتك كي نجتمع ونتذاكر».

وفي الليلة الثانية عشرة من نيسان (ابريل) ١٩٣٧ حضرنا دعوة العشاء في دار وزير العدلية صالح جبر فوجدنا حكمت سليمان هناك، وجرت المذاكرات والمحادثات المتنوعة وكثر فيها الأخذ والرد، تساءل حكمت موجهاً كلامه إلى الحاج عبد الواحد قائلاً: «سمعت أن السيد محسن أبو طبيخ يريد أن يسافر، ويقول أنه خائف من الحكومة أن تقتله، وانت يا حاج تريد السفر لكونك تخشى أن تحدث ثورة في الفرات وتتهم من قبل الحكومة بالقيام بها». فذّكرناه بأمر الجنود الذين أرسلهم بكر صدقي ورسائل التهديد التي وردتني والتهمة التي وجهت إلينا بأرسالنا الفاً وخمسمائة دينار إلى عشائر السماوة. فلم يعطنا جواباً مطمئناً، وجرى الحديث وتشعب وعلى هذا انفضّ اجتماعنا، وخرجنا من بيت الوزير بعد منتصف الليل وكل فرد منا مقتنع أن ما جرى من حكمت كله مداهنات ومجاملات مجلسية، وكنا فيما بعد، كلما ضمنا واياهم مجلس لا نزداد إلا علماً لم تشبه شائبة شك بسوء نياتهم وأنهم يضمرون لنا السوء وأنهم يتحينون الفرص للوقيعة بنا لذلك، آثرنا السفر أنا والحاج عبد الواحد خارج

البلاد، أنا إلى سوريا والحاج عبد الواحد إلى إيران لأجل التخلص من شرهم، وكان في عقيدتنا أن ذلك يرضيهم، فطلبنا في ذلك الأسبوع إجازة أنا من مجلس الأعيان والحاج عبد الواحد من مجلس النواب، كما طلبنا الجوازات من مديرية الإقامة والسفر فأخذت هذه الدائرة تماطلنا وتعللنا.

خطتنا لقتل بكر صدقي

ومن تصرفاتهم السابقة معنا، أصبح يقيناً لدينا أنهم سيفتكون بنا بعد أن فتكوا بخيرة رجال البلاد، وحيث أننا ساورنا الخوف من افعال بكر صدقي قررنا أن نفتك به قبل أن يفتك بنا[1].

اتصلنا ببعض ضباط الجيش من أصدقائنا في ذلك الوقت والذين لم يكونوا مرتاحين من بكر صدقي، وهؤلاء هم العقداء، صلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، وتوفيق حسين، كما اتصلنا بآمر حامية الموصل أمين العمري بواسطة ضابط برتبة رئيس أول يدعى محمد إبراهيم، كما كانت لنا اتصالات وثيقة بمعظم ضباط حامية الديوانية وتفاهمنا على وجوب التخلص من بكر صدقي، لقد حاولنا القضاء عليه عدة مرات، وكانت أول محاولة حينما اتفقنا على إقامة حفلة تكريمية له في نادي الضباط في الديوانية، وتتم دعوته من قبل ضباط الحامية المذكورة ومن جانبنا نقوم بإرسال مائة مسلح للاشتباك مع الحامية يتم خلالها قتل بكر ونقوم نحن باحتلال بلدة الديوانية.

وبالفعل قمنا بإرسال القوة المذكورة بعيد مجيء بكر إلى الديوانية تلبية

(١) أحمد فوزي، أشهر الاغتيالات السياسية في العراق، الطبعة الأولى، الدار العربية للطباعة، مطبعة الديواني، بغداد ١٩٨٧
«القسم الأول يرى إسقاط حكم بكر صدقي عن طريق قيام ثورة شعبية وقد تبنى هذه الفكرة بعض السياسيين يسندهم بعض الشيوخ وبعض ضباط الجيش، ذكر ذلك الاستاذ عبد الرزاق الحسني في كتابه «تاريخ الوزارات العراقية» قائلاً: حدثني أحد رؤساء الوزارات أن جماعة من السياسيين والشيوخ والقادة، بينهم جميل المدفعي، وناجي السويدي، ومحسن أبو طبيخ، وعلوان الياسري وفهمي سعيد، ومحمود سلمان كانوا يرون ضرورة القضاء على بكر صدقي بعد أن استفحل امره».

لدعوة الضباط له، وقد تبين أن أحد الضباط كان مدسوساً كجاسوس من قبل بكر وأنذره بالخطر، وقبيل المغرب قام من مكانه لغرفة التلفون في مقر الفرقة، بحجة أنه يخابر رئيس الوزراء، ثم عاد وأخبر الضباط أن رئيس الوزراء يطلب حضوره لأمر هام، وفي تلك اللحظة غادر بسيارته تتبعها سيارة مرافقيه تاركاً وراءه الديوانية متوجهاً إلى بغداد.

والمحاولة الثانية كانت في بغداد، كان بيته الذي يسكنه في الكرادة الشرقية قرب بستان الخس في شارع السعدون، وهي محلة مكشوفة فيها بيوت معدودة فنصبنا له كميناً في سيارتين، احدهما فيها العقيد فهمي سعيد ومعه ثلاثة جنود والسيارة الثانية فيها خمسة رجال من جماعتنا مختفين في الطريق المؤدي إلى الكرادة قرب بستان كبه، منتظرين مجيئه بعد الدوام لبيته، احس أحد جواسيسه بالأمر، وبعد أن خرج من وزارة الدفاع سلك طريق مدرسة الشرطة ثم عرج على بيته وباءت تلك المحاولة بالفشل.

الابعـاد والسجـن

وبعد أسبوع من تلك المحاولة، لفقوا علينا تلك التهمة الكاذبة التي صرح بها رئيس الوزراء في المجلس من أننا متفقون مع دولة أجنبية على قلب نظام الحكم، وهي تهمة خطرة تؤدي بصاحبها إلى الإعدام[1].

أجمعنا على السفر ابتغاء رفض التهم التي اختلقتها السياسة الهوجاء ووجهتها إلينا ولئلا نشاهد الشرور التي انزلتها بالبلاد تلك السياسة. حضر إلى بغداد لتوديعي ولدي كامل وأخي جعفر.

فبينما أنا جالس معهما ليلة الثامن من شهر أيار (مايو) ١٩٣٧، ببيتي في جادة جديد حسن باشا، جاءني الخادم ليقول إن مدير الشرطة بالباب يطلب الإذن بالدخول فلما دخل إذ به بهجت الدليمي مدير التحقيقات الجنائية.

---

(١) الدولة المشار إليها هي «المملكة العربية السعودية» على حد قول رئيس الوزراء آنذاك حكمت سليمان.

قال: «إن رئيس الوزراء ـ حكمت سليمان ـ عند مدير الشرطة العام وهو يحب الآن مقابلتك أنت وجعفر وكامل، وكان مدير الشرطة العام حسن فهمي المدفعي. ما كاد يفوه بما تكلم به حتى عرفت الغاية التي دعته إلى المجيء في هذا الوقت. فقلت له: أنا منذ يومين أو ثلاثة كنت منتظراً مجيئك في هذه الساعة واظن أن شغل حكمت متعلق بي لا بأخي جعفر وابني كامل فاتركهما وانا ذاهب معك. إلا أنه اصر وأبى إلا أن يذهبا معي[1]. وعندما خرجنا معه كان أربعة مفوضين ومعاون واقفين على الباب والشرطة منبثون في كل الطرق والمسالك وسياراتهم واقفة في الشوارع فركبنا مع مدير التحقيقات في سيارته، وذهب بنا إلى بناية مديرية الشرطة في بغداد حيث ادخلونا إلى غرفة التوقيف. بعد أن مضت ساعة تقريباً ونحن في غرفة التوقيف جاءنا مفوض وطلب مني أن اخرج منفرداً، فخرجت معه إلى خارج النيابة حيث كانت السيارات المسلحة وضباط الشرطة وأفرادها والكل مسلحين، كما رأيت الحاج عبد الواحد والسيد علوان الياسري كل منهما في سيارة، وكذلك شنشول آل حسن اغا والحاج جلاب من رؤساء الأقرع مما اتضح لي أنهم في الساعة التي ألقوا فيها القبض علينا، تم إلقاء القبض عليهم في الكاظمية حيث كانوا مقيمين.

---

(١) اسطيفان همزلي لونكرك، العراق ١٩٠٠الى ١٩٥٠ التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي، مطابع جامعة اوكسفورد ١٩٥٣.
الصفحة ٢٥١ «وبسبب النزاع المتأصل بين عشائر بني زريج في قضاء السماوة حول الأراضي، فقد استغل هذا النزاع مرة أخرى من قبل مؤيدي وخصوم السيد محسن أبو طبيخ والحاج عبد الواحد آل سكر، مما أدى إلى تجاهل هذين الشخصين تعليمات الوزارة إلى درجة اصبح من غير الممكن عدم استخدام حكمت سليمان الشدة معهما، فهذان المشاغبان المتمرسان في إثارة المتاعب جردا من حصانتهما البرلمانية، وتم توقيفهما ومن ثم ابعدا إلى شمال العراق في الوقت الذي استمرت وحتى شهر حزيران ١٩٣٧ القلاقل في السماوة مما دعا إلى اللجوء لاستخدام العمليات العسكرية بالطرق المعتادة «الترجمة بتصرف، راجع النسخة الإنكليزية للتفاصيل Stephen Hemsley Longrigg, Iraq 1900 to 1950.A Political Social And Economic History, Oxford University Press 1953,pages 251-256

٢١/٥/٢٧   من سجن السليمانية

المحروس ابني كامل

لقد اخذت مكتوبك المؤرخ ٢٨ ربيع اول نهاراً امس

اني احمده على كل حال واني واثق بقول القائل

/ ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال /

واني املي وطيد في ان اولياء الامور سيشملنا عطفهم

وعندي سيزول ما علق في اذهانهم من شكوك وظنون

فينا وستكشف الايام لهم حقائق الامور

يجب ان تعرفوا اهلكم عن المحل الذي انتم به وتذكرون

لهم عن حسن صحتكم كي يطمئنوا وتطلبون منهم ارسال

ما تحتاجونه

اني اهدي سلامي الى الاخ السيد علوان ومحمد و [illegible]

والحاج جلاب يهديكم السلام

رسالة السيد محسن أبو طبيخ من سجن السليمانية إلى ابنه كامل في سجن أربيل

وفي الساعة نفسها ألقى متصرف الديوانية القبض على ضيوفه الذين دعاهم وأجابوا دعوته وهم رؤساء بني حجيم ورؤساء الأقرع. أما أبناء عم الحاج عبد الواحد وسراكيل عشيرته وأولاد السيد علوان وبنو عمه فقد اقام لهم قائمقام أبو صخير وليمة دعاهم فيها إلى تناول الطعام في بيته، ولما حضروا بأجمعهم ملبين لدعوته القي القبض عليهم.

اركبوني في سيارة وحدي وركب معي مفوض وشرطيان مسلحان، تحركت إلى حيث لا ادري قبل نصف الليل متوجهة إلى الباب الشرقي ثم اتجهت السيارة إلى الهنيدي(*) ثم أخذت ضفة نهر ديالى اليمنى سالكة طريقاً غير مألوفة، وسط المزارع ووعرة للغاية حتى وصلنا جسر ديالى وقد أصابني أذى كبير. ثم عرّجت السيارة على طريق ديلتاوة(**) وواصلت السير بقية الليل إلى ضحوة النهار فوصلنا كركوك في الساعة العاشرة صباحاً، إذ ذاك سألت المفوض اين يكون مقرنا؟ فأجاب: «السليمانية» فرجوته أن يعطينا راحة لا تتجاوز ساعة واحدة ولكنه ابى وواصلنا السفر بعد نصف ساعة. لم يأت معي أحد من أصحابي سوى الحاج جلاب، ولم أعرف أنه معي إلا عند الصباح حيث أن سيارته كانت تتبعنا.

وصلنا السليمانية حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر واودعونا ثكنة الخيالة[1]، وبعد مرور ثلاثة أيام على وصولي، سألت مدير الشرطة عن أصحابي، وولدي وأخي، فأخبرني أن كامل ابني والسيد علوان الياسري، أرسلا إلى سجن اربيل والحاج عبد الواحد وأخي جعفر أودعا سجن كركوك وبعده الحقوا بهما الحاج سلمان الجبار ورؤساء بني حجيم والاقرع إلى الحويجه[2].

(*) الهنيدي: معسكر الرشيد حالياً في شرقي بغداد

(**) ديلتاوة: الخالص، مركز قضاء الخالص في محافظة ديالي.

(١) خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ ـ ١٩٤٣، منشورات دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٧.
الصفحة ١٩٤ «١٠مايس ١٩٣٧ (الآستانة) وفي خبر نقلاً عن جرائد العراق أن الحكومة اطلعت على مؤامرة تحاك في الفرات الأوسط فأوقفت علوان الياسري ومحسن أبو طبيخ، وعبد الواحد الحاج سكر ونفتهم إلى الشمال».

(٢) الحويجة، ناحية بين كركوك وتكريت وتقع في أراضي ونفوذ عشيرة العُبيد.

بقينا في الثكنة ليلة واحدة وفي صبيحتها ـ أي يوم التاسع منه. بلغوني بخمس مواد يجب أن اتعهد بها وهي:

١ ـ أن نعطي كفالة بأن لا نتدخل في شؤون الغير

٢ ـ أن لا نقوم بأمور تعرقل مساعي الحكومة العمرانية

٣ ـ أن ندفع غرامة: أنا ألف بندقية، والحاج جلاب مائتين

٤ ـ أن نعطي ضماناً نقدياً يدفع إلى الخزينة، أنا خمسة آلاف دينار والحاج جلاب ألف دينار.

٥ ـ أو الحكم مدة ثلاث سنوات

أجبنا على المادتين الأوليين بالقبول وعلى الثالثة والرابعة بالرفض، وذلك لعدم إمكاننا الدفع وقد اعتبرنا هذا التبليغ جائراً. ولما كانت هذه المواد مرتبة في بغداد، أرسل الجواب إلى الوزارة وفي يوم ١٤منه رجع الأمر بالحكم علينا لمدة ثلاث سنوات، فأبلغونا ذلك، وبعد التبليغ أخرجونا من الثكنة وادخلونا إلى السجن مع المجرمين المأخوذين بالجرائم العادية التي تمس السمعة والشرف.

الحصانة البرلمانية... ما هي؟

لقد منح الدستور العراقي أعضاء مجلس الأمة حقوقاً لم يمنحها لغيرهم، ولهم الحماية التامة من تعدي السلطة وتجاوزها عليهم، وبموجب هذه الحماية، فالعضو لا يتهم قبل أن تعرض قضيته على المجلس الذي ينتسب إليه، فإذا حصلت القناعة بذنبه عند أكثرية أعضاء المجلس، يجري توقيفه ويحاكم في المحكمة العليا وذلك استناداً إلى المواد الستين والحادية والثمانين والثانية والثمانين، هذه المواد الدستورية التي كتبت بدماء أبناء الأمة والتي اقسم صاحب الجلالة الملك يمين الإخلاص على محافظتها والتي من أجلها سمي بحامي الدستور، والتي اقسم بعده على احترامها كل رئيس وزراء ووزير وكل عضو من أعضاء مجلس الأمة، النواب والأعيان، أن كل حكومة دستورية تحترم كل الاحترام دستورها وتصونه من التجاوزات

من قبل السلطات الحكومية الأخرى، ذلك لأنه هو المحدد للسلطات التشريعية والتنفيذية أما في بلادنا فهو على العكس من ذلك، أنه اسم بلا مسمى، وانما يذكر حينما تتفق بعض مواده مع رغبات المسؤولين[١]. ولقد كان في عهد الملك فيصل الأول يُراعى إلى حد ما، ولا يخالف جهراً وعلانية، وبعد مماته قل احترام الدستور وصارت المخالفات الدستورية ترتكب بدون رادع حتى كانت صبيحة الليلة التي ألقي القبض فيها علينا، فوضع تحت الاقدام وخولف جهراً بإجماع الوزراء، وموافقة المجلس، فعندما ألقي القبض علينا كنت مشمولاً بحصانة مجلس الأعيان أنا والسيد علوان الياسري بصفتنا أعضاء فيه، وكذلك الأمر بالنسبة للحاج عبد الواحد بصفته عضواً في مجلس النواب، وبعد أن جرى نفينا وسجننا في الوية الشمال، عقدت جلسات المجلسين في الثامن من الشهر وتكلم حكمت سليمان بشتى الأباطيل والمفتريات التي وجهها لنا وأخطرها أننا قد استجلبنا من الخارج ثلاثة آلاف بندقية وأرسلناها إلى قضاء السماوة[٢] وبناءً على هذه التهم طلب من المجلسين الموافقة على رفع الحصانة عنا فتمت الموافقة على ما أراد. والغريب أنه لم يسأل ولا عضو واحد من الأعضاء عنا، اين نحن في تلك الساعة وعلى العكس من ذلك، هناك من تكلم فأيد

---

(١) صدر بيان رسمي في بغداد من قبل الحكومة بتاريخ ٨ مايس ١٩٣٧ هذا نصه «نظراً إلى ما تبين من قيام بعض الأشخاص في لواء الديوانية بما فيهم عضوان في مجلس الأعيان هما السيد علوان الياسري والسيد محسن أبو طبيخ وعضو مجلس النواب الحاج عبد الواحد سكر لجلب كمية من الاسلحة وتحريض العشائر على عدم أتباع القوانين بقصد القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة فقد تقدمت الحكومة بطلب رفع الحصانة البرلمانية عن العينين والنائب المذكور وكذلك قامت الحكومة باتخاذ ما يقتضي من الإجراءات بحق الأشخاص الآخرين والحالة هادئة في اللواء المذكور». انتهى البيان
مدير الدعاية والنشر

(٢) خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ ـ ١٩٤٣، نفس المصدر السابق الصفحة ١٩٥ «... وذكرت الحكومة في بلاغها عندما أوقفت عبد الواحد وابي طبيخ والياسري بأنهم وزعوا على القبائل ثلاثة آلاف بندقية».
ـ جاء في مذكرات السيد كامل المخطوطة النجل الأكبر للسيد محسن أبو طبيخ، أن «الرؤساء الذين سجنوا مع السيد محسن أبو طبيخ كانت نتيجة لوشاية من المستر دجبرن الإنكليزي الجنسية والذي كان يشغل منصب مدير العشائر العام، فقد أخبر الحكومة أن هؤلاء الرؤساء عندهم مراسلة مع الملك ابن سعود ليزودهم بالسلاح ويثوروا ضد الحكومة».

ما جاء به حكمت، وشجعوا المجلس على الموافقة لإرضاء السلطة ولتأمين مستقبلهم في الدورات الانتخابية القادمة.

أما في مجلس الأعيان، فقد غادر الجلسة من كان يحافظ على كرامته، أما الباقون فقد سايروا الحكومة لتنفيذ مآربها، وكان من بينهم شخص واحد، طالما عُرف بالتذبذب حتى تمكن من البقاء في مجلس الأعيان ست عشرة سنة، هذا الرجل قام وعلق على خطبة حكمت مقترحاً الموافقة على طلبه بدون قيد ولا شرط.

وزد على ما تقدم، فقد قاموا بتشويه سمعتنا وحقيقتنا أمام صاحب الجلالة الملك غازي، وطلبوا من جلالته إصدار إرادة ملكية تنص على فصلنا أنا والسيد علوان الياسري من مجلس الأعيان فصدرت الإرادة بذلك خلافاً لنص الفقرة السادسة من المادة الرابعة والعشرين التي هي: الملك يعين أعضاء مجلس الأعيان ويقبل استقالتهم، وليس هناك نص دستوري بفصل أعضاء المجلس.

ان حكمت ليعلم أن لا ذنب لنا كلياً أو جزئياً حتى نستحق عليه القتل أو العقاب الصارم، ولكنه كان يخاف أن نقف امامه ونكون حجر عثرة في طريقه إلى تطبيق منهجه والوصول إلى غايته. وقد تحقق عنده ذلك بعد أن فاوضنا المتصرف ماجد مصطفى بما مر ذكره، فلما أن عرف شدة إخلاصنا للعرش واننا محاربون لفكرة تجزئة الوحدة العراقية حتى النفس الأخير، أخذ منه الخوف مأخذه، ودعاه هذا الخوف إلى الحكم علينا بالأحكام الكيفية لمدة ثلاث سنين وهي المدة التي تكفيه لتنفيذ منهجه، وتطبيق خططه ونحن غائبون. واعتقد أن الفرات الأوسط لا بد وأن يستسلم بعد هذا إلى سلطانهم بدون قيد أو شرط، ويفعلون به ما شاؤوا، وبذلك يتم لهم ما يريدون.

الفتنة في السماوة

ولأجل تحقيق غايتهم بعد ما ألقوا القبض علينا، جمعوا قوة مؤلفة من الجيش والشرطة وأرسلوها إلى قضاء السماوة. وهنا قام بلعبة جنونية كل من المتصرف ماجد مصطفى والقائمقام رشيد الصوفي بالطلب إلى العشائر تقديم أبنائها (لخدمة العلم) وتسليم السلاح ودفع الضرائب كل ذلك في آن واحد.

أما العشائر، وخصوصاً عشائر قضاء السماوة، عندما بلغها أمر تسفيرنا وإبعادنا وتسفير رؤسائهم، صارت متأهبة ومستعدة للانقضاض عليهم، ولكنها كانت متريثة لتقوم بحركة واسعة النطاق، وكان قيام المتصرف بفرض مطاليبه هذه هو أعظم دافع إلى نبذ خلافاتهم وتوحيد صفوفهم والتفاهم مع بعضهم، وأكبر مؤجج لنار الثورة، الذي انفجر بركانها في اليوم الحادي عشر من شهر حزيران ١٩٣٧، فحاصرت مركز القضاء والتحمت مع قطعات الجيش والشرطة التي تصدت لهم، فلم تغن مدافعهم ورشاشاتهم من الحق شيئاً وكبدوها خسائر فادحة. ثم اعادوا الكرة على العشائر فاصطدموا معها يوم ١٨ حزيران ١٩٣٧، وتمكن رجال العشائر من دحرهم وارجعوهم يجرون أذيال الفشل.

جناب مولانا الاكرم سيدنا كامل السيد محسن ابو طبيخ المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونسأل الله ان

يمن عليكم بفرجه القريب العاجل انه ارحم الراحمين

واعتقد والله يهمني بقائك في السجن انا اموني

ازيد منك الامثال وكل شيء يهمك اعتقد يهمني

واملنا في عدلك الحكوم الفرج قريب انشاء الله

انا طلبت من السيد كلما يكتب لك يكتب لي سلامنا وانت

تعلم اني ما انساكم في الاوقات وزجوا بلاغي سلامنا

على الاخوان علي المزعل او شنشول او مشير المرهج

وكلمن يسأل عنا وسلام

٢٥ شعبان ٥٦ حاج عبد الواحد

رسالة الحاج عبد الواحد السكر من سجن كركوك

إلى كامل السيد محسن أبو طبيخ في سجن أربيل

وعندما استفحل الأمر وتكبد الجيش خسائر فادحة في الأرواح والسلاح، ولما كانت وزارة الداخلية يديرها رئيس الوزراء وكالة، اضطر تحت هذه الظروف إلى تعيين مصطفى العمري بك وزيراً للداخلية بصفته كان متصرفاً سابقاً في لواء الديوانية وكان محبوباً ومحترماً لدى العشائر.

وما أن تسنم العمري وزارة الداخلية حتى قصد السماوة ومعه النائبان المرحومان مرزوق العواد ومظهر الصكب للتفاوض مع العشائر الثائرة لكن المفاوضات لم تؤت ثمارها كما كان متوقعاً.

وازداد الموقف حرجاً عندما أسقطت العشائر الثائرة إحدى طائرات القوة الجوية ونتج عن ذلك مقتل قائدها ومساعده، فعند ذلك طارت الخمرة من رؤوسهم فعرفوا ربهم، وإذ ذاك وقع الانشقاق فيما بينهم.

إن أرسال تلك القوة لضرب العشائر والتنكيل بها كان بقرار من مجلس الوزراء وأن الأعمال المفزعة التي قام بها المتصرف والقائمقام بضرب بلدة السماوة وقتل الاطفال والنساء في البيوت والشوارع، وقتل المساجين رمياً بالرصاص في ثكنة الخيالة لم تزد الثوار إلا عزماً على الانتقام(١). ونتيجة لذلك وردت إلى بغداد تقارير سرية تفيد وتنذر بأن عشائر الفرات الأوسط كلها متحفزة للثورة وأن ألفتنة ستكون عامة وشاملة وأن قوة الحكومة مهما بلغت لن تنجح ولن تفلح في قمع وإخضاع هيجان العشائر وأن الخرق سوف يتسع على الراتق، وعلى إثر هذه التطورات استقال عدد من الوزراء في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٣٧، وبقي الموقف حرجاً بعد إعلان الأحكام العرفية في لواء الديوانية بعد إجراء المفاوضات مع وزير الداخلية التي أشرت اليها، فالثوار يطالبون بإطلاق سراحنا وسراح رؤسائهم الذين سجنوا معنا، وبقي الثوار المحاربون مرابطين في مراكزهم والجيش مرابطاً في ضواحي السماوة، والعشائر تطالب بتنفيذ اتفاقها مع وزير الداخلية بإطلاق سراح المساجين بعد أن رجع إلى بغداد كما وعد وكان يعللهم من وقت إلى

---

(١) خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمي، المصدر السابق، الصفحة ٢٢٤ «ثم أخذوا السيد عرب وقتلوه (احد المتهمين الموقوفين) وبعد ذلك أتوا بجثته إلى الموقوفين وثم رموه على الجدار وشرعوا في إطلاق النار في السماوة فقتل كثير من الأشخاص نساء وأطفال...»

آخر وفي هذه الأيام اتصلت هذه العشائر المحاربة بعشائر الفرات الأوسط وأخذت منها عهوداً صادقة على أن تهاجم كل عشيرة اقرب مركز حكومي إليها وتم تحديد الساعة واليوم للقيام بهجومهم. ولكن لله عناية عظيمة بهذه البلاد وأهلها، ففي اليوم الثاني عشر من شهر آب (اغسطس) قُتل بكر صدقي في الموصل، وفي اليوم السابع عشر من الشهر نفسه، استقال حكمت سليمان من رئاسة الوزارة، وتم تشكيل الوزارة الجديدة من قبل جميل المدفعي وبهذا توقف العنف ولكن لم تنته متاعبنا.

ل ٢٧/٨/٠

٢٥٦
١٠/٢

عزيزي وقرة ناظري ولدي كامل ابو طبيخ

شوقي اليك لا مزيد عليه . اتمنى لك الصحة التامة

اخذت كتابك المؤرخ ٢٧/٨/٠ اما نحن هذا التحرير الخامس

عرفناك فيه بالدقيقة التي اخذنا فيها المكتوب انشاء الله

العزيز على الذنوب ان الله ارحم الراحمين هذا واطمنك

عن صحة محمود حافظ اذ لابد طمنكم عنها ادريس هذا

واهدي سلامي لحضرة الاخ سيد علوان وكافة الجماعة والسلام

ل .

جعفر

حاج عبد الواحد وحاج سلمان يهدونك ويهدون السيد علوان

وكافة الجماعة السلام التام

رسالة السيد جعفر أبو طبيخ في سجن كركوك

إلى ابن أخيه كامل السيد محسن أبو طبيخ في سجن أربيل

مقتل بكر صدقي
إبدال السجن بالحجز الإجباري

بقينا بعد مقتل بكر في السجون إلى الثامن من أيلول (سبتمبر) حيث صدرت الإدارة الملكية باخراجنا، فجاؤوا بالحاج عبد الواحد والحاج سلمان الجبر من كركوك إلى السليمانية حيث كنت مسجوناً، وأنزلونا في بيت واحد وبلغونا بأن نبقى تحت مراقبة الشرطة داخل السليمانية. كما أنهم فعلوا ذلك مع السيد علوان الياسري وأبقوه في أربيل تحت المراقبة.

وبعد أن اخرجونا من السجن وجعلونا تحت المراقبة ابدلت المادة الثالثة والأربعون من قانون العشائر التي حكمونا بها لمدة ثلاث سنوات، بالمادة الأربعين وهي النفي والتبعيد.

ولما بلغنا ذلك بقينا واجمين لا نعرف الأسباب الموحية لأننا كنا نعتقد أن جميل المدفعي لن يمضي اليوم الأول على تشكيله الوزارة حتى يصدر إرادة بالعفو عنا ويرجعنا إلى ديارنا.

بقينا نتساءل فيما بيننا عن الأسباب التي حملت جميلاً على ذلك وما هو الفرق بينه وبين حكمت، إذا كان حكمت يسجننا، وجميل يبعدنا وما هو ذنبنا عنده؟ وهل أن هذا ناشئ من احقاد كامنة في صدره منذ عام ١٩٣٥ وقد حان له وقت الانتقام[1]، أم كان له سر مع حكمت، أم أنه مرغم على ذلك؟ أرسلنا له من يذكره بما اسديناه له من جميل، وكيف فديناه بأرواحنا وبذلنا دماءنا حفظاً لدمه؟ كانت عقيدتنا في جميل أننا غسلنا درن صدره بدمائنا التي ارخصناها إلى بكر وحكمت دون دمه عندما أرادوا قتله.

---

(١) خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمي ـ نفس المصدر السابق صفحة ٢٢٩ الصفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٥ « ٢٦كانون الأول ١٩٣٧ (بغداد) والظاهر من نتائج الانتخابات والأعمال التي قامت بها الحكومة (حكومة جميل المدفعي) أما جميل المدفعي الذي نقم على حركة إشراك القبائل فيما مضى وادعى بأن حكومة الهاشمي كانت تصطفي الاصدقاء من المشايخ يشير على سياسة الانتقام في الوقت الذي يطلب فيه عدم السير على سياسة الانتقام لتهدئة الحالة...»

«ابقى عبد الواحد، وعلوان الياسري، وأبو طبيخ، وسلمان العبد الجبار، وسعدون الرسن في سامراء، ولم ينظر في قضية عضويتهم».

أدركنا فيما بعد أننا كنا في نظر جميل وزملائه مجرمين وأن ما نسبه إلينا حكمت وزملاؤه، كان حقاً صحيحاً مما حدا بهم إلى إبدال عقوبتنا من السجن إلى النفي[1].

فلما تحقق لدينا ذلك واننا معتبرون مجرمين في نظر الوزارة كتبنا عريضتين بتاريخ ٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٧ إحداهما إلى الملك غازي والثانية إلى رئيس الوزراء نطلب فيهما سوقنا نحن وحكمت وجعفر أبو التمن وأصحابهما إلى المحاكم، فلم نجب إلى ما طلبناه. بقينا في السليمانية[2] والسيد علوان الياسري في أربيل إلى اليوم السابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) حيث تم نقلنا إلى سامراء فلقينا من أهلها بالغ الحفاوة وأخذوا يتسابقون بدعواتهم لنا في بيوتهم...

دامت إقامتنا فيها حوالي الشهرين، كان لجميل المدفعي ومصطفى العمري دور كبير بتصحيح أفكار الملك عنا، حتى اقنعوه أن كل ما قيل عنا لا اساس له من الصحة، وحين ذاك، سمح لنا في يوم ٥ شباط (فبراير) ١٩٣٨ بالعودة إلى بغداد تحت مراقبة الشرطة على أن لا نخرج

---

(١) جاء في تقرير القائم بالأعمال في السفارة الأمريكية ببغداد ويدعى (نابنشو) المرفوع إلى وزارة الخارجية الأمريكية برقم ٩٨٧ مؤرخاً في ١٩٣٨/٣/١٧ عن عزم السيد محسن أبو طبيخ اعتزال السياسة، في تعقيبه على ما نشرته جريدة البلاد بعددها الصادر ٢/٣/١٩٣٨مايلي:
«الشيخ أبو طبيخ كان أحد اهم ثلاثة شيوخ من الديوانية تم ابعادهم إلى السليمانية من قبل حكومة حكمت سليمان، في الوقت الذي جاء بيانه لافتاً للنظر، إلا أن إعلانه بالتقاعد يعتقد أن يكون بسبب سوء صحته، فهو رجل مسن ومريض».
راجع ملحق الوثائق في هذا الكتاب للاطلاع على التقرير نصاً باللغة الإنكليزية.
الوثيقة رقم (٢٠)

(٢) الدكتور محمد أنيس، والدكتور محمد حسين الزبيدي، اوراق ناجي شوكت، بغداد ١٩٧٧، الصفحة ٢٠٥ الرسالة السابعة ١١تشرين الأول ١٩٣٧ عاليه
«... وإن رؤساء العشائر المسجونين في زمن حكمت في الشمال لم يطلق سراح أحد منهم سوى أن عبد الواحد والسيد محسن أبو طبيخ، والسيد علوان الياسري، وسلمان الجبر أخرجوا من السجن ووضعوا تحت المراقبة في بيوت داخل لواء السليمانية ولواء اربيل ولواء كركوك...»

منها، وذلك بعدما أخذوا علينا عهداً بأن لا نطلب إرجاع حق مهضوم لنا ولا يعاد إلينا ما سُلب منا، بل يبقى كل ما عمله حكمت سليمان معنا نافذاً[1].

اعتزال العمل السياسي

عندما كنت في سجن السليمانية، كتبت عريضة للملك غازي، أرسلتها بيد أحد الزوار الثقات لايصالها عن طريق أعوانه في البلاط بيد جلالة الملك.. اقترحت في عريضتي بعد أن فندت ملابسات اتهامي وحكمي بالسجن أن يسمح لي بمواجهة حكمت سليمان واي فرد من حكومته في مجلسه بديوانه بالبلاط ويمنحني فرصة الدفاع عن نفسي وعن أصحابي الرؤساء ممن زج بهم معي في السجون وأني على استعداد أن أتقدم بالإثبات الدامغ والشهود من أننا وقعنا في شرك التآمر على حياة جلالته، وعندما رفضنا ما طلبوه منا، قرروا إبعادنا عن الميدان السياسي لإسكاتنا وتقييد أي امكانية لنشر الحقائق.. وعندما لم يرد جواب على

(١) مذكرات السيد كامل أبو طبيخ المخطوطة «استأجر والد زوجته ـ السيد جعفر الصندوق ـ له داراً في محلة أمام طه وكان أهل بغداد مستعدين لزيارة السيد محسن بعد وصوله إلى بغداد من السجن في السليمانية. وكان أول رجل زاره هو صالح جبر ومعه علي ممتاز الدفتري، ومنهم الشيخ بهاء النقشبندي والحاج ياسين الخضيري ومفتي الموصل الشيخ حبيب العبيدي وفخري الجميل وغيرهم... كما حضر لزيارته الأمير عادل ارسلان وكان يومها وزيراً في الحكومة السورية وقدم لزيارة العراق في ضيافة الدولة فزاره ومعه رستم حيدر».
أدناه مقتطفات من بيان السيد محسن أبو طبيخ باعتزاله العمل السياسي والذي نشرته جريدة البلاد الصادرة بتاريخ ٦ مايس ١٩٣٨
«الشيخ محسن أبو طبيخ أعلن انه قرر الانسحاب من العمل السياسي. وقد أشار إلى انه حاول أن يخدم بلده بإخلاص خلال السبعة عشر سنة الماضية ولكن للأسف فإن جميع محاولاته باءت بالفشل، فقد عوقب لقاء ذلك وتم ابعاده وسجنه. وبناءً على ذلك فهو يشعر أن بلده لا يقيّم خدماته ولهذا قرر الانسحاب من العمل السياسي... وبالرغم من حبه وولائه لوطنه إلا أن شرفه وكرامته اعز... وانه سوف لا يتوانى عن خدمة وطنه مرة ثانية فيما اذا شعر بالتقدير والاحترام... وقد وعد انه سينشر إيضاحاً يبيّن تفاصيل في غاية الأهمية لما طلبه حكمت سليمان منه وبدوره رفض الاستجابة له مما تسبب بأن عوقب بالسجن والإقامة الجبرية» النص الإنكليزي لتقرير القنصل الأمريكي في بغداد على الصفحة ٣٧٤

عريضتي، علمت فيما بعد أنها وقعت بيد أوصلتها إلى حكمت وليس إلى الملك. فقام هذا بتشويش أفكار الملك عنا وصور له أننا كنا عازمين على الثورة في الفرات واقتطاعه من العراق بمعونة السعودية مما كدر خاطر الملك وأجج أفكاره تجاهنا.

ولم تمضِ أيام على شفائي من حمى أصابتني حتى علمت بنهاية بكر صدقي مثلما توقعت، وبعده ازيح حكمت سليمان واستلم دفة رئاسة الوزراء جميل المدفعي، فتوقعت منه أن يعطي موضوع سجن الرؤساء في اقبية وسجون الالوية الشمالية الاهمية البالغة لما لهذا الوضع الشاذ من خطورة سياسية... ومع طول الانتظار، لم افقد املي بحسن نواياه، إلا أن قراره بإرسالي إلى مدينة سامراء تحت الإقامة الجبرية لمدة شهرين، اثبت مقدار انفعاله وتأثره بأحداث عام ١٩٣٥ عندما فشل في مهمته كرئيس للوزراء واتهم رؤساء الفرات الأوسط أنهم كانوا وراء احباط نجاحه في رئاسته وبذلك برز على حقيقته كرجل تتحكم فيه عاطفته وهذه ليست خصال رجل دولة.

وحينما استقر بي المقام في سامراء بعد أن استأجرت داراً والتحق بي أفراد عائلتي، بعثت بعريضة أخرى إلى الملك غازي ومثلها إلى جميل المدفعي ووزير داخليته عبرت فيها عن شعوري بالظلم لما أصابني على يد كل من بكر وحكمت إلا انني لم أفهم استمرار هذه العقوبة بعد رحيلهما!! زارني في سامراء الحاج ياسين الخضيري وعلمت منه أن جميل المدفعي يسعى لإقناع الملك بإصدار عفوٍ عام عن كافة الرؤساء وإرجاعي إلى بغداد بدون تقييدات امنية... إلا أن الملك وبعض مشاوريه في البلاط، مانعوا في ما إرادة رئيس الوزراء كما أكد لي هذه الرواية الشيخ محمد رضا الشبيبي عندما زارني من أن المدفعي يواجه صعوبة كبيرة في إقناع الملك ببراءتي من أي تآمر على العرش وأن جميع الاصدقاء ممن لهم صلة بالبلاط يعملون لمساعدتنا. وحينما انتقلت إلى بغداد، جاء أمر رجوعي مقيداً بمراقبة الشرطة واعطائي تعهداً بعدم الاخلال بالأمن وعدم مغادرة بغداد.

فكان هذا القرار المجحف بمثابة أمر بتجريدي من حريتي وخيبة امل في كل ما كنت أتوقعه سواء من الملك أو رئيس الوزراء إزاء ما قمت به

لهذا البلد وحسن نيتي وولائي للعرش الهاشمي.

ومن بكر صدقي وحكمت سليمان إلى الوضع الحالي، صرت مقتنعاً أن تغيير الوجوه ليس بمهم ما دام الملك غازي لم يفهم تاريخ العراق ولم يعرف رجاله.

وفي الحقيقة فإن الملك غازي لم تكن لديه الرغبة في تفهم ما يجري طالما هو غارق في حياته الخاصة مما أفسح المجال لمتصيدي المناصب والضباط الطموحين أن يسيطروا على نمط حياته بعيداً عن مصلحة الدولة؛ ولهذا السبب وجدت أنه من الأنسب لي أن ابتعد عن الجو السياسي احتراماً لنفسي وحفظاً لكرامتي وإبقاءً لولائي للعرش الهاشمي... فأعلنت في الصحافة عزمي على الانسحاب من معترك العمل السياسي للتوجه لأعمالي الخاصة، واني أضع نفسي في خدمة الأمة إذا اقتضت الضرورة لعودتي.

1. [illegible] WITHDRAWS FROM POLITICS

Shaikh Muhsen Abu Tubeekh in an announcement to the people states that he has withdrawn from politics. He mentioned that he has been trying to serve his country sincerely during the last 17 years but unfortunately his attempts were all in vain. He was banished and was imprisoned. Feeling that this country does not appreciate his activities in politics he has decided to withdraw from this field and country and look for another domicile where he will spend the rest of his life in peace. Although he said, his country was dear to him, his honor was dearer. Nevertheless, he would not hesitate to serve his country once again if he feels that it has reached a stage wherein lawful citizens are respected and their work considered. He promised the people to publish another statement giving in detail what the Cabinet of Hikmet Sulaiman wanted from them which they refused. They were imprisoned and banished to the North.

--Al-Bilad, March 2, 1938.

Comment: Shaikh Abu Tubeekh was one of the three important shaikhs from Diwaniyah banished to Sulaimaniyah by the Cabinet of Hikmet Sulaiman. While his statement is interesting, his retirement is really believed to be due to his very bad health. He is an old and sick man.

2. SURVIVORS OF HASHIMI CABINET REQUEST VINDICATION

We, the survivors of the second Cabinet of Yasin al-Hashimi, in view of what was published in Az-Zaman No. [illegible] of March 12, 1938 to the effect that the Hashimi Cabinet should be held responsible, for certain of its actions,

مقطع من تقرير القنصل الأمريكي في بغداد حول اعتزال السيد محسن أبو طبيخ العمل السياسي

الخيانة العظمى. . . التنازل عن شط العرب

ان قضية شط العرب التي أصابت العراق في مقاتله، ذلك الشط العربي الذي سهر جلالة المغفور له الملك فيصل الأول على حفظه، فقد كان إذا عرضت قضية شط العرب بينه وبين إيران، يقف دونها مدافعاً موقف الأسد أمام عرينه، وكلما أراد الشاه أن يعطيه الملك بضعة امتار من مجرى الشط، كان جلالته يعيره أذناً صماء ولا يجيبه إلى ما يريد، نظراً للأضرار التي تنال مملكته من ذلك.

وكذلك كان حال الوزارات التي تعاقبت بعد وفاته، فإن رجالها تصلبوا وأبدوا خشونة في صالح بلادهم ولم يتخلفوا عن منهج مليكهم الراحل ولم يلينوا أمام التهديدات التي توجهها إيران، ذلك لأنهم يعرفون من شعبهم المقدرة والكفاءة على رد المعتدي.

ولما جاء الانقلابيون إلى الوزارة، قام وفد من وزير الخارجية[1] بزيارة إيران وبدون قيد أو شرط تم التنازل عن حق العراق الطبيعي والتاريخي والجغرافي وكان ذلك نصراً حتى إيران لم تتوقع أن يكون. إنها خيانة عظمى بحق البلاد وإهانة للشعب العراقي[2].

المبادئ والرجال[3]

قال سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام «الدين لعق على السنتهم، يلوكونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون» فبلادنا، قد ابتليت بشتى البلايا، ولما احتك بها الرجال تميز الذهب الزائف من التراب، وعزلت صفوتهم من الحثالة، ولكن من المؤسف أن تلك

---

(١) وزير الخارجية في وزارة حكمت سليمان الانقلابية كان ناجي الأصيل.

(٢) راجع المبادي والرجال الصفحات ١٨٢ ـ ١٨٧

احتجت الحكومة الإيرانية على ما جاء في المبادي والرجال حول شط العرب وطالبت الحكومة العراقية بمصادرة الكتاب.

كما احتجت الحكومة التركية على ما جاء في الكتاب أعلاه حول ما ذكره السيد محسن أبو طبيخ عن خطة لاقتطاع كركوك وطالبت بمنع نشره.

(٣) السيد محسن أبو طبيخ، المبادي والرجال،
راجع الصفحة ١٨٨ للتفاصيل.

الحثالة أصبحت في بلادنا هي الجوهر القيم، والصفوة هي الذهب الزائف، لقد ضربت هذه الامثلة، لأجل إثبات الحقيقة.

أمثال هؤلاء سواء من رؤساء العشائر أو غيرهم كثيرون فمنهم من راسل الإنكليز منذ اليوم الأول لدخولهم إلى البصرة ومشى معهم على خط مستقيم وبعد سقوط بغداد استماله الإنكليز إليهم بما بذلوه من المال وجعلوه جاسوساً لهم على العلماء والزعماء، ومنهم من تظاهر بالخيانة في أبان الثورة العراقية عام ١٩٢٠ وعاضد الإنكليز سراً وعلانية، فغمروه بخيراتهم، وافاضوا عليه واقطعوه من الأراضي الزراعية الواسعة بعد أن كان لا يملك شبراً واحداً.

ان أصحاب هذه المبادئ كانوا في دور الانتداب هم المقربون عند السلطة والمقدمون عند ذوي المقامات العالية، ولما انقضى دور الانتداب وتصرمت أيامه السود، وحل محله دور الاستقلال، شاهدنا مكانتهم لا تزال محفوظة في نظر أكثر أصحاب المقامات السامية.

النعرات الطائفية والنزعات العنصرية

لقد بذر من لا يهمهم أمر البلاد بقدر ما تهمهم مصالحهم الذاتية بذوراً فاسدة في البلاد وهي بذور الطائفية والعنصرية، وقد سقيت بسياسة المحسوبية والمنسوبية وصادفت ارضاً خصبة، فنبتت وأخذت بالنمو حتى صار من المتعذر محاولة استئصالها وتطهير ارض الرافدين منها. لقد شاهدنا الكثيرين من الشيعة يتظلمون إلى طائفتهم وينحون بالملامة على السنة، وبالأخص على رجال الحكومة منهم بأنهم أثروا أبناء طائفتهم وبخسوا حق الشيعة بالنسبة إلى مرافق التوظيف ولكنهم عندما كانوا ينالون منصباً سامياً وعندما يحققون مصالحهم الذاتية ويحصلون على ما تطمح إليه نفوسهم، يعلنون نكرانهم لمبادئهم. وكذلك شاهدنا من أبناء السنة، وعلى الأخص عشاق الكراسي منهم، من إذا بعدوا عنها عمدوا إلى سفهاء الشيعة يحرضونهم على ما يدعون به من حقوقهم المهضومة ويشجعونهم على المطالبة بها، كل ذلك بقصد إحراج موقف من كان جالساً على تلك الأعواد المشؤومة، وعندما يأتي دورهم ويعتلون تلك الأعواد، فأول عمل يقومون

به هو أنهم يتهمون أولئك الذين أغروهم بأنهم طائفيون فيناوئونهم ويحاربونهم بكل ما أوتوا من قوة.

ان هذه البذور المفسدة التي بذرت لن تستأصل شأفتها ولن تطهر البلاد منها، إلا إذا أتاح الله تعالى لها مخلصاً صادقاً من قلبه، لا تأخذه في الله لومة لائم[1].

قضية فلسطين

عندما اختلفت مع المغفور له الملك فيصل الأول حول انتخابات المجلس التأسيسي، ونفيت إلى خارج العراق فدخلت إلى الديار السورية مررت بفلسطين وقضيت فيها أياماً بين حيفا والقدس والخليل، وقد تولاني شعور بالإهانة عندما شاهدت اليهود الصهاينة يزاحمون الفلسطينيين في ارضهم ووطنهم وينشئون لهم قرىً يسمونها (مستعمرات يهودية) تحت سمع ونظر ومباركة الإنكليز، وكان لي كلام صريح مع من صادفتهم من الفلسطينيين عن الحل والمستقبل، فوجدت فيهم رجالاً يشعرون بما أشعر، وأن هؤلاء الدخلاء يجب أن يرحلوا يوماً وأن العرب في فلسطين لا بد وأن يأخذوا الأمر بيدهم ويدافعوا عن أرضهم وديارهم.

ومرت سنين بعد هذه الزيارة للأرض المقدسة، أخذت الأيام تتناقل أخبار بعض الأحداث فيها تنم أن تحت الرماد ناراً لا بد لها وأن تشتعل، وجاء ذلك اليوم في عام ١٩٣٦، بقيام العرب ليس بوجه اليهود الصهاينة فقط بل بوجه الإنكليز المحتلين لفلسطين، وأخذنا نتابع هذه الأخبار بروح التوثب والتحفز، لاسيما عندما علمنا ببعض انتصاراتهم والانتكاسات التي اصيبوا بها، وجعلتني افكر في كيفية مد يد العون لهم ونحن على هذا البعد الشاسع بيننا، ولم تتم الفرحة طويلاً بثورة الفلسطين إذ استطاع الإنكليز والصهاينة دحر العرب هناك بقوتهم العسكرية التي دحرونا بها في ثورتنا عام ١٩٢٠، وعلمت أن قادتها في طريقهم إلى العراق.

---

(١) السيد محسن أبو طبيخ ـ المبادئ والرجال، عن الصفحة ١٩٥

ولم يمض وقت طويل، حتى وصل إلى بغداد قائد الثورة الفلسطينية فوزي بك القاوقجي مع رهط من أعوانه المجاهدين[١]، فاستقبلناهم أحسن استقبال وقامت الحكومة وعلى رأسها عميدها ياسين الهاشمي بحملة دعاية واسعة لجمع التبرعات للقضية الفلسطينية وفُتح باب التطوع لمن يريد المشاركة في الجهاد، وقد اوعز ياسين، إلى مجموعة من الضباط في الجيش، بتكوين وحدة عسكرية تتولى أمر التعاون مع القادة الفلسطينيين لغرض معرفة حاجتهم من السلاح والتموين والتدريب، وعندما التقينا بالمجاهد فوزي بك القاوقجي، بجلسة خصصناها لمعرفة ما يمكن المساهمة به من جانبنا في حربهم مع الإنكليز وحضر الجلسة هذه والتي تبعتها فيما بعد جلسات موسعة مع رؤساء عشائر الفرات، حضرها الحاج عبد الواحد السكر والسيد علوان الياسري، عرضنا عليه استعدادنا لتزويده بالسلاح والعتاد والطعام والمتطوعين من رجالنا وأن اقتضت الضرورة نذهب صحبة عشائرنا إلى فلسطين، وبعد هذه الاجتماعات تشاور الرؤساء فيما بينهم واتفقنا على مفاتحة علمائنا الأعلام بإصدار فتوى الجهاد ضد اليهود الصهاينة لنصرة الفلسطينيين وذلك عندما يطلب منا ذلك. أخبرنا فوزي بك بقرارنا هذا وقد أكبره وشكرنا على ما قدمناه وعلى روح النخوة التي نتحلى بها ووعدنا أنه سيتصل بنا بعد الرجوع إلى بلاده.

ولا يخامرني أدنى شك، أن إحدى أسباب انقلاب بكر صدقي وإزاحة ياسين الهاشمي عن الحكم، هو فتحه الباب للفلسطينيين ومساعدته لهم مادياً وعسكرياً مما اغاظ الإنكليز واليهود فتآمروا على خلعه وتم لهم ما أرادوا[٢].

وبعد الحرب العالمية الثانية، أخذ الإنكليز بجلب اليهود من المعتقلات الألمانية إلى فلسطين وإنشاء المستعمرات لهم في الأراضي العربية والاستيلاء على

---

(١) فوزي القاوقجي ـ مذكرات فوزي القاوقجي، الجزء الثاني، ١٩٧٥.

(٢) أحمد فوزي ـ اشهر الاغتيالات السياسية في العراق ـ المصدر السابق الصفحة ١٢٠ «وارضاءً للإنكليز أصدرت وزارة الداخلية والدفاع أوامر وقف العمل بنظام الفتوة وتجميد نادي المثنى، وجمعية الجوال العربي، ووقف نشاط جمعية الدفاع عن فلسطين، ونفي بعض المناضلين العرب المتواجدين في العراق».
هذه الإجراءات المشار إليها أعلاه من قبل أحمد فوزي اتخذتها وزارة حكمت سليمان في عهد بكر صدقي بعد الاطاحة بوزارة ياسين الهاشمي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

املاك المواطنين العرب والاعتداء عليهم من قبل العصابات الصهيونية تحت سمع وبصر السلطات الإنكليزية، والأخطر من كل شيء، هو تبني أميركا المطاليب اليهودية بإقامة وطن لهم في فلسطين وتسخير محافل هيئة الأمم المتحدة لهذا الأمر وقد أصبح منبر هذه المنظمة الدولية مكرساً لتحقيق المطاليب اليهودية وبقية أعمال هذه الهيئة معروف لدى كل عربي، وبحلول العام ١٩٤٧، وأثناء حكم وزارة نوري السعيد (التاسعة) جرى نقاش مطوّل في مجلسي الأعيان والنواب حول القضية الفلسطينية[١]، فلم المس أي تحسس لخطورة الوضع من جانب الحكومة لما يجري، وبعد استقالة هذه الوزارة واستلام صالح جبر رئاسة الوزراء في ٢٩ آذار (مارس)١٩٤٧ تفاقم الوضع في فلسطين وكثرت المعارك بين العرب والعصابات اليهودية، وجراء هذا الوضع المتدهور أخذ الضغط الشعبي داخل العراق يتزايد لاتخاذ الإجراءات العملية لحماية عرب فلسطين. فقامت الحكومة بعدة أعمال غير مجدية منها تنظيم مؤتمر عشائري في مدينة الحلة عقد بتاريخ ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٧، حضرته ومعظم رؤساء العشائر من سائر انحاء العراق، عربه وأكراده، أبدى فيه الحضور رغبتهم بالتطوع للذهاب إلى الديار المقدسة، كما اقترح آخرون جمع السلاح لهم وارساله مع قوافل المتطوعين وكل ذلك كان حسبما أعتقد دعماً معنوياً لا أكثر، إذ بحلول العام ١٩٤٨ عندما تم تقسيم فلسطين واندحار الجيوش العربية أمام العصابات اليهودية ـ وهذا أمر كان متوقعاً ـ تدفق آلاف اللاجئين من سكان فلسطين على العراق، وتم إسكان البعض منهم في مباني الكلية العسكرية بالكرادة الشرقية في بغداد، وفي حينه ذهبت مع عدد من أفراد عائلتي وبعض المساعدين لزيارة هذا الملجأ ووزعت الطعام والاقمشة والمبالغ النقدية[٢] واستمر عملي هذا لعدة أيام هناك فلم اشاهد ممن سمعتهم في الحلة يطنبون بالبذل والسخاء لهؤلاء المساكين لا في ديارهم قبل ترحيلهم ولا عندما أصبحوا لاجئين وهم ضيوف علينا.

---

(١) راجع خطاب السيد محسن أبو طبيخ حول قضية فلسطين في الجلسة المشتركة لمجلسي الأعيان والنواب المخصصة لبحث هذه القضية في محاضر مجلس الأعيان، المركز الوطني للوثائق، الجلسة المشتركة الثانية/الاجتماع فوق العادة.
يوم الاثنين ٢٤ أيار/مايس ١٩٤٧

(٢) كنت مع والدي في ذلك الوقت وكانت مهمتي توزيع المال نقداً للاجئين.

هذا ولا يفوتني الإشارة إلى أني سبق وأن قدمت اقتراحاتي إلى مجلس الأعيان أثناء مناقشة القضية الفلسطينية من قبل وزارة حمدي الباجه‌جي في جلسة لاجتماع المجلس الثاني فوق العادة لسنة ١٩٤٥ يوم الثلاثاء المصادف ١٠/١٠/١٩٥٤، أثناء مناقشة المجلس لميثاق الامم المتحدة فأطلعت المجلس على تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين بحراسة الإنكليز ومباركة الأمريكان ودعمهم وسكوت هيئة الأمم المتحدة عما يجري من انتهاك لحقوق عرب فلسطين، وأشرت إلى اهمية اتخاذ ما يلزم للقيام بعمل موحد من قبل الدول العربية داخل هيئة الأمم وخارجها ومن جملة ما طالبت به المقاطعة الاقتصادية للدول المساندة للصهيونية، وتوحيد السياسة العربية في مجابهة هذا الخطر وجمع القوى العسكرية والإمكانيات المساندة لها تحت قيادة موحدة والاستعداد ليوم لا بد منه بالوقوف أمام هذه الغزوة الصليبية الجديدة، تحت قناع اليهودية والصهيونية العالمية.

من خطبة له في مجلس الأعيان بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٥٦ عن قضية فلسطين

«. . . إن الحل لا يكون إلا بأحد أمرين فإما أن يكون بالقوة والسلاح وإما أن يكون بالطرق السلمية والسياسية الدبلوماسية وإذا أردنا أن ننظر اليوم إلى العلاقات القريبة مع بريطانيا، فإننا لا نرى أي دولة عربية أقرب من العراق إلى تلك الدولة. . . ولهذا فأنا أسأل فخامة رئيس الوزراء (نوري السعيد) هل ينوي الدخول في مفاوضات مع هؤلاء الأصدقاء أو الحلفاء بصورة خاصة لحل قضية فلسطين بصورة عاجلة على ضوء مقررات هيئة الأمم المتحدة قبل أن تتطور القضية. . .»

نهاية الملك غازي

كل ما توقعته من أحداث بعد غياب الملك فيصل واستلام الملك غازي منصة الحكم تحقق لسوء طالع العراق، فعند تسنم الملك للعرش، تبلورت الأطماع الشخصية لدى الكثير من الساسة، وتحفز الآخرون لنيل حصتهم من الفريسة، وبغياب حكمة وحنكة الملك فيصل استشرى الطموح

الشخصي وبرز إلى المعترك السياسي خطر الآراء والأفكار المقتبسة من مفكري الغرب والشرق، كل هذا يجري والملك غارق في حياته الخاصة بالرغم من نصائحنا المتكررة المباشرة والتي كثيراً ما كان يرد عليها بخشونة وجفوة، وأخذ رئيس الديوان تحسين قدري بناءً على تعليمات من الملك، يطلب منا عند مقابلته بعدم التطرق إلى أمور شخصية أو نصائح لا علاقة لها بموضوع المقابلة..

وحينما قدم حكمت سليمان إلى البلاط طلب إلغاء عضويتي وعضوية السيد علوان الياسري من مجلس الأعيان وسحب الحصانة البرلمانية عنا، ولم يمانع الملك كما علمت فيما بعد، بل اعتبر العمل هذا إجراءً أمنياً مهماً.

وأخيراً جاءت المنية في ليلة ٣ نيسان (أبريل) ١٩٣٩[1]، وقضي على حياته مثلما قضي على حياة والده، وبطريقة مفجعة يعرفها الجميع، ولا زالت تفاصيل الحادث غامضة، إلا أن أصابع الاتهام تشير إلى اليد الإنكليزية التي رسمت التخلص منه والحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها هي أن الملك مات غيلة، بيد عربية وتدبير وتآمر عراقي وخطة إنكليزية، وبذلك خلا الجو تماماً من أي عوائق لتنفيذ ما يريدون سواء عارضناهم أو نصحناهم، أو وقفنا بوجههم، فجبهتنا متفرقة وكل يعمل على هواه، ولعل شعر عبد الله بن العباس قد يكون أصدق تعبير عن وضعنا.

يا لكِ من قُبرةٍ بمعمرِ

خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئتِ أن تنقري

---

(١) أرخ الشاعر الشيخ علي البازي الكوفي ١٣٠٥ ـ ١٣٨٧ هـ. وفاة المغفور له الملك غازي بن فيصل بهذه الأبيات:

نُكِبَ العراق بفقد مَن ... قَدْ كانَ للأعداءِ غازي

فلهُ العزا بوصيهِ ... أرّخته (وبشبل غازي) ١٣٥٨هـ



الفصــل السابــع

عهد الأمير عبد الإله بن علي

١٩٣٩ ــ ١٩٥٤



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

صدق الله العظيم
آل عمران - ١٠٤ -



المغفور لهما الأمير عبد الإله (الوصي وولي العهد) مع الملك فيصل الثاني ١٩٤٢

عهد الأمير عبد الإله ١٩٣٩ ـ ١٩٥٤
ولايـــة العهــد

عُين الأمير عبد الإله ولياً للعهد وهو ابن سبعة وعشرين عاماً، وتم اختياره بصورة مزدوجة مع إعلان الملك فيصل الثاني البالغ من العمر أربع سنوات ملكاً لعرش العراق، وكنت في ذلك الوقت خارج قبة مجلس الأمة، ولم يكن هناك مجلس للنواب، إذ كانت الوزارة قد حلت المجلس قبل مقتل الملك، فجرى تسمية ولي العهد من قبل حشد من أعضاء المجلس المنحل وهذا ما ارى فيه عملاً غير قانوني.

ان الرجل الامثل لهذا المنصب كان يجب أن يكون الأمير زيد، عم الملك غازي لما يتمتع به من ثقافة عالية ودراية واسعة في الأمور السياسية المحلية والعربية والخارجية فهو شارك أخويه فيصلاً وعبد الله في ثورة الحجاز وتفاوض وهو معهما أو منفرداً في أمور عديدة في مؤتمرات دولية حول قضايا معقدة بين الحلفاء والعرب إلى جانب اطلاعه الواسع على المستويات كافة لمشاكل العراق بعد أن عاش في هذا البلد لسنوات طويلة ساعد خلالها أخاه جلالة الملك فيصل في تسيير دفة العرش بدون أن يشعر بتأثيره الآخرون، وبذلك اكتسب خبرة كبيرة في شؤون العراق إضافة إلى دماثة خلقه وكياسته في تحليل الأزمات وشجاعته في إبداء الرأي بصراحة، ومثل هذه الشخصية كان الأجدر بها استلام أمور العراق في البلاط بدلاً من عبد الإله، الذي اكتسب ما عنده من خبرة عندما عينه نوري السعيد في الدواوين التي كان يشغلها سواء في مجلس الوزراء حيناً، أو في ديوان وزارة الخارجية في الحين الآخر وذلك كموظف بسيط لا أكثر. ومن هنا كمن الخطر في أن تعيينه ولياً للعهد سيوقع البلاط تحت تأثير نوري السعيد

لما عُرف عنه من طموح قديم ومعروف لدخول البلاط وعدم الخروج منه، وقد تحقق له ذلك الآن.

العودة إلى العمل السياسي

لم تمضِ إلا أيام معدودة على مقتل الملك غازي وتسنم الأمير عبد الإله ولاية العهد حتى بدت بوادر الأزمات تنذر بالخطر، فالحرب مستعرة بين ألمانيا الهتلرية والحلفاء والمعارك تقترب من العراق في كل يوم يمر، والإنكليز أخذوا بالضغط على الحكومة لتنفيذ بنود المعاهدة العراقية ـ البريطانية فيما يخص فسح المجال لقواتهم لاستعمال العراق كقاعدة حربية لجيوشهم وكانت كل الدلائل تشير بما لا يدع أي مجال للشك أنهم بصدد إعادة احتلال العراق، زد على ذلك الازمة المعاشية الخانقة التي تعاني منها كافة طبقات الشعب والغلاء الفاحش للمواد الغذائية وانتشار السوق السوداء بعد اختفاء المواد الغذائية الأساسية، كل هذه النذر السيئة جعلتني اعيد النظر في قراري السابق باعتزال السياسة إذ أن البلد في حالة تستدعي بذل كافة الجهود والتكاتف بين ساسته للوصول به إلى شاطئ الأمان، فخلصت إلى وجوب نزولي إلى ميدان العمل والبذل مع اصدقائي العاملين في مجلس الامة وحال إعلان الانتخابات لمجلس النواب للدورة التاسعة، رشحت نفسي عن لواء الديوانية وتم انتخابي لتلك الدورة.

عقد المجلس الجديد جلسته الأولى في ٢٨ صفر ١٣٥٩ ـ ٦ نيسان (إبريل) ١٩٤٠، وذلك بعد سنة واحدة تقريباً من مقتل الملك غازي رحمه الله، وكان معي في هذه الدورة رجال كنت أعول على العمل معهم في الأزمات وهم الحاج عبد الواحد السكر، والسيد علوان الياسري ومرزوق العواد فكنت آمل أن يكون عملنا في هذه الدورة هو مساعدة البلد لتفادي الاخطار التي تتقاذفه وعلى رأسها علاقة الحكومة مع الأمير عبد الإله ومع الإنكليز لا سيما بعد بروز دور الجيش في السياسة العامة، لقد حاولت جهد امكاني منذ رشحت نفسي لهذه الدورة، أن أسلك طريقاً يبعدني عن معارضة الحكومة ما لم يكن في سياساتها مساس قسري وخطر على مصلحة الأمة وسلامتها. وإني كنائب عن الديوانية رغبت أن أكرس وقتي لمشاكل

الفرات الأوسط عموماً والديوانية خصوصاً ودراسة الإصلاحات الزراعية وقوانين الأراضي ومشاريع الري التي تشكو الإهمال والعديد من الأمور التي تستوجب معالجتها.

وبعد أشهر من جلستنا الأولى استعرت الازمة بين رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء وبين الأمير عبد الإله والإنكليز وجراء ذلك توتر الجو في البلاد ولم تنجز الحكومة ما كانت قد أعلنته في المنهاج الوزاري، ومن ناحيتي أخذت طريقي مع اصدقائي المار ذكرهم وركزنا على جهودنا في لعب دور الوساطة بين الأطراف المتخاصمة، فزرت العديد من كبار الضباط في بغداد والديوانية في مقر الفرقة الأولى، مسترجياً تارة ناصحاً تارة أخرى من أجل صيانة العراق وتفادي الصدام مع الإنكليز محذراً من مغبة الدخول معهم في نزاع مسلح، وفي مجلس النواب، اقترحت أن يحضر الأمير عبد الإله إلى المجلس لبيان وجهة نظره على أمل أن يتدخل المجلس بصفته ممثل الأمة، طرفاً سلمياً بين الحكومة والبلاط، لتفادي ما لا يحمد عقباه.

الأزمة مع الإنكليز عام ١٩٤١

في الأزمة بين رشيد عالي الكيلاني والإنكليز والأمير عبد الإله[١]،

(١) سومرست دي جير، البساط الذهبي، مطابع فابر آند فابر، لندن ١٩٤٤ الصفحة ١٠٨ «أشار مارشال الجو د. آلبك بوجوب تسمية هذه الحرب ـ بين الجيش العراقي والقوات البريطانية مايس ١٩٤١، باسم «حرب الثلاثين يوماً» لكونها استمرت شهراً بأكمله وذلك من ٢ مايس إلى ٣١ مايس»
Somerset de Chair, the Golden Carpet, Faber and Faber London,1944
الترجمة بتصرف، راجع المصدر الإنكليزي للتعرف على تفاصيل دخول رتل الجنرال كلوب إلى العراق بعد خروجه من الأردن وفلسطين وتمكنه من دحر الجيش العراقي واحتلال بغداد.
ـ راجع محاضر مجلس النواب، الجلسة الخامسة والعشرون المنعقدة في ٢٤ شباط ١٩٤١ لمناقشة الميزانية العامة التي تقدم بها رئيس الوزراء العميد طه الهاشمي ومطالبة السيد محسن أبوطبيخ وضع حد لتدخل الجيش في السياسة العامة للحكومة واستفساره من رئيس الحكومة عن الإجراءات التي سيتخذها لوقف مثل هذه الأعمال المخلة بالسلطات الدستورية للحكومة.

وتحت تأثيرات متباينة انحرف الكثير من رؤساء عشائر الفرات نحو ذاك التيار أو هذا، صار ولكل منهم وجهة نظر في القضية، وانقسم رجال الحكم في بغداد تبعاً لنفس التيار الذي جرف رجال الفرات بين مؤيد ومعارض، وحتى المرحومين السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد السكر اللذين تزاملت معهما لأكثر من خمسين سنة على مبدأ واحد، وهو خدمة الوطن الذي عانينا من أجله مرارة الحروب والنفي والسجون والإبعاد ما لم يعانِهِ أحد غيرنا من العهد العثماني ابتداءً ومروراً بالاحتلال الإنكليزي ووصولاً للحكم الوطني. إن اختلافي مع زملاء العمر في التضحية ذلك الاختلاف لم يكن منهم عن خيانة أو بدافع الطمع والخوف من أحد بل كان منهم بحكم تقدير خاطئ من تقييم الأحداث.

فلما استولت جيوش ألمانيا النازية على معظم دول أوروبا واستسلم الآخر لها، بقي الإنكليز لوحدهم أمام الالمان، واعتقد الكثيرون أنهم سوف يستسلمون لا محالة، ومن هذا الموقف تولد عندنا في العراق شعور أن الالمان سيصلون بغداد أن عاجلاً أم آجلاً وأن أيام الإنكليز صارت معدودة.

ولما كان ولي العهد الأمير عبد الإله موالياً للإنكليز في سياساته وكان يماشيهم في رغباتهم وأن العراق بحكم المعاهدات التي تربطه بالحكومة البريطانية ليس له غير الخضوع لما تقرره له الحكومة هذه، وبناءً على هذه الاعتبارات اختلفت مع زملائي، كوني كنت انظر إلى الحرب بعين واقعية، فأني لم أعتقد في حينه أن الألمان قد وجهوا ضربة قوية قاهرة إلى الإنكليز كما فعلوا مع غيرها من دول أوروبا وافقدوها قدرتها العسكرية أو اخلوا مستعمراتها وسيطروا عليها، وأن كل ما حصل، هو انسحابها من هنا وهناك في معارك خسرتها أمام القوات الألمانية المتفوقة، وأن ما حدث هو مؤقت ولا بد للإنكليز من عودة.

هذه التقديرات للموقف جعلتني أختلف مع زملائي في مستقبل من سيكون في العراق، ولم أغير من موقفي القائل بوجوب تأييد سياسة الأمير عبد الإله حفظاً لمستقبل العراق من الانتكاسة والخوض في أزمات نحن في غنىً عنها مع الإنكليز والبلد لازال يئن من جراحاته من منازلاته السابقة

معهم. وأما زملائي في الجهاد، فقد اتبعوا سياسة رشيد عالي الكيلاني وصحبه الذين يرون خلاف ما كنت قد تقدمت به.

ولي أن أذكر بتقدير أولئك الرؤساء من عشائر الفرات ممن ايد ما كنت اصرح به وهم الحاج رايح العطية، والمرحومين الحاج مرزوق العواد والحاج داخل الشعلان ممن ناصروا الأمير عبد الإله.

ومن جانبي فقد قمت بمساع وجهود كبيرة عن طريق الاتصالات والمواجهات الشخصية، والمراسلات الخطية والهاتفية مع بعض الرؤساء حتى اقنعتهم بوجهة نظري وخطورة الأمر فيما إذا انقلبنا ضد الإنكليز وخسرنا وما قد يخسره البلد والأمة على حد سواء، فالموضوع هو ليس تأييد رجل على سنة العرش في الوقت الحاضر، انما هو مستقبل البلاد برمتها[1].

وقد استطعت إقناع العديد ممن اتصلت بهم وصحبتهم شخصياً إلى البلاط لمقابلة الأمير الوصي على العرش واظهروا له الولاء والطاعة، وهذا ما شهد به صلاح الدين الصباغ في مذكراته في الصفحة الـ ٢٢٥ في السطر السابع و الثامن عشر منها فيقول: «قام متصرف البصرة صالح جبر يكاتب عشائر البصرة والناصرية يحرضها على القيام في ثورة، وقيل أن السيد محسن أبو طبيخ، يقوم بنفس العمل في الديوانية بالاشتراك مع رايح العطية».

ثم قال في السطر العشرين من نفس الصفحة المذكورة «قرار مجلس الدفاع المحتوي على ثلاث مواد فقط النظر في أمر الوصي، توقيف صالح جبر وجلبه لبغداد وفصل تحسين علي وتوقيف محسن أبو طبيخ، ورايح العطية»، وجلب الأول أي أنا وصالح جبر لبغداد للمحاكمة.

الحرب من الإنكليز

توترت العلاقة بين الجيش والأمير عبد الإله، حتى انفجر العنف

---

(١) جعفر عباس حمندي، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١ ـ ١٩٥٣ مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف، ١٩٧٦
الصفحة ٤٣ «وفي الوقت نفسه اتصل محسن أبو طبيخ ببعض رؤساء العشائر في الديوانية، وخاصة رؤساء الظوالم، من اجل مناصرة عبد الإله». هذه المعلومات مستقاة من جريدة الاستخبارات السياسية العدد ١٤، ٥ نيسان ١٩٤١، ملفة مرقمة د/١٩ في مديرية التحقيقات الجنائية.

بينهما بقيام الجيش بمهاجمة قصره، فأفلت منه بأعجوبة وفر إلى البصرة، وقد وصلني خبر فراره هذا في منتصف النهار، وقد علمت في حينه أن طريق جسر الحر كان مقفلاً من قبل الجيش، فقررت مغادرة بغداد لتوقعي إلقاء القبض عليَّ من قبل السلطات العسكرية، فأخذت طريق بغداد العزيزية ثم عبرت نهر دجلة عند النعمانية وقطعت الجزيرة ما بين النهرين متجهاً إلى الهاشمية ومنها إلى الطريق العام المتوجه إلى النجف ثم غماس، ولم يمض وقت قصير على وصولي وقبل أن يتسنى لي الاستراحة من متاعب السفر، فاجأتني قوة من الشرطة المسلحة قبل أن أتمكن من الاتصال بأي أحد من العشائر قبل أن أستطيع اتخاذ أي احتياطات للمحافظة على سلامتي. اصطحبتني هذه القوة وبحماية من الشرطة السيارة وأفراد من الجيش إلى الشامية فأدخلوني إلى دائرة القائمقام، وكان حينذاك عبد الرحمن جودة، فبادرني قائلاً لي: «إن وكيل المتصرف يطلب حضورك عنده إلى الديوانية» وكان الوكيل يوم ذاك أحمد السوز، ثم استطرد قائلاً: «ويجب أن أرسلك إلى هناك مخفوراً صحبة القوة التي في الخارج»[1].

فقلت له: «الأمر لكم غير أني ارجو أن تسمحوا لي بمقابلة الحاج رايح العطية، فبيته هنا في قصبة الشامية».

أجابني قائلاً: «ان وكيل المتصرف طلب مني ارسال الحاج رايح إليه أيضاً، فألقي القبض عليه وأرسل إلى الديوانية، وقد أخذ منه تعهداً أن يخرج من الشامية ويستقر في كربلاء، وقبل ساعة عاد وهو لا بد وأنه يستعد لمغادرة الشامية ولا نستطيع السماح لك بمواجهته».

ثم أصدر أمره إلى معاون شرطة الشامية بأخذي إلى الديوانية، فتوجهت بي سيارة يصحبني فيها المعاون وتتبعنا سيارتان مسلحتان، وعند وصولنا أخذوني إلى دائرة الشرطة مباشرة وكان وقت وصولنا عصراً، فتم

---

(١) سلمان التكريتي، الوصي عبد الإله بن علي يبحث عن عرش ١٩٣٩ ـ ١٩٥٣ الدار العربية للموسوعات، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٩.
الصفحة ٤٧ «عندما علم العقداء الأربعة بفرار الوصي عبد الإله، قرروا تأليف مجلس للدفاع الوطني وتقرير مصير الوصي، وتوقيف صالح جبر، وجلبه إلى بغداد وفصل تحسين علي وتوقيف محسن أبو طبيخ ورايح العطية...»

تسليمي إلى معاون الشرطة الذي قام بإدخالي إلى غرفة التوقيف فقضيت ليلتي موقوفاً، إلى ساعة وصول القطار الصاعد إلى الديوانية من البصرة، فأركبوني به مع حراسة مشددة من الشرطة وأرسلوني إلى بغداد.

وصل القطار مساءً إلى بغداد، فأخذوني إلى دائرة مديرية شرطة لواء بغداد، وكان معاون مدير الشرطة هناك في انتظاري، فأمر بإدخالي إلى غرفة التوقيف، وبعد ثلاثة أيام علمت أن صالح جبر، متصرف لواء البصرة والموالي للأمير عبد الإله قد تم إلقاء القبض عليه في البصرة، وجاؤوا به مخفوراً إلى بغداد وجرى توقيفه في مخفر شرطة العبخانة.

وكما أسلفت، فإن الحاج رايح العطية، فرضت عليه الإقامة الجبرية في كربلاء، أما الآخرون من الرؤساء، فلم يتخذ أي إجراء بحقهم.

بقي صالح جبر في التوقيف فترة وجيزة، فقد توسط له السيد علوان الياسري لدى رشيد عالي الكيلاني، والضباط على رأس الحركة، فتم اطلاق سراحه بشرط أن يخرج من العراق، فسافر إلى إيران.

بقيت موقوفاً إلى أن تدخل في امري يونس السبعاوي والحاج ياسين الخضيري، إذ كانا من اصدقائي المقربين، فقد جاءني الحاج ياسين إلى الموقف وأخبرني أنه مرسل من قبل رشيد عالي والضباط وأنهم قد كلفوه بإبلاغي أن ابقى في دائرة المعاون ليومين أو أكثر حتى يتسنى لهم اتمام مهامهم وشغلهم ثم نطلق سراحك، لأنه «اذا الآن نطلق سراحه نخشى أن يخرب علينا شغلنا».

أما شغلهم هذا الذي أشار إليه الحاج ياسين، فهو جمع المجلس النيابي، وخلع الوصي، وإقامة الشريف شرف وصياً بدلاً عنه.

اجتمع المجلس للغرض الذي ذكرته وكنت في ذلك الوقت لا أزال رهن التوقيف، جاءني مدير الشرطة إبراهيم الشاوي ومعه عريف عسكري وثلاثة أفراد من الشرطة وأخرجني، فسألته إلى أين؟ فقال: «سترى». أخذوني إلى المجلس النيابي القريب من محل توقيفي فشعرت أن الأمر هو عملية نكاية بي لا اكثر، ولذلك عند وصولنا وقفت عند باب المجلس

وقلت لهم افعلوا بي ما تشاؤون ولم أقبل أن أدخل والمشاركة بما يجري.

بقيت جالساً في غرفة الزوار إلى أن جاءني بعد حين السيد علوان الياسري الذي دار كلام طويل معه ووعدني خيراً بما يجري، فدخلت معه إلى قاعة المجلس الذي كان مجتمعاً واقر بجلسته هذه عزل الأمير عبد الإله عن ولاية العهد وتعيين الشريف شرف محله[1]، وبعد انفضاض الجلسة أخذوني إلى ديوان مجلس الوزراء فأدخلوني على رشيد عالي الكيلاني وكان معه يونس السبعاوي والسيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد سكر، فقام من مجلسه واستقبلني من الباب معاتباً عدم تأييدي لهم على ما قاموا به من أعمال ضد الوصي على عرش العراق، فقلت لهم: «إني لم أعمل شيئاً غير ما حتمه الواجب» وبعد انتهاء الجلسة معهم، سمح لي بالانصراف وتم إصدار أمر للشرطة بعدم التعرض لي بعد تلك الساعة.

كل ذلك تحملته من أجل عقيدتي بمستقبل العراق الذي ارتبط بالعرش الهاشمي والذي كان على رأسه الأمير عبد الإله ومن أجل الوطن والبيت المالك خصوصاً، عرضت نفسي وأسرتي وما أملك لكل المخاطر.

وبعد أن استتب الأمر للأمير عبد الإله وقبض على السلطة مرة ثانية ونكل بقادة الحركة فأعدم خيرة الرجال وسجن ممن آزروهم وقبع الكثيرون منهم في معسكرات الإبعاد والاعتقال لأشهر[2] بدون محاكمة وارضاءً

---

(١) أشارت العديد من المصادر عن احداث الحرب العراقية، الإنكليزية عام ١٩٤١ أن خلع الامير عبد الإله من قبل أعضاء مجلس الامة كان بالإجماع وأن السيد محسن أبو طبيخ صوت إلى جانب القرار.

(٢) في مقابلة بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٩٩ بلندن مع مالك السيد حميد الياسري، حفيد المرحوم السيد علوان الياسري، أن جده أبعد إلى معتقل في مدينة العمارة وأن الجيش جاء إلى ديارهم في المشخاب واحرق مضيف جده السيد علوان.
ولي أن أضيف أن الحاج عبد الواحد السكر اعتقل أيضاً في العمارة وأن مضيفه احرق من قبل الجيش.
ـ استمر السيد محسن أبو طبيخ في جهوده لإطلاق سراح المعتقلين ممن قاموا وشاركوا بهذه الحركة وركز مسعاه على إطلاق سراح السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد السكر ولم يقف عند حد مراجعاته الشخصية لعبد الإله ورؤساء الوزارات المتعاقبة بل رفع صوته عالياً في منبر مجلس الأعيان مطالباً بإطلاق سراحهما وسراح المعتقلين كافة لطي صفحة من تاريخ العراق السياسي كادت الأحداث أن تعصف خلالها بكيانه. =

للإنكليز وبناءً على مشورتهم انتقم من الجيش العراقي، فأحال خيرة ضباطه على التقاعد وسرح أفراده وجرد الكثير من الوحدات من سلاحها ولا بد أن عمله هذا أشعل جذوة الانتقام منه لدى أفراد الجيش على كافة مستوياته، فظلت هذه الشرارة تحت الرماد إلى أن انفجرت صبيحة يوم ١٨ تموز (يوليو) ١٩٥٨، فأتت بنارها على البيت الهاشمي والكثير من الإنجازات التي تم تحقيقها في شتى المجالات والتي لم تتحقق بعد للكثير من دول المنطقة، وفي الوقت الذي اكرر القول، من أني لم أقف إزاء الحركة هذه معارضاً، بل حامياً للعراق من ما توقعته من ازمات تعصف به وبمستقبله، وأن الازمات قد لا تكون بالضرورة بمجيء ثورة أو هيئة تقودها لها أفكار خطرة على كيانه، بقدر ما ستخلقه مثل هذه المشاكل من ردود فعل تنعكس على البلاد عموماً وعلى رجالها المخلصين، هذا ما كنت أخشاه من انتقام الأمير عبد الإله، ممن قام بالحركة وأزرها، ومقدار تقبّل الشعب العراقي لذلك، وهذا ما ستحدثنا الأيام به.

في ضيافة الملك عبد العزيز بن سعود

في غرة ربيع الاخرة ١٣٦٤ المصادف بداية عام ١٩٤٥ قررت السفر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة العمرة، وحينما راجعت الشيخ عبد الله الخيال، السفير السعودي في بغداد لطلب التأشيرة اللازمة رحب بطلبي وبعد أيام زارني في بيتي وأخبرني بأني مدعو رسمياً من قبل الحكومة السعودية التي ترحب بي في المملكة وإني سوف أكون في ضيافتها مدة إقامتي فيها، وقبل انصرافه سلمني رسالة طلب مني تسليمها إلى المسؤولين عند وصولي إلى مدينة الرياض.

قبيل مغادرتي بغداد، تشرفت بزيارة الأمير عبد الإله، للسلام عليه وعندما علم بموضوع استضافتي طلب مني مقابلته بعد يومين، وبناءً على

= راجع كلمة السيد محسن أبو طبيخ في محاضر مجلس الأعيان، الجلسة الثانية، الاجتماع فوق العادة ١٩٤٥
اليوم السبت ١٦ حزيران ١٩٤٥، الساعة التاسعة والنصف صباحاً، المركز الوطني للوثائق/مايكروفلم محفوظ في بناية وزارة الإعلام القديمة، الباب الشرقي، بغداد.

طلبه هذا جئته عصراً في البلاط على وقت الموعد الذي حدده لي، فبادرني بعرض مسهب عن حقوقه وحقوق اخواته من تركة جده المغفور له الملك حسين بن علي وما للملك فيصل الثاني من تركة في حصة جده الملك فيصل الأول، كل هذه وما لهم من أملاك شرعية في الحجاز وتحديداً في مكة المكرمة والمدينة. . . وأنه يود أن يتعرف على إمكانية التصرف بها وما هو موقف الحكومة السعودية من هذه القضية التي أوصاني أن تكون «شخصية وعائلية» وليس لها أي صفة رسمية. أجبته من أنه سوف يشرفني هذا التكليف من جانب سموه وأسأل الله أن يوفقني للقيام بمهمتي بما يرضيه.

غادرت العراق عن طريق البصرة صفوان ومن ثم الكويت، والتي تشرفت بزيارة أميرها المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح واستضافني مدة أيام إقامتي فيها، وقبيل مغادرتي أغدق علي بخاتم ثمين من الذهب مرّصع بلؤلؤة كبيرة سوداء.

وعندما وصلت الرياض، بعثت برسالة السفير التي كنت أحملها، فجاءني على اثرها شخصان ليخبراني أني ضيف جلالة الملك واصطحباني إلى دار الضيافة ووضعت سيارة تحت تصرفي لتأخذني حيثما أشاء. وفي الأيام التالية ذهبت إلى مقر وزارة الخارجية حيث قابلت الأمير فيصل آل سعود وزير الخارجية (الملك فيصل فيما بعد) وأخبرني بموعد مقابلة جلالة الملك عبد العزيز.

وفي مكان خارج الرياض حيث قصر الملك وبلاطه تشرفت بمقابلة جلالته، فرحب بي أجمل ترحيب تحيط به حاشيته ثم دعاني على تناول الغداء معه، على الطريقة العربية، وقد فرشت السفرة ـ السماط ـ على الأرض وحضرها العديد من مشايخ الجزيرة.

وقبيل مغادرتي مجلسه قدمت له هديتي المتواضعة المؤلفة من نخلة فضية ودلة قهوة مع فناجين ذهبية، تقبلها بترحاب، كما أهداني ما يسمى «الخلعة» وهي منتهى التكريم لزائر عند عرب الجزيرة وتتألف من العقال

الذهب وعباءة من الوبر وملحقاتها من الملابس العربية مع خنجر كديمي من الذهب الخالص مرصع بالأحجار الكريمة وساعة يد ذهبية[١].

في زيارتي التوديعية لجلالته فاتحته بما أوصاني به الأمير عبد الإله، بعد أن أبديت له ما يكنه له الأمير من بالـغ الـود وما يحمله له من علو المكانة وحسـن النيـة وبعد أن أهديته وبلغته سلام الأمير رجوت جلالته أن أسمع منه خيراً، وكنت اتوقـع أن يرد عليّ بما قـد لا يسر الأمير، أو بالقول أن لا حـل في الوقـت الحاضر.. إلا أنه فاجأني بقوله، أن حقوق الورثة الهاشميين لم تُمس بأي إجراء من جانب الحكومة السعودية وطمأنني بأن لهـم، وبـدون استثناء، حرية التصرف بتركتهم وأملاكهم وفي أي مكان في المملكة[٢].

أخبرت الأمير عبد الإله، عند عودتي بتفاصيل مقابلتي للملك عبد العزيز حول موضوع التركة الهاشمية وقد سر كثيراً بما قاله الملك. ولا ادري فيما بعد ما جرى للأملاك هذه.

استقالتي من مجلس الأعيان

ان خدمتي المتواصلة داخل المجلس النيابي منذ عام ١٩٢٥ ومن ثم انتقالي إلى عضوية مجلس الأعيان في عام ١٩٣٣ التي انهيت بصورة غير قانونية من قبل حكومة حكمت سليمان في أيار عام ١٩٣٧، وعودتي إلى المجلس النيابي في دورته عام ١٩٣٩، وفي ٢٥ تشرين الأول (اكتوبر) عام

---

(١) هدية امير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح ـ المحبس الذهبي ذو اللؤلؤة السوداء ـ والخنجر الكديمي الذهبي موجودان عند أخي علي في كالفورنيا.
العباءة الوبر والعقال المذهب بحوزتي وفقدت الساعة الذهبية أثناء خدمتي العسكرية.

(٢) استطاع السيد أحمد أبو طبيخ ـ حفيد السيد محسن ـ الحصول على وثيقة مهمة أثناء تقصيه علاقة جده السيد محسن مع الملك عبد الله في عمان، راجع الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله، المجلد التاسع، منشورات آل البيت.
الوثيقة رقم ١١٨ ـ ١٣٥ المؤرخة في ١٠ تموز ١٩٤٥
من قنصل شرقي الأردن العام في بغداد، عمر زكي
الى الأمير عبد الله بن الحسين
«نص الوثيقة في ملحق التقارير والوثائق في هذا الكتاب» ـ الوثيقة رقم ٢٨»

١٩٤١ أعيد تعييني في مجلس الأعيان. هذه السنين الطويلة من العمل المتواصل في المجلسين منحتني المقدرة على تحسس التيارات السياسية داخل المجلس وخارجه وما قد ينشأ عنها لتثير الأزمات ويطيح بالحكومات لأسباب تافهة، واهم تلك التيارات التي لها تأثير بالغ الأهمية في مصائر الأمور هو البلاط، الذي كان يسير برغبة الأمير عبد الإله وحده.

لم يستطع أحد الوقوف بوجه هذا التيار والتقليل من نفوذه في كافة مجالات السياسة التي تؤثر على مصير البلد، وأخص منها السياسة الخارجية، أما السياسة الداخلية، فقد ترك الأمر فيها إلى رئيس الوزراء، وعلى الأكثر يكون تدخله في عمل الوزارة في حالة رغبته بإسقاطها أو تبديل الوزراء ممن لا يروق عملهم له.

أما نحن أعضاء مجلسي الأعيان والنواب، فإذا أخذنا دورنا بعيداً عن الأعضاء المؤيدين للبلاط والحكومة، ونحن قلة، فلم نستطع إلا التعبير عن آرائنا في منبري المجلسين، منتقدين، محذرين، موجهين وناصحين ولكن من لا يريد أن يسمع، يضع يده في أذنه، وهذا كان حال علاقتنا مع البلاط، وعبد الإله، والوزارات المتتالية متمثلة بمن يرئسها.

استلم صالح جبر منصب رئاسة الوزراء في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٤٧ ولم تكن الأوضاع الداخلية ولا الخارجية تشير إلى أن مهمته ستكون سهلة، فأمامه اصعب قضيتين عليه معالجتهما بحذر ولباقة، الأولى تعديل المعاهدة الإنكليزية العراقية والثانية قضية فلسطين التي وصلت إلى مرحلة خطرة بعد الصدامات الدامية بين العرب والصهيونيين، وقرار لجان الأمم المتحدة التي أشارت بعد زياراتها العديدة لفلسطين، بوجوب تقسيمها بين العرب واليهود وإنشاء دولة صهيونية في الربوع المقدسة. ازاء هذه القضية بالذات، لم تتخذ أي من الوزارات المتعاقبة أي إجراءات تشير إلى استعدادها السياسي أو العسكري في حالة تقسيم فلسطين، وكانت تصريحات الملك عبد الله ملك شرقي الأردن بهذا الخصوص واضحة علناً بوجوب الوقوف مع الحق الفلسطيني، إلا أنه في الوقت نفسه كان لا يخفي تأييده لقيام دويلة صهيونية لتجنب ما لا يحمد عقباه في حالة اشتعال حرب معهم وبالتالي تتدخل بريطانيا وأمريكا بتأييدهم عسكرياً ويخسر العرب حقوقهم

وأرضهم، وجراء هذا التباين بين موقفي العراق وشرق الأردن جاء جلالته لزيارة العراق، لرغبته في بحث هذا الموضوع من كافة جوانبه ليس مع عبد الإله ورئيس الوزراء فقط، بل ليستمع كما أخبرني هو بنفسه، إلى آراء القادة العسكريين العراقيين الذين كان يكن لهم كل التقدير.

لقد جرت العادة على تأليف هيأة للقيام بالأشراف على تنفيذ منهج زيارة الملوك ورؤساء الدول، وأعضاؤها من مجلسي الأعيان والنواب والخارجية والبلاط، إضافة إلى المرافقين العسكريين، وبالنظر للعلاقة المتينة التي تربطني بجلالة الملك عبد الله، فقد كنت اتوقع أن أكون عضواً في مثل هذه الهيأة، إلا انني لم أستغرب استثنائي منها، فقد تم استبعادي من تشكيلات رسمية أهم من هذه، إلا أن المبررات التي اعطيت لكل مناسبة كانت تدفعني إلى السكوت المكبوت، التقيت برئيس مجلس الأعيان السيد محمد الصدر، ولما وصل الحديث إلى زيارة جلالة الملك عبد الله لبغداد، استفسرت من الصدر عن سبب إبعادي عن عضوية هيئة الضيافة فأجابني «أفضل أن تسأل رئيس التشريفات» فأثار استغرابي جوابه، فقلت «هل من أمر أنت تكتمه» فقال «اظن أنها رغبة سمو الأمير عبد الإله».

لقد أصبح جلياً وبما لا يقبل الشك أن الأمير عبد الإله كان يعتبرني موالياً مخلصاً لجلالة الملك عبد الله وأن وجودي معه أثناء زيارته قد يكون له تأثيرات على ما لا يرغب به البلاط والمقربون منه ومن هنا وجدت أن القضية هي موضوع ثقة لا أكثر، أي اعتبارهم أني قد أساوم على قضايا يزج بها العراق من أجل تطمين رغبات الملك الضيف ، وهذا ما لا افعله حتى لو طُلب مني، وكان على البلاط ورجاله تذكير الأمير عبد الإله بمواقفي الثابتة منذ تأسيس الحكم الوطني، سواء مع الملك فيصل الأول أو في قضايا حاسمة جرت مناقشتها في مجلسي الأمة وكان موقفي منها واحداً لم يخضع لمؤثرات أو ضغوط.

وصل جلالة الملك عبد الله إلى بغداد في الثامن من حزيران (يونيو) ١٩٤٧، واستمرت زيارته خمسة أيام، قمت أثناءها بمقابلته في قصر الضيافة فأثار استغرابي علمه بسبب إبعادي عن عضوية هيأة الضيافة والمسبب لها. إن الثقة، يكتسبها الإنسان لنفسه من ممارسته لحياته العامة ولي قناعة كبيرة أن

الأمير عبد الإله بتصرفه هذا قد مس من ثقته بي إزاء واجباتي الرسمية ومن حقي رفض موقفه هذا، وبناء على ذلك قدمت إلى سموه طلب اعفائي من عضوية مجلس الأعيان وغادرت العراق لقضاء أشهر الصيف في ربوع لبنان ومصر[1].

مقتل الملك عبد الله بن الحسين

كان جلالة الملك عبد الله، من صفوة رجال العرب النادرة، تتمثل فيه خصال سامية قل ما نجدها في الرجال عموماً ورجال الدولة والسياسة خصوصاً، تميز عن اخوته بالصراحة وبعد النظر، بالكياسة والتفرس ونكران الذات، علمنا بأخباره هذه، قبيل قيام ثورة العشرين، من أيام الحج عندما قصدنا الديار المقدسة فسبقتنا أخبار العائلة الهاشمية وأولاد الشريف، وكان المتميزون منهم، هما الأمير عبد الله وأخوه فيصل، وحينما اديت الفرائض عام ١٩١٩ كان أول لقاء لي معه على وليمة اقامها والده الشريف حسين للحجاج فلفتت نظري لباقته وحسن تصرفه مع كافة المدعوين بالرغم من صغر سنه. ثم جمعتني به الأيام مرة ثانية أيام لجوئي إلى الحجاز بعد ثورة العشرين وقيام والده الشريف باستضافتنا، فوجدت أن

---

(١) قبلت استقالة السيد محسن أبو طبيخ من عضوية مجلس الأعيان بتاريخ ٣ تموز (يوليو) ١٩٤٧ وتم تعيين الشيخ علي الشرقي محله علماً أن كتاب الاستقالة كان موجهاً إلى الأمير عبد الإله وأن قبولها تم بارادة ملكية ولم أعثر في سجلات البلاط بالمركز الوطني على إثر لها.

ـ جاء في كتاب أحمد السيد كامل أبو طبيخ المعنون السيد محسن أبو طبيخ سيرة وتاريخ، في الصفحات ٣٦٩ ـ ٣٧٥ «خلاف السيد محسن مع الامير عبد الإله». من أن سبب استقالة السيد محسن من عضوية مجلس الأعيان كان موضوع صراعه المستمر مع الحكومة حول ملكية بعض الأراضي المتنازع عليها مع وزارة المالية». وإني استبعد كل الاستبعاد وعن يقين واطلاع، أن يكون هذا هو سبب استقالته فيما إذا علمنا وكما ذكره السيد محسن في مذكراته أن خلافاته المزمنة هذه مع المالية يرجع تاريخها إلى عام ١٩٢٢، أيام الملك فيصل الأول، وقد اكد السيد محسن مراراً في كتاباته، انه لا يقدم مصالحه الشخصية على خدمته العامة وانه ارفع من أن يهمل واجبه في مجلس الأعيان لهذا السبب وما ذكره من موضوع نزع الثقة عنه لهو ادعى للاستقالة... فهذه ـ الحساسية ـ بين الأمير عبد الإله والسيد محسن لها سوابق عديدة حينما رفض الأمير ترشيحه لحقيبة وزارية اقترحها صالح جبر في وزارته الأخيرة كما رفض ترشيحه لمجلس الوصاية على العرش أثناء احدى أسفاره خارج العراق.

الأيام القليلة التي انطوت بين لقائي الأول معه ولقائي الثاني قد جعلت منه رجلاً عربياً يحمل صفات الفروسية بكل معانيها، وقد بدا لي أنه سيكون لهذا الأمير شأن عظيم في حكم البلد الذي سيكون ملكاً عليه.

ومنذ أيام الثورة، ونحن نقاتل الإنكليز وعندما كان الكلام يجري عمن سيكون ملكاً للعراق من أبناء الشريف كنت دوماً اقدم اسمه مفضلاً أن يكون هو على سدة العرش العراقي بدلاً من أخيه فيصل لما عرف عن فيصل من دهاء سياسي وبراعة في انتهاز الفرص الثمينة التي قد تقوده إلى ممارسة المساومة على حقوق العراق مع الإنكليز في سبيل طموحه الشخصي، وهذا ما حدث فعلاً وليس لي إلا الإبقاء على عظيم ودي واحترامي للملك الراحل وولائي أيضاً للملك فيصل الذي ربما لولا تلك المرونة السياسية لما استطاع أن يقف بوجه الغطرسة الإنكليزية إبان حكمه في العراق.

كنت في مصيف الفالوغا بجبل لبنان اقضي أشهر الصيف كعادتي وفي ختامها وبالتحديد في شهر ايلول (سبتمبر) كنت اترك الجبل وأذهب إلى عمان للسلام على جلالته ومن ثم انزل إلى دمشق لقضاء بضعة أيام قبيل عودتي إلى بغداد، وقد هالني وانا أستمع إلى نشرة الأخبار المسائية من يوم ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٥١[١] نبأ اغتيال الملك عبد الله في القدس الشريف، ومن ساعتها عزمت على السفر إلى عمان لحضور تشييع جنازة جلالته. وفي صبيحة اليوم التالي وردتني بالبريد برقية مستعجلة من القنصلية العراقية في بيروت جاءني فيها طلب بوجوب السفر حالاً إلى عمان والانضمام إلى الوفد الرسمي الذي سيحضر من بغداد فتوجهت ذلك اليوم إلى عمان مسرعاً، وفي اليوم التالي ذهبت إلى قصر رغدان لتقديم التعازي، وهناك التقيت بالوفد الرسمي العراقي الذي كان قد وصل لتوه من بغداد يرأسه نوري السعيد فانضممت إليهم وحضرت مراسيم التشييع وبقيت في عمان مدة أسبوع أتردد على مجالس التعازي الرسمية والأهلية المقامة على روح جلالته.

---

(١) صدرت الإرادة الملكية في مطلع شهر تموز (يوليو) بتعيين السيد محسن أبو طبيخ،عضواً في مجلس الأعيان للمرة الثالثة، وانتخب نائباً أول لرئيس مجلس الأعيان في ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٣ واستمرت خدمته في هذا المجلس إلى ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨.

العراقية
ديوان
مجلس الاعيان
بغداد

الرقم ٢٠٠
التاريخ ١٩ حزيران ١٩٤٧

حضرة السيد محسن ابو طبيخ
عضو مجلس الاعيان المحترم

تحية واحتراماً

وبعد فقد تلقيت صورة من كتاب استقالتكم من عضوية مجلس الاعيان والمرفوع الى حضرة صاحب السمو الوصي وولي العهد المعظم وقد آلمني ان تضطركم بعض حوادث هامة او عامة الى اتخاذ مثل هذه الخطوة .

ان خدمات السيد محسن ابو طبيخ لوطنه لا ينكرها احد وان تفانيه في الماضي والحاضر من اجل امته يذكرها له كل احد فما عز له هو او تنكر له الناس مهما كان شأن هؤلاء الناس فأننا لا نتوقع ان تحمله مثل هذه الحوادث على التفكير في ترك وطنه والهجرة الى بلد آخر ولكم كنت اتمنى لو ان السيد المحترم بسط اسباب التذمر وذكر عوامل الشكوى التي اشار اليها لعلنا كنا نستطيع ان نتدارك ذلك .

ان امر* قبول استقالتكم وعدمه منوط بحضرة صاحب السمو الوصي المعظم واني لعلى يقين بأن سموه الملكي سوف يحرص اشد الحرص على ان لا يحرم مجلس الاعيان من الاستفادة من خدماتكم في سبيل هذا الوطن والسلام عليكم

التوقيع
محمد الصدر
رئيس مجلس الاعيان

كتاب رئيس مجلس الأعيان إلى السيد محسن أبو طبيخ.

المؤتمر العشائري وأحداث عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣

كان نوري السعيد يتربع على كرسي رئاسة الوزراء لوزارته الحادية عشرة حينما تدهورت الأوضاع السياسية والاقتصادية بشكل خطير نتيجة لأخطائه المتكررة ولظروف داخلية وخارجية أصبحت تحرك وتؤثر على الجو العام في العراق مثل الاحتكار المطلق لبعض المنتجات الزراعية من قبل البعض وعدم السيطرة على تصدير المنتوج الزراعي وقضية فلسطين وبروز الحزب الشيوعي العراقي في الحركة المعارضة للحكومات. لقد اقترف نوري السعيد وفي مثل هذه الظروف الصعبة خطأً كبيراً بتقديمه لائحة تعديل قانون الانتخابات وذلك بإدخاله فقرة تعاقب من يطعن بنتيجة التصويت واختيار النواب، وبذلك أصبحت الدولة تحمي نفسها من التزوير والتلاعب بأصوات الناخبين والذي جرت عليه العادة منذ تأسيس المجلس الوطني، إضافة لذلك فقد تجاهل التعديل مطاليب الأحزاب كافة بجعل التصويت على مرحلة واحدة بدلاً من مرحلتين وبذلك أثار سخط هذه الأحزاب واثار سخط الطبقة المثقفة من طلاب المدارس والكليات وأساتذتها فدفع بهم إلى الشارع بمظاهرات مستمرة وكاد التحدي بين الطرفين، المعارضة والحكومة، أن يؤدي إلى عنف يشابه ما حدث نتيجة عقد معاهدة بورتسموث مع الإنكليز.

وجراء هذا التوتر والقلاقل المستمرة، استقال نوري السعيد بتاريخ ١٠ تموز (يوليو) ١٩٥٢ والف مصطفى العمري من بعده الوزارة بتاريخ ١٢ تموز ١٩٥٢(*)، وبين يديه تركة كبيرة من المشاكل التي لم تحظ باهتمامه، فقام بحل المجلس النيابي في ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٢، وأعلن عن إجراءات الإعداد للانتخابات العامة متجاهلاً مطاليب الأحزاب

(*) في مقابلة مع أخي مشكور قبيل وفاته، تغمده الله برحمته، قال: «كنت اشغل منصب متصرف لواء العمارة حينما استدعاني مصطفى العمري الذي كان مكلّفاً بتأليف الوزارة وعرض عليه حقيبة وزارة الداخلية وحينما اطلّع السيد محسن على الخبر، عاتب مصطفى عن تجاوزه له فأجابه مصطفى مداعباً: «سيد هاي الوزارات عمرها ما دامت لأحد.. انت زعيم امة ونريد نشوفك دوماً في مجلس الأعيان...».
اعتذر مشكور عن قبول ترشيحه لمنصب وزارة الداخلية مفضلاً بقاءه كمتصرف.

الموالية والمعارضة والصحافة والطبقة المثقفة بتعديل قانون الانتخابات ليكون التصويت على مرحلة واحدة، وجراء ذلك استعر العنف في بغداد بين المتظاهرين وقوات الشرطة نتج عنها سقوط عدد من القتلى بين الطرفين[١].

وعلى إثر هذه الحوادث استدعيت إلى البلاط للاجتماع بالأمير عبد الإله مع عدد من المشايخ للتداول في الوضع العام المتدهور، وقد أبدينا له ضرورة معالجة الأمور بكل حكمة وحذر لتفادي ما لا يحمد عقباه، كما اجتمع هو فيما بعد برجالات الأحزاب السياسية والمعارضة فأبدوا له رغبتهم بالخروج من هذه الأزمة مشيرين عليه بوجوب تعديل قانون الانتخابات كحل عاجل.

وعندما تزايدت الأوضاع سوءاً، قدم مصطفى العمري استقالة وزارته في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢، ولكن المفاجأة كانت لجوء الأمير عبد الإله إلى الجيش لحل الأزمة بتكليفه رئيس أركان الجيش نوري الدين محمود بتأليف الوزارة، وقد اعتبرنا هذه المناورة انقلاباً مدبراً من البلاط، وما اشبه اليوم بالبارحة حينما قام رئيس أركان الجيش بكر صدقي بالتفاهم مع الملك غازي للتخلص من وزارة ياسين الهاشمي وزج البلد بدوامة الاغتيالات والارهاب الذي قاد بكر للتفكير فيما بعد للانفراد بالسلطة وإزاحة الملك عن الحكم.

وكانت من أول إجراءات نور الدين محمود إصداره الأوامر باعتقال رجال المعارضة وقادة الأحزاب والصحفيين مما أثار لدي المخاوف بأنه قد يقدم على المساس بالسلطات الدستورية وبالعرش الهاشمي والإطاحة به فيما إذا استمر على جبروته هذا محتذياً في ذلك بما حدث في سوريا والتي كانت تتخبط في دوامة الانقلابات العسكرية المتتالية.

دفعني شعوري هذا إلى الاتصال بزملائي من المشايخ في مجلسي النواب والأعيان ومن هم في بغداد وتم لنا الاجتماع في مجلس النواب لتدارس

---

(١) عبد الكريم الأزري، تاريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠ ـ ١٩٥٨المصدر السابق. الجزء الأول، الصفحة ١٩٠ ـ ١٩١

الأوضاع. واتفقنا على عقد مؤتمر يحضره كافة رؤساء العشائر فدعوتهم للحضور بداري في الكرادة الشرقية، في يوم ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر).

عقد الاجتماع الذي حضره الرؤساء من مشايخ الفرات ودجلة والعمارة واستمر ليومين تكلم فيه الحضور مبدين استعدادهم للأخذ على عاتقهم القيام بواجبهم عند الضرورة لحماية الدستور والعرش الهاشمي والرجوع إلى السلطة المدنية لحل الأزمة السياسية القائمة، وقد تم اختيار وفد كنت احدهم لمقابلة الأمير عبد الإله وإبلاغه بقرارات المؤتمر. وعند مقابلته فيما بعد تكلم المندوبون عن رغبتنا جميعاً بالتحلي بالحكمة والتروي وإطلاق سراح المعتقلين وإجراء الانتخابات المباشرة وإلغاء الأحكام العرفية ليتسنى التمهيد لحكومة مدنية لاستلام السلطة وإعادة الجيش إلى معسكراته[١].

ولا بد لي أن أوضح موقفي تجاه العرش الهاشمي في العراق، فإن حرصي على ديمومته وسلامته تنبع من عقيدتي أن سلامة العراق واستقراره مرتبطة بسلامة العرش، وأن ما يقلقني دوماً تبديل النظام وفتح باب الصراع الداخلي على مصراعيه، وبذلك نخسر كل ما تحقق ويقع أبناء العراق ضحية لهذه الانظمة التي تفرض علينا من الخارج وتعتمد بأفكارها على مبادئ لا علاقة لها بديننا وتقاليدنا، أما دور الأمير عبد الإله فإنه سينتهي قانونياً بتولي الملك فيصل للعرش في السنة القادمة ويضمحل تأثيره بتسنم الملك المبادرة القيادية.

---

(١) عبد الكريم الأزري، المصدر السابق، الصفحة ٤٥٦ «قال الامير عبد الإله، لقد تأكد لي الآن أن هؤلاء الشيوخ ـ ومن ورائهم جميع شيوخ العشائر ـ سوف يقاومون هذه اللائحة القانونية ـ لائحة منح اللزمة ـ بكل ما يملكون من قوة، وإني لا أرى أية مصلحة عامة في إغضابهم واستفزازهم في الوضع الحاضر، لأنهم من أهم الركائز التي نعتمد عليها في اسناد الوضع السياسي للبلد والوقوف في وجه التيارات التي تريد أن تعصف بأمنه واستقراره وتزعزع كيانه».
ومما لا شك فيه أن أثر المؤتمر العشائري ودعمه للعرش الذي اصبح واضحاً لدى الأمير من مقابلته لوفد المؤتمر وفي احلك الظروف التي مر بها العراق في حينه دفعته إلى تصريحه هذا الذي فيه كثير من الدلالات.



الفصـــل الثامـــن

عهد الملك فيصل الثاني

١٩٥٣ ــ ١٩٥٨



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ
أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَالٍ ١١﴾

صدق الله العظيم
الرعد - ١١ -



المغفور له الملك فيصل الثاني في آخر زيارة له إلى لندن بتأريخ ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٥٦

الملك فيصل الثاني

في صبيحة يوم ٤ نيسان (ابريل) ١٩٥٣ جرت مراسيم تتويج الملك فيصل الثاني بصورة رسمية في قاعة مجلس النواب بحضور ولي العهد الأمير عبد الإله ورئيس الوزراء والوزراء وأعضاء مجلسي الأعيان والنواب، وقام رئيس مجلس الأعيان السيد محمد الصدر بتحليفه اليمين، لم تكن هذه المراسيم إلا في غاية البساطة والاختصار، فتم كل شيء في وقت قصير وأصبح الملك فيصل الثاني هو القائم على عرش العراق دستورياً.

في تلك الليلة أقيمت حفلة عشاء للوفود الأجنبية وكبار رجال الدولة في حدائق قصر الرحاب وتسنى لي مقابلة الملك منفرداً فقدمت له التهاني بهذه المناسبة كما تبادلت معه أحاديث قصيرة عن ذكريات أيام التأسيس مع جده الملك فيصل الأول وصراعنا المشترك لوضع حد لأطماع وتدخلات الإنكليز في الشؤون العامة للعراق، وجدته مستمعاً جيداً يعي ما يقول، ويتردد بعض الاحيان، وبحذر شديد، خوفاً من زلة لسان أو جواب قد يقود إلى تفسير غير متوقع من قبل الجالسين، في الوقت الذي كنت أنا لوحدي معه وبحضور ضباط الحرس الملكي الخاص ولهذا وجدته خجولاً، حذراً، ميالاً للانطواء الذاتي، ينتظر من الشخص الآخر المبادرة بالكلام وهذا دليل أما على تواضعه أو على انطوائه وخجله.

وفي تلك الليلة أيضاً، كانت أحاديث من قابلوه تتصف بالتنبؤ له بأن يكون ملكاً. . كذا والآخر يتنبأ العكس ويقول إنه سيكون ملكاً من نوع آخر. . كل ما استنتجته، أن الأمير عبد الإله، سيبقى هو المسيطر على البلاط وسياسة الدولة جنباً إلى جنب مع نوري السعيد. وإن تمكن الملك فيصل، من أخذ المبادرة بيده قد يستغرق وقتاً طويلاً يكون خلال ذلك

تابعاً لخاله غير قادر على حسم الأمور.

لقد عهدنا البلاط ومنذ أيامه الأولى، أن يكون المرجع الأعلى للسلطتين الدستورية والتنفيذية، ولم استطع تلك الليلة إقناع نفسي أن هذا الملك الشاب سوف يتغلب على الصعاب المبتلى بها كيان الدولة وما قد يطرأ مستقبلاً ما لم تحدث معجزة في الأيام المقبلة.

ومن ذلك اليوم، ولآخر مرة قابلته فيها قبيل أشهر من مصرعه، التقيت به مرات عديدة في تلك السنوات القصار، وكنت في كل مرة اجده ذاك الرجل الخجول الذي باركت له عند جلوسه على العرش. فعندما زار مدينة الديوانية في جولته العامة في ألوية العراق بعد التتويج، كنت من بين من رحب به في اللواء فذكرت له زيارات جده المتعددة للفرات الأوسط وكم شرفتني زيارته لمحلي في غماس وإني أطمح لو شرفني هو أيضاً بقبول دعوتي تيمناً بمقدمه إلى ديارنا وأسوة بجده. فما كان منه إلا وأن التفت صوب خاله يطلب العون لجواب على دعوتي في الوقت الذي كان الأمير مشغولاً بالحديث مع قائد الفرقة الأولى في الديوانية ولم يعر التفاتته المستنجدة أي اهتمام.

السيد محسن أبو طبيخ في حضرة الملك فيصل الثاني في احتفالات تتويجه ليلة ٥/٤ نيسان ١٩٥٣ بقصر الرحاب ببغداد

حزب الاتحاد الدستوري

كان الصراع على الكراسي الوزارية منذ بداية الخمسينات على أشده بين نوري السعيد وجماعته وبين الأحزاب المعارضة له ولسياساته. وفي تلك الظروف الصعبة التي كان يمر بها العراق، أصبح عمر الوزارات مرهوناً بما يرغب به الأمير عبد الإله فإن اتفق رأيه مع نوري السعيد سارت الأمور وطال عمر الوزارة أياً كان من يرأسها، وإن اختلف الأمر بينهما سقطت الوزارة.

وهنا يبدأ الصراع بين الكتل الحزبية داخل مجلسي الأعيان والنواب وخارجه وتأخذ المساومات طريقها بين المرشحين للمقاعد الوزارية وبين المتزلفين لطلبها طريقها إلى المجالس العامة والخاصة ليبقى البلد بدون وزارة أياماً إلى أن ينتصر هذا الفريق على ذاك ليباشر عمله في وزارته الجديدة ويباشر خصومه برفع عقيرتهم عن ارتباطاته بهذا وذاك، وعن رشواته ومقاولاته الحكومية وعن ماضيه السابق، والحاضر، ويبدأ البلاط بتدخلاته السافرة التي لا نهاية لها ومهما حاولنا في مجلسي الأعيان والنواب التصدي لها فإن هناك من هو موكل بصدنا وسد الطريق أمامنا.

في مثل هذه الظروف شكل نوري السعيد حزب الاتحاد الدستوري عام ١٩٥١[١] بعد أن شعر أن حزب الأمة الذي يرأسه صالح جبر[٢]، أخذ يستقطب العديد من مناصريه في داخل المجلسين وخارجه. وفي الوقت

---

(١) أسس نوري السعيد حزب الاتحاد الدستوري عام ١٩٤٩ كما أن صالح جبر أسس حزب الأمة الاشتراكي عام ١٩٥١

(٢) صالح جبر ـ ولد عام ١٩٠٠م في الناصرية من عائلة متواضعة ولكنه كان طموحاً، فأقام صلات متينة برجال العشائر في منطقته عندما تخرج من كلية الحقوق بحكم ممارسته لمهنته، وقد انتخب عضواً في عدد من المجالس النيابية ثم عين موظفاً في وزارة الداخلية ثم تدرج فيها فعُين متصرفاً للواء كربلاء، ثم لواء البصرة، تبوأ مناصب وزارية في التعليم والعدلية والداخلية. كان أول شيعي يصبح رئيساً للوزراء في تاريخ العراق السياسي حينما شكل وزارته في اذار (مارس) من عام ١٩٤٧، ولكنه تورط بالتوقيع على معاهدة بورتسموث مما أثار نقمة الجماهير عليه لا سيما بإجراءاته الشديدة (أيام الوثبة) فسقطت وزارته في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨. توفي رحمه الله عام ١٩٥٧ في مجلس الأعيان إثر نوبة قلبية، وهو يلقي كلمة أثناء إحدى مناقشات المجلس.

جريدة اليقظة — يوم الجمعة ٢٥/١٢/١٩٥٢

استقالة السيد محسن ابو طبيخ من حزب الاتحاد الدستوري

ورد للنشر ما يلي :-

فخامة رئيس حزب الاتحاد الدستوري المحترم ... بعد التحية والاحترام

في سنة ٥١ لما شكلتم حزبكم حزب الاتحاد الدستوري. حصل عندي ظن ان تشكيلكم للحزب المذكور لا تقصدون من ورائه هذه المرة غير خدمة البلاد والمصلحة العمومية وانكم سوف تغيرون خطتكم السابقة تغيراً كلياً وبناءً على ذلك الظن انتميت الى حزبكم من تلقاء نفسي ولكي ابرهن اني لم اتردد عن التعاون مع من كنت مختلفاً معه في المبدأ ومع من نالني ما نالني منه الاذى والاضرار سابقاً في سبيل المصلحة العامة ...

غير ان ذلك الظن ما برح ان اخذ يتزلزل وتحقق عندي انكم لم تزالون ماضين على سيرتكم الاولى وعلى خطتكم السابقة ... وبعد ان تحقق عندي ذلك فلا يسعني البقاء في حزبكم الآنف ذكره وبناء على هذا فاني اقدم لفخامتكم استقالتي هذه من الحزب وارجو قبولها ... هذا ولكم الاحترام

السيد محسن ابو طبيخ

كتاب استقالة السيد محسن أبو طبيخ من حزب الاتحاد الدستوري

الذي أعتقد أن هذا الأمر لا يخيف نوري السعيد، لأنه أن كان على رأس الوزارة أو خارجها، فهو ينفذ ما يريده سواء آزره صحبه أم عارضوه، إلا أنه وجد من الصعوبة التخاطب مع عبد الإله بدون أن تكون له كتلة في المجلسين تعمل كسندٍ لسياساته ومانعٍ لطموح المعارضة.

استقطب صالح جبر لحزبه معظم مشايخ دجلة والفرات والبعض من مشايخ الأكراد في الوقت الذي وجد العديد من الشباب من ذوي العائلات المعروفة في البصرة والحلة والموصل حزب نوري السعيد العربة التي قد توصلهم إلى المناصب بأسرع وقت. وبعد حين أصبحوا عبئاً عليه بسبب التنافس فيما بينهم.

كل هذا كان يجري والبلد تتقاذفه الأزمات وتعصف بشعبه الضائقة الاقتصادية الخانقة وارتفاع الأسعار للمواد الغذائية.

اتصلت بعدد من الأصدقاء لتدارس ما يمكن عمله حيال الوضع بصورة عامة وللعمل سوياً حتى ولو كان مع نوري السعيد على حل المشاكل قبل أن تستعصي. ثم فكرت ملياً فيما بعد بكافة الاحتمالات فوجدت نفسي أمام قوتين كبيرتين تتناحران على الحكم، نوري السعيد بصورة حزبه وصالح جبر ومن ورائه حزبه الذي اتهم هو وقادته بالطائفية بعد أن أصبح الصراع علنياً بين أفراده وأفراد حزب نوري السعيد مبنياً على مفاهيم طائفية بحتة[1]

---

(١) اسحق نقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيمي، الطبعة الأولى دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٦، الصفحة ٢٣٣ ـ ٢٣٤

«اتخذ الصراع بين نوري السعيد وصالح جبر شكلاً اوضح عندما حاول الأخير توسيع قاعدة سلطته بتأسيس حزبه السياسي في عام ١٩٥١... وسعى إلى استثمار العداء المتزايد بين الشيعة والسنة وطرح حزبه، حزب الأمة الاشتراكي بديلاً عن حزب نوري السعيد حزب الاتحاد الدستوري».

راجع أيضاً الطبعة الإنكليزية

The Shi'is of Iraq, by Yitzhak Nakash 1994 Princeton University Press

ـ راجع كلمة السيد محسن أبو طبيخ في مجلس الأعيان في محاضر جلسات المجلس، المركز الوطني للوثائق الجلسة الحادية عشرة، الاجتماع العادي.

٢٧ مايس ١٩٥٣ الأربعاء

الموضوع ـ الميزانية العامة ـ

كلمة السيد محسن أبو طبيخ ـ سياسة الري والمشاريع العمرانية في الفرات ـ

وهذا ما اخافه لخطورة عواقبه على البلاد، وهذا ما عارضته أيام وزارة ياسين الهاشمي وما تبعها من بلبلة سياسية كادت تعصف بالتوازن القائم بين الطوائف كافة وليس فقط بين الشيعة والسنة.

وجدت من الاصلح أن أكون عضواً داخل حزب نوري السعيد لأكون قدر الامكان موجهاً ومنتقداً وناصحاً اميناً له ولقيادة حزبه بدلاً من الوقوف متفرجاً على المعركة (الطائفية) التي تحتدم يومياً وفعلاً تم انتمائي إلى حزب الاتحاد الدستوري. بعد أن كانت لي عدة جلسات منفردة ومشتركة مع نوري وعبد الوهاب مرجان، وخليل كنه وآخرين من زعماء حزبه، وجدت تقبلاً كبيراً وترحيباً حاراً بانتسابي للحزب.

وحينما كان نوري السعيد رئيساً للوزراء ثم استقال إثر تردي الوضع السياسي عام ١٩٥٢ واستلام مصطفى العمري لرئاسة الوزراء، أطلعت على حقيقة مهمة في تفكير نوري السعيد، هي انفراديته في القرار، وأن كل من حوله هم ادوات لتنفيذ قراراته، وقد حاولت في الكثير من المناقشات الفردية والجماعية التأثير ولو لفترة وجيزة لتجنب ارتكاب أخطاء أو الاستعجال في الحكم فلم اوفق في مسعاي، ولي عزاء في الأعضاء الشباب في الحزب ممن وجدت العديد منهم متحمساً لبذل كل جهد ممكن للحد من تصرفات نوري وتجنب انفعالاته.

قررت الانسحاب من الحزب وقدمت استقالتي منه بتاريخ ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٣ بعد أن اجتمعت بنوري وخليل كنه أحد قادة الحزب وأبديت له ضرورة تجنب افتعال الأزمات مع حزب الأمة للابتعاد عن التراشق بالاتهامات الطائفية في مثل تلك الظروف الخطرة التي يمر بها العراق.

زيارة لندن

في نهاية عام ١٩٥٤ اعتلت صحتي مما اضطرني إلى ملازمة داري واعتكافي المستمر في الفراش، واستمر تدهور حالتي هذه لأشهر عديدة وقد

عجز الاطباء، على كثرتهم عن وضع حد لآلامي مما جعلني افكر بالسفر إلى إحدى الدول العربية لطلب العلاج، وبعد الاستماع إلى نصيحة الاطباء قررت السفر إلى أوروبا مصحوباً بأبني ادريس[(١)].

توجهت أول الأمر إلى النمسا فوصلت عاصمتها فينا، والتي كانت ما تزال تعاني من وجود جيوش الحلفاء فيها وخاصة الجيش الأحمر (الروسي) الذي يحتفظ بجانب مهم من هذه المدينة التاريخية. وبعد مكوثي في أحد مستشفياتها انتقلت إلى منتجع كوشتاد الجبلي المشهور بحمامات المياه المعدنية ومستشفيات العلاج الطبيعي، ومكثت هناك عدة أسابيع إلى أن من الله عليّ بالشفاء وتمكنت من استعادة عافيتي، وانتقلت فيما بعد إلى باريس ومن ثم إلى مدينة زوريخ في سويسرا حيث يوجد بالقرب من هذه المدينة مصح للعلاج الطبيعي وحمامات المياه المعدنية، فبقيت فيها أياماً معدودة تماثلت فيها للشفاء التام على يد خبراء في أمراض المفاصل.

وقبل عودتي إلى بغداد قمت بالسفر إلى الجزيرة البريطانية وحللت في عاصمتها الفخمة لندن. ومنها حاولت البحث عن بعض الوجوه الإنكليزية التي كانت في العراق، فتمكنت من الحصول على عنوان السير كانهان كورنواليس، الذي كان مستشاراً لوزارة الداخلية من سنة ١٩٢٠ حتى العام ١٩٣٥ ثم عاد إلى العراق بصفته سفيراً فوق العادة لبريطانيا في العراق عام ١٩٤١ واستمر في خدمته كسفير حتى عام ١٩٤٥ .

لم أتمكن من زيارته بسبب سكناه في خارج لندن وقرب موعد مغادرتي فبعثت له ببطاقة معايدة بمناسبة عيد ميلاد سيدنا المسيح (ع) والسنة

---

(١) ادريس السيد محسن أبو طبيخ: الابن الثاني للسيد محسن، ولد في غماس عام ١٩١١ درس في مدرسة الحقوق في عهد عميدها بونهام كارتر (السير)، وعند تخرجه زاول المحاماة ثم عُين بعد ذلك حاكماً متدرجاً في مناصب القضاء متنقلاً بين مدن العراق وألويته حتى تسنم منصب رئيس محاكم الاستئناف للمنطقة الوسطى ومنها انتقل إلى البصرة حيث أسندت إليه رئاسة محاكم الاستئناف للمنطقة الجنوبية، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٨٥ عُين عضواً في محكمة تمييز العراق، ومن بعدها عضواً في محكمة أمن الدولة. أحيل على التقاعد عام ١٩٧٠ وبقي يمارس بعدها مهنة المحاماة إلى أن وافاه الأجل عام ١٩٨٥ في بغداد. تغمده الله برحمته الواسعة.

الجديدة. والطريف في رده على بطاقتي هو أنه كان باللغة العربية ويحتوي على غمزة سياسية بقوله «... أتأمل أن يشارك الفرات ـ الغنى ـ الجديد» ويقصد بهذا أن يأخذ الفرات حصته من مشاريع مجلس الإعمار والتي في نهاية المطاف لم يحصل على أي منها لا في مجال الزراعة ولا الصناعة ولا المواصلات بالرغم من مراجعاتنا المفردة والجماعية لأعيان ونواب الفرات لتوحيد جهودنا لدى الحكومة من أجل الحصول على ما يرفع من مستوى منطقتنا، وعلى الرغم من كلماتي المستمرة في مجلس الأعيان.

٢٠/١٢/ [illegible]

عزيزي السيد محسن

اشكرك على الكارت وتمنياتكم الطيبه

واقدر كثيراً عطفكم في تذكري اياي.

من المسر جداً ان يكون الواحد مذكوراً من قبل

الاصدقاء ناجحه مثلكم.

اومل ان تكون في صحه جيده. كنت ملاحظاً كثيراً

بالخطط التقدم في العراق. اتأمل ان يشارك

الفرات في الغنى الجديد

احر التمنيات لسنه ١٩٥٢ للسعاده

والمستقبل الجيد.

المخلص

كان عنوان الكارت عنوان البيت القديم ولكن اسلمت [illegible]

كتاب السير كورنواليس إلى السيد محسن أبو طبيخ

وبعد أن أعياني المرض، شعرت أن حتى مشاريع مجلس الإعمار هذه قد تم تخطيطها في لندن وأن استبعاد الفرات منها لم يكن صدفة أو إهمالاً

من أي طرف في بغداد. فما يردنا من ثروتنا النفطية أخذنا بصرفه على مشاريع عقيمة لا علاقة لها بإمكانيات البلد لتوفير اليد العاملة الفنية التي تقوم بتشغيلها ولا بالمواد الأولية التي يجب استيرادها لتصنيعها وتجاهلنا المشاريع الأساسية.

تطوير مدينة غماس

كانت الإدارة العثمانية لا تهتم بالقسم الجنوبي من العراق لسببين هما اولاً لأن سكان المنطقة هم من الشيعة والثاني لأن غالبيتهم من العشائر التي ما برحت تناحر السلطة العثمانية حينما ترسل برجالها لجمع الضرائب، وعندما كنا نذهب إلى بغداد لمراجعة الدوائر لم يكن ذلك لأمورنا الشخصية، بل كانت مراجعاتنا فيما يتعلق بمشاكل المنطقة في حالة تفشي الأمراض والأوبئة أو لتفادي الفيضانات أو غرق المزروعات وغزو الجراد، وكنا نقابل، أن حظينا بالمقابلة، بكل تعالٍ وغطرسة، ودوماً وأبداً تهمل طلباتنا وعرائضنا، فنعود أدراجنا لنحل مشاكلنا فيما بيننا بجهودنا المجتمعة، ودائماً تكون الخسارة كبيرة في الأنفس والمال.

وفي عام ١٩١٩ عين الإنكليز في الشامية ـ أم البعرور سابقاً ـ حاكماً سياسياً يدعى كابتن مان، وهو تحت إدارة الميجر نوربري في النجف الأشرف. وقد ابدى اهتماماً وشغفاً بتاريخ المنطقة وعشائرها وبالذات مدينة غماس التي اسسها والدي السيد حسن، وأثناء تردده على المدينة لغرض ذرعة الأراضي المزروعة لاحتساب الضريبة، كان يعتكف في مضيفي لتناول وجبات طعامه واستراحته، فكنت أبدي له شكواي من الإهمال المزمن ليس للمدينة فقط بل للمنطقة وما بها من سكان هم بحاجة ماسة إلى الخدمات الأولية وقد أبدى اهتماماً بما سمعه مني مما دفعني إلى أن اعرض عليه رغبتي بالمساهمة مالياً ومادياً بأي مشروع في مدينة غماس الغاية منه إعمارها.

ولم يمضِ وقت طويل حتى جاء بالمهندسين الهنود وباشر برسم خريطة

للمدينة، وأخبرني أن أول عمل سيقوم به هو حماية المدينة بإنشاء سدة ترابية حولها لحمايتها من خطر الفيضانات المستمرة، فتبرعت له بمبالغ كبيرة لتنفيذ مشروعه هذا كما جهزت المهندسين العاملين بالحشور (العمّال) اللازمة وذلك كل في منطقته التي يمر منها السد ولم تمضِ مدة وجيزة حتى اكتمل المشروع وأصبحت المدينة في داخل السد الدائري بعيداً عن خطر الفيضان[1]، إضافة إلى ذلك أخبرني الكابتن مان أنه ينوي إقامة إدارة حكومية في المدينة لتقديم الخدمات للسكان بدلاً من ذهابهم إلى النجف أو الشامية لمراجعاتهم الرسمية. فتبرعت بدار في الطرف الغربي من السوق اسس فيها الصراي ومخفر الشرطة من الشبانة. وباتمام الصراي والإدارة فيه حضرت إلى غماس المس بيل خاتون يصحبها الميجر نوربري والكابتن مان فاستضفتهم على الغداء ثم انصرفوا بواسطة مركبتهم البخارية النهرية إلى أم البعرور.

وبعد تأسيس الحكم الوطني دأبت على مراجعة الوزارات ذات العلاقة لتأسيس مركز صحي ومدرسة ابتدائية وطريق يربطها خارجاً. . . وقد تسنى لي التوفيق بمعونة وزير المعارف الشيخ محمد رضا الشبيبي عام ١٩٣٥ بتأسيس مدرسة ابتدائية في غماس يدرس فيها الإناث والذكور سوية وقد منحت أحد الدور العائدة لي قرب الصراي ليكون مقراً دائماً لها. . . وفي عام ١٩٥٠ توفقت بإقناع وزير المعارف الجديد ضياء جعفر أن يصار إلى فتح مدرسة متوسطة في غماس متبرعاً بقطعة الأرض التي سيتم إنشاء البناية

(١) جيمس ساموريز مان، إداري في طور الإعداد (مذكرات الكابتن مان)
راجع نفس المصدرالسابق، صفحة ١٩٥ ـ ١٩٧
An Administrator in the Making, James Saumarez Mann, 1921
«. . أنا أقدر كلفة العمل الحالي الذي ستتحمله العشائر وسكان المدينة وبصورة الحد الأدنى /١١.٣٠٠ ربية أو ما يعادل /١.٢٠٠ باوند انكليزي.
وعليّ أن أشير إذا ما قامت الحكومة أو مقاول بكلفة المشروع بأكمله فسوف لا يقل عن ٢٠,٠٠٠ ألف روبيه وبالتأكيد أكثر من هذا، لذا فإن دور الأهالي هو الأحسن.
مقتطف من رسالته إلى والدته المؤرخة في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠، الصفحة ٩٦ في ملحق الفصل الثالث من هذا الكتاب.

عليها.. وفي العام ١٩٤٨ استطعت الحصول على تنفيذ قرار سابق بفتح مستوصف في المدينة وتم عام ١٩٤٩ إيفاد موظف صحي دائم إلى غماس.

ولم تقتصر جهودي على داخل المدينة فقد تكلل مسعاي الدائم والمتواصل بإقناع مديرية الري والأخرى وزارة الداخلية بربط الناحية بطريق الديوانية العام وقد تم تشييد الجسور والمعابر على مراحل، وبالرغم من أنها كانت وقتية، يجرفها الفيضان في كل موسم إلا أنها استمرت بخدمة أهل المنطقة في ساعات الحاجة واوصلت السكان والمنتوج الزراعي إلى المدن المجاورة... بقيت الكهرباء والماء كمشروعين أساسيين لم ينفذا لا في غماس فحسب، بل في معظم نواحي وقرى الفرات الأوسط حتى اواسط الخمسينات، إلى جانب مشاريع الري والبزل التي بإنجازها استتب السلام والطمأنينة بين العشائر بتساوي الحقوق المائية وبذلك تم تفادي الازمات الدموية التي كانت تحدث أيام شحة المياه في سنوات انخفاض منسوب النهر.

هذا وكان الدكتور فاضل الجمالي عندما زرته مهنئاً بمناسبة تشكيله لوزارته الثانية في شهر شباط (فبراير) من عام ١٩٥٤ قد وعدني خيراً حينما ذكّرته بخطته السابقة بإنشاء مستشفى في غماس وتبليط الطريق الذي يربطها بالديوانية والنجف واضاف أنه مهتم بالأمر وسوف تدرج الناحية في جدول المشاريع الريفية المناطة بمجلس الإعمار وأن جلالة الملك فيصل الثاني مهتم شخصياً بمشاريع إعمار الريف. وفي تلك السنة وبعد سقوط وزارة الجمالي بوشر بتأسيس أول مستشفى صغير في الناحية وتم تعبيد الطريق العام على مراحل، انتهت في عام ١٩٥٦.

وفي عام ١٩٤٩، انشأت معملاً لتعليب التمور في غماس بتغليفها وكبسها في صناديق خشبية وفق مواصفات عالية لغرض تصديرها - وخصوصاً زهدي الفرات - إلى أوروبا وبذلك يتسنى إعداد يد عاملة فنية في هذا القطاع الزراعي ومنافسة الشركات الأجنبية مثل شركة اندروير الإنكليزية التي تحتكر تصدير تمور الفرات إلى العالم... وبمشاركتي في

مجهود تأسيس جمعية مصدري تمور المنطقة الوسطى، استطعنا الحد من احتكار الشركات الإنكليزية لأسواقنا في الخارج.

بوادر الانهيار

في أحد أيام الجمعة من حزيران ١٩٥٨، زارني ظهراً وعلى غير عادته ابني مشكور[١] وكان في ذلك الوقت متصرف لواء الكوت، جاء بطلب من وزير الداخلية ونظراً لأهمية عمله فكان يتردد قليلاً على بغداد. وقبيل مغادرته قال لي وهو يودعني «بودي أن ابوح لك بسر أرجو أن لا تبوح به لأحد. . . إن الجيش على اهبة القيام بانقلاب عسكري للاطاحة بالحكومة، وربما بالنظام الملكي، وسينتج عن ذلك تغيرات كبيرة في العراق». فسألته «وما هو مصير العائلة المالكة». قال «سيتم تسليمهم إلى الأردن بعد أن يتم التأكد بعدم تدخلها في الانقلاب». فقلت و«عبد الإله» قال «هذا الأمر بيد قادة الحركة ولا أعرف عنه تفصيلاً، وربما يحاسب مع رجال الحكم ممن سيلقى القبض عليهم». وبعد أيام جمعني مجلس العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني في داره بالعيواضية، بوزير الدفاع الأسبق طه الهاشمي شقيق المرحوم ياسين الهاشمي، وفهمت منه أن اشاعة الانقلاب التي تدور في المجالس حقيقة واقعة لا مفر منها، وانه سمع من أحد اصدقائه من أن نوري السعيد سوف يغادر إلى تركيا في مهمة رسمية وعندما أخبره احدهم ما يدور في المجالس عن احتمال تجمع الضباط الأحرار بالقيام بانقلاب أثناء غيابه كان جوابه «كلهم بجيبي».

كانت البلاد تمر بعزلة عربية مقلقة بسبب انتماء العراق إلى حلف

(١) مشكور السيد محسن أبو طبيخ، الابن الثالث للسيد محسن، درس الحقوق وتخرج منها عام ١٩٣٥، تدرج في الوظائف الإدارية لوزارة الداخلية حتى وصل إلى درجة المتصرف فعين متصرفاً لألوية الناصرية والعمارة وكربلاء ثم لواء الكوت وبعد ثورة ١٩٥٨ تولى منصب رئيس هيئة التفتيش الإداري ثم عين رئيساً لمجلس الخدمة العامة إلى أن أحيل على التقاعد عام ١٩٧٣، انعم عليه الملك فيصل الثاني بوسام الرافدين من الدرجة الرابعة كما منحه ملك الافغان ظاهر شاه وسام الشرف الافغاني. وتقديراً لخدماته الرفيعة، فقد اودعت بعد وفاته (رحمه الله) عام ١٩٩٧ اضبارته الشخصية في المركز الوطني لحفظ الوثائق.

بغداد، وتطور الوضع إلى الأسوأ عندما أعلن عن الوحدة بين مصر وسوريا مطلع العام ١٩٥٨ مما تسبب ليس في عزلة العراق عن البلاد العربية فحسب، بل في توتر الوضع الداخلي وخاصة في الأوساط الجامعية والكليات واستقطبت المعارضة بإصدارها البيانات المتتالية حول ذاك الخبر وتلك الحادثة وكلها تصب في ابتعاد العراق عن خط الأمة العربية وما يصبو الجيل الجديد إليه من وحدة بين أقطار العروبة. ووسط هذا الوضع المشبع بالمناورات شعر البلاط ورجاله بالخطر ولم يكن شعورهم إلا حقيقة مرعبة أسبغت جواً من الترقب والخوف مما قد يحدث. . . وبدافع هذه المخاوف أخذ المسؤولون بفكرة الخروج من هذا المأزق بفتح باب التفاوض مع الحكومة الأردنية من أجل تكوين اتحاد يجمع بين العرشين الهاشميين في كل من بغداد وعمان ويكون ملبياً للأماني القومية ونداً قوياً للمشروع السوري المصري.

جاء بيان الحكومة العراقية في ١٤ شباط (فبراير) من سنة ١٩٥٨ بإعلان الاتحاد بين المملكة العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية، وسمي بالاتحاد العربي رداً على محاولات المعارضة النيل من توجهات الحكومة العراقية نحو الغرب وعزل العراق عن الأمة العربية.

لم يكن إعلان الاتحاد الهاشمي بحل لعزلة العراق الخارجية، كما أنها زادت من تكتلات المعارضة في الداخل إضافة إلى فتحها لباب المنافسة على المناصب الاتحادية وخاصة تلك التي فيها منفعة شخصية. ولم يخف الكثيرون من ذوي المناصب الحساسة الدخول في نقد ذاك الشخص أو آخر لأنه نافسه على ذلك المنصب أو أنه يتوسط لزميله ليكون سفيراً أو وزيراً اتحادياً. . . وبهذه التصرفات والمزايدات العلنية على الكراسي والمنافع خُلق جو العزلة بين الحكومة واتحادها وبين الشعب الذي أخذ أفراده يتساءلون ما سيجنيه العراق من كل هذه المشاريع السياسية وهل نحن بحاجة لها، ابتداءً من حلف بغداد ووصولاً للدخول في خضم صراع آخر من أجل تثبيت نظام جديد يرفضه جيراننا العرب ممن تربطنا بهم أواصر جوار أساسية لا تتحمل الإخلال بها، كما أن جارتنا الشرقية إيران أخذت ترقب الأمر عن كثب وفيما إذا كان مثل هذا الاتحاد فيه أي تأثير على مكاسبها

التي حصلت عليها في شط العرب وعلى طول الحدود من كردستان إلى البصرة.

كل هذا والبلاط في شغل شاغل عن هذه التيارات التي قد تعصف بالبلاد، فالملك فيصل الثاني يفتقد الحزم والحسم واتخاذ القرار والقيادة في هذه المواضيع الشديدة الخطورة هي بيد الأمير عبد الإله، هذا الرجل الذي تغلب عليه العاطفية في تعامله الرسمي والشخصي وتنقصه الحنكة السياسية في المراوغة واغتنام الفرص، وهنا يأتي دور السياسي المخضرم نوري السعيد، إلا أنه وفي هذه الفترة بالذات أخذ اختلاف وجهات النظر بينه وبين الأمير يتصدر أعمال الدولة ويشل حركتها، فتبديل الوجوه التي تجلس على كرسي رئاسة الوزراء ليس لها ذات الفاعلية طالما أن الأمير ونوري السعيد ليسا متفقين.

وهكذا استمر الحال بالرغم من توجهات الأحزاب المعارضة بتوجيه النصح في داخل مجلسي الأمة وخارجه. إلى أن أراد الله لهذا البلد أن يشهد إراقة الدماء من جديد وللأبرياء أكثر منهم للمذنبين فحدث ما حدث صبيحة يوم ١٤ تموز من عام ١٩٥٨ .

وشاءت الاقدار أن تستمر المأساة لسنوات بعد ذلك واشد ما يحز في نفسي أن أشاهد بعد هذا العمر الطويل انهيار البنيان الذي شيده أبناء هذا البلد بدمائهم وعرق جبينهم. ليتقاتلوا فيما بينهم وقد نسوا ما ضحى به الرعيل الأول من جهد في سبيل ايصال دولتهم إلى هذه المرحلة من التقدم الذي تحسدنا عليه باقي الدول، أصدقاء وإعداء. إن تدمير صرح الحضارات في التاريخ لم يستغرق إلا أياماً، ولكن بناءها قد يتطلب أجيالاً، وهذا ما حدث وما سيحدث للعراق.



مقتطفات من
كلماته في مجلس الأعيان



من خطاب له في مجلس الأعيان
بتاريخ ٢٧ أيار/مايس ١٩٥٣

«سادتي يجب أن نتساءل عن الأسباب التي جعلت الحكومة لا تبدأ (ولن تبدأ) بأي مشروع في الفرات، هل هو فقر خزانة الدولة الذي كانت تتذرع به سابقاً؟ الجواب كلا، وذلك من بعد ما جاءتها هذه الواردات العظيمة فلا يمكنها أن تدعي بفقر الخزينة، أو هل أنها أمور سياسية مقصودة؟ وهذا هو الصحيح والواقع، سادتي توجد في البلاد سياسات مختلفة الاشكال والألوان، منها سياسة تخريب الأراضي العامرة، وسياسة التفقير، وسياسة الاسراف والتبذير في أموال الدولة، وسياسة الطائفية، كما توجد إلى جانب المشاريع العمرانية مشاريع سياسية ومشاريع خيالية. . .»

من خطاب له في مجلس الأعيان
بتاريخ ٩ كانون الأول (يناير) ١٩٥٦
حول حلف بغداد

«. . . سادتي، أن الميثاق المذكور جاء حسبما أعتقد سابقاً لأوانه، والدليل على ذلك أنه لم يحقق الثمار المتوخاة منه، وكان المرجو من عقده أن يكون جامعاً لكلمة أقطار الشرق الأوسط ولكنه انعكست آيته وشطر إلى شطرين متنافرين. . . وبهذه المناسبة أود أن اسأل فخامة رئيس الوزراء (نوري السعيد) ما هو موقف العراق من الشعوب العربية عموماً والجامعة العربية خصوصاً بعد أن أصبح في عزلة من العالم العربي وهل أنه نفض يديه منها واستعاض عنها بحلفه المنفرد مع العالم الغربي؟. . .»

عن خطاب ألقاه السيد محسن في مجلس الأعيان بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٥٦ يصف فيه الإهمال والتميز في سياسة الإعمار العراقية:

«. . . أما المشاريع التي عُملت في الفرات فقد سميت (مشاريع سياسية) القصد منها تفقير الناس، فهذا مشروع الرميثة وهذا مشروع غماس على سبيل المثال. لقد مضى على مشروع الرميثة أكثر من عشر سنوات وكانت النتيجة أن طمر الشط وماتت أكثرية الأراضي وكلما سألنا المسؤولين أجابونا: أما تعلم بأنه مشروع سياسي - أما مشروع غماس أي بزايز شط الشامية فمنذ سنة ١٩٢٥ إلى اليوم لم ينتج عنه شيء وإذا لم يصدقني أحد فليتفضل فخامة رئيس الوزراء (جميل المدفعي) أو أحد الوزراء ويذهب معي حتى ينظر بعينه إلى الفقر السائد هناك بين أهلها وهم بحالة يرثى لها وينظر إلى النساء والاطفال والاكواخ التي يعيشون فيها ويتقون بها برد الشتاء وحر الصيف وينظر إلى المساكن التي انهدمت على أهلها. . .»

الزيارة الأخيرة للملك[١]

في أواخر صيف عام ١٩٥٧قام المرحوم السيد محسن أبو طبيخ بزيارة إلى البلاط للاجتماع بالملك فيصل الثاني بناءً على موعد مسبق وعند اجتماعه بالملك جاهره في سياق الحديث بصراحة في قضايا الساعة ودور خاله ولي العهد الأمير عبد الإله فيها فقال موجهاً كلامه للملك «سيدنا، خالك راح يحرق البلد ويحرق نفسه ويحرقكم ويحرقنا معه. .» وعند هذا الحديث قام الملك فيصل مشعراً بانتهاء الزيارة، فزاد في تأثر السيد محسن وخرج بعد أن قال له تحسين قدري «لازم نطلع».

وعند عودته إلى المنزل تحدث بهذا الحديث إلى أهله بأنه كلم الملك

---

(١) وجدت الخبر هذا في قصاصة من اوراق السيد جواد هبة الدين الحسيني، مع مذكرات السيد محسن التي كان يحتفظ لي بها مع الكثير من مخلفات والدي. . .
كما علمت من أخي المرحوم مشكور أن الموضوع الذي قاد إلى ما ذكره السيد محسن عن الامير عبد الإله هو طموح عبد الإله بتولي عرش سوريا فيما اذا تسنى له ذلك عن طريق الضباط الموالين له في الجيش السوري واستمرار الأمير بتمويلهم من خزانة الدولة لتحقيق ما يصبو إليه ولوجود عناصر معارضه داخل الجيش السوري لفكرة الاتحاد مع العراق فقد حذر السيد محسن من كان يصادفه من ذوي المناصب العالية من مغبة زج العراق في صراع قد ينجم عنه مخاطر تؤدي بسلامته وأمنه.

بهذا الأسلوب، فأشاروا عليه بوجوب الاعتذار من الملك فأبىٰ. وفي مساء ذلك اليوم خابر تحسين قدري السيد في منزله طالباً زيارته فقال له: أنت مرسل أم ترغب الزيارة؟ قال: لا، أنا مرسل.

وصار معلوماً أنه مرسل من عبد الإله ونوري السعيد.

وقد حضر تحسين مساءً إلى المنزل وقابل السيد محسن وجرى بينهما حديث طويل، رفض السيد محسن فكرة الاعتذار بشدة وقال: «هذا رأيي في عبد الإله»، وقاطع البلاط إلى يوم ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.



الفصـــل التاســـع

انهيار الحكم الملكي

١٩٥٨ ـــ ١٩٦١



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا
رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا
ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

صدق الله العظيم
النحل - ١١٢ -



١٤ تمـــوز ١٩٥٨

في صبيحة يوم قائض من تموز صحوت على صوت إطلاق النار في بغداد، وفي ساعتها ورد إلى فكري ما أخبرني به مشكور في زيارته الأخيرة عن احتمالات قيام الجيش بانقلاب ضد الحكومة وأن ما يجري الآن هو عبارة عن تراشق بالنيران بين الانقلابيين وبعض الثكنات العسكرية المتناثرة في أطراف بغداد، وأن الأمر لا بد وأن يستتب بعد قليل، وما أن طلع النهار وساد على المدينة السكون حتى أعلن رسمياً من الراديو عن مقتل العائلة المالكة، وفي الحقيقة أن أحد الضباط كان مكلفاً بهذه المهمة، فقام، باغتيال جميع أفراد العائلة، الملك فيصل الثاني والأمير عبد الإله ووالدته واخته، للتخلص منهم على وجه السرعة والقضاء على أي احتمالات لتدخل الأردن ـ كدولة شريكة في الاتحاد الهاشمي ـ إضافة إلى علاقة القربى التي تربط العائلتين الهاشميتين في بغداد وعمان التي قد تدعو الملك حسيناً للقيام بعمل ما.

وأخذت الأيام تمر بطيئة مثقلة بأعمال العنف المنظّم، فلم يخطر ببالي أن الجيش قد يفسح المجال للقيام بهذه الأعمال المحزنة، كان يتبادر إلى ذهني أن الانقلابيين سوف يلجؤون إلى أسلوب سلمي أسوة بما جرى في مصر وأن من له علاقة بالفساد ستناله يد العدالة بعيداً عن القتل والسحل واغتيال النساء.

أعلن عن تشكيل الحكومة ـ الثورية ـ فوجدت فيها حصة الأسد لما يسمى حديثاً باليساريين والشيوعيين وأصحاب الفكر الاشتراكي، وبهذه التشكيلة فتحت الثورة على نفسها باباً سوف لن يمكنها إغلاقه، باب الحزازات الفكرية والعقائد الوافدة المستعارة التي تجعل الفشل ينتظر ويترصد

أي عمل يمكن أن يُنجز. وبمرور الأيام سيدب الخلاف الفكري فيما بينهم ويقوم قادة الحركة العسكريين بتبديل الوجوه بأخرى وعلى شاكلتها، وبذلك سيمضي الوقت، تعم الفوضى فيه في كافة دوائر الدولة وتسقط هيبة الحكومة مما سيقود البعض منهم إلى تحدي السلطة في محاولة اغتنام الفرص للهيمنة على الوضع وإعلان حكم جديد أشبه بالتسميات الجديدة للكيانات السياسية في أوروبا الشرقية.

وفي بلد مثل العراق، ليس بقادر على التحكم في كل ما يتعلق بمصيره، ولا ابناؤه يمكنهم السيطرة على مستقبلهم أمام الهيمنة الخارجية التي تفرض عليهم بنظريات اقتصادية واجتماعية ابتدعها فلاسفة الغرب الملحدون مما يتعارض مع سمو تقاليدنا وتراثنا وديننا، لا سيما إذا ما حاول أي طرف فرض نفسه مما قد ينجم عنه صدام مسلح وعنف جديد والمبتلى بعد كل هذا هو الشعب العراقي.

لقد مررنا بتجارب ثمينة كان يكفي أن تعطينا دروساً بليغة، فهذه تجربة أول انقلاب عسكري حصل في العراق عام ١٩٣٧، الذي قام به بكر صدقي مر علينا وكاد أن يطيح بكيان العراق كدولة، وعندما خرجنا من التجربة نسينا ما حدث، ولم تمض أربع سنوات حتى دخلنا مع الإنكليز في العام ١٩٤١ بحرب اعادت العراق إلى ما قبل أيام ثورة العشرين في الهيمنة الإنكليزية، ولكن دروس وعبر تلك التجربة أصبحت في طي النسيان، ولم نتعلم من عضات التاريخ.

وها نحن نقع في ورطة من نوع آخر بالغة الخطورة، ففيها تم القضاء على نظام دستوري بأكمله ومن قضى عليه ليس مهتماً في الوقت الحاضر بالبديل الأصلح والأحسن، انما الهدف الأول والأخير في الوقت الحاضر هو الهيمنة التامة على مقدّرات الدولة بأكملها بعد أن ألغى سلطاتها الدستورية والتنفيذية والتشريعية، لينصب كياناً دكتاتورياً باسم الشعب. وسيأتي يوم تترحم الأجيال القادمة في العراق على نظام الحكم الوطني مهما كانت سلبياته، ولكن كنا على الاقل نسير على الطريق الصحيح وكافة المؤسسات الدستورية لها صوتها وكيانها، تعلّمنا من اخطائنا وصححنا خطايانا ولم يكن أمامنا إلا سنوات قليلة ليستلم الجيل الجديد هذه الأمانة

ويرعاها بأساليبه العلمية العادلة.

واني بهذا استذكر قول أمير المؤمنين الامام علي ابن أبي طالب في وصيته لولديه الامامين الحسن والحسين عليهم السلام جميعاً (... والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يُستجابُ لكم)[1].

الإصلاح الزراعي

وبعد مرور تلك الأيام العصيبة على العراق من قيام الثورة والبيانات الرسمية لا ينقطع صدورها. وفي اليوم الأخير من شهر أيلول ١٩٥٨صدر قانون الإصلاح الزراعي ـ الذي كثر الكلام عنه ـ قبيل الثورة وبعدها، وكان ما احتواه القانون قد تكهن به الجميع.

أذاع بيان صدور القانون عبد الكريم قاسم ثم تلاه عبد السلام عارف ليعلن نصوص القانون. هذه بادرة نادرة في تاريخ الثورة، ولها دلالة واحدة لا أكثر وهي المزايدة السياسية على حساب قوة الشعب من خلال المصدر الوحيد الذي هو حقاً بيده وهي الزراعة. هذا القانون يمس المبدأ والأصل للرفاه الاجتماعي والاقتصادي للعراق، وأي حكومة تمتلك القدرة على الاتيان بقوانين لتحسين المستوى الزراعي سوف يكون المستفيد في آخر المطاف هو الفرد العراقي وعلى كافة مستوياته المعاشية وبكافة طبقاته الاجتماعية. والعكس صحيح، فإن أي مساس قد يخل بقدرة الإنتاج الزراعي ـ مهما كان تأخر الزراعة ـ سوف تنعكس بصورة آنية على كافة أبناء الشعب وعلى كل المستويات وبالتالي على الحكومة التي ستتحمل تبعيات الازمة ومضاعفاتها.

---

(١) في مقابلة مع الدكتور محمود الهاشمي في لندن بتاريخ ٢٩ أيلول ١٩٩٩ قال: كان السيد محسن أبو طبيخ يراجعه في عيادته بالباب الشرقي وتربطه علاقة صداقة قديمة معه، وبعيد الانقلاب راجعه ودار الحديث عن الوضع بعد الثورة ومصير البلاد وفيما إذا كان السبب في كل هذا هو نوري السعيد أو عبد الإله، فرد السيد محسن بالبيت التالي:

دَعيتُ على عمرٍ فلمّا افتقدتهُ　　بُليتُ بأقوامٍ بكيتُ على عَمرِ

وإذا أمعنا النظر في قانون الإصلاح الزراعي والأمر لا يحتاج لكثير من البحث، نجده قانوناً صيغ لأغراض سياسية للوصول إلى مكاسب آنية ضيقة، ولّدتها متطلبات الساعة، هدفه الأول كسب الفلاحين من أفراد العشائر وتحطيم العلاقة التقليدية بين الشيوخ وأفراد عشيرتهم، وهذا ما حاوله الأتراك في العهد المتأخر من احتلالهم للعراق، كما أن الإنكليز أبان الاحتلال وبعد ثورة العشرين استخدموا شتى الأساليب التعجيزية بهذا الصدد.

وبإغراء الفلاح واستدراجه إلى نبذ ارتباطه العشائري، شل من قدرة الشيوخ على التحرك سياسياً ضد الثورة. والدلالة السياسية الأخرىٰ لهذا القانون كانت في انفراد قرارات الاستيلاء على ملاكي جنوب العراق، وتحديداً الفرات الأوسط، فقد عينت حكومة الثورة أحد أبناء المنطقة، مديراً للاستيلاء، لتطبيق نصوص القانون وبذلك يجني على نفسه من يدعي أن الثورة قد ظلمت عشائر الفرات طالما أن أحد ابنائهم ومن ملتهم قام بالتنفيذ وبالتالي ألغي أي تصور طائفي أو عشائري أو جغرافي في تفكير الثورة ضد ملاّكي وعشائر الفرات خاصة والجنوب عامة.

في الوقت الذي لا أود أن ادخل في مناقشة نصوص القانون أو إعطاء البدائل فضروري أن أوضح أنه كان يجب على قادة الثورة أخذ كل الخبرات المتوفرة في الاوساط العالمية المتخصصة بنظر الاعتبار قبل الإسراع إلى سنّه، محتذية بقوانين دول أخرى سارت على طريق ـ الإصلاح الزراعي ـ ولكن لها بنيتها الاجتماعية وتكوينها الاقتصادي الذي هو مغاير تماماً للكيان العراقي.

لقد عشت وكرجل مزارع في أرض أجدادي أزرعها منذ أن كانت أهواراً وقد تم استصلاحها على يد ثلاثة اجيال، كما أن القسم الآخر من مزارعي وهو الغالبية، كانت جزءاً من الصحراء، لا ينبت فيها غير الأشواك والأثل، وعلى أمد خمسين عاماً، استصلحت هذه الصحراء وشققت الجداول وشبكات الري وأخذ إنتاجها يُصدر إلى الخارج، بعد سد احتياج السوق المحلي.

ان الفلاح الذي ستمنحه الدولة سند التمليك فقط، لا يملك من مقومات الإنتاج الزراعي إلا يده، فالمال ينقصه، والإدارة، والعلم الحديث واهم من كل شيء الشعور بالمسؤولية، وفي حالة عدم توفر هذه المقوّمات، التي لم يشر القانون إلى توفيرها، فإن الفلاح وفي أحسن الأحوال، سيترك الأرض إلى المدينة طلباً للرزق، وسيصبح عاله اجتماعية على مؤسساتها وستبذل الدولة الملايين من الواردات الوطنية، لإعادة استصلاح الأراضي التي اهملتها لغرض ارجاع الفلاح إلى قريته ذلك إذا ما اهتمت الدولة بأمره كمواطن، والا سيصبح من اللاجئين إلى المدن يتحين الفرص لاصطياد الرزق وتعود المؤسسات الاجتماعية لتجد لها قانوناً جديداً لإعالته كمواطن عاطل عن العمل[1].

محكمة الشعب... المهداوي... الثورة...

لم يدر بخلدي أن الانحلال أخذ دوره سريعاً في الكيان الثوري الجديد، وأخطر مكان بدأ منه هو السلطة القضائية التي كانت لها مكانتها وهيبتها في العهد الملكي، وإذا بنا نواجه ذلك التدهور في كيان القضاء بتشكيل ما يسمى بمحكمة الشعب، أو محكمة المهداوي تيمناً باسم رئيسها «المهداوي» الذي قاد محاكمة رجال العهد الملكي، كبارهم وصغارهم، بأسلوب بعيد عن العدل واحترام القضاء، ليس للمتهم طريق للدفاع عن نفسه إلا بما تريد سماعه ما يسمى هيأة المحكمة، وسقط الحق وسطع الباطل مؤذناً ببداية النهاية لحكم عبد الكريم قاسم الذي قاده تخبطه إلى تأييد أحكام المهداوي وأعماله وتصريحاته مما ينبئ بنهايته وانهيار حكمه،

(١) إسماعيل العارف، أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية العراقية، لندن ١٩٨٦ الصفحة ٢١٦ يتكلم الكاتب عن الاصلاح الزراعي فيقول: «وتضمن القانون ثلاث مراحل لتطبيق الاصلاح الزراعي وهي: الاستيلاء والتوزيع والإدارة المؤقته... أما المرحلة الثانية ـ التوزيع ـ فهي الأكثر تعقيداً... وبعدم وجود الاستعداد الفني قبل وأثناء تنفيذ القانون تعثر تطبيقه بعض الوقت فاضطرب الانتاج الزراعي خلال السنتين الاولين من الثورة».
يتجاهل اسماعيل العارف الحقيقة من أن الاصلاح الزراعي فشل في التنفيذ وكان سبباً في جعل العراق يستورد كل المواد الغذائية بما فيها البصل والثوم بعد أن كان مصدراً حتى للتبن ونواة التمر، لا يخفى أن إسماعيل العارف كان أحد الضباط الانقلابيين.

ويا حبذا لو أنه شكل محكمة عسكرية عرفية نظامية في أحد المعسكرات، بعيدة عن الاضواء والتهريج لمعاقبة من اساء من رجال الحكم الملكي بشكل قانوني، ينصف المتهم ويعاقب المقصّر ويعطي كل ذي حق حقه.

استدعيت للحضور أمام هذه المحكمة كشاهد ضد خليل كنه، وقد فات على من استدعاني أن خليل كنه لم يكن عدواً شخصياً لي مهما بلغ اختلاف وجهات النظر السياسية بيننا، وأن انتقادي له وتقصي اخطائه وأعماله لم يكن بدافع شخصي، ولو قام مسؤول آخر بها لواجهته بنفس الطريقة أو لربما أكثر تبعاً لمعرفتي لدوافعه، وبناءً عليه لم اجد المبرر المقنع لسوقي أمام هذه المهزلة القضائية لأكون طرفاً في تقرير مصير رجل لا أحمل تجاهه إلا الاحترام بعد أن عملنا كل في اتجاهه وعلى طريقته لخدمة هذا البلد.

ولسوف يُدين التاريخ عبد الكريم قاسم وهذه المحكمة ليس في أسلوبها وإدارة عملها فقط بل في افتراء التهم وإرهاب الشهود لإدانة المتهمين، كل هذا والقرار والحكم على من يراد النيل منه قد اتخذ مسبقاً.

الورقـة الأخيـرة

العام ١٩٥٩

دفتر مذكراته ـ مذكرة الجيب:

كنت راجعاً من عيادة الدكتور إبراهيم الدهان عصراً، توقف المرور في ساحة الملك فيصل قرب محلات حافظ القاضي، مر عدد من الشباب بالقرب من السيارة، وصاح أحدهم هذا إقطاعي، هذا واحد منهم... أدخل أحدهم رأسه داخل السيارة وخاطبني بصلف ـ «هاي بعدكم طيبين، عبّالنا خلصّتنا الثورة منكم» ـ حز في نفسي جهل هذا الرجل بتاريخ أمته وقادتها. فالثورات في دول العالم المتحضر تكرّم زعماءها حتى الميتين منهم

والعكس يجري في العراق ولا عتب على جهل الجيل الجديد بتاريخ وطنه وكأن قول الشاعر أبو العباس عبد الله (ابن المعتز) هو خير ما يوصف به هذا الفتى.

وحَـلاوةُ الـدُّنـيا لجـاهِـلِـهـا ومـرارةُ الـدّنـيا لِمـنْ عـقـلا

من خطاب له في مجلس الأعيان بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٥٦ عن الشيوعيـة

«... نود أن نسأل عن الأسباب التي تكونت منها الشيوعية العراقية؟ ثم نسأل بأية وسيلة سنكافح الشيوعية العراقية؟ سادتي، أعتقد أن الشيوعية العراقية خلقتها سياستان، سياسة الإثراء لطبقة معينة وسياسة التفقير لأكثرية الشعب العراقي. سادتي، لقد مَنَّ الله على الشعب العراقي بهذه الثروة الوافرة وكنا نأمل من المسؤولين مع علمهم بالفقر السائد في الشعب العراقي أن يتوجهوا أولاً إلى المشاريع الخفيفة المنتجة السريعة الإنتاج... أما المشاريع التي عُملت في الفرات فقد سُميت (مشاريع سياسية) وكان القصد منها تفقير الناس...»



الفصــل العاشــر

نهاية المطاف ـ خمسون عاماً من الجهاد

١٩٦١



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

صدق الله العظيم

آل عمران ـ ٢٦ ـ



نهايـــة المطـــاف
خمسون عاماً من الجهاد

هذه مذكرات والدي التي قدمتها للقارئ الكريم ليس تمجيداً له، فالمجد لله وحده، وليس لأجل أن اصوره كبطل وطني، فهو بتواضعه لا يقبل لنفسه مثل هذه النعوت، بعد أن عمل بكل صمت طيلة حياته وفضل أن يترك مذكراته لغيره ليقوم بنشرها بعد مماته لا سيما وأنه فرغ منها قبل أشهر من انتقاله إلى دار الآخرة... لقد وجدت في مادتها معيناً لا ينضب من تاريخ العراق الذي خفي عن صفحاته الكثير من الأحداث التي لم يتطرق إليها بعض من صنعوها أو شاركوا في صنعها بسبب عدم توفر الفرص لهم لتسجيلها في سفر المجد الذي قدموه لوطنهم...

لقد عرفت والدي منذ نعومة أظفاري حينما كنت ملازماً له في حلّه وترحاله، في زياراته الخاصة وفي مراجعاته لدوائر الدولة والكثير منها كانت من أجل غيره وفي تعقب أمورهم وإزالة شكاواهم وإحقاق الحق وإزالة الظلامة عنهم، صاحبته وانا صبيٌ ثم شابٌ إلى مزرعتيه في غماس والعكشة (طابو أبو طبيخ) وفي أشد واحلك أيام الأزمات العشائرية وأسوأ الأجواء في مضائفه وتنقله بين عشائر الفرات وفي معظمها كان يطلب الخير ويسعى للسلام للأطراف المتنازعة سواء كان خلالها وسيطاً أو طرفاً في النزاع.

كان قلبه كبيراً، وصبره عظيماً وتحمّله المتاعب والمصاعب لا حدود له... رافقته في غدواته في العديد منها إلى مجلس الأعيان والبلاط حيث كان يخرج فيما بعد ليخبرني بما دار في غيبوبته.

ومما زاد من تفهمي له وتمرسي في معرفة شخصيته، ملازمتي حضور مجلسه الذي كان يعقده يوم الثلاثاء من كل أسبوع والذي كان يؤمه رجال الدولة والسياسة داخل الحكم وخارجه من خصوم وأصدقاء ومن ادباء ورجال دين من شتى الطوائف والملل... وفي مجلسه هذا، والمجالس التي كان يزورها وأنا بمعيته، خاصة تلك التي يقصدها مساء الخميس بعد تأديته لصلاة المغرب في الحضرة الكاظمية الشريفة، توفر لي الاطلاع على ما كان يدور من أحداث الساعة وأحداث ما مضى.

ومن مجالسه هذه تعرفت على دوره الدؤوب الذي اختاره لنفسه في أي حدث متعالياً ومتسامياً عن المكاسب الشخصية ناكراً لذاته، هدفه الأول والأخير الصالح العام فوق تيارات التسميات العشائرية والانحياز الطائفي والعنصري، وبقي طوال معتركه السياسي مستقيماً في مسيرته ومبدئه، لا يساوم في معتقده ولا ينتهز المواقف المواتية له للصعود إلى أعلى المناصب والمكتسبات فيما لو أراد ذلك، واستمر شأنه هذا إلى آخر أيام حياته.

وإلى جانب تفرغه الشخصي هذا للمصلحة العامة، فقد كان اباً لكافة أفراد اسرته والعشائر الملتفة حوله، فكان يعينهم على حل مشاكلهم المادية ويبذل لهم العطاء ويراجع لهم في دواوين الدولة لحل معضلاتهم.. وما موقفه من مقتل عدد من أتباعه من عشيرة آل زيّاد يوم حاول البعض اغتياله وهو في مضيفه في غماس إلا نموذج في النبل والترفع ونكران الذات، فأقسم أن لا يدفن احداً منهم قبل أن يقتص من الجاني لهؤلاء الابرياء الذين سقطوا بين يديه.. وحينما تقدم (الجاني) بالفصل العشائري المتكون من عدد من النساء ـ كما هو متعارف عليه في تلك الأيام ـ لم يرد وهو في موقف المنتصر أن يذل خصمه فزوج عدداً من تلك النسوة إلى أبناء عمه وبذلك صاهر عدوّه...[1]

وتمر الأيام، وجاء موعد رحيلي عنه في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤

---

(١) أحمد كامل أبو طبيخ، السيد محسن أبو طبيخ، سيرة وتاريخ ـ بغداد ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ الصفحات ٥٩ ـ ٦١

متوجهاً إلى الولايات المتحدة للدراسة في إحدى جامعاتها، وما أن حل بي المقام في كاليفورنيا حتى طالبته بالعودة إلى بغداد، فرد عليَّ «إن أردت العودة فليس لك مكان غير غماس وليس بغداد». وبذلك فرض عليَّ اكمال دراستي وتحصيلي العلمي العالي...

وبعد أن سيطرت الدولة على ممتلكاته الزراعية ـ والتي ليس له غيرها ـ تزايدت ديونه التي كان مثقلاً بها قبيل صدور قانون الإصلاح الزراعي.. إذ أنه كان دائم التطوير لمزارعه فأشترى في تلك السنوات بعض المكائن الزراعية ومعداتها والمضخات المائية وكلها بدفع مؤجل... وفوق كل ذلك لم يتوقف عن تزويدي بالمال لإكمال تحصيلي العالي بعد حصولي على الشهادة الجامعية.

وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ عدت إلى بغداد وكلي تلهف لرؤيته والاستئناس بمجلسه كما كنت سابقاً، إلا أني وجدت فيه غير ذاك الشخص الذي ودّعته قبل سنوات عندما كان يتبادل معي شتى الأحاديث ويسألني عن ابسط أموري الشخصية، وجدته منطوياً على نفسه لا يتكلم وأن كان لم يشك مما أصابه جراء شموله بقوانين الاستيلاء، ولم يتذمر من وضعه المالي المزري أو صحته المعتّلة والأمراض المؤلمة التي انهكته.. في تلك الأيام التحقت بخدمة العلم كضابط احتياط في مقر اللواء التاسع عشر وبذلك حُرمت من مجالسته بسبب اقامتي شبه الدائمة في المعسكر.. وفي إحدى زياراتي الاسبوعية له، وجدته مكتئباً على نفسه على غير عادته، فسألته عما الم به فأجابني بعد أن اطال التفكير.. «يا ولدي أن ما يقلقني هو أن اتعرض إلى الإهانة في هذه الأيام بعد هذا العمر.. أني لم اندم على فقداني لأملاكي فرب العالمين له الملك وحده.. أني ادعوه ليلاً ونهاراً أن يأخذ أمانته مني لأستريح...»

أخذ وضعه المالي بالتردي المستمر إلى جانب تردي صحته، فكتب العديد من العرائض إلى عبد الكريم قاسم ووزيري الإصلاح الزراعي والزراعة مطالباً برفع الحيف عنه لما أصابه جراء الديون الزراعية المترتبة عن الآلات والمكائن التي شملتها قوانين الاستيلاء وصادرتها، مطالباً قيام الدولة بتحملها، غير أن عرائضه لم يتم الرد عليها لا سلباً ولا إيجاباً... وحينما

تباطأ جهاز التعويض عن دفع استحقاقاته من أملاكه المستولى عليها، كتب مرة أخرى إلى (الزعيم) يستعرض له حراجة معيشته وضيق يده طالباً تسليفه بعض المال المستحق له لتمشية أموره وأمور عائلته.. ومرة أخرى جوبه بالتجاهل التام... وعندما علم خالي المرحوم المقدم الركن عزيز الصندوق الذي كان يشغل منصب مقدم اللواء التاسع عشر، عرض على والدي أن يقوم هو بترتيب موعد له مع عبد الكريم قاسم، بصفته آمره الرسمي ولما تربطه به من علاقة تقدير واحترام.. فرفض الاقتراح مفضلاً البقاء على ما هو عليه بدلاً من الاستجداء ـ على حد قوله ـ لحقوقه المسلوبة..

وفي ظهيرة يوم بارد من شهر شباط (فبراير) كنت عائداً من المعسكر لزيارته فلاقيت سيارته وهو جالس بغير عقاله مكتفياً باليشماغ خلافاً لعادته حيث أنه كان يعتمر العقال حتى أثناء جلوسه معنا داخل البيت وإلى ساعة نومه... لقد كان في طريقه إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية لإزالة غدة البروتستات.. دخل مستشفى الراهبات في الكرادة الشرقية فأصابه نزف بعد خروجه منها واعيد إلى المستشفى مرة ثانية... عندها طالعتني نفسي أنه في أيامه الأخيرة.. بقي بعدها أكثر من شهرين طريح الفراش تأكل جسده شتى الآلام المبرحة.. وحينما انهارت صحته تماماً وشعرت بقرب منيته، لازمته بقرب فراشه، أخدم حاجته الشخصية مخففاً عنه ما استطعت.. وفي يومه الأخير، انقطع عن الكلام ويبست شفتاه، فكنت اقطر له الماء في فمه فينبس بالكلمات القرآنية التي كانت تتلى قرب رأسه من إحدى شقيقاتي.

وفي ليلة ٤/٥ من شهر أيار (مايس) ١٩٦١ (ذي القعدة ١٣٨٠) التف حوله عمي السيد جعفر وأخي كامل رحمهما الله وبقية أفراد العائلة، وحوالي الساعة العاشرة ليلاً أسلم أمانته إلى بارئها، تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته.

لقد مات رحمه الله ولسان حاله يقول ما قاله أبو الطيب المتنبي مفاخراً:

فلما أنخنا رَكزنا الرِماحَ   حولَ مكارِمنا والعُلاْ

وبِــتنا نُــقــبــل أسيَافــنــا ونمــســحُـهــا مِــن دمــاءِ الــعــدا
لــتــعــلَــم مِــصر ومــنْ بــالــعِــراقِ ومــنْ بــالــعــواصــمِ أني الــفــتى
واني وفَــــيتُ وأني أبــــيْت وأني عــتــوتُ عــلى مــن عــتــا

بختامي لمذكراته هذه، آمل أني قد حققت ما كان يصبو إليه، كما أرجو الله مخلصاً أن يستميحني العذر هو والقارئ الكريم فيما لو أخطأت أو سهوت، فالعصمة لله وحده.

جميل السيد محسن أبو طبيخ
لندن ٢٧ شباط ٢٠٠٠

السيد محسن أبو طبيخ في سطور

ـ ولد في (غماس) التي أسسها والده السيد حسن بن السيد علي بن السيد إدريس وكانت تسمى آنذاك بقصبة (الخرم) وذلك في عام ١٢٣٩ هـ ـ ١٨٧٦م.

ـ في عام ١٩١٤م شارك في حرب الشعيبة متطوعاً مع المجاهدين ضد (الغزو) الإنكليزي للعراق وخرج من المعركة جريحاً.

ـ أحد قادة ثورة العشرين ومن المخططين لها، خاض غمار معاركها المهمة في الوند والحسينية والكوفة وأخيراً في أبو صخير.

ـ عُين من قبل رؤساء الثورة، متصرفاً لكربلاء، ويعتبر هذا التعيين بمثابة أول قرار شعبي في تاريخ العراق السياسي الحديث بتعيين أحد أبنائه على ارض محررة من الأجنبي بعد احتلال متعاقب منذ أواخر الدولة العباسية.

ـ لجأ إلى الحجاز بعد انهيار الثورة نهاية عام ١٩٢٠ وبقي فيها قرابة التسعة اشهر، عاد بعدها إلى العراق في ١٨ ايلول ١٩٢١.

ـ أمر الملك فيصل الأول بنفيه خارج العراق لمعارضته أسلوب إجراء انتخابات المجلس التأسيسي ـ الذي كان الغرض منه تصديق المعاهدة العراقية البريطانية لترسيخ الانتداب ـ فتوجه إلى سوريا بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٢٣ ثم أمر الملك بعودته فرجع إلى بغداد في ١٦ تشرين الأول ١٩٢٣.

ـ انتخب نائباً عن لواء (محافظة) الديوانية (القادسية حالياً) في أول دورة لمجلس النواب العراقي عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٨ واختير نائباً أول لرئيس المجلس.

ـ أبعده الملك فيصل الأول عن العراق، فغادرها إلى إيران في حزيران ١٩٢٦ وعاد إلى بغداد في ١ تشرين الثاني ١٩٢٦.

- عُين عضواً - بإرادة ملكية - في مجلس الأعيان في أيلول ١٩٣٣[1]، والغيت عضويته في انقلاب بكر صدقي في أيار ١٩٣٧.

- حكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات من قبل وزارة حكمت سليمان / بكر صدقي، في نيسان ١٩٣٧.

- فُرضت عليه الإقامة الجبرية في سامراء لمدة شهرين من قبل وزارة جميل المدفعي بُعيد مقتل بكر صدقي.

- انتخب نائباً عن الديوانية في دورة المجلس النيابي لسنة ١٩٣٩.

- اعتقل في أيار ١٩٤١ من قبل حكومة رشيد عالي الكيلاني قبيل الحرب العراقية - البريطانية عام ١٩٤١.

- عُين عضواً بمجلس الأعيان في ٢٥ تشرين الأول ١٩٤١، وانتخب نائباً أول لرئيس المجلس في ١ كانون الأول ١٩٤٣.

- استقال من عضوية مجلس الأعيان في ٣ تموز ١٩٤٧ لاختلافه مع الأمير عبد الإله (الوصي وولي العهد).

- عُين للمرة الثالثة عضواً في مجلس الأعيان في تموز ١٩٥١ واستمرت عضويته في المجلس إلى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أطاحت بالملكية في العراق.

- توفي رحمه الله في بغداد يوم/ ليلة ٥ أيار ١٩٦١

السيد محسن أبو طبيخ كما يراه الكُتاب في سفر التاريخ (المراجع المهمة)

١ ـ السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة.

٢ ـ محمد حرز الدين، معارف الرجال.

٣ ـ محمد علي الحوماني، العروبة: مع الناس

٤ ـ أحمد السيد كامل أبو طبيخ، السيد محسن أبو طبيخ، سيرة وتاريخ.

---

(١) عضوية مجلس الأعيان كانت بتعيين من قبل الملك بإرادة ملكية لمدة ثماني سنوات قابلة للتجديد من قبل الملك. وقد تم تشكيل مجلس الأعيان على نمط مجلس اللوردات البريطاني - أيضاً بتعيين ملكي - وذلك في أول أيام الحكم الوطني تحت قيادة الملك فيصل الأول.

٥ ـ مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية.

٦ ـ الحوماني، بين النهرين.

٧ ـ السيد عز الدين المدني، السيد محسن أبو طبيخ، ودوره السياسي في العراق، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة (لم تطبع بعد).

وفي المصادر الأجنبية

السيد محسن أبو طبيخ / تاريخه السياسي

الحاسوب الأمريكي الدولي /شبكة البريد الألكتروني

1- Internet: http/www.ioc. net/Kttabikk/Jiddu E-mail to: Keraan Tabikh/Sayid Muhsin Abu- Tabikh

2- Who is Who in The World

كما يراه الإنكليز في تقاريرهم:

1- C.O 696/2 Administration Report of Diwaniyah Division, 1919

2- F.O NO 110, Muhson Abu- Tabikh, from British Embassy, Baghdad

3- Intelligence Report,17th July 1932 No.25. Confidential Personalities, Baghdad, p.85

4- C.O. 696/1 Administration Report of Shamiyah and Najaf, 1918 Appendix III, P. 109

وفي كتب الانساب والمشّجرات

١ ـ ثامر عبد الحسين العامري، موسوعة العشائر العراقية

٢ ـ ثامر عبد الحسين العامري، موسوعة البيوتات العلوية في العراق

٣ ـ حمود الساعدي، دراسات عن عشائر العراق

٤ ـ حمود الساعدي، دراسات عن عشائر العراق ـ الخزاعل ـ

٥ ـ حيدر المرجاني ، تراث النجف في البيوت والأسر النجفية، الجزء الأول

٦ ـ حسين أبو سعيدة الموسوي، المشجر الوافي في السلسلة الموسوية، الأجزاء ١ ـ ٤

٧ ـ صالح الكرعاوي، الموسوعة الكاملة في أنساب العرب،الاجزاء ١ ـ ٤

٨ ـ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الرابع

٩ ـ د. عبد الجليل الطاهر، العشائر والسياسة (مشجّرات وانساب العشائر العراقية)

١٠ ـ فاهم كامل الشمري، ترجمة الألقاب في معرفة العشائر والانساب

١١ ـ يونس إبراهيم السامرائي، القبائل والبيوتات الهاشمية في العراق

الأوسمة العراقية[١]

ـ وسام الرافدين من الدرجة الثالثة في ٢٧ شباط ١٩٤٢

ـ وسام الرافدين من الدرجة الثانية في ٣٠ نيسان ١٩٥١

الأوسمة الأجنبية

ـ وسام الاستقلال الأردني من الدرجة الثانية، منح له من قبل الملك عبد الله بن الحسين في ٢٨ مايس ١٩٤٦

ـ الوسام الملكي البريطاني ـ في خدمة الحرية ـ منح له من قبل الملك جورج السادس في ٢٠ نيسان ١٩٤٧[٢]

مؤلفاته

ـ الرحلة المحسنية، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٣م

ـ المبادئ والرجال، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م

ـ مذكراته ١٩١٠ ـ ١٩٦٠

---

(١) لم تتوفر لديَّ الوثائق حول منح السيد محسن أبو طبيخ وسام الرافدين من الدرجة الرابعة من قبل الملك فيصل الأول أو أحد الأوسمة العثمانية أيام الحكم العثماني للعراق كما أني لم أسمع بها من والدي شخصياً، إلا أن هذه (المعلومة) متداولة داخل بيوت العائلة.

(٢) في حفل للسفارة البريطانية ببغداد تم تسليم هذا الوسام إلى عدد من المشايخ ورجال السياسة وذلك في يوم ٢٠ نيسان ١٩٤٩ راجع التفاصيل كما أشار إليها عبد الرزاق الحسني في الجزء الثامن من تاريخ الوزارات العراقية في الصفحة ١١٠.

وله العديد من الكتابات في الصحف والمجلات في شتى المواضيع، كما أن خطبه في المواضيع الداخلية والخارجية في السياسة العراقية داخل مجلسي النواب والأعيان تزخر بها محاضر المجلسين بدار الوثائق العراقية في المكتبة الوطنية ببغداد، وفي مركز المايكروفلم بمقر وزارة الإعلام السابق في الباب الشرقي ببغداد.

أولاده:

كامل وادريس ومشكور ونوري ومحمد وحسين وعلي وعبد الله وجميل.



السيد محسن أبو طبيخ مع ابنه الأصغر جميل محقق هذه المذكرات، بغداد ١٩٥٧

كلمــة شكــر

- أقدم شكري وامتناني لأخي الدكتور علي لاهتمامه المتواصل ودعمه لي طيلة مدة عملي.

- وإلى زوجتي (التي كانت المحفّز دوماً علىٰ قيامي بتحقيق الكتاب) وبناتي سهير وبان وزينة اللاتي بمساهمتهن تم إخراج هذا المجلد بشكله الرفيع.

- كما أقدم الشكر والتقدير إلى السيد جواد هبة الدين الحسيني على إعارته لي العديد من الكتب التي تعذر عليَّ الحصول عليها من مصادر أخرى.

- وإلى الاستاذ نجدت فتحي صفوت والذوات ممن أعانوني على استعارة كتبهم التي أسهمت في إنجاز هذه الطبعة.

الفهارس والملاحق

ملحق الوثائق

فهرس الوثائق والصور

فهرس الاعلام

فهرس المراجع

فهرس المحتويات



ملحـــق الوثائـــق

وثيقة رقم - ٢٧ -

الاضطرابات العشائرية(**)
في لواء الديوانية
١٩٣٥ ـ ١٩٣٦

(**) عن كتاب نجدت فتحي صفوت «العراق في الوثائق البريطانية»، مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة ١٩٨٣



F.O.371/20015 (E2546)

من سر ا. كلارك كير إلى مستر ايدن

السفارة البريطانية

بغداد

٣٠ نيسان ١٩٣٦

الرقم (٢٢٥)

سيدي،

١ ـ أتشرف بإبلاغكم بنشوب اضطرابات جديدة في الفرات بين الرميثة والسماوة.

٢ ـ بعد نشوب الاضطرابات في هذه المنطقة في السنة الماضية، عين أحد ضباط الجيش، وهو عبد الحميد الشالجي، متصرفاً للديوانية. ولم تكن إدارته للواء، على كل حال، ناجحة. وقد اتضح الآن أنه لم يقدم إلى وزارة الداخلية تقارير كاملة عن الوضع العشائري المضطرب الذي كان يتفاقم منذ بداية السنة الحالية. وفي حوالي منتصف الشهر الحالي عين في مكانه خليل عزمي، متصرف لواء ديالى سابقاً، وهو موظف مسلكي، ذو سجل ممتاز.

٣ ـ وما لبث خليل عزمي أن وجد أن سلفه قد خلف له تركة من السخط الخطير. وقد زاد الوضع سوءاً، قبل بضعة أيام، حين فاض الفرات فكسر ضفافه في عدة أماكن، وأغرق مساحة واسعة من الأراضي التي تملكها العشائر. وقد نتجت عن ذلك أضرار كبيرة يعتقد الكثيرون أنه كان بوسع الحكومة تفاديها لو وافقت على تحويل المياه الفائضة إلى بحيرة الحبانية.

٤ ـ وفي ٢١ و٢٢ من نيسان وردت التقارير بأن قطاراً قد أطلقت عليه النار بالقرب من الرميثة، ولكن لم تظهر على القطار آثار الطلقات، ولربما لم يقصد بإطلاق

النار أكثر من التظاهر. إن الأشخاص المسؤولين عن هذا ينتسبون إلى الظوالم، وهي إحدى العشائر التي عاضدت الشيخ خوام العبد العباس من عشيرة بني زريج في ثورته في السنة الماضية. وقد استدعي رؤساؤهم للحضور إلى مقر الحكومة، ولكنهم رفضوا ذلك، وقدموا عددا من المطاليب تضمنت إعادة أراضي خوام المصادرة، والإعفاء من التجنيد الاجباري، والتعهد بأن الحكومة سوف لا تفرض ارتداء القبعات البلهوية. وهذا المطلب الأخير يظهر الأفكار المشوشة الكامنة وراء بعض شكاوى رجال العشائر.

٥ ـ في الثامن والعشرين من نيسان أوقفت سيارة (لوري) عنوة في جنوب الرميثة، ووصلت دورية شرطة في أثناء عملية السلب فوقعت مناوشة مع رجال العشائر. ولم تقع إصابات بين رجال الشرطة، ولكن الحادث دلّ على أن رجال العشائر كانوا في سورة غضب خطيرة. وقد اوقف سير القطار بين الرميثة والسماوة بصورة مؤقتة كإجراء تحفظي.

٦ ـ في التاسع والعشرين من نيسان أرسل رفّان من الطائرات العراقية (اي ست طائرات) إلى الديوانية، ووضعت هيئة الأركان ترتيبات لحشد القوة التالية، مع قطعات مساعدة، في منطقة الديوانية ـ السماوة:

١ ـ سرية خيالة

٢ ـ بطاريتان جبليتان

٣ ـ سبعة أفواج مشاة

٧ ـ وقد استقل القطار اليوم وزير الداخلية نفسه إلى الرميثة ليتحرى الوضع هناك.

٨ ـ وتنحصر حركة التمرد حتى الآن في عشيرة الظوالم التي أخفقت جهودها في جلب جيرانهم إلى صفوفهم، كما أن المتمردين لم يحصلوا على أي تشجيع من بغداد أو من المدن المقدسة.

٩ ـ إني مرسل نسخة من هذا الكتاب إلى القائم بأعمال جلالته في طهران.

وأتشرف... الخ.

آرجيبولد كلارك كير

F.O.371/20015 (E2605)

من السر آ، كلارك كير إلى مستر ايدن

السفارة البريطانية

بغداد

٥ مايس ١٩٣٦

سيدي،

١ ـ إشارة إلى كتابي المرقم ٢٢٥ المؤرخ في ٣٠ نيسان، أتشرف بأن اسجل التطورات الجديدة التالية في الوضع العشائري في منطقة الرميثة.

٢ ـ في الأول من مايس، حينما أصرّ رؤساء عشيرة الظوالم على رفضهم الحضور إلى مقرّ الحكومة في الرميثة، قامت الطائرات العراقية بقصف القرى العشائرية، وتجمعات الأشخاص، مرتين، فيما بين الرميثة والسماوة وقد استخدمت قنابل الحريق، وتمّ تخريب عدة قرى.

٣ ـ وفي اليوم نفسه، سرت الاضطرابات إلى شمال الرميثة، وهاجمت عشيرتا بني عارض والأعاجيب مركز شرطة صغير في العارضات. وقد خرّبتا ايضا جزءاً من الخط الحديد، على بعد أميال قليلة إلى شمال الرميثة.

٤ ـ وفي الثاني من مايس، قامت شرطة الرميثة، يساندها فوج من المشاة، بإنقاذ حامية موقع العارضات. وهي تدعي أنها أوقعت إصابات شديدة بين رجال العشائر. وفي الوقت نفسه، قامت الطائرات بقصف الأهداف المطلوبة في المناطق العشائرية لقبيلتي بني عارض والأعاجيب.

٥ ـ وفي اليوم التالي، تولى أمير اللواء بكر صدقي مهام القائد العام للقوات في منطقة الديوانية ـ البصرة، وجعل مقره في الديوانية. وأمر فوجين آخرين بالتوجه إلى منطقة الاضطرابات.

٦ ـ إن خطة بكر صدقي هي اخماد الاضطرابات في شمال الرميثة أولاً، وذلك بتسيير رتل من الديوانية إلى الجنوب نحو الرميثة، وآخر من الرميثة، إلى الشمال نحو الديوانية. ومن المتوقع تنفيذ هذه العملية اليوم.

٧ ـ وفي الوقت نفسه واصلت الطائرات العراقية قصفها في المناطق المجاورة للرميثة.

٨ ـ إن أسباب هذه الثورة ما تزال غامضة، ولم يكشف شيء جديد عن أسباب ثورة الظوالم، كما أن ثورة بني عارض والأعاجيب المفاجئة، بعد وصول إمدادات من القوات إلى الرميثة، تبقى بدون تفسير واف.

٩ ـ إن وزير الداخلية لا يزال في الرميثة، وقد طلب رئيس الوزراء إلى المستر ادموندز تمشية الأعمال التنفيذية. (وزير الداخلية هو رشيد عالي الكيلاني)

F.O.371/20015 (E2853/1575/93)

من السر آ. كلارك كير إلى المستر ايدن

السفارة البريطانية

بغداد

١٤ مايس ١٩٣٦

الرقم (٢٤٥)

سيدي،

إشارة إلى تقريري المرقم ٢٣٦ والمؤرخ في ٧ مايس الماضي، أتشرف بإعلامكم أن بياناً رسمياً نشر في الصحف يوم ١٢ مايس بالصيغة الآتية:

١ ـ «يوالي رؤساء المتمردين تقديم ولاءهم إلى الحكومة، ولم تظهر بوادر تستلزم القيام بحركات عسكرية، عدا أعمال طفيفة قامت بها الشرطة والطيارات. استأنف القطار سيره الاعتيادي بين بغداد والبصرة. والتدقيق جار عن كثب لمعرفة الأسباب الحقيقة لقيام المتمردين، وكذلك لاتخاذ التدابير الضرورية لمنع تكرر هذه الحوادث المؤسفة».

ان التقارير التي وصلتني من مختلف الجهات تدل على أن هذا البيان صحيح إلى حد كبير، وأن الوضع مسيطر عليه جيدا.

٢ ـ خلال العمليات العسكرية في منطقة الرميثة في ٧ و٨ مايس تكبد الجيش ثلاثين قتيلاً آخرين، كما اسقط رجال العشائر طائرة من نوع اوداكس «Audax» وقد تهشمت الطائرة كلياً بسبب انفجار القنابل التي كانت تحملها، وقتل الطيار والميكانيكي. وفي ظني أن الطائرة كانت تحلق على مستوى منخفض أكثر من اللازم حينما اصيبت.

٣ ـ في ١٢ مايس أصيبت طائرة من نوع هوكر ـ نيسر «Hauker- Nisr» برصاص البنادق، وسقطت والنيران تشتعل فيها. وقد حاول الطيار والميكانيكي أن

يهربا بمظلات النزول (الباراشوت) ولكن رجال العشائر قتلوهما على إثر نزولهما. وقد وجدت جثة الطيار بعد ذلك وقد خرّمتها الطلقات، أما جثة الميكانيكي فكانت ممثلاً بها بصورة فظيعة ومتعمدة. إن هذه الفواجع أدت إلى شيء من فقدان «المعنويات» لدى القوة الجوية العراقية، التي كانت قنابلها المحرقة المستعملة حتى الآن بنجاح كبير ضد القوى والمحاصيل، عاملاً حاسماً في العمليات العسكرية.

٤ ـ في ٨ مايس تعرضت الطائرات العراقية المرابطة في الديوانية إلى سيل من الطلقات الصادرة عن جماعة متنقلة عددها ١٥٠شخصاً تقريباً، مما أدى إلى انسحابها إلى بغداد مؤقتا. ومع ذلك فقد أعيد تحشيد جميع الطائرات التي كانت تتعاون مع القوات في أراضي الهبوط المتقدمة. إن القسم الأعظم من الجيش الآن يعسكر قرب الرميثة بانتظار الأحداث، بينما يوالي زعماء العشائر الاستسلام للحكومة.

٥ ـ فشلت محاولات رجال العشائر لإغراق السكة الحديد بالقرب من (الواوية) ولكن القطار الأول الذي حاول شق طريقه باتجاه البصرة في ١٠ مايس أطلقت عليه النار في (الدراجي)، واجبر على العود إلى مفرق أور.

٦ ـ خلال محادثة اجريت مؤخراً أخبر رئيس الوزراء المستر بيتمان أنه اوقف عددا من البرقيات الصحفية المرسلة إلى لندن، والمتضمنة تقارير عن فقدان الطائرات العراقية لأن فحواها المثير للمخاوف لم يكن مطابقاً لحقائق الوضع.

٧ ـ علمت بصورة موثوقة أن هذه الأحداث في الفرات الأوسط قد أدت إلى رصّ صفوف المعارضة، وزعزعة مكانة رئيس الوزراء بشدة [ياسين الهاشمي]. وسأتشرف بتقديم تقرير منفصل عن هذا الموضوع إليكم.

٨ ـ إنني مرسل نسخة من هذا التقرير إلى القائم بأعمال جلالته في طهران.

وأتشرف.. الخ

جي. ايج. بيتمان
(عن السفير)

(ملاحظات وتعليقات)

ان الحكومة العراقية لم تكن ناجحة بالدرجة التي ترغب أن تجعلنا نعتقدها. إن خسارة طائرتين من القوة الجوية العراقية الصغيرة هي خسارة كبيرة وباهظة الثمن، لأن الطائرتين كانتا جديدتين. وبالإضافة إلى ذلك فإن العقلية العراقية لا تتغلب على كوارث من هذا النوع بسهولة ـ ولكن الحادث ليس مستغرباً، فالطائرات التي تحلق على ارتفاع قليل قابلة للإصابة من الأرض بسهولة: كما تعلمنا في العراق في الأيام القديمة[1].

الفقرة ٦ تظهر أن الحكومة العراقية لجأت إلى طريقتها التي استعملتها خلال اضطرابات الآثوريين في سنة ١٩٣٣، ومن السهل عليهم أن يسيطروا على تقارير الصحف، لأن جميع الصحفيين الأجانب في العراق لديهم أعمال أخرى، ولا يستطيعون، لسبب أو آخر، أن يغضبوا السلطات العراقية.

الفقرة ٧ مهمة. فسيكون أمراً خطيراً لو ذهب ياسين الآن. وإن كان مسؤولاً إلى حد كبير عن اضطرابات العشائر بسبب مناوراته الكاذبة في خريف سنة ١٩٣٥.

جي. جي. وارد
٥/٢٢

الأمر يبدو سيئاً.

جي. دبليو. رندل
١٩٣٦/٥/٢٣

(١) الإشارة هنا، في أغلب الظن، إلى الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠.

F.O.371/25515 (E3062/1575/93)

من السر آ. كلارك كير إلى المستر ايدن

السفارة البريطانية

بغداد

٢٢ مايس ١٩٣٦

(الرقم ٢٥٤)

سيدي،

١ ـ أتشرف بإعلامكم أنه لم يكن هنالك، منذ تقريري المرقم ٢٤٥ والمؤرخ في ١٤مايس، نشاط عسكري ذو اهمية في منطقة الاضطرابات في أطراف الرميثة. وقد قسمت القوات التي حشدت فيها إلى ثلاثة أرتال مرابطة، على التوالي، في الرميثة، وأبو طبيخ (١٠ اميال شمالي الرميثة)، وعارضيات (بين أبو طبيخ والرميثة)، وهي الآن مشغولة بعمليات تأديبية صغيرة ضد رجال العشائر المتمردين. ولم تكن هنالك أية مقاومة تقريباً منذ عدة أيام، وقد دمرت قرى عديدة، واشعلت النيران في كثير من الغلال. وأخذت تصل بغداد الآن روايات عن بعض الأعمال الوحشية التي تركتها القوات. ويبدو أن عدد المساجين قليل، وتدور الإشاعات المعتادة حول إطلاق الرصاص بدون تميز على رجال العشائر المستسلمين مع نسائهم. ولست في الوقت الحاضر في موقف أستطيع فيه الحكم على صحة هذه الروايات، ولكن يبدو أنها تنسجم مع ما اشتهر به بكر صدقي من قسوة.

٢ ـ عاد وزير الداخلية رشيد عالي إلى بغداد في ١٤ مايس، ويبدو أنه مرتاح لما أنجزه في الديوانية. ولا أعرف ماذا صنع هناك بالضبط، ولكن يقال أنه بذل جهداً كبيراً للحيلولة دون التحاق العشائر المجاورة بالثورة، وانه صرف الأموال بسخاء لهذا الغرض. ولا بد لي أن أقول أن جهوده كانت ناجحة فيما يبدو. فعلى الرغم من أن بعض الأقسام الصغيرة من المتعاطفين من أبناء العشائر الأخرى قد اشتركت في القتال،

فإن الثورة بصورة رئيسية كانت مقتصرة على أفخاذ بني حجيم المتضامنة.

٣ ـ قال لي رئيس الوزراء، وقد قابلته في ١٧ مايس على إثر عودتي من الموصل، أن جميع الرؤساء المهمين للقبائل المتمردة قد استسلموا، وأن الثورة يمكن أن تعد منتهية. وقال أن حوالي ثلاثين من الشيوخ سيحاكمون أمام المحاكم العرفية بعد أيام قلائل، ولكن قواعدهم وأفرادهم قد عوقبوا بما فيه الكفاية بالخسائر التي تكبدوها خلال العمليات العسكرية. واضاف أنه لن يكون هنالك في هذه المرة عفو عام كالذي منح في السنة الماضية بعد انتهاء المحكمة العسكرية من أعمالها ببضعة أسابيع، ولو أصبح ذلك عادة متكررة لفقدت الأحكام العرفية تأثيرها الرادع. وقد اوعز إلى المحكمة بأن تغربل جميع الادلة بدقة واضعة نصب عينها التوصل إلى السبب الحقيقي للمشكلة. وفي رأيه أن المحرضين الخبثاء كانوا مسؤولين بصورة رئيسية، وهو يأمل أن المحاكم ستكتشفهم وتعاقبهم. وكان يشير إلى رجال الدين المحليين، وقال لو ظهر أن الذنب كان ذنبهم، فإنهم لن يجدوا أية رحمة.

٤ ـ وقال لي أيضاً أن الحكومة تهيئ خطة لتشتيت رجال العشائر الثائرة بين عناصر اقل شغباً، وإعطاء أراضيهم لغيرهم ممن يوثق بولائهم. وكان من المزمع أيضاً نزع السلاح الكامل من تلك الأفخاذ التي كانت مسؤولة عن الاضطرابات بصورة مباشرة.

٥ ـ ذكرت له انني سمعت أن وفداً من الشخصيات البارزة في الحياة العامة قد قابل الملك للاحتجاج على القسوة التي عاملت بها الحكومة الثوار، وسألته عن صحة ذلك. قال فخامته إن هذا الوفد كان مؤلفاً من ناجي السويدي، وحكمت سليمان، وجعفر أبو التمن، وجميل المدفعي، ومولود مخلص وشخص أو شخصين آخرين، وأنهم احتجوا لدى جلالته بمرارة على سفك الدماء المستمر الذي زعموا أن سياسة الحكومة تؤدي إليه. ولكن الملك غازي ـ على ما قال رئيس الوزراء ـ لم يشجعهم، وأكد ثقته التامة بوزرائه. وقال رئيس الوزراء إن جلالته استاء من إشارات الوفد التي كان فيها تعريض بالجيش.

٦ ـ أما ياسين الهاشمي نفسه فكان يستخف بهذه الفعاليات التي تقوم بها المعارضة، وقد اعرب عن تفاؤله بصورة عامة ولفت نظري إلى ولاء الاغلبية الساحقة من عشائر الفرات للحكومة، وادعى أن الحكومة بمجرد تصفيتها الوضع الحالي،

ستجعل البلاد هادئة بدرجة لن يجد معها حتى شخص مغفل مثل جميل المدفعي أية صعوبة في الاحتفاظ بمنصبه لمدة عشر سنوات. إن معلوماتي من مصادر أخرى لا تبرر تماماً هذا التفاؤل من رئيس الوزراء.

٧ ـ صحيح أن معظم الشيوخ المتمردين، أن لم يكن كلهم، قد استسلموا ولكن العشائر بين الديوانية والسماوة لا تزال في حالة خطيرة من القلق والهياج. ويبدو لي أن استعادة الهدوء تتطلب وقتاً، كما تتطلب صبرا وتفهما أكثر مما تظهره الحكومة وموظفوها عادة.

٨ ـ ويبدو لي كذلك أن رئيس الوزراء مخطئ أيضاً في تقديره لأسباب الاضطرابات. إن وجود أشخاص استغلوا مشاعر العشائر هو أمر أكثر من أن يكون محتملا، وأن كثيراً من هؤلاء ربما كانوا من رجال الدين، من مراتب مختلفة، أمر لا يمكن إنكاره. بيد أن الأسباب الجذرية للثورة يجب، في رأيي، تحريها في مواقع اعمق بكثير من مجرد التحريض السطحي لمثل هؤلاء الرجال. إن تحليل الاستياء الذي تجلى في الثورة الأخيرة بأي قدر من الدقة لايزال امرا فيه شيء من الصعوبة. ولكن لا يكاد يقوم ثمة شك في أن المسببات الأساسية تتمثل في عدد من الأعمال الطائشة من جانب الحكومة نفسها، ومن أبرزها التحيز في معالجة المنازعات العشائرية على الأراضي، والتجنيد، ومنع مواكب العزاء خلال احتفالات محرم الماضي، ويعد المستر ادموندز، باقتراح من رئيس الوزراء نفسه، تقريراً شاملاً عن هذه القضية، وأرجو أن اتمكن من تزويدكم بنسخة منه في حينه. وقد أخبرني المستر ادموندز أنه سيعبر عن آرائه بصراحة أخشى أنها ستجعل قراءة تقريره غير مستساغة للوزارة.

٩ ـ أعتقد أن فخامته مخطئ بنفس الدرجة في استخفافه بفعاليات المعارضة. ولا يكاد يكون هنالك شك في أن الحكومة تخسر شعبيتها. ويعود هذا جزئيا إلى التطور الطبيعي للأمور مما هو مألوف في جميع البلاد التي يوجد فيها أي نوع من المؤسسات البرلمانية. على أن ذلك يجب أن يعزى، بدرجة أكبر كثيراً، إلى عدم الارتياح، وفي بعض الحالات الاشمئزاز، الذي يحدثه لجوء الحكومة بصورة مستمرة إلى السلاح لفرض إرادتها على البلاد. وقد صعق اناس كثيرون للخسائر في الأرواح وللخراب العام الذي احدثته عمليات الفرات الأخيرة. إن جميل المدفعي لن يكون بشرا إذا لم يستغل الوضع منتهى الاستغلال للتشهير بياسين الهاشمي وزملائه، وانني أعتقد ـ كما سبق أن ابلغت في تقريري المشار إليه ـ أن موقف رئيس الوزراء قد تزعزع. وقد اشيع أنه طلب إلى كل

من نوري السعيد وناجي شوكت (وزير العراق المفوض في أنقرة) أن يعودا ليسنداه في معالجة الصعوبات الحالية التي تواجهها الوزارة. إن مغادرة نوري السعيد قبل الموعد المتوقع قد تؤيد هذه الرواية، ولكن ليست لديّ حتى الآن أية أخبار بأن ناجي شوكت قد غادر أنقرة فعلاً. ومع ذلك، فلا يجب أن نستنتج أن الحكومة الآن ليس لها اصدقاء. فهنالك مناطق نفوذ قوية، سواء في بغداد أم الألوية، تؤيدها وتستحسن مخلصة القسوة التي تعالج بها أمر المتمردين. كما أنها نجحت في إبقاء الصحافة إلى جانبها بالإجماع.

١٠ ـ أما فيما يتعلق بالحالة النفسية العامة لعشائر الفرات، فإنني أعتقد أيضاً أن رئيس الوزراء متفائل أكثر مما ينبغي حين يعتقد أنها موالية لحكومته بهذه القوة. ويظهر أنه حكم على الأمر من ظواهره الخارجية المتمثلة في امارات التأييد السريعة التي أبداها لوزير الداخلية الشيوخ الخائفون الذين طلب إليهم الحضور في مقرات الإدارة الحكومية، وانه غضّ الطرف عن مظاهر التذمر والاستياء الواسعة النطاق، والظاهرة لكل من كان على صلة بالأحداث الراهنة في جنوب العراق. وفوق كل شيء، يبدو أنه يتجاهل صفة التقلب السيئ الصيت لدى هؤلاء الرجال العشائريين الذين لا يعدو تأييدهم لزعيم أو قضية أن يكون نزوة حماسة زائلة.

١١ ـ كما أنني لا أستطيع أن أؤمن بأن الخطة التي لخصها لي في اخراج العشائر الثائرة من أراضيها، وإعطاء تلك الأراضي لعشائر أخرى، ستساهم في استتباب السلام في هذه المناطق المضطربة. والواقع أنها تبدو لي خطة غير سليمة، لأن قيام الحكومة نفسها بمصادرة أراضي عشيرة ما هو عمل غير حكيم بصورة عامة، أما إعطاء هذه الأراضي لعشيرة منافسة أو معادية لها، فهو غرس لبذور نزاع وفوضى لا نهاية لهما. وانني أفكر في انتهاز فرصة قريبة لمناقشة هذه الخطة مع المستر ادموندز، لأرى فيما إذا كان بالإمكان القيام بشيء لتعديل نوايا الحكومة.

وأتشرف... الخ

آرجيبولد كلارك كير

(ملاحظات وتعليقات)

تقرير طريف ومثير للاهتمام، ولكنه مزعج، أن ياسين ليس رجلاً يعترف بسهولة بأنه يفقد مكانته، وإنني اظن أنه ليس مسروراً من وضعه، ولكنه لا يريد أن يظهر ذلك للسفير ولا للعالم الخارجي.

ان خطة ياسين في تلقين العشائر درسا، تتسم بروح انتقامية من أخطر الانواع. ويشير السفير إلى أن تسليم الأراضي العائدة للثوار السابقين إلى عشائر منافسة لهم لا بد له أن يزرع بذور الفتنة والنزاع في المستقبل. وأكثر من ذلك فإن الإجراءات القاسية ضد رجال الدين قد تحمل أتباعهم على تناسي خلافاتهم وتأليف جبهة موحدة معادية للحكومة تعرض للخطر أي نظام عراقي مهما كان محكم التماسك.

ومع ذلك فليس لنا إلا أن نعتمد على السر آ. كلارك كير والمستر ادموندز اللذين يقدران تماماً مخاطر الوضع الحالي في تقديم المشورة من أجل أتباع سياسة أكثر حصافة.

د. سكون ـ فوكس
٣/٦

تقرير مهم، ربما كان من المناسب أن نعرب للسفير عن تأييدنا لآرائه، وموافقتنا على الإجراء الذي يقترحه في الفقرة ١١

جي. جي وارد

إن الأمر لا يبدو أسوأ من الماضي. على الرغم من أننا كنا متوقعين شيئاً من هذا النوع منذ تعيين بكر صدقي السيّئ الصيت لقيادة هذه العمليات.

جي. دبليو. رندل
٦/٤

لا أرى ضرورة لاتخاذ أي إجراء، لا بد أن يكون السفير قد تحدث الآن مع المستر ادموندز، وإننا نستطيع أن نسمع آراء السفير عند وصوله إلى الوطن.

ل. اوليفانت
٥ حزيران

F.O.371/20015 (E3560/1575/93)

من السر آ. كلارك كير إلى المستر ايدن

السفارة البريطانية

بغداد

٤ حزيران ١٩٣٦

(الرقم ٢٧٧)

سيدي،

إشارة إلى الفقرة الرابعة من تقريري المرقم ٢٥٤ والمؤرخ في ٢٢ مايس، أتشرف بأن أبعث إليكم بطيه نسخة من رسالة من المستر ادموندز، مع مرفقها. وهي تتناول أسباب العصيان المسلح الذي قامت به العشائر في الرميثة مؤخرا.

٢ - إنني مرسل نسخة من هذا التقرير ومرفقه إلى القائم بأعمال جلالته في طهران.

آ. كلارك كير

P.S. No/B.A./5

مرفق تقرير بغداد المرقم ٢٧٧ والمؤرخ في ٤/٦/ ١٩٣٦

وزارة الداخلية

بغداد

٢ حزيران ١٩٣٦

عزيزي السفير،

ارفق لك بطيه - لعلك تجدها مما يهمك - نسخة من مذكرة أعددتها لرئيس الوزراء عن الاضطرابات في الرميثة.

واخشى أنها متقطعة، ومثقلة بالإشارات المتشابكة، وتميل في بعض مواضعها إلى الموعظة، والارشاد. ولكنني اردت أن أسرد الحقائق بأقصى قدر من الموضوعية، وأن أظهر العلاقة الوثيقة بين السبب والنتيجة في كل مرحلة، وأخيراً، أن ادخل فيها تحذيرات من الأخطاء التي يبدو أن الحكومة على وشك تكرارها.

وانه ليصعب في البداية أن يفهم المرء لماذا يجب أن يندفع خوام في تأييد «الظوالم» وليس أبناء عشيرته من «بني زريج»، ويبدو أن السبب يعود إلى صفات الفروسية والنخوة لدى الظوالم، والتي لا يستطيع المرء إلا أن يعجب بهم بسببها. فقد كان «الظوالم» و«البو حسّان» هم أصحاب المبادرة الحقيقيون في الهجوم على الرميثة، في حين أن «خوام» هو الذي تضرر منه. ولذلك كان لزاماً عليهم أن يزيلوا ما أصابه من ضرر. إن ما أعقب ذلك من خرق الضمانات التي أعطيت لمحمود حينما كان مع الظوالم، ضاعف هذا الالتزام. أما فيما يتعلق ببني زريج، فربما كان لديهم حافز أقل بسبب العقوبة الأقسى التي نالوها في سنة ١٩٣٥، وأنهم كانوا أكثر اعتماداً على صاحب أراضيهم الفعلي. ومع ذلك، فإن شنشول كان غير مرتاح إلى حد بعيد، وهرب إلى

«الحمزة» إلى أن وصلت القوات العسكرية.

ومنذ ذلك الوقت تأكدت لدي من مصادر أخرى القصة التي سجلتها في الفقرة ٣٥، ولذلك يبدو أن المواجهة التي أدت إلى القرار بإرسال القوات وآذنت ببدء العمليات، كانت بسبب فورة عصبية من جانب إحدى دوريات الشرطة.

ولكنني أعتقد أن الحقائق التي سردتها تظهر أن نوعا من الانفجار كان لا بد له أن يقع، ربما عاجلاً أكثر منه آجلاً. إن الذي حدث في الرميثة كان من نوع البخار الذي تنفس قبل أوانه. وربما كان هذا من حسن حظ الحكومة، لأنه حال دون انفجار اطول مدى وأعنف اثراً.

ولكنني لا أستطيع أن اتصور أن الحكومة تخلصت من المشاكل. إن سراكيل الظوالم الرئيسيين لم يحضروا. والتقارير الواردة عن الخسائر الثقيلة من الطرفين (وهي في الحالتين مبالغ فيها)، قد انتجت شعوراً بالاشمئزاز من سفك الدماء في قتال بين الإخوان لم انتبه إليه قبلا. إن الأساليب الأساسية للاستياء، والتي حللتها في مذكرتي، ما تزال باقية. ويبدو أن ثمة شعوراً من الانتظار بصبر نافد في الخارج، ولكن البخار ـ لو كان لي أن أعود إلى تشبيهي السابق ـ لم يتصاعد بعد.

أخبرني الوزير قبل أيام أن الحكومة كانت تفكر في طرد العشائر المتمردة وإعطاء أراضيها لغيرها. إنني سفهت هذه السياسة، شفاهاً وكتابة، والفقرة ٣٩ من المذكرة إنما كتبت وهذا الاقتراح في ذهني.

انني أتذكر أن مقر القوة الجوية (البريطانية) وآخرين كانوا في البداية أميل إلى أن يعزوا نشوب الانفجار إلى الركود الاقتصادي الذي سببته الفيضانات. ولكن الدراسة التالية لسير الأحداث تؤكد الرأي الذي أبديته في ذلك الوقت بأن الفيضانات لم تكن لها علاقة بالحادث.

المخلص

سي. جي. ادموندز

(تقرير للمستر ادموندز)
الأحداث الأخيرة في الرميثة

١ ـ أعرب رئيس الوزراء عن الرغبة في إجراء تحقيق في أسباب الانفجار الأخير للوضع في الرميثة. وإنه لمن واجب المحكمة العسكرية البحث في التهم الموجهة إلى المشتركين في هذه الأحداث فعلياً. ومن واجب الشرطة محاولة التحري عن هوية الأشخاص الذين ساهموا في حدوث الانفجار عن طريق الدعاية، أو التحريض، أو أية وسائل أخرى. وقد فكرت أن أفضل وسيلة أستطيع بها المساعدة في تحقيق هدف رئيس الوزراء هي أن اسجل في شكل قصة مترابطة، الحقائق المختلفة، والأحداث التي ربما كانت، في رأيي، قد أدت إلى خلق جو ملائم لانفجار كالذي وقع فعلياً، بالإضافة إلى بعض الوصف للأحداث التي وقعت في الرميثة نفسها من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٥ إلى نيسان (ابريل) ١٩٣٦. وإني حيثما اظن أن الحكومة قد ارتكبت خطأ ما، لم أتردد في أن أقول ذلك صراحة. وارجو أن صراحتي، في هذه الوثيقة السرية، لن يساء فهمها.

القسم الأول

٢ ـ تولت الوزارة الحاضرة السلطة في السابع من آذار (مارس) سنة ١٩٣٥

٣ ـ أصبح مرسوم الإدارة العرفية المرقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ نافذ المفعول في الرابع عشر من مايس (أيار) ١٩٣٥ وقد أعلنت الأحكام العرفية في المناطق التالية بين التواريخ المذكورة إزاءها:

المنطقة	الابتداء	الانتهاء
١ ـ الرميثة	١١ مايس ١٩٣٥	٢٥ تموز ١٩٣٥
٢ ـ سوق الشيوخ	٢٥ مايس ١٩٣٥	٢٥ تموز ١٩٣٥
٣ ـ بارزان	٥ آب ١٩٣٥	٣٠ تشرين الأول ١٩٣٥
٤ ـ سنجار	١٢ آب ١٩٣٥	١٤ تشرين الثاني ١٩٣٥
٥ ـ الرميثة	٥ مايس ١٩٣٦	....

وفي كل حالة كانت المنطقة تمتد إلى «الأماكن المجاورة». وبموجب المادة (١٠) من المرسوم تكون المحاكمة عن جميع الأفعال الجرمية داخل منطقة الإدارة العرفية أو خارجها

عندما تكون ذات مساس أو ارتباط بالأفعال الجرمية الحادثة ضمن تلك المنطقة من اختصاص المجلس العرفي العسكري.

٤ ـ في الثاني عشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٥ صدرت إرادة ملكية برقم ٢٣٧ لتطبيق قانون الدفاع الوطني رقم ٩ لسنة ١٩٣٤.

٥ ـ في سنة ١٩٣٥ تطابق شهر محرم مع شهر نيسان (إبريل) على وجه التقريب. وكانت ذكريات الشغب في الكاظمية في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٣٥ ماتزال تحتفظ بجدتها. وقد اعتبر من المناسب، في ظل الظروف الخاصة، أن تمنع في بغداد والكاظمية فقط، المواكب في الشوارع والقيام بالتمثيليات الدينية علناً.

٦ ـ في هذه السنة ١٩٣٦، تصادف العاشر من محرّم مع الثاني من نيسان (إبريل). وفي الحادي عشر من آذار (مارس)، صدرت الأوامر إلى جميع رؤساء الوحدات الإدارية في أنحاء القطر، لمنع المواكب في الشوارع المكشوفة، وحصر الاحتفالات الأخرى داخل الحسينيات والبنايات الخاصة الأخرى. وقد نفذت هذه الأوامر بنجاح، فمضى اليوم العاشر بدون حادث في أي مكان.

٧ ـ في العاشر من محرّم المصادف الثاني من نيسان ١٩٣٦، وقعت معاهدة تحالف مع المملكة العربية السعودية. وتنص المادة (٥ج) من تلك المعاهدة على ما يأتي:

«اذا اقتضى الأمر اتخاذ تدابير مشتركة لقمع الاضطراب أو الفتنة، يتشاور الفريقان الساميان في طريقة التعاون الواجب أتباعها لهذا الغرض».

٨ ـ في السادس عشر من نيسان (ابريل) ١٩٣٦ عطل المجلس. وكان بعض نواب العشائر قد تطلعوا إلى قانون جديد لدعاوى العشائر يحل محل نظام دعاوى العشائر المدنية والجنائية الذي يرجع تاريخه إلى عهد الاحتلال، ويعد بنظرهم قاسياً نوعاً ما. ولكن القانون الجديد لم يشرع قبل انفضاض البرلمان. وهم على كل حال ـ إذا استثنيت المادة التي تصفح عن قتل القريبات اللواتي يشتبه في سوء سلوكهن الجنسي ـ يقرّون بأنهم يجدون اللائحة الجديدة أقسى من اللائحة القديمة.

القسم الثاني

٩ ـ وقبل الشروع في بحث الوضع في الديوانية بصورة خاصة، سيكون من الملائم بحث إثر العوامل المشار إليها في الفقرات السابقة، وفي الجو السياسي في القطر بصورة عامة.

١٠ ـ لقد استخدمت الظروف المشار إليها في الفقرة الثالثة أعلاه من قبل المتحاملين على الوزارة، لبث الانطباع بأن الحكومة تحكم بالقوة والإرهاب، بدلاً من الطرق الإدارية المحايدة السليمة.

١١ ـ إشارة إلى الفقرة الرابعة: أن قانون الدفاع الوطني، وأن كان يطبق بشيء من المرونة، فالحقيقة تبقى أن العشائر تكره التجنيد الإجباري بشدة. ومن المحتمل أن يكون هذا الكره اقوى عامل يساعد في خلق جو من السخط العام تتعاظم فيه الشكاوى، وبالتالي تفصح عن نفسها في أعمال التحدي للسلطة. وليس في هذا ما يدعو إلى الاستغراب، فاني اتصور أن هذا كان أمراً توقعه جميع المعنيين الذين كانوا مستعدين لمواجهته كشر لا بد منه. ولم يكن للتجنيد الاجباري علاقة مباشرة بإعلان الأحكام العرفية الأولى والثانية والثالثة. ولكنه كان السبب المباشر للأحكام العرفية الرابعة. وكان، أيضاً، السبب في العمليات الجوية وعمليات الشرطة ضد المدينة[1] (تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٥) وبني ركاب (شباط (فبراير) ١٩٣٦) التي جرت بدون إعلان الأحكام العرفية.

١٢ ـ أن تقييد احتفالات محرّم المشار إليه في الفقرة السادسة، فتح أمام خصوم الحكومة ميدانا خصباً للدعاية القائمة على التعصب الديني. وفي إيران اتبعت أوامر مماثلة بادخال القبعة «الدولية» ذات الحاشية، وإلغاء الحجاب، وإجراءات علمانية أخرى. وقد بثت دعاية تزعم أن الحكومة العراقية كانت تفعل هذا الشيء نفسه.

١٣ ـ بعد نشر معاهدة التحالف مع العربية السعودية (فقرة ٧) مباشرة، فهمت أن بعض الاوساط كانت تفسر المادة المقتبسة أعلاه، بأنها تعني أن الحكومة العراقية قد حصلت على تعهد السعودية بالتعاون من أجل اخماد أية ثورة للعشائر. وهذه الفكرة تجيء بالطبع، مع ذكريات نهب كربلاء من قبل الوهابيين سنة ١٨٠١، وأظن أن الأخبار التي أشيعت من أن الحكومة كانت على وشك أن تصادر كنوز العتبات المقدسة بل حتى اغلاقها، إنما نشأت من هذا التفسير للمعاهدة، بالإضافة ـ بالطبع ـ إلى تقييد احتفالات عاشوراء.

---

(١) المدينة ـ بالتصغير ـ ناحية في قضاء القرنة (محافظة البصرة) تسكنها قبائل مختلفة ثارت في وجه الحكومة بسبب اعتزامها تنفيذ «قانون الدفاع الوطني»، ولكن الحركة أخمدت بسرعة.

١٤ ـ ومما يلقي ضوءاً جانبياً مثيراً على الأحاديث الجارية في الأسواق، في غربي الفرات، الوصول المفاجئ لمحروث بن هذال إلى بغداد في السادس عشر من (أيار) مايس. لقد كان ينقل مضاربه تدريجياً من الصحراء نحو الفرات شرقاً، وحين اقترب من الرزازة، وافته الأنباء بأن هناك ثورة، وعلى ذلك فقد أقبل مسرعاً ليعرض خدماته على الحكومة.

١٥ ـ أن الأمر المشار إليه في الفقرة الثامنة، ليس له دلالة كبيرة لغرض هذا التحقيق، ومع ذلك، فقد ذكرته لأنه كثيراً ما استشهد به، كشكوى تعمّ جميع رجال القبائل.

القسـم الثالـث

١٦ ـ وأود الآن أن أذكر رأياً ذا طبيعة عامة: إن تقسيم شيوخ العشائر إلى فريقين، فريق يؤيد حزب الإخاء، وفريق يؤيد حزب الوحدة، هو في اغلب الحالات غير دقيق، ومضلل، مثله في ذلك كمثل التقسيم السابق إلى «وطنيين» و«إنكليز». إن بعض الشيوخ هم حكوميون بالفطرة، وأشخاص مطيعون للقانون، يحثهم مزاجهم على طاعة السلطة الإدارية الراهنة مهما كانت. أما البعض الآخر فهم متمردون بالفطرة، وأشخاص طبعهم مقاومة سلطة ممثلي الحكومة، أو ذوو مطامح للعظمة الشخصية، لا تتلاءم مع وجود إدارة قوية أو عادلة. وبعد تغير الحكومة مباشرة، قد تكون هناك بعض الصعوبات في التكيف، لفترة من الزمن، ولكن في الأمد الطويل، ستجد السلطة الجديدة أنها تستطيع الاعتماد على الحكوميين القدماء، أما المتمردون القدماء فسوف يواصلون تحديهم للسلطة.

١٧ ـ وأريد أن أذكر هنا رأياً ثانياً ذا طبيعة عامة: إن الذي يؤثر كعامل في تقرير تصرفات الأشخاص، ليس هو الحقيقة، بل ما يعتقد أولئك الأشخاص ـ صوابا أو خطأ ـ أنه الحقيقة.

١٨ ـ وكما ذكر في الفقرة الثالثة اعلاه، أن منطقة الرميثة وضعت تحت الأحكام العرفية في سنة ١٩٣٥ من الحادي عشر من أيار/مايس إلى الخامس والعشرين من تموز (يوليو). وقد فرضت غرامات على عشائر منطقتي الرميثة والسماوة وكانت عبارة عن وجوب تسليم العدد التالي من «البنادق» إلى الحكومة:

بني زريج ٣٥٠	الظوالم ٦٠
الاعاجيب ٣٠	بني عارض ١٠
البوحسان ١٥٠	البوجياش ٨٠
الصفران ٥٠	الخزاعل ٢٣
آل زيّاد ١٠	

وقد حكم على الشيخ خوّام آل عبد العباس، من عشيرة بني زريج، بالأشغال الشاقة مدى الحياة، وصودرت جميع أمواله المنقولة، وجرد من الأراضي الأميرية الموجودة في حوزته والتي لم يتم تحويل ملكيتها اليه، واعطي حق التصرف في أراضيه المفوضة بالطابو إلى منافسه شنشول.

١٩ ـ في الحادي عشر من آب (اغسطس) ١٩٣٥ عين العميد[1] عبد الحميد الشالجي متصرفاً للديوانية. ولهذا الضابط سجل طيب في الجيش، ولكن ليست له خبرة في الإدارة المدنية. وهذا اللواء، بصرف النظر عن الطبيعة القلقة لسكانه العشائريين، قد يكون أصعب الألوية إدارة، بالنظر إلى تعقد مشاكل الري فيه، والنزاع حول الأراضي. فهو يتطلب الاهتمام الكامل والدقيق لمتصرف يتمتع بأقصى درجة من القدرة والخبرة يمكن توفرهما. وهو يجب أن يكون ماهراً في تقدير اهمية كل حادث ومغزاه، مهما كان تافها في الظاهر. ويبدو أن الإدارة المدنية، بالمعنى الصحيح للاصطلاح، كادت تتوقف تماما في عهد الزعيم الشالجي. إن تعيينه كان غلطة.

٢٠ ـ سأكون مقصرا في ادائي لواجبي إذا لم أبين أني أرى أن أخطاء قد ارتكبت في معالجة بعض القضايا المهمة المتعلقة بالأراضي. وستظهر دلالتها بالنسبة للتحقيق الحالي من الفقرات التالية. إن القضايا التي أشير إليها هي الآتية:

(أ) إلغاء قرار (رق الحصوة) الذي جرى لمصلحة عبد الواحد، والمصدق من قبل مجلس الوزراء نفسه في الخامس من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٧. أن الأمر الصادر بتسجيل عبد الواحد باعتباره دافع الضريبة المسؤول، لم يكن في الواقع قد نفذ بعد إذ أن الأفراد كانوا لا يزالون يرفضون دفع ضريبتهم عن طريق عبد الواحد.

(ب) الأمر الذي يمنح السيد محسن أبو طبيخ جزءاً من الأراضي الأميرية المتاخمة

---

(١) الزعيم: العميد

للرملة، والمتضمن أراضي سبق أن زرعت من قبل الشيخ شعلان السلمان، رئيس الخزاعل. لقد بنى السيد محسن طلبه لهذه الأراضي، في الأصل، على ادعاء أنها واقعة ضمن حدود الطابو العائدة اليه، ولكنه عجز عن اثبات هذا الادعاء، ولم يكن يؤيد طلبه أي من الأسس التي يتم بموجبها، عادة، منح الأراضي الأميرية. إنه رجل غني، ذو املاك واسعة، وليست به حاجة إلى هذه الأراضي. وهذا الأمر لم يكن أيضاً قد نفذ في الواقع بعد. ومن المؤمل أن تجد الحكومة له قطعة صغيرة من ارض غير مشغولة، في مكان آخر تعويضاً له عن آماله التي خابت.

٢١ ـ إني اعتبر أن عبد الواحد، والسيد محسن، قد ألحقا بالحكومة ضرراً لا يقدر. ولا شك في أن هذين الرجلين ينتميان، بصورة طبيعية، إلى طبقة المتمردين الدائمين (انظر الفقرة ١٦) لأن كليهما ينطوي على مطامح للعظمة الشخصية تتعارض مع وجود إدارة قوية أو عادلة. وسوف تضطر أية سلطة، عاجلاً أو آجلاً، إلى استعمال الحزم معهما. ومنذ شهر آذار (مارس) ١٩٣٥، راحا يظهران بمظهر المتمتع بحظوة خاصة، وثقة لدى الحكومة. وقد زعم أنهما قادران على التأثير في سير أعمال الموظفين المحليين. وكما ذكر في الفقرة ١٧، إن ما يظنه الناس صحيحاً هو المهم، وليس الحقيقة الواقعية. إن عبد الواحد، والسيد محسن، قد استخدما، بدون شك، هذه الأحوال والظروف لتعزيز مصالحهما الخاصة في السياسة العشائرية.

القسم الرابع

٢٢ ـ في القسم الأول من هذه المذكرة سجلت، وفي القسم الثاني منها ناقشت، بعض الحوادث التي تبدو لي جديرة بالنظر فيها، كعوامل ربما كانت قد ساعدت على خلق جو ملائم لبعض التعبير عن السخط. وفي القسم الثالث بحثت بعض الأمور التي لها أهمية خاصة بالقياس إلى لواء الديوانية. وقد بقي أن اتحرى لماذا كان يجب أن يقع انفجار في الرميثة بالذات، وفي نيسان (إبريل) ١٩٣٦.

٢٣ ـ وفي تشرين الأول ١٩٣٥عاد محمود، ابن الشيخ خوّام من بغداد إلى منطقة الرميثة. فاتصل على الفور ببعض رؤساء عشيرة الظوالم الذين بدؤوا يتجمعون ويهوسون مطالبين بأن تعاد إلى عائلة عبد العباس، أراضٍ كانت الحكومة قد اعطتها إلى شنشول (انظر الفقرة ١٨).

ان الرسالة التالية المرسلة من قبل جياد الشعلان، وكامل الغثيث، وموسى

الثويني، ومطلق الجياد، إلى المتصرف تبين طريقة تفكيرهم:

«بعد التحية. أنتم تعلمون فيما يتعلق بالظوالم أنهم ليس لديهم غرض مع الحكومة، وإنهم لم يعصوا لها امراً. ولكن رجلاً شريفاً قد حل بيننا، وهو يطلب أرضه ومكانه. إن تقاليدنا القديمة تقضي بأنه إذا غضبت الحكومة على شخص، فإنها لا تمنح أملاكه وأراضيه إلا لابنه. هذا هو عرفنا. ونحن نرجوكم أن تضعوا نهاية لهذه البدعة، وإلا فإن جميع تقاليدنا سوف ترتبك، وسيلحق ذلك الضرر بنا. ومثل هذا حدث في عهد الأتراك إذ أعطت الحكومة أراضيهم (أي الظوالم) إلى الخزاعل، فطردناهم، ثم رددنا الأرض إلى الملاك الشرعيين، وهذا مثال لما قد ذكرنا.

جياد الشعلان　　　　كامل الغثيث

موسى الثويني　　　　مطلق الجياد

وقد أرسلت رسالة مماثلة إلى مدير ناحية الرميثة.

٢٤ ـ في العشرين من تشرين الأول (أكتوبر)، ذهب المدير إلى قلعة مايع الدبوش حيث تجمع محمود، وعمه حاشوش، وقوة من الظوالم. وقد حث حاشوش وكامل الغثيث على المجيء إلى المتصرف، ثم جاء محمود نفسه بعد أن اعطي تعهداً بأنه لن يعاقب على عمله الأخير. ومع ذلك فقد ابعد محمود إلى حلبجة.

٢٥ ـ وفي السادس والعشرين من تشرين الأول، تسلم مدير ناحية الرميثة الرسالة التالية موقعة من قبل دللي الراضي، وموسى الثويني، وجياد الشعلان و«جميع الظوالم»:

«السلام عليكم ورحمة الله. انتم تعلمون أننا قد سلمنا محموداً إليكم بناءً على تعهد (بخت) من المتصرف. وبما أن تعهده قد ظهر أنه فخ، فنحن الموقعين أدناه، سوف لا نأتي الناحية في المستقبل. إن الجميع متهيجون، وربما يحدث شيء آخر. فإن نبذ سعادة المتصرف كلام أصحاب السوء، ورغب في حقن دماء المسلمين، فليعد محموداً وليتبع الطريق السوي. هذا هو قرارنا.

الموقعون أدناه

٢٦ ـ رفع مدير ناحية الرميثة تقريرا مفاده أنه في مساء الثاني من تشرين الثاني

(نوفمبر) ١٩٣٥أطلق عليه الرصاص حين كان عائداً من السماوة إلى الرميثة، كما أن القطار أطلق عليه الرصاص أيضاً (لا يمكن أن يكون الحادث خطيراً، لأن السيارة الثانية قد انغرزت في الطين، فتركت في مكانها، ولكنها لم تتعرض ولا راكبوها إلى أذى. وفي الواقع أنها أخرجت من قبل الظوالم من جماعة محمود الساجت). وقد أمر دللي الراضي، وموسى الثويني، وجياد الشعلان، وكامل الغثيث بمراجعة المتصرف في خلال ستة أيام، لإعطاء تعهد بحسن السلوك. وفي السابع من تشرين الثاني (نوفمبر)، حضر جياد وكامل، وقدما التعهد. وابتداءً من هذه النقطة فإن الأضابير جد ناقصة. ومن المفروض أن الاثنين الآخرين قد حضرا وأن المسألة على ما يبدو قد أغلقت.

٢٧ ـ وليس من السهل إعادة ترتيب مجرى الحوادث في الرميثة بصورة دقيقة بين السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ والعشرين من نيسان (إبريل) ١٩٣٦، بالنظر إلى أن التقارير الواردة من اللواء غير مترابطة ولا تفي بالغرض. ولكن من الممكن تميز عاملين جديدين في الموقف.

٢٨ ـ والعامل الأول هو المؤامرات العشائرية للسيد محسن أبو طبيخ، الشخصية الرئيسية في المناطق الواقعة شمال الرميثة. إن عشيرتي بني عارض والأعاجيب مثلهما كمثل عشيرة الظوالم، منقسمتان إلى اقسام عديدة برئاسة السراكيل بدون رئيس مسيطر. ولذلك فإنهما تقدمان مادة مثالية لذلك المزيج من الاحلاف والمؤامرات المهمة لدى السياسي العشائري. فمن المعتقد، على سبيل المثال، أن سوادي الحسون، وهو شخصية صغيرة نسبياً في عشيرة بني عارض، انما يدين بترشيحه للنيابة في الانتخابات الأخيرة (آب/اغسطس ١٩٣٥) إلى نفوذ السيد محسن. وقد اجتمع الحساد من منافسي سوادي تلقائياً في حلف ضد محسن. وقد تلقى بعض سراكيل عشيرة الأعاجيب من السيد محسن وعوداً بأفضال في المستقبل، لقاء عدم انضمامهم إلى حركة خوام في أيار/مايس ١٩٣٥. ثم بدؤوا يشكون من عدم تحقيق هذه الوعود. وبالاختصار يبدو أنه في حوالي منتصف آذار (مارس)، كان عدد من هؤلاء العشائريين يستعدون لتوجيه ضربة إلى السيد محسن، فأصبح السيد محسن خائفاً. ويذكر بصورة موثوقة أنه وزع نقوداً وهدايا أخرى، ليكسب بعض أعضاء التحالف[1].

(١) أحمد كامل أبو طبيخ، السيد محسن أبو طبيخ سيرة وتاريخ، بغداد ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م
راجع التفاصيل في الصحفات ٢٤٣ ـ ٢٥٦ (حركة الشيخ خوام)
عبد الجبار الجسام، ٣٠ سنة في الوظيفة ـ مذكرات ـ بغداد ١٩٥١ الصفحات ١٤٠ ـ ١٥٣

٢٩ ـ وكان السيد محسن، في نظر رجال العشائر الجاهلين، على ارتباط وثيق بالحكومة (أنظر الفقرة ٢١ اعلاه)، ولربما كانوا يعتبرون التصادم مع الحكومة نتيجة حتمية لأي هجوم على السيد محسن، في حين أن الهدف كان السيد محسن وليس الحكومة.

٣٠ ـ ومنذ منتصف آذار (مارس)، حتى منتصف نيسان (إبريل)، كان هناك نشاط سياسي مكثف، وكثير من الذاهبين والقادمين، و «هوسات»، واشعال للنيران، بين سراكيل هذه العشائر الثلاث. ومن تدقيق هذه «الهوسات» تبرز نقطة هامة: أن أتباع بني عارض والأعاجيب كانوا موجهين ضد السيد محسن: أو ضد الذين في حمايته. أما أتباع الظوالم فهم ذوو نغمة أشد مرارة وموجهون ضد الحكومة. ويبدو أنهم يعكسون بذلك استياءهم من خرق «البخت» الذي اعطاه المتصرف إلى محمود الخوام في شهر تشرين الأول (انظر الفقرتين ٢٤ و٢٥ اعلاه).

٣١ ـ والعامل الثاني الذي أشير إليه في الفقرة ٢٧ أعلاه، كان تشديد الدعاية المبحوثة في القسم الثاني من هذه المذكرة. لقد صادف عيد الأضحى في هذه السنة، اليوم الرابع من آذار. وفي هذه المناسبة اعتاد شيوخ الفرات زيارة كربلاء. وهذا التجمع تبعه، بعد تسعة أيام، تجمع آخر في النجف، بمناسبة عيد الغدير، المبجل عند الشيعة.

ومما لا شك فيه أنه قد جرى بحث كثير لظلامات العشائر، وحديث ضد التجنيد الإجباري، وتكوين ـ أو عدم تكوين ـ الاحلاف في هذا الوقت. وتبع ذلك مباشرة الأمر المتعلق بمحرم (انظر الفقرة ٦ اعلاه) الذي أعطى الإشارة للبدء بالدعاية العنيفة من النوع المبين في الفقرتين ١٢و ١٣، ويبدو أن هذه الدعاية كانت موجهة، بالدرجة الأولى، من بغداد.

٣٢ ـ وفي الثامن عشر من نيسان تبين للسلطات الإدارية أنه من الضروري اتخاذ الخطوات لوضع حد للنشاط المبين في الفقرة ٣٠ الذي كان من المحتمل أن يؤدي إلى قتال بين العشائر، وإن لم يكن إلى ما هو اسوأ. فبعث في طلب موسى الثويني ودللي الراضي، فاعتذرا عن الحضور. ولكنهما أعربا، في مقابلات مع المدير وغيره من صغار الموظفين، عن ظلاماتهم، وطلبا:

(أ) استعادة أراضي الشيخ خوام.

(ب) الإعفاء من التجنيد الاجباري.

(ج) الحرية التامة في الشؤون الدينية كمواكب محرم.

٣٩ ـ واود أن أقول بصراحة، أني أعتقد أن السياسة التي انتهجت في مسألة ارض خوام (الفقرة أ) كانت غلطة. وقد سجل وكيل شؤون العشائر العام في مذكرة مؤرخة في ١٧ آب ١٩٣٥ (الإضبارة ٣٣/ن/٩) الصفحتان ١٨٩، ١٩٠) جاء فيها أنه قد خشي من أن تلك السياسة «سوف تؤدي إلى الاضطراب وسفك الدماء». إن المرغوب فيه، في جميع حالات التحدي المسلح للحكومة، أن تكون العقوبات من النوع الذي يمكن تنفيذه على الفور، وبذلك يفسح المجال لغلق القضية: غراماتٍ نقدية أو في شكل بنادق، السجن، هدم القلاع، وحتى الإعدام في حالات استثنائية. ولكن التلاعب بالأرض، وفوق كل شيء مصادرة الأرض، ثم منحها إلى عشائر معادية أو منافسة، إنما يزرع بذور الاستياء الدائم في العشيرة أو الأسرة المتضررة كلها، وتصبح الحكومة مضطرة إلى التدخل باستمرار لإدامة نقل الملكية هذا.

٤٠ ـ وفيما يتعلق بالفقرة (ب) فإنه من البديهي أن الوعود، لا سيما التعهدات بالسلامة، يجب أن يوفى بها إلا إذا أريد نسف الثقة العامة. وإني اشك فيما إذا كان من الضروري حقاً الوصول بالأمور إلى نقطة حرجة بالانذار النهائي في الثالث من نيسان. ولكن خرق البخت، ورسالة الظوالم التي تبعته (فقرة ٢٥) قد جعلت إطاعة ذلك الانذار النهائي أمراً غير محتمل، فجعل ذلك الإنذار العمليات أمراً محتماً.

٤١ ـ أما فيما يتعلق بالفقرة (ج) فمن الواضح أن مهمة حفظ النظام في هذا القطر قد تعقدت بالتطور الحديث والمؤسف الذي بدأ بموجبه رؤساء العشائر والشخصيات المحلية يرتبطون بالأحزاب السياسية في العاصمة. ولقد حاولت في الفقرة (١٦) أن أبين أن مثل هذا التجمع هو غير طبيعي ومفتعل، وأن الحكومة لتحسن صنعا إذا هي بذلت كل جهد لمقاومة هذا التطور، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بإدارة عادلة، والنظر في النزاع على الأراضي ـ بصورة خاصة ـ بحياد تام، وبدون التفات إلى العوامل السياسية الخارجية التي لا علاقة لها بالقضية. إن رغبات الحكومة في هذا الصدد يجب أن توضح للموظفين كافة. وهي سوف تواجه متاعب مستمرة، إلا إذا امكن تحرير إدارة المناطق العشائرية تماماً، من السياسة الحزبية.

٤٢ ـ وإذا كنت، في هذا التحقيق، قد استرعيت الانتباه بصورة رئيسية إلى النقاط التي تبين لي أن الإدارة تستطيع أن تتعلم منها درساً، فإن ذلك يرجع إلى الأسباب

المشروحة في البداية في الفقرة الأولى. بيد أني لم انس السبب (٥) ـ الفقرة ٣٨ ـ إن السيطرة على الرميثة ليست بالأمر السهل. وأن إدارتها، لأية فترة من الزمن، بدون الرجوع إلى المعونة العسكرية، انما هو إنجاز جدير بالتقدير. ولكن موظفي لواء الديوانية يجب أن يجري انتخابهم دائماً بعناية خاصة

س. جي ادموندس

١٩٣٦/٦/١

(ملاحظات وتعليقات)

إن المستر ادموندز لا يوارب في ألفاظه، وعلينا أن نأمل أن الحكومة العراقية ستحتضن انتقاداته الوجيهة جداً. إن معاقبة المتمردين بتوزيع أراضيهم على خصومهم إجراء غير معقول، ومما يؤيد هذا هو أن مثل ذلك الإجراء كان السبب في اضطرابات الرميثة نفسها (الفقرة ٢٣)

د. سكوت ـ فوكس

(المرفق)
بيان رسمي

بعد القضاء على حركة التمرد في منطقة الدغارة قررت السلطة المختصة تجريد تلك المنطقة من السلاح، وأنذرت البقية من المتمردين بلزوم إظهار خضوعهم وتسليم أنفسهم إلى الحكومة، وقد بوشر على الأثر جمع السلاح، وقدم جميع الرؤساء خضوعهم، وكان آخر من قدم الطاعة من دون قيد وشرط شعلان العطية رئيس عشائر الاقرع، ولا يزال جمع الأسلحة مستمراً سواء في منطقة الرميثة أو الدغارة، ولم تجد الحكومة بعد ذلك ضرورة لمرابطة الوحدات العسكرية في هاتيك الجهات فأعيدت إلى معسكراتها الدائمة، ومازالت التدابير المحلية متخذة لمنع تكرار الحوادث المؤسفة الماضية.

مدير الدعاية والنشر
٢٢ حزيران ١٩٣٦

(الوثيقة رقم ٣٠)
تقرير القنصل الأمريكي في بغداد

إضبارة الوثائق والملاحظات

Iraq. General Conditions
890 G. No. 987
17 Mar. 1938

إلى: وزارة الشؤون الخارجية ـ واشنطن.

من: (نابنشو)، العراق

التاريخ: ١٧ مارس، ١٩٣٨

الموضوع بخصوص: الأوضاع السياسية ـ العراق

٢ ـ المتبقون من وزارة الهاشمي يطالبون بالبراءة والتحقيق.

نحن، المتبقون من وزارة ياسين الهاشمي، وبالنظر لما نشرته جريدة الزمان بعددها المرقم ١٦٨ الصادر في ١٨ مارس ١٩٣٨ بما يشير إلى أن وزارة الهاشمي يجب أن تعتبر مسؤولة عن بعض الأعمال التي قامت بها.

ويشارك في وجهة النظر هذه التي أعلنها قادة حركة ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦.

وبناءً على ذلك وما نعتقده من أنه خلال فترة الوزارة الحالية سوف يتسنى إجراء التحقيقات للوصول إلى الحقيقة. ولذا نطلب من مجلس الأمة القيام بما يلزم وإحالتنا إلى المحكمة العليا.

١٤ مارس ١٩٣٨

رشيد عالي الكيلاني، رؤوف البحراني، نوري السعيد، محمد أمين، وصادق البصام.

إن المذكرة المشار إليها أعلاه سوف تقدم إلى مجلس النواب من قبل النائب صادق البصام وإلى مجلس الأعيان من قبل العين رشيد عالي الكيلاني.

تعليق: هذه هي أول مذكرة وبيان من قبل بقية وزراء ياسين الهاشمي. ومن المثير أن نلاحظ ما قطعته السياسة العراقية منذ العام ١٩٣٦ إذ في تلك الأيام لو تواجدوا في العراق لكان مصيرهم إما السجن أو الإعدام.

من الملاحظ أيضاً أن جريدة البلاد قد منعت من النشر والصدور لمدة سنة واحدة لنشرها هذه المذكرة.

الوثيقة رقم ٢٠

DOCUMENT FILE

NOTE

SEE 890g.00 General Conditions/135 FOR 4937

FROM Iraq (Knabenshue) DATED March 17, 1938
TO NAME

REGARDING: Political affairs - Iraq.
Shaikh Muhsen Abu Tubeekh has withdrawn from politics.
Survivors of Hashimi Cabinet request vindication.

تقرير القنصل الأمريكي في بغداد عن السيد محسن أبو طبيخ ووزراء الهاشمي

الوثيقة رقم ٢٠

a view which was also declared by the leaders of the events of October 29, 1936, and in view of our belief that during the present regime it is possible to carry out investigations to reveal the truth, request parliament to conduct a parliamentary investigation and refer us to the High court.

March 14, 1938

Rashid Ali al-Gailani, Raouf al-Bahrani, Nuri as-Said, Mohammed Amin Zaki and Sadiq al-Bassam.

The above-mentioned announcement will, it is said, be presented to the Chamber of Deputies by Deputy Sadiq al-Bassam and to the Senate by Senator Rashid Ali al-Gailani.

--Al-Bilad, March 15, 1938.

Comment: This is the first public announcement by the remaining members of the Hashimi Cabinet and is interesting as an indication of the distance Iraqi politics has travelled since the end of 1936 when these persons if present in Iraq would either have been jailed or shot. It may be noted, however, that Al-Bilad has been suspended for one year for printing this announcement.

(الوثيقة رقم ٢٨)
وثيقة الحكومة الأردنية[١]

حضرة سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي الأمير المفدى عبد الله ابن الحسين المعظم حرسه الله أعرض أنه لي الشرف العظيم أن ارفع للسدة السنية إخلاصي وعبوديتي معتزاً بخدمة سيدي ولي النعم عميد آل البيت الهاشمي الرفيع العماد مفتخراً بلثم الأيادي الطاهرة داعياً إليه تعالى أن يحفظ سموكم ذخراً للعرب والعروبة آمين بجاه سيد المرسلين. رجائي بكمال الحرارة أن ارفع لسموكم العالي تحياته واحتراماته المقرونات بكل أجلال معالي (فايز بك الخوري) وزير سوريا في موسكو الذي مر في بغداد أخيراً واقيمت له عدة حفلات ومآدب تكريماً له وهو من المعلومين هنا بإخلاصه لسموكم وللسدة السنية والقضية العربية والوحدة السورية.

رجع مؤخراً العين المحترم (السيد محسن أبو طبيخ) من البقاع الحجازية عن طريق نجد بعد أن تشرف بزيارة سيد الكائنات (محمد) عليه الصلاة والسلام واجتمع مرارا بجلالة الملك (ابن سعود) الذي أكرم وفادته وغمره بلطفه وكان بينهما حديث طويل استعرضا في اثنائه مسائل كثيرة ومباحث عديدة تتعلق بالحالة الحاضرة فيقول (السيد محسن) المشهود بولائه للعائلة الهاشمية وخاصة إخلاصه لعميدها حفظه الله.. إنني رأيت بأحاديث الملك التي كانت بغاية الصراحة إنه لا يحمل بين دفتي صدره إلا كل ود عميق وتمنيات خاصة وتقدير وإعجاب إلى سموكم العالي وقال له: أرجعنا الأملاك وأريد أكثر من ذلك خيراً للعائلة الهاشمية.

والسيد محسن المشار إليه قال إن الوضعية تحسنت كثيراً، وإنه يمكننا أن نستفيد منه

(١) الأوراق الخاصة بالملك عبد الله الجزء التاسع في الصفحة ٢٠٠ وفيها رسالة مرسلة من قنصل شرق الأردن في بغداد (عمر زكي) والوثيقة برقم (١١٨ ـ ١٣٥) في ١٠/٧/١٩٤٥

كثيراً في حل القضايا المعلقة وخاصة سوريا الكبرى وهو يرفع إخلاصه وولاءه للسدة السنية لكمال التعظيم.

من المخلص والعبد العاجز قنصل شرق الأردن

العام في بغداد

عمر زكي

في ١٩٤٥/٧/١٠

(الوثيقة رقم ٢٩)
كتاب الإمام الشيرازي

كتاب الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي إلى الرؤساء والزعماء والأشراف والأفراد في كافة أنحاء العراق يحثهم فيه على الاستعداد والتهيؤ، وذلك بعد أن طرقت مسامعه أخبار توكيل البغداديين للمندوبين الخمسة عشر. وذلك في ٩ ـ ١٠ رمضان ١٣٣٨ ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد: فإن إخوانكم المسلمين في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من انحاء اماكن العراق قد اتفقوا فيما بينهم على الاحتجاج بمظاهرات سلمية، وقد قام جماعة كثيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الامنية بوجه واحد طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إنشاء الله تعالى بحكومة إسلامية وقد بلغتنا احساساتكم الإسلامية وتنبهاتكم الوطنية فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانهم بهذا المقصد الشريف وأن يرسل كل قطر وناحية بمقصده إلى عاصمة العراق بغداد للطلب بحقه... مع الذين سيتوجهون من انحاء العراق عن قريب إلى بغداد وإياكم والإخلال بالأمنية والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض فإن ذلك مضر بمقاصدكم الإسلامية ومضيع لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم، واوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم واعراضهم وأموالهم ولا تنالوا واحداً منهم بسوء ابداً، وفقكم الله تعالى لمراضيه والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

التوقيع

الأحقر الفقير إلى الله الشيرازي

(الوثيقة رقم ٣٥)
أعضاء الإدارة المدنية من الإنكليز
فترة الاحتلال البريطاني ١٩١٥ ــ ١٩١٦

الخبراء الإنكليز في الإدارة المدنية التي شكلها برسي كوكس وقام بإدارتها ولسن نيابة عنه لفترة معينة وهؤلاء هم:

أس . جي. نوكس (عدلية) S.G.Knox

الأطباء: دي. اف. بوري و ان. اي. اج سكوت (صحة)

Drs. D.F. Bourie & N.E.H.S. Scott

سي. آر. واتكنز (كمارك) C.R. Watkins

اي. جي. غرينسن (الشرطة) E.G.Gregson

والأسماء التالية هم الضباط السياسيون في مختلف أنحاء العراق:

سي. سي. ج. باريت C.C.J. Barrett

اج. آر. بي. دكسن H. R. P. Dickson

سي. ج. ايدموندز C.J. Edmonds

تي. سي. دبليو. فاولT.C.W. Fowle

آر. اي هولند R.E. Holland

جي. اي. ليجمان G.E.Leachman

سي. اف. مكنزي C.F. Mackenzie

سي. اف. مكفارسون C.F. Macpherson

آر. مارس R.Marrs

اي. دبليو. سي. نويل E.W.C. Noel

اج. اس تي. ج. بي. فلبي H.ST.J.B.Philby

وفي العام ١٩١٦ تمت إضافة الأشخاص:

اج. اف. فوربس (قضاء) H.F.Forbes

الدكتور تي. اج. بشوب (صحة) Dr. T.H. Bishop

الدكتور تي. اج. وود (صحة) Dr. H. Wood

الدكتور جي. فنش (صحة) Dr.G.Finch

اف. دبليو جرارد (شرطة) F.W. Gerard

اف. سي. برايت (شرطة) F.C.Bright

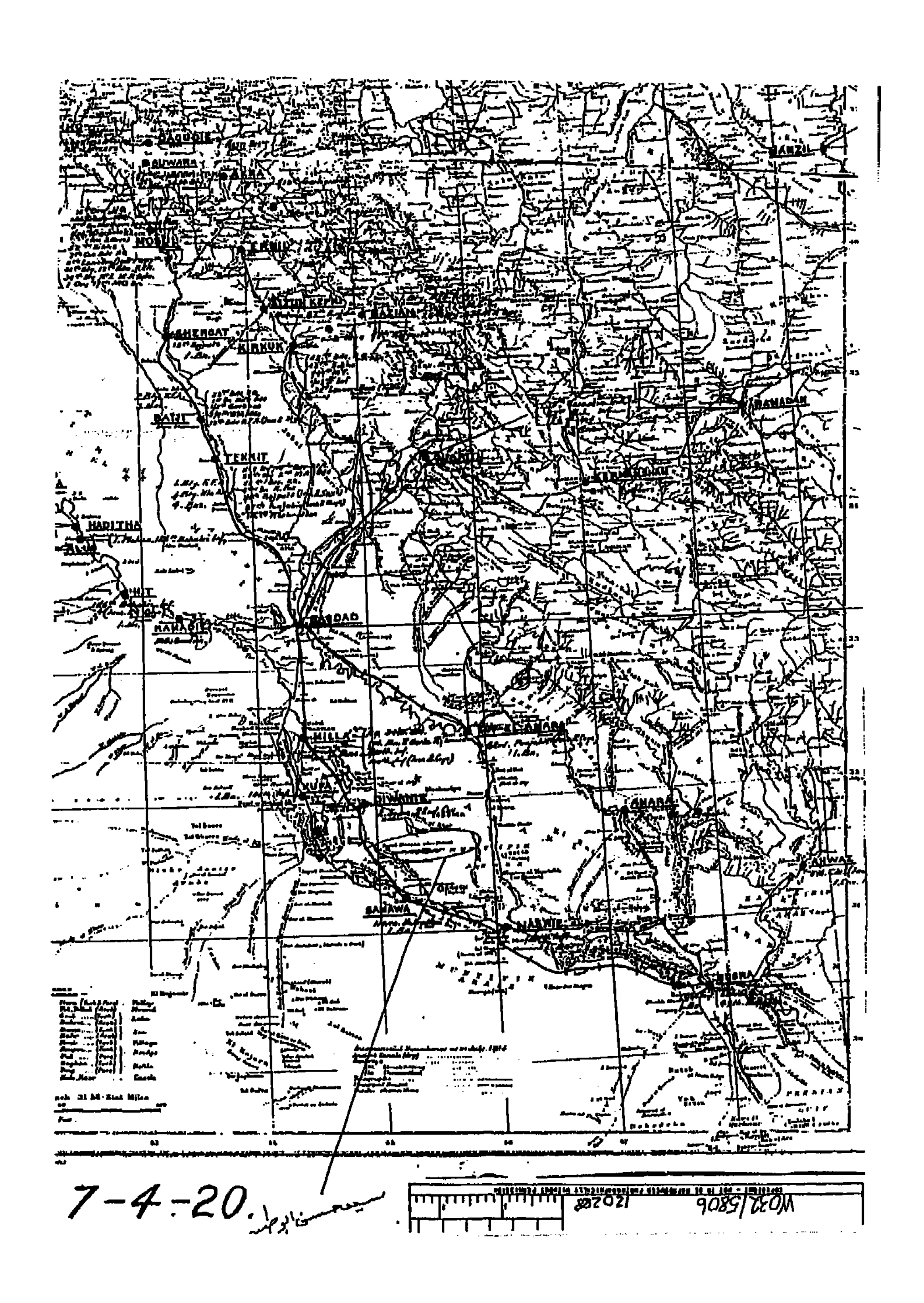
سي. اف. ويكفورد (مطبعة الحكومة) C.F. Weakford

تي. سي. ولسن (التجارة المعادية) T.C.Wilson

اچ. آر. سي. دوبس (ضرائب) H.R.C. Dobbs

سي. سي. كاربيت (ضرائب) C.C.Garbett

القائمة الكاملة للموظفين الإنكليز والهنود من عام ١٩١٤ لغاية ١٩٢٠ راجع الصفحة ٣٤٣ ـ ٤٠٠ في كتاب آرنولد ولسن. ميسوبتاميا (العراق) ١٨٢٠ ـ ١٩١٧



خارطة المخابرات العسكرية البريطانية لعشائر منطقة الفرات الأوسط في ٧/٤/١٩٢٠

(الوثيقة رقم ٣١)
المستخدمون من الإنكليز في فترة الحكم الوطني

المستشارون الإداريون في مراكز الألوية (المحافظات) أو من هم في مقر وزارة الداخلية في مطلع عام ١٩٢٣

سي. جي. ادموند C.J. Edmonds

جي. في. بي. كللن G.V.B. Gillan

سي. سي. استون * C.C.Aston

اس. جي. سي. موري S.G.C. Murray

اج. ام. فلاكسمن H.M.Flaxman

اي. سي. اج. البن * E.C.H. Alban

دبليو. اي. ليون * W.A. Lyon

اي. اف. ملر* A.F. Miller

اي. اس. بيري * E.S. Berry

ال. كيتلويل L. Kettlewell

اس. اي. هجكوك S.E.Hedgcock

اج. سي. بوللي H.C. Pulley

ار. اي. الدرمان * R.E. Alderman

دبليو. اف. اي. ولسن* W.O.F.A. Wilson

ال. ام. ييتس L.M. Yetts

جي. سي. كتشنغ * G.C. Kitching

ج. اف. دي. جفري J.F.D. Jeffrey

ال. دبليو. ريد L.W. Reed

اس. اج. لونكريك S.H. Longrigg

اي. اج. دجبرن * A.H. Ditchburn

اج. آي. لويد * H.I. LLoyd

آر. اف. جاردن * R.F. Jordine

الإشارة (*) أعلاه إزاء كل اسم تعني بقاء الشخص في الخدمة حتى العام ١٩٢٧ مع إضافة المستشارين أدناه:

سي. كرايس C.Grice

اي. ج. بي. جابمن A.J.B. Chapman

ج. بي. كلوب (أبو حنيك، باشا لاحقاً) J.B. Glubb

فهرس الوثائق والصور



فهـــرس الأعـــلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

- غ -

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

فهرس العشائر والأماكن

- أ -

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

المراجـــع والمصـــادر

المصادر المدرجة في هذا الملحق اعتمدتها في تحري الأحداث والوقائع التي كتب عنها السيد محسن أبو طبيخ وجاءت تحت عنوانين. فالتي هي تحت عنوان «المصادر والمظان» هو ما اوردت ذكره في موضوع معين أو أكثر واما «المصادر العامة» فقد استعنت بها لاستكمال تاريخ ووقائع المذكرات والادوار التي جرى الكلام عنها

المصـادر والمظـان

١ أ. س. ج آل فتله كما عرفتهم ١٩٣٦

٢ إبراهيم الراوي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، ١٩٧٨

٣ أحلام حسين جميل، الأفكار السياسية للأحزاب العراقية في عهد الانتداب، ١٩٨٥

٤ أحمد فوزي، أشهر الاغتيالات السياسية في العراق، ١٩٨٧

٥ أحمد فهمي، تقرير حول العراق ١٩٢٤، ١٩٢٦

٦ أحمد أبو طبيخ، السيد محسن أبو طبيخ، سيرة وتاريخ، بغداد ١٩٩٨.

٧ أحمد زكي الخياط، مذكرات ـ مخطوطة لم تطبع

٨ أحمد عزت الأعظمي، تاريخ القضية العربية جـ (١ ـ ٦)

٩ اسحق نقاش، شيعة العراق (مترجم عن الإنكليزية) دمشق ١٩٩٦

١٠ إسماعيل العارف، أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية العراقية، لندن ١٩٨٦

١١ أمجد محمد رضا الشبيبي مذكرات محمد رضا الشبيبي، ثورة النجف الأشرف ضد الاستعمار البريطاني عام ١٩١٧ ـ ١٩١٨

١٢ تحسين العسكري، مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية جـ (١ ـ ٢) ١٩٣٥

١٣ ثامر عبد الحسين العامري، موسوعة العشائر العراقية

١٤ جعفر عباس حمندي و د. إبراهيم خليل أحمد، تاريخ العراق المعاصر

١٥ جعفر عباس حمندي، التطورات السياسية في العراق (١٩٤١ ـ ١٩٥٣)، ١٩٧٦

١٦ جعفر خياط ـ ترجمة ـ العراق في رسائل المس بيل ١٩٧٧

١٧ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الأول ١٩٥٨

١٨ جعفر الخليلي، التمور العراقية قديماً وحديثاً

١٩ جعفر صادق حمودي، معجم الشعراء العرب

٢٠ جمال بابان، اصول أسماء المدن والمواقع العراقية

٢١ حازم المفتي، العراق بين عهدين ـ ياسين الهاشمي وبكر صدقي ١٩٩٠

٢٢ حسن الأسدي، ثورة النجف ١٩٥٧

٢٣ حسين جميل، الحياة النيابية في العراق وموقف جماعة الأهالي منها

٢٤ حيدر المرجاني، تراث النجف في البيوت والأسر النجفية، الجزء الأول

٢٥ الحوماني، بين النهرين

٢٦ حارث يوسف غنيمة، السياسي الاديب يوسف غنيمة ١٩٩٠

٢٧ حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية ١٩١٤ ـ ١٩٩٠

٢٨ حسين أبو سعيدة الموسوي، المشجر الوافي في السلسلة الموسوية (جـ ١ ـ ٤)

٢٩ حمود الساعدي، دراسات عن عشائر العراق ـ الخزاعل ـ

٣٠ حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين

٣١ حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩٧٩

٣٢ حنا بطاطو، العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية ١٩٩٠

٣٣ د. خالد التميمي، محمد جعفر أبو التمن، دمشق ١٩٩٦

٣٤ خضر العباسي، شعراء الثورة العراقية أثناء الاحتلال البريطاني

٣٥ خلدون الحصري، مذكرات طه الهاشمي ١٩٦٧

٣٦ خليل كنه، العراق أمسه وغده، ١٩٦٦

٣٧ خيري العمري، شخصيات عراقية، الجزء الأول

٣٨ خيري العمري، يونس السبعاوي سيرة سياسي عصامي

٣٩ دليل المملكة العراقية ١٩٣٦

٤٠ رجاء حسين، العراق بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٧

٤١ سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية (الجزء الثاني) ١٩٧٦

٤٢ سعيد رشيد زميزم، رجال العراق والاحتلال البريطاني، الجزء الأول

٤٣ سعاد شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى ١٩٤٥، طبعة أولى، ١٩٨٨

٤٤ سعيد رشيد زميزم، لمحات تاريخية عن كربلاء

٤٥ سلمان التكريتي، الوصي عبد الإله على عرش العراق ١٩٨٩

٤٦ سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة ١٩٨٨

٤٧ صالح الكرعاوي، الموسوعة الكاملة في انساب العرب (ج ١ ـ ٤)

٤٨ صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق

٤٩ طه الفياض، الإعصار الشديد في تفنيد سياسات السعيد

٥٠ د. عبد الأمير العكام، الحركة الوطنية في العراق، ١٩٧٥

٥١ عبد الجبار الراوي ـ مذكرات ـ ١٩٩٤

٥٢ عبد القادر البراك، ذكريات أيام زمان، ١٩٨٩

٥٣ د. عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، طبعة ثانية، ١٩٧٥

٥٤ عبد الجبار العمر، مصرع الكولونيل لجمن

٥٥ عبد الجبار العمر، محاكمات سياسية مثيرة أمام القضاء العراقي ـ مصرع الكولونيل لجمن ـ

٥٦ عبد الحميد الراضي، ثورة العراق الكبرى

٥٧ عبد الحميد العلوجي وعزيز الحجية، الشيخ ضاري

٥٨ عبد الرزاق الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٨٠

٥٩ عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى ١٩٥٢

٦٠ عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب (جـ ١ ـ ٣)

٦١ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية ١٩١٨ ـ ١٩٥٨

٦٢ عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها

٦٣ عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات

٦٤ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية (الاجزاء ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٧ ـ ٨)

٦٥ عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال

٦٦ عبد الرزاق الحسني، الأسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية

٦٧ عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث (جـ ١ ـ ٣)

٦٨ د. عبد المجيد التكريتي، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ ـ ١٩٣٢ الطبعة الأولى ١٩٩١

٦٩ عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي

٧٠ عبد الجبار عبد الله، فهرس المطبوعات العراقية (جـ ١ ـ ٣)

٧١ عبد الجبار الجسام ٣٠ سنة في الوظيفة ـ مذكرات ـ ١٩٥١

٧٢ عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ١٩٩٠

٧٣ د. عبد الجليل الطاهر، العشائر والسياسة ـ تقرير الاستخبارات البريطانية

٧٤ عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة العراق السياسية (جـ ٢ ـ ٣) ١٩٨٦

٧٥ عبد الشهيد الياسري (السيد) البطولة في ثورة العشرين ١٩٦٦

٧٦ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الرابع

٧٧ عبد الجبار عبد المصطفى، تجربة العمل الجبهوي في العراق بين ١٩٢١ ـ ١٩٥٨

٧٨ د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق المعاصر (الاجزاء ٥ ـ ٦)

٧٩ علي الخاقاني، شعراء الغري والنجفيات

٨٠ علي البزركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ١٩٩١

٨١ علي جودت الأيوبي، أيام النكبة ـ للعبرة والذكرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧

٨٢ عماد أحمد الجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٣٢

٨٣ علاء جاسم محمد، جعفر العسكري

٨٤ د. غسان العطية، العراق: نشأة الدولة، لندن، ١٩٨٨
٨٥ د. فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق، ١٩٧٨
٨٦ فاضل عباس وعبد الوهاب عباس وعبد الأمير محمد امين، تاريخ العراق المعاصر
٨٧ فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى
٨٨ فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠(١٩٥٢)
٨٩ فاهم كامل الشمري، ترجمة الألقاب في معرفة العشائر والانساب
٩٠ فؤاد حسن الوكيل، جماعة الأهالي
٩١ كامل السيد محسن أبو طبيخ (مذكرات) مخطوطة لم تطبع
٩٢ كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين (جـ ١ ـ ٣)
٩٣ كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠ (جـ ١ ـ ٢) ١٩٧٢
٩٤ كامل سلمان الجبوري، حصيلة الثورة العراقية من النتاج الفكري (١٩٢٠ ـ ١٩٨٣)
٩٥ كامل سلمان الجبوري، مذكرات سعد صالح، ١٩٨٧
٩٦ كامل سلمان الجبوري، مذكرات محمد علي كمال الدين، ١٩٨٧
٩٧ كامل سلمان الجبوري، مذكرات الحاج صلال الموح، ١٩٨٦
٩٨ كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، ١٩٧٢
٩٩ كاطع العوادي (مذكرات)، ١٩٨٧
١٠٠ د. لطفي جعفر فرج، الملك غازي
١٠١ د. لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، ١٩٧٩
١٠٢ مجموعة من المؤلفين، العراق في التاريخ
١٠٣ محسن أبو طبيخ (السيد) الرحلة المحسنية، ١٩٢٥، صيدا
١٠٤ محسن أبو طبيخ (السيد) المبادئ والرجال، ١٩٣٨، دمشق
١٠٥ د. محمد مظفر الأدهمي، المجلس التأسيسي العراقي (جـ ١ ـ ٢)، ١٩٨٩
١٠٦ د. محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى، ١٩٨٩

١٠٧ د. محمد حسين الزبيدي ومحمد أنيس، اوراق ناجي شوكت، ١٩٧٧

١٠٨ محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين

١٠٩ محمد علي الحوماني، العروبة ـ مع الناس ـ

١١٠ محكمة الشعب، محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة جـ ١١ ـ ١٩٥٨

١١١ مير علي (السيد) ديوان الأنواء

١١٢ مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، لندن، ١٩٩٩

١١٣ محمود الدرة، الحرب العراقية البريطانية، ١٩٤١

١١٤ محمود العطية، بغداد وثورة العشرين

١١٥ محمد علي كمال الدين، الثورة العراقية الكبرى

١١٦ محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، لندن، ١٩٩٠

١١٧ د. محمد حسن الزبيدي، ثورة العشرين وأبطالها في المنفى/ العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام، ١٩٨٥

١١٨ محمد يونس وهب، أهمية تلعفر في ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠

١١٩ موسى علي الطيار، أضواء على مقتل الفريق جعفر العسكري وبكر صدقي، ١٩٨١

١٢٠ نوري السعيد، محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ ـ ١٩١٨

١٢١ ناجي شوكت، سيرة وذكريات

١٢٢ ناجي وداعة، لمحات من تاريخ النجف الأشرف

١٢٣ نجدت فتحي صفوت، العراق في الوثائق البريطانية

١٢٤ هاشم الخياط، دليل الرافدين

١٢٥ د. وميض جمال عمر نظمي، التطور السياسي المعاصر في العراق

١٢٦ د. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق

١٢٧ وداد الهيمص، ذكريات وخواطر عن أحداث عراقية في الماضي القريب ـ مذكرات عبود الهيمص ـ

١٢٨ وزارة الإعلام، دليل الجمهورية العراقية، ١٩٨٠
١٢٩ يعقوب يوسف كوريا، صحافة ثورة العشرين
١٣٠ يونس بحري، أسرار ٢ مايس ١٩٤١ والحرب العراقية الإنكليزية
١٣١ يونس إبراهيم السامرائي، القبائل والبيوتات الهاشمية في العراق، ١٩٨٩

المصادر العامة

١ ارنولد تي. ولسن، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، ترجمة فؤاد جميل، ١٩٩٢
٢ ارنولد تي. ولسن، الثورة العراقية، ترجمة جعفر خياط، ١٩٧١
٣ المر هولدن (الفريق) ثورة العراق ١٩٢٠، ترجمة فؤاد جميل، ١٩٦٥
٤ أ. م . منتشا شغيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة د. هاشم التكريتي
٥ أنيس الصايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ١٩٦٦
٦ جورج انطونيوس، يقظة العرب ـ تاريخ حركة العرب القومية ـ ترجمة د. ناصر الأسد و د. إحسان عباس، ١٩٧٨، بيروت
٧ حسين كمال الدين ـ مذكرات ـ ١٩٨٧
٨ خيري العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث
٩ سليمان فيضي ، في غمرت النضال ـ مذكرات ـ ١٩٩٨، لندن
١٠ شكري محمود نديم (العميد الركن) حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨
١١ فوزي القاوقجي، مذكرات
١٢ كرترود بيل (المس)، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، ١٩٧١
١٣ كرترود بيل (المس)، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر خياط، ١٩٧٧
١٤ كوتولوف، ل. ن. ثورة العشرين الوطنية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، ١٩٨٥
١٥ محمد حرز الدين، معارف الرجال
١٦ محسن أمين العاملي (السيد)، أعيان الشيعة
١٧ د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الاجزاء ١ ـ ٦
١٨ د. عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، الموسوعة السياسية، ١٩٧٤، بيروت

١٩ عبد الرسول تويج (الحاج) ـ مذكرات ـ ١٩٨٧

٢٠ عبد الحميد زاهد ـ مذكرات ـ ١٩٨٧

٢١ د. هاري سندرسن ـ مذكرات ـ ترجمة سليم طه التكريتي، ١٩٨٠

الصحف والمجلات

جريدة الاستقلال، العدد ٦ السنة الأولى ٢٧ محرم ١٣٣٩، ١٠تشرين الأول ١٩٢٠

جريدة البلاد، الثلاثاء ١٩٥٦/١/١٧

جريدة اليقظة، العدد ٢٥٣٣، السنة ٣٤، ١ تموز ١٩٥٦

جريدة الزمان، العدد ٧١٢٦، ٢٠ ذي القعدة ١٣٨٠، ٥ أيار ١٩٦١

جريدة الأخبار، ٢٤ ذي القعدة ١٣٨٠، ٥ مايس ١٩٦١

جريدة الزمان، ٢٤ ذي القعدة ١٣٨٠، ٥ مايس ١٩٦١

جريدة الزمان، ٢٦ ذي القعدة ١٣٨٠، ١١ مايس ١٩٦١

جريدة الفجر الجديد، ٢ مايس ١٩٦١

جريدة العهد الجديد، ١١ مايس ١٩٦١

جريدة المستقبل، ٦ حزيران ١٩٦٢

جريدة الأخبار، ٦ حزيران ١٩٦٢

جريدة الزمان، ٦ حزيران ١٩٦٢

جريدة التيار الجديد، لندن، العدد ٦٩ السنة الثالثة، حزيران ١٩٨٧

جريدة الجهاد، طهران، العدد ٢٩٥ السنة الثامنة، حزيران ١٩٨٧

جريدة الاتحاد، العدد ٧٢، ١٤رمضان ١٤٠٨، ١ مايس ١٩٨٨

جريدة الاتحاد، العدد ١٣٣، ١ تموز ١٩٨٩

مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٤ تموز ١٩٦٩

مجلة البلاغ، العدد ٥، السنة الرابعة، ١٩٧٣

مجلة آفاق عربية، العدد ١١، السنة الثانية، ١٩٧٧

مجلة آفاق عربية، العدد ١٠، السنة الثالثة ١٩٧٨

مجلة آفاق عربية، العدد ٨، السنة الرابعة، ١٩٧٩

مجلة آفاق عربية، العدد ١٢، السنة الخامسة ١٩٨٠

مجلة آفاق عربية، العدد ٦، السنة الثالثة، ١٩٧٨

مجلة آفاق عربية، السنة ١٣، ١٩٨٨

مجلة آفاق عربية، السنة ١٩، ١٩٩٤

مجلة المصور العربي، ١ مايس ١٩٩٥

مجلة الموسم ـ بيروت، العدد ١١، المجلد الثالث، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٠م

مجلة الموسم ـ بيروت، العدد ٩ و ١٠، المجلد الثالث، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

التقارير الرسمية العراقية

١ ـ تقارير البلاط الملكي المحفوظة في دار الوثائق الوطنية، المكتبة الوطنية باب المعظم، بغداد

٢ ـ محاضر مجلسي النواب والأعيان المحفوظة في دار الوثائق الوطنية بكافة مجلداتها والتي هي على المايكروفلم المحفوظة في قسم الوثائق بمبنى وزارة الارشاد السابقة في الباب الشرقي.

٣ ـ الأضابير المتعددة، والتي لا يتسع المجال لإدراجها، التابعة لوزارة الداخلية حول أحداث ووقائع شخصيات الحكم الوطني ما بين ١٩٢١ ـ ١٩٤١

٤ ـ المعاهدات العراقية البريطانية والملاحق والتعديلات التابعة لها في مكتبة المتحف العراقي في الصالحية ببغداد.

ابحاث جامعية

حسن علي عبد الله السمّاك، عشائر الفرات الأوسط، دراسة سياسية ١٩٢٤ ـ ١٩٤١
رسالة دكتواره، جامعة البصرة، ١٩٩٥، (لم تطبع).

عز الدين المدني (السيد)، السيد محسن أبو طبيخ ودوره السياسي في العراق
رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٩٩٩، (لم تطبع)

المقابلات

المرحوم مشكور السيد محسن أبو طبيخ ـ بغداد، خلال السنوات ١٩٩٠ ـ ١٩٩٧

الدكتور محمد السيد محسن أبو طبيخ ـ سان دياغو، كاليفورنيا، خلال السنوات ١٩٩٧ ـ ١٩٩٩

الدكتور علي السيد محسن أبو طبيخ ـ مشن فياهو، كاليفورنيا، خلال السنوات ١٩٩٠ ـ ١٩٩٩

الدكتور خالد عبد العزيز القصاب ـ بغداد، ١٩٩٦

السيد جواد هبة الدين الحسيني ـ بغداد، خلال السنوات ١٩٩٦ ـ ١٩٩٩

المحامي خالد المرزوق ـ بغداد ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨

مالك حميد السيد علوان الياسري، لندن ١٩٩٩

زهير الحاج رايح العطيه ـ بغداد، ١٩٩٨

العقيد الركن المتقاعد المرحوم عزيز السيد جعفر الصندوق ـ بغداد، ١٩٩٥

الشيخ عليم آل جري المربع ـ غماس ـ ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨

المصادر الإنكليزية

1- A.D. MacDonald, Euphrates Exile, London, 1936
2- Hana Batatu, The Old Social Class and the Revolutionary Movement in Iraq
3- John Glubb, Arabian Adventures, London, 1978
4- Joseph Naayem, Rev, Shall This Nation Die, NewYork, 1920
5- Janet Wallach, Desert Queen, London, 1998
6- James Saumarez Mann, An Administrator In The Making, London, 1921
7- L.G. Bell, The Letters of Gertrude Bell , Vol II London, 1927
8- Majid Khadduri, Independent Iraq, 1932- 1958
9- Michael Yardley, Backing into The Lime Ligh
10- Philip Ireland, Iraq A Study in Political Development
11- Peter Sluglett, Britain in Iraq, 1914- 1932
12- Peter Mansfield, The Arabs, 1978
13- Russell Braddon, The Siege, London, 1969
14- Stephen H. Longrigg, Iraq 1900- 1950 A Political Social and Economic History, London, 1953
15- Somerset de Chair, The Golden Carpet, London, 1944
16- Who is Who in The World 1951- 1954

17- Yitzhak Nakash, The Shi' is of Iraq 1994

الأوراق والتقارير الرسمية العربية والأجنبية

C. O. 696/2 Administration Report of Diwaniyah Division for 1919

F. O. 371/20015 Disorder in the Rumaitha area

F.O. 371/8622, Memorandim No, 545/C/20 dated 5 Feb 1920 From P.O. Shamiyah to Civil Commissioner Bagdad

F.O. 371/6350/116, Mesopotamia Intelligence, Report No.6,31 Jan 1921

F.O. 882/23/3305, Self Determination in Iraq: Secret Compilation of Declaration and Telegrams No: 7 (10)

W.O. 32/5806 Mesopotamia Intelligence mape 7.4.1920

U.S Counsel in Bagdad, Report No. 987, March 17, 1938

Political affairs - Iraq: Shaikh Muhson Abu- Tabeeh has with drawn from politics

British Embassy, Bagdad, report No.110, Report: Muhson Abu- Tabikh 3 July 1939

C.O. 730/24/42829 Intelligence Report No.18 Nov 15th,1922

F.O. 371,7772/E10859/33/95 Intelligence Report 1 st sept,1922

C.O. 730/26/59936 Intelligence Report, Nov, 15,1922

Political and Secret Dep., Mesopotamia, Shamiyh Divisonal Council: P2023 No. 7002/81/15, 26-2-1920.

وثيقة القنصل العام لحكومة شرقي الأردن في بغداد (المملكة الأردنية الهاشمية حالياً) المرقمة (١١٨ ـ ١٣٥) والمؤرخة في ١٠ تموز ١٩٤٥

فهـــرس المحتويـــات

الفصل الثالث
ثورة العشرين ١٩٢٠ ـ ١٩٢١

الفصل الرابع
الهجرة إلى الحجاز ١٩٢٠ ـ ١٩٢١

الفصل الخامس
عهد الملك فيصل الأول ١٩٢١ ـ ١٩٣٣

الفصل السادس
عهد الملك غازي ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩

الفصل السابع
عهد الأمير عبد الإله ١٩٣٩ ـ ١٩٥٤

الفصل الثامن
عهد الملك فيصل الثاني ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨

الفصل التاسع
انهيار الحكم الملكي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠

الفصل العاشر
نهاية المطاف ـ خمسون عاماً من الجهاد ١٩٦١

الفهارس والملاحق

السيـــرة الشخصيـــة

جميل السيد محسن أبو طبيخ

* ولد في محلة جديد حسن باشا خلف المتحف العراقي القديم بجانب الرصافه من بغداد عام ١٩٣٥.

* درس في جامعة ولاية كاليفورنيا التكنولوجية

California State Polytechnic University

حصل على اختصاص في المحاصيل الحقلية والاقتصاد الزراعي B.SC.

ماجستير في التعليم الزراعي M.A.Ed

* اشتغل في القطاعين الخاص والعام لعدة سنوات.

* اسهم مع أخيه علي في الإعداد لنشر كتاب السيد محسن أبو طبيخ ـ الرحلة المحسنية.

وهو يعمل الآن على إعادة نشر كتاب السيد محسن أبو طبيخ ـ المبادئ والرجال ـ بعد الانتهاء من توثيقه.

* متزوج وله ثلاث بنات:

ـ سهير: خريجة جامعة مدينة لندن B.SC. في الرياضيات وبرمجة الحاسوب، وماجستير M.B.A من جامعة سان فرنسسكو كاليفورنيا.

ـ بان: خريجة المعهد الملكي للمهندسين المعماريين ماجستير هندسة معمارية ومدرّسة في المعهد نفسه ومحاضرة بجامعة جنوب لندن.

زينة: خريجة شرف من كلية لندن المركزية للفنون B.A. وحائزة على جائزة دوق كنت للخريجين الاوائل.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

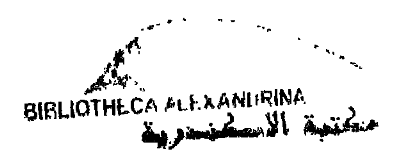
MUDHAKKARAT

Sayid Muhson Abu-Tabikh

Fifty Years Of Recent History Of Iraq
1910 -1960

Researched & Edited
By
Jamil Muhson Abu-Tabikh

2001 - 1421 Higri









مذكرات السيد محسن أبو طبيخ

خمسون عاماً من تاريخ العراق السياسي الحديث

1960 - 1910

نحن عبد الله بن الحسين ، ملك المملكة الأردنيّة الهاشميّة
تقديراً للصفات الحميدة والمزايا النبيلة ، الّتي اتّصف بها السيّد محسن أبو طبيخ ، ولما عرفناه فيه من إخلاص لنا وولاء لبيتنا الهاشميّ وودّ أكيد ، فقد منحناه وسام الاستقلال من الدرجة الثانية...

٢٨ مايس ١٩٤٦ م

٢٧ جمادي الآخرة ١٣٦٥ هـ

عبد الله بن الحسين الأوّل / ملك المملكة الأردنيّة الهاشميّة

■ ■ ■ ■ ■

إنّي أقدّر السيّد محسن أبو طبيخ وأودّه ، وإنّ آراءه معقولة .

١٢ حزيران ١٩٢٣

الملك فيصل الأوّل / ملك العراق

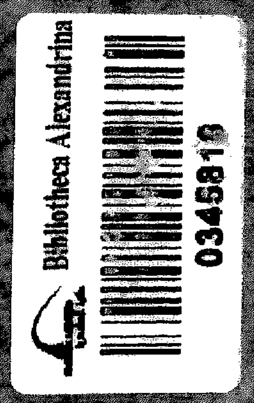
■ ■ ■ ■ ■

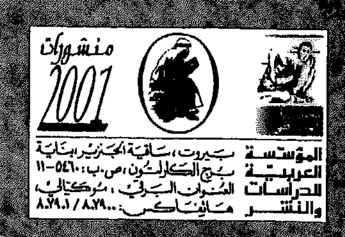
إنّي أعتبر السيّد محسن أبو طبيخ قد ألحق بالحكومة ضرراً لا يقدّر ، ولا شكّ في أنّ هذا الرجل ينتمي ، بصورة طبيعيّة ، إلى طبقة المتمرّدين الدائميّين .

١٤ مايس ١٩٣٦

السير آرچيبالد كلارك / السفير البريطاني في العراق

■ ■ ■ ■ ■





المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ، ص.ب : ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي
هاتفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١